(فهرست الجزء الثانى من كتاب المدخل لابن الحاج)

صحيفة

(فهرست الجزء الثاني من كتاب المدخل لابن الحاج)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

مد

فى

صحيفة

صحيفة

صحيفه

الجزء الثاني من كتاب المدخل للعارف

بربه سيدي محمد العبدري

الشهير بابن الحاج

نفعنا الله به

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(فصل في آداب المتعلم) قد تقدم رحمنا الله تعالى واياك ذكر بعض آداب العالم وفي ذكره غنية عن ذكر آداب المتعلم اذ أن الغالب فيما ذكر اشتراكهما في ذلك (لكن) قد يختص المتعلم ببعض نبذ يسيرة ينبغي التنبيه عليها (وقد) تقدم في العالم أن تكون نيته في التعليم لله تعالى وان يظهر الحق على نفسه وعلى غيره على ما تقدم ذكره (ثم) هو في حق المتعلم آكد لانه في أول أمره متصف بالجهل فيحرص على تخليص نيته من الشوائب في نفسه وهو أن يقصد بذلك وجه الله تعالى لا لأجل ان يرتفع قدره عند الناس أو يعرف بالعلم أو لمعلوم يأخذه به أو لأن يراس به على الجهال أو لأن يشار اليه أو لأن يسمع قوله الى غير ذلك من الحظوظ المذمومة شرعا التي تخرجه عن أن يكون لله تعالى بل يفعل ذلك خالصا لوجه الله عز وجل لا يريد غير ذلك (ألا ترى) الى ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام اخبارا عن ربه عز وجل حيث يقول سبحانه وتعالى أنا أتصف ببعض ما ذكر

انا

أنا أغنى الشركاء أذهب فخذ الاجر من غيرى (ولا) تختلف العلماء أن العلم أفضل الاعمال بعد الايمان بالله عز وجل واذا كان أفضل الاعمال فيتعين تخليصه لله تعالى فيبتدئه أولا بالاخلاص المحض حتى يكون الاصل طيبا فتأتى الفروع على هذا الاصل الطيب فيرجى خيره وتكثر بركته والقليل من العلم مع حسن النية فيه أنفع وأعظم بركة من الكثير منه مع ترك المبالاة بالاخلاص فيه (ومن) مراقى الزلفى للقاضى أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى قال بعض السلف من طلب العلم لوجه الله لم يزل معانا ومن طلبه لغير الله لم يزل مهانا اه (هذا) اذا كان هو الداخل بنفسه لطلب العلم فان كان وليه هو الذى يرشده لذلك فيتعين على الولى ان يعلمه النية فيه ويحذر أن يرشده لطلب العلم بسبب ان يرأس به أو يأخذ معلوما عليه الى غير ذلك مما تقدم ذكره فان هذا اسم قاتل يخرج العلم عن ان يكون لله تعالى بل يقرأ ويجتهد لله تعالى خالصا كما تقدم ذكره فان جاء شئ من غيب الله تعالى قبله على سبيل انه فتوح من الله تعالى ساقه الله اليه لا لأجل اجارة أو مقابلة على ما هو بصدده اذ أن أعمال الآخرة لا يؤخذ عليها عوض (وقد) روى ان يحيى بن يحيى راوى الموطأ لما ان جاء الى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك اجتهد يا بنى فانه قد جاء شاب فى سنك فقرأ على ربيعة فما كان الا أيام وتوفى الشاب فحضر جنازته علماء المدينة وألحده ربيعة بيده ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة فى النوم وهو فى حالة حسنة فسأله عن حاله فقال غفر الله لى وقال للملائكة هذا عبدى فلان كانت نيته ان يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجتهم فأنا معهم انتظر ما ينتظرون قال فقلت وما ينتظرون قال الشفاعة يوم القيامة فى العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (واذا كان) ذلك كذلك فينبغى له أن لا يسعى لطلب العلوم ولا فى زيادته ولا فى تنزيله فى المدارس ولا فى الوقوف على أبواب من يرجى ذلك منهم فان فعل شيئا مما ذكر كان ذلك قدحا فى نيته ووقع عليه الذم بنص كتاب الله تعالى حيث يقول سبحانه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (ولا) يخرج من المدرسة الى غيرها ولا من المسجد الى غيره الا لفائدة من زيادة العلم اما الا أن يكون مدرس المدرسة الاخرى أعلم أو أفيد أو أصلح

من الاول أولا ان تتكرر عليه مسائل العلم وتثبت وان كان الثاني أقل علما من الاول لا لأجل معلوم فانه اذا فعل غير ما ذكر كان قدحا في نيته كما تقدم والمبتدي محتاج الى تخليص نيته أكثر من المنتهي لان المنتهي عارف بالدسائس التي تدخل عليه ان حصل له التوفيق له بخلاف المبتدي (واذا) كان ذلك كذلك فلا يضره أخذ المعلوم مع اشتغاله بالعلم لوجه الله تعالى على ما سبق (اللهم) الا أن لا يقدر على تخليص نيته لله تعالى لبقاء تعلق خاطره بالاسباب وبأخذ المعلوم فان كان كذلك فترك العلم والتعليم أولى به لانه ان فعل ذلك وقع في بحر مخوف والغالب فيه العطب (لما) ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقد تقدم ان أفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى تعلم العلم فيخاف عليه فتركه أولى به فان اضطر الى مسئلة فليسأل عنها أهل العلم وحينئذ يقدم عليها (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى اذا علمت علما فلير عليك أثره وسمته وسكينته ووقاره وحلمه لقوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء ومن ابن يونس وذكر أيضا عن مالك انه قال لم يكونوا يهذرون الكلام هكذا ومن الناس من يتكلم بكلام شهر في ساعة واحدة (ولا) حجة لأحد في قول من قال من العلماء طلبنا العلم لغير الله تعالى فأبى العلم ان يكون الا لله (والجواب) عنه من وجهين (أحدهما) وهو الظاهر انه كان أولا جاهلا لا يعرف ما يلزمه من الوظائف الشرعية فلما ان قرأ العلم وجد قواعده ماشية على خمسة اقسام واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحرم فلما ان علم الواجب لم يسعه الا فعله وكذلك المحرم عكسه والمندوب ماله في فعله ثواب وليس عليه في تركه عقاب والمكروه ضده والمباح ما استوى طرفاه فالمكلف مخير في فعله وفي تركه فاتبع العلم وباتباعه صار لله تعالى لان نيته كانت محرمة عليه أولا فوجد العلم يمنعها فتركها وقد نقل معنى هذا القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى في مراقي الزلفى له فقال قال بعض العلماء العلم من الله والعمل لله وان الرجل ليطلب العلم لغير الله فيرده العلم الى الله فان العلم يأبى ان يكون الا لله اه هذا وجه (الوجه الثاني) ان هذا

انسان غرق سلم ولا يمكن لعاقل ان يغرر بنفسه ويرجو أن يسلم (فان) قال قائل قد تدعو الضرورة وهو الغالب الى طلب المعلوم والى الجمع بين مدارس جملة لاجل قيام البنية وضرورات البشرية (فالجواب) ان هذا الباب منه وقع الخلل ورجعت أعمال الآخرة لمجرد الدنيا وهو عطب عظيم اذ أن الدنيا لا تطلب بعمل الآخرة (واذا كان) ذلك كذلك فلا يخلو طالب العلم من أحد أمرين اما أن يكون قويا في دينه واثقا بربه أو لا يكون كذلك (فان) كان الاول فاشتغاله بالعلم واقباله عليه أولى به من أن يدور على المدارس أو غيرها لان الله تعالى قد تكفل برزقه خصوصا كما تقدم (فان) احتج محتج بقوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فجعل المشي سببا للرزق (فالجواب) انك اذا نظرت الى تمام الآية من قوله تعالى واليه النشور بان لك ان آخر الآية الكريمة فيه التنبيه للمتسببين على التحفظ فيما يحاولونه من الاسباب كلها اذ أن يوم النشور فيه الحساب ففي ذلك اشارة الى الورع في السبب خيفة من الحساب والمناقشة يوم النشور ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه اه (وقد) ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير في جو السماء تغدو خماصا وتروح بطانا اه فارشدنا صلى الله عليه وسلم بقوله هذا الى ترك الاسباب الدنيوية والاشتغال بالاعمال الاخروية ثقة بالله تعالى وبكفايته فانه العليم الخبير الكريم (فان) احتج محتج بقول من غلب عليه الشغف بالاسباب فقال طيران الطائر سبب في رزقه (فالجواب) ان طيران الطائر في الهواء لا يماثل التسبب في الرزق لان الهواء ليس فيه حب يلتقط ولا جهة تقصد (ألا ترى) انه ينزل في مواضع شتى ليس فيها شئ ولا عقل له يدرك به فدل على ان طيرانه في الهواء ليس هو من باب طلب الرزق وانما هو من باب حركة يد المرتعش لا حكم لها فتردد في الهواء حتى يؤتى برزقه اليه أو يؤتى بها الى رزقه وهذا الذي يتعين حمل طيران الطائر عليه أعني في أنه لا حكم له في الرزق ولا ينسب اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم سماه متوكلا

مع طيرانه ولذلك مثل به والعاقل المكلف أولى بالتوكل منه سيما من دخل في باب الاشتغال بأفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى وهو طلب العلم كما تقدم (وان) كان من القسم الثاني وهو العاجز عن التوكل لعدم قوة اليقين عنده فالاسباب عليه متسعة فيتسبب في شئ يستعين به على طلب العلم وهو أولى به بل أوجب من ان يأخذ أوساخ الناس يستعين بها على طلب العلم الشريف ويكفيه مع ذلك القليل من العلم وقد يبارك له فيه فيصير كثيرا وعلى هذا كان حال السلف رضوان الله عليهم أجمعين في كونهم لم يكن لهم معلوم على سبب من أسباب الآخرة وانما احدثت الارزاق على أعمال الآخرة بعد ذلك ومنه دخل الفساد على كثير ممن تعاطى أسباب الآخرة (ومن) كتاب سير السلف الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله تعالى قال ذو النون المصري رحمه الله كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على العلم واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة اصلاح في باطنه وظاهره فاليوم ترى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر انتهى (فان) قال قائل انه لا يمكن طالب العلم التسبب في الصنائع لانه قد يخرج به عن سمته ووقاره وزيه (فالجواب) ان هذا أيضا من البدع التي أحدثت لان السلف رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن عندهم فرق في الزي ولا الملبس لفقيه ولا لغيره (ومن) كتاب القوت قال علي رضي الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره (وعوتب) رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما فضل عن أطراف أصابعه فقال هذا ادنى الى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلمون (ونهى) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ألا ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين (وقال) بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام اه (ألا ترى) الى قصة عمر بن الخطاب رضي الله

عنه فى ثوبه الذى كان فيه احدى عشرة رقعة احداها من أديم هذا وهو امير المؤمنين فما بالك بغيره (فان) قال قائل كان ذلك فى زمان لائق بهم وهذا زمان لا يليق به ماذكرتم (فالجواب) ان الزمانين بالنسبة الى الشريعة المطهرة سواء اذ ان الكل عمهم الخطاب وتناولتهم الاحكام الشرعية كما تقدم وقد تجد كثيرا من أهل هذا الزمان متصفا بتلك الاوصاف الجليلة شرعا أو بحالها وقد مضت حكاية الشيخ الجليل ابن عبد السلام رحمة الله عليه فى تواضعه فى تصرفه وكذلك حكاية الشيخ الجليل المعروف بالزيات رحمه الله وماجرى له وكان من أكابر العلماء والصلحاء فى وقته وفى هذا الوقت ببلاد المغرب بعض العلماء اذا جلس الى الدرس يجتمع له نحو من أربعمائة أوستمائة من الفقهاء يحضرون عليه فاذا فرغ من مجلسه قام ودخل بيته وأخرج مايحتاج اليه على رأسه أوفى يده من قمح يطحنه أو عجين يخبزه أوشراء خضرة أوحاجة من السوق أوحصاد لزرعه بيده أوغسل ثياب الى غير ذلك من الحوائج وله من الهيبة بحيث لا يتجاسر أحد من الطلبة أوغيرهم أن يحلف عليه فالخير والحمد لله باق لمن أراده وتحصيله ممكن وانما بقى التوفيق فمن وفق وترك العوائد الرديئة والطبائع النفسانية فقد أرشد وجاءه العون قال عليه الصلاة والسلام لاتزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وفى رواية أخرى طائفة بالمغرب اه مع ماورد من قوله عليه الصلاة والسلام أمتى مثل المطر لا يدرى أيه انفع أوله أوآخره أو كما قال عليه الصلاة والسلام فلا يقطع المرء المسلم الاياس من هذا الخير العظيم فانه والحمد لله باق الى يوم القيامة بفضل الله تعالى وكرمه وقد رأيت وباشرت بعض طلبة العلم بالمغرب يأخذون المسحاة ويأتون الى موقف المناذين فان حصل لهم سبب مشوا فيه يومهم ذلك والا رجعوا الى الدرس والاشتغال الى غير ذلك مما قد يطول ذكره (فالحاصل) من هذا أن يدخل المتعلم الى تعلم العلم بجد واجتهاد وحسن نية وترك الالتفات الى العوارض والاسباب والعوائد التى انفعلت فى هذا الزمان وهو مخير فى الاسباب الشرعية هل يقدم عليها أو يتركها ثقة بربه عزوجل كما سبق (وقد) تقدم فى العالم ان من صفاته التواضع لمن يعلمه واذا كان ذلك مطلوبا فى العالم فمن

بالايثار والبذل لله وان أدبرت قابلوها بالصبر والرضى والتسليم لان الامر بيده وهمتهم وبغيتهم انما كان تحصيل زادهم لمعادهم فى الفقر والغنى والحركة والسكون (وقد كان) سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول هذه الحالة اختص بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عجز غيرهم عنها اه يعنى فى الغالب فقل أن تجد من اشتغل بأحد الشيئين الا اضر بالآخر يعنى من اشتغل بالدنيا اضر بالآخرة ومن اشتغل بالآخرة اضر بالدنيا (وقد) قال بعضهم وجمعك بين الحالتين عجيب فاذا اتصف الطالب بهذه الصفات المتقدم ذكرها لم يبق عنده التفات لمن زيد لهم فى العلوم أو نقص (وكذلك) يتساوى عنده مواضع الجلوس فى الارتفاع والانخفاض كل ذلك عنده سواء فحيث أجلسه الله جلس وما ساقه الله اليه رضيه وشكره وما منعه منه حمده على ذلك ورآه من ربه عز وجل عطاء (فاذا) تقرر هذا من حاله انتفت عنه الشوائب المذمومة وبقى العلم خالصا لوجه الله تعالى واذا صار العلم كذلك وصحبه العمل به جاء ميراثه العاجل وهو الخشية قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واذا حصلت الخشية قوى الرجاء فى القبول وانه ماش على منهاج السلامة والغنيمة فيما أخذ بسبيله وعكس هذا الحال فى النقيض والعياذ بالله فمن أراد السلامة فلينسج على منوال من مضى فالخير بحذافيره فى الاقتداء بهم وبأحوالهم فى القليل والكثير نسأل الله الكريم من فضله ان يمن علينا بما من به عليهم فانه أهل لذلك والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (واصل) ماينبنى عليه فى تعلمه وهو آكد من كل ماذكر تقوى الله تعالى فان الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز واتقوا الله ويعلمكم الله فاذا اتصف المتعلم بالتقوى كان الله عز وجل معلمه وهاديه ومن كان الله تعالى معلمه وهاديه فلا تسأل عن حاله قال الله تعالى فى كتابه العزيز فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وهذا لفظ عام فقد يحصل للمتعلم نفائس من المسائل لا تؤخذ بالدرس ولا بالشيوخ لاجل ما حصل من قوله ويعلمكم الله (وآكد) ماعليه فى التقوى اجتناب المحارم لقوله عليه الصلاة والسلام اتق المحارم تكن أعبد الناس وقوله عليه الصلاة والسلام وما نهيتكم عنه فلا تقربوا فاذا اتصف بهذه الصفة كان أعبد

اللهم تب عليه وكذلك يقعون بسبب غيرتهم فى الدين يقولون فلان فعل كذا وكذا على سبيل الغيرة منهم فى دين الله تعالى وكذلك شفقتهم ورحمتهم على بعض الناس فيقولون مسكين فلان واقع كذا وكذا مما يكره ذكره المقول فيه فاذا تقرر هذا وعلم فيحتاج العالم والمتعلم أن يكونا متيقظين لهذه الامور وماشاكلها ويتحفظان منها اذ أن بتحفظهما يتحفظ كل من رآهما أو علم حالهما الا انهما قدوة للمهتدين

(فصل فى أوراد طالب العلم) وينبغى له أن لا يخلى نفسه من العبادات وأن يكون له ورد من كل شئ منها اذ انها سبب الاعانة على ما أخذ بسبيله لقوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة انتهى وما يستعان به لا يترك (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك لحكمة الشرع فى قوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة فعم الطرفين وجعل من الثالث جزءا والغدوة هو ما كان من طلوع الشمس الى الزوال والروحة ما كان من الزوال الى الغروب والمكلف لا يخلو حاله من أحد أمرين اما أن يشتغل فى غدوته أو فى روحته بشئ من أعمال الآخرة أو بشئ من أسباب الدنيا (فان) كان من أعمال الآخرة فهى الاستعانة الحقيقية (القصة) معاذ بن جبل وأبى موسى الاشعرى رضى الله عنهما ان بعثهما النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن يعلمان الناس الدين فافترقا لذلك ثم اجتمعا فقال معاذ لأبى موسى كيف تقرا القرآن قال أقرأه قائما وقاعدا ومضطجعا وأتوقه تفويقا ولا أنام فقال معاذ رضى الله عنه أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى فلم يسلم أحدهما للآخر حتى أتيا الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرا له ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لأبى موسى الاشعرى رضى الله عنه هو أفقه منك يعنى معاذا الذى كان يحتسب نومه كقيامه لكن هذا بشرط يشترط فيه وهو أن يكون ماشيا على منهاجهم فى تصرفاتهم ولأى شئ كانوا يتصرفون وحسن نياتهم فى ذلك كله (والقول) عمر رضى الله عنه ما من حسنة الا ولها أخيات (وان) كان فى سبب من أسباب الدنيا فذلك عون له على الطاعة (وقد) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت بين شعبتى رحلى أبتغى من فضل الله أحب الى من أن اموت على

مادونه تبع له وفي حكمه (قال) ابن رشد رحمه الله كما يفعل أيضا ما جاء من ذلك في السنن المتواترة كالضحك والنزول وشبه ذلك مما لم تكره روايتها لتواتر الآثار بها اه (أما الضحك) فهو عبارة عما يصدر من المتصف بذلك منا من الرضى والاحسان (وأما النزول) فقد تقدم بيانه (قال) ابن رشد رحمه الله لان حديثها كاهما في اقتضاء ظاهرهما التشبيه وامكان تأويلهما كاهما على ماينتفي به تشبيه الله عز وجل بشيء من خلقه (وأقربها) كلها أن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد لان العرش خلق من خلق الله عز وجل فلا تستحيل عليه الحركة والاهتزاز واضافته الى الله تعالى انما هو بمعنى التشريف له كما يقال بيت الله وحرمه لانه محل له وموضع لاستقراره اذ ليس في مكان فقد كان قبل أن يخلق المكان فلا يلحقه عز وجل باهتزاز عرشه مايلحق من اهتز عرشه من المخلوقين وهو جالس عليه من تحركه بحركته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (ويحتمل) أن يكون الكلام مجازا فيكون المراد بتحريك العرش حركة حملته استبشارا وفرحا بقدوم روحه وهذا جائز في كلام العرب ان يقال اهتز المجلس بقدوم فلان عليه أي اهتز اهله لقدومه مثل قوله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها ومثل قول النبي صلى الله عليه وسلم أحد هذا جبل يحبنا ونحبه أي يحبنا أهله ونحبهم (وأما حديث الساق) فلم يضف الساق فيه الى أحد ومعناه عن شدة لان مثل هذا الكلام مستعمل في اللغة على معنى شدة الامر كما قال الشاعر «وقامت الحرب على ساق» وقال ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أي عن شدة من الامر وقال الحسن في قوله تعالى والتفت الساق بالساق أي التفت ساق الدنيا بساق الآخرة وقال الضحاك معناه أمر الدنيا بامر الآخرة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعمال الدنيا بمحاسبة الآخرة وذلك أمر عظيم (وأما) قوله ان الله خلق آدم على صورته فانه حديث يروى على وجهين أحدهما ان الله خلق آدم على صورته والثاني ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فأما رواية ان الله خلق آدم على صورته فلا خلاف بين أهل النقل في صحتها لاشتهار نقلها من غير منكر لها ولا طاعن فيها (وأما) الرواية الاخرى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فمن مصحح لها ومن طاعن فيها واكثر اهل النقل

عليه لان ذلك يدخل عليه الخلل فى نيته المتقدم ذكرها (واذا كان) ذلك كذلك فى أخذ الدرس فمن باب الاولى والاحرى فى الاحكام بل ذلك فى الاحكام أشد (الماورد) فى الحديث من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين انتهى (ومن ذلك) ماذكره مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان صبيين جاآه يتخايران فى خطيهما فنظر فى الخطين ثم قال لولا انه حكم لقلت ان أحدهما احسن من الآخر ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الحاكم ويداه مغلولتان الى عنقه لا يفكهما الا عدله وأنا أكره أن احشر مغلول اليدين اوكما قال (ولم) يزل السلف رضى الله عنهم أجمعين يهربون منه الهرب الكلى حتى قد حكى عن بعضهم انه تولاه فى الظاهر حتى رفع عنه ذلك (وقد) جرى للامام ابى حنيفة رحمه الله حين طلب للقضاء فقال انى لا أصلح فقيل له لابد من ذلك فقال لهم هذا لا يحل لكم قالوا لم قال لانى بين أحد امرين اما أن اكون صادقا فيما قلته فلا يحل لكم ان تولوا من لا يصلح وان كنت كاذبا فلا يحل لكم أن تولوا كاذبا فتركوه (وحكاياتهم) فى هذا الا كثر من أن تحصر واشهر من أن تذكر وكانوا يعدون تولية القضاء من الابتلاء ويستعيذون من ذلك حتى انهم قد يعيرون بعض من تولى من معارفهم (وقد جرى) لسيدى الشيخ ابى الحسن الزيات رحمه الله تعالى لما ان طلب للقضاء ما قد ذكر (وقد جرى) لسيدى ابى محمد رحمه الله تعالى فى افريقية لما ان طلب للقضاء وأجبر عليه طلب منهم ان يجعلوا لمن بين يديه من الرجال لاستخلاص الحقوق الشرعية ما يقوم بكفايتهم من بيت المال قالوا ولم ذلك قال لان على السلطان أن يوصل لكل ذى حق حقه وليس على صاحب الحق ان يعطى من حقه شيئا وهذه المسألة منصوصة فى المذهب قد ذكرها ابن رشد رحمه الله تعالى فى البيان والتحصيل له فلما ان طلب منهم ذلك عملوا حساب ما يخرج منهم فوجدوه مالا كثيرا فشحوا باخراجه فتركوه (وقد قال) بعضهم ينبغى لمن ولى اى خطة ان ينظر الى نفسه فى يوم عزله منها ولا ينظر الى يوم توليته اه وماذاك الا لانه اذا نظر الى يوم توليته هلك فى الغالب الا من عصم الله وقليل ما هم واذا نظر الى يوم عزله سلم فى الغالب (وقد) جرى بمدينة فاس ان السلطان جبر الشيخ الجليل أبا

عبدالله بن عمران على القضاء فاستشار بعض الاكابر فاختلفوا عليه فقال له بعضهم لا تتول وان توقعت الموت وقال له آخرون ان توقعت الموت تول واحكم بالعدل وهم يعزلونك فسمع من الثاني فتولى وحكم بالعدل فلم يبق الا اياما يسيرة وعزلوه فى حكاية يطول ذكرها (فيتعين) عليه الهرب الكلى من الولاية واسبابها اذ انها احتوت سيما فى هذا الزمان على حظوظ النفوس من الرياسة الموجودة فيها الا ترى ان المال الذى هو معلق بالقلوب فى الغالب يبذل فى المناصب ولا تبذل المناصب فيه فدل ذلك على انه أعظم ولاجل هذا قال بعض الاكابر الزهد فى الرياسة أفضل وأعظم من ألف زهد فى المال (وليحذر) من أن يميل الى خاطر النفس والعوائد الرديئة والالزام المعينة للشيطان عليه فقد تسول له نفسه أو احد ممن ذكر أنه من الصنف الذين يتعين عليهم الولاية الشرعية فيقع بالقضاء فى القضاء الا ترى ان ذلك آفة عليه عاجلة لانه يقطع عليه ماهو بصدده من الاشتغال لكثرة الاشتغال ان كان شابا اذ انه يحرم عليه اذا جاءه الخصمان أن يشتغل بمطالعة المسائل أو غيرها (ويتعين) عليه اذ ذاك ترك الضرورات كلها الا ما استثنى شرعا (لما ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا يقضى القاضى وهو غضبان اه وعداه الفقهاء الى غير ذلك وان كان ذا سن فأشد من الاول لما تقدم ذكره من انهم كانوا اذا بلغ احدهم الاربعين طوى الفراش وانعزل عن الناس وتبتل للعبادة وترك الاشتغال بالعلم اذ ذاك فما بالك بالدخول فى القضاء وهذا هو الغالب فيه أعنى ان القضاء لا يجيء للانسان الا بعد الطعن فى السن حين توقع هجوم الموت عليه غالبا لما جاء فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول معترك منايا امتى ما بين الستين الى السبعين (ويكفى) من التنفير عنه ما حكى ان بعض القضاة كان اذا جلس للاحكام جلس الى جانبه رجل اسود الوجه ابيض البدن فكان اذا اراد أن يفصل الحكم بين الخصمين نظر الى وجهه ثم يفصل الحكم بعد ذلك فسئل عن موجب ذلك فقال اسألوه فسألوه فأخبرهم انه كان ينبش القبور فمات قاضى البلد قال فذهبت اليه ليلا فنبشت عليه حتى وصلت اليه وجئت آخذ الكفن واذا بشخصين قد دخلا فرعبت منهما فرجعت فى ناحية من القبر فقال احدهما

الآخر تقدم فجاء الى قدميه فشمهما فقال هاتان قدمان ما عصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى فرجه فشمه فقال هذا فرج ما عصى الله قط فقال له تقدم فجاء الى بطنه فشمها فقال هذه بطن ما اكلت الحرام قط فقال له تقدم فجاء الى يديه فشمهما فقال هاتان يدان ما عصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى فيه فشمه فقال هذا اللسان ما عصى الله قط فقال له تقدم فجاء الى عينيه فشمهما فقال هاتان عينان ما عصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى أذنيه فشمهما فسكت فقال له ما بالك فقال له هاتان أذنان جاءه يوما خصمان فأصغى الى أحدهما اكثر من الآخر فارتفعا يضربانه فهربت فحصل لي هذا من هوى القضية فأصبح وجهي كما ترون اه (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه الحكاية ما أعجبها فأين الحاكم الذي يكون على مثل ما كان عليه هذا السيد هو والله أعز شئ يكون ومن له عقل ينظر الى كل موضع يضطر فيه الى الصبر فيهرب منه لان البشرية في الغالب عاجزة عن الصبر فان وقع فيه من غير أن يختاره و يضطر اليه فالاستغاثة اذ ذاك بربه لعل أن يصبره على ما ابتلاه به فيعده من باب الابتلاء فاذا فعل ذلك يرجى له ان يعان وان يسلم من الآفات المنوطة به يشهد لذلك ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا تسأل الامارة فانك اذا أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها وقد قال عليه الصلاة والسلام انا لا نولي أمرنا هذا من طلبه اه (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى الغالب من احوالنا اليوم في تولية المناصب والعمل عليها بل يبذل بعضنا المال في تحصيلها فأي نسبة بين هذا الحال و بين ما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام انا لا نولي أمرنا هذا من طلبه وقوله عليه الصلاة والسلام لا تسأل الامارة الحديث فاذا تقرر ذلك تبين به قبح تعاطيهم لذلك (فان) زعم بعضهم انه يتعين عليه البذل في ذلك لما يراه من ان فيه أهلية للمنصب دون غيره (فالجواب) عنه من وجهين (الاول) ان في هذا تزكية للنفس وقد نهى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك (الثاني) ان التعرض للاحكام فيه اشغال الذمة بامر لا يعلم هل يتخلص منه أم لا وخلاص الذمة متعين (فان احتج) بما حكاه الله تعالى في كتابه عن نبيه يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم حيث قال اجعلني على خزائن الارض

قول ويل للعالم من الاتباع يزل الزلة فتحمل عنه في الآفاق (وقال آخر)
زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق الخلق اهـ (ولا حجة) لمن يقول
ان التحريم انما هو في حق الآخذ للرشوة ليس الا لان المعطي قد تسبب في
وقوع اخيه المسلم في هذا المحرم فصار شريكا له في اثم ذلك (وقد ورد) ان
الظلمة عشرون واعوانهم حتى من مد لهم مدة فاذا كان من مد لهم مدة يحشر
معهم فما بالك بمن أخذ مالا من أخيه المسلم على شيء هو مأمور بأن ينفعه به من
غير عوض (وقد روى) أبو داود في سننه عن أبي امامة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شفع لأحد شفاعة فأهدى له هدية
عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا (ومن) كتاب التفسير للامام
ابي عبد الله محمد بن ظفر الحموي رحمه الله تعالى لما أن تكلم على قوله تعالى
سماعون للكذب أكالون للسحت قال الحسن هم حكام اليهود يسمعون
الكذب ممن يأتيهم برشوة (وقال) عمر رضي الله عنه رشوة الحاكم من
السحت (وقال) ابن مسعود من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة فاهدى اليه
هدية فقبلها فذلك السحت فقيل له كنا نرى ان السحت الرشوة في القضاء
فقال ذلك الكفر وتلا قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم
الكافرون وانما أراد ان من أكل الرشوة في القضاء أكل السحت وكفر
(وروى) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه لعن الراشي والمرتشي والرائش فالرائش هو الذي
يرشي المرتشي من مال الراشي فيأخذ له الرشوة منه فكل مال كسبه ذو
الوجاهة عند السلطان من ذوي الحوائج اليه بجاهه فهو عند مالك رحمه الله
سحت والقضاء فيه ان يرد الى أصحابه فان لم يعلموا رفعه السلطان الى بيت
مال المسلمين (وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هدايا العمال من
السحت (وقال) عمر رضي الله عنه هدايا الامراء غلول اهـ

* (فصل في العدالة) * فاذا تقرر ما ذكر من الهرب من المناصب فمن آكدها
الهرب من العدالة وترك التشوف اليها اذ أن الخطر فيها أعظم مما تقدم
في القضاء اذ أن القاضي ليس له أمر ولا نهي في الغالب الا بشهادتهم فكأنه
أسيرهم لانه بحسب ما قالوه حكم فهم الباعثون له على الحكم وأمورها

متشعبة مشغلة عن الاشتغال بالعلم وغيره فى الغالب حتى انه قد يضيع
بعضهم حاله لاجلها وفيها من المفاسد أشياء عديدة فى هذا الزمان لايمكن
تتبعها لان ذلك يطول وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام انا لانولى أمرنا
هذا من طلبه اه (فعلى) هذا كل من طلب العدالة فهو قدح فى عدالته
سيما فى هذا الزمان خصوصا لما احتوت عليه من الامور الفظيعة ولو لم يكن
فيها من القبائح الا ما أحدثوه من بذل المال فيها وان كان ذلك ليس خاصا
بها بل هى وغيرها من المناصب الدينية رجعت الى بذل المال والاستعانة
معه بمن لايرضى حاله فى الشرع الشريف فكان ذلك سببا قويا فى أن يأخذ
المناصب من لايستحقها ويحرمها من يستحقها فى الغالب فآل الامر فى
ذلك الى أشياء فظيعة من ابطال الانكحة والعقود وغير ذلك من أمور
المسلمين اذ أن الربط والحل اغاهو بالعدول لكن أكثر العدول
فى هذا الزمان حالهم معلوم فلا حاجة الى شرحه ولاجل هذا المعنى
كثرت شهادات الزور اذ أنه لو اخذ العدالة وغيرها من المناصب الدينية
أهلها لقلت المفاسد بل تعدم بالكلية (وقد) ذكرت لبعض المباركين
شخصا وأثنيت عليه عنده وقلت له ان والده يطلب له العدالة فقال لاحول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم هو الآن عدل كيف يجرحون فقلت له
العدالة تجريح فقال نعم فى هذا الزمان ترك العدالة هى العدالة (وما) ذكره
بين (ألا ترى) الى حال بعضهم فى المكتوب اذا كتبه يطلب عليه مالا يستحقه
ويتشاح فى ذلك ولسان العلم ينعه (اذ) أن الجالس لايخلو حاله من أربع
مراتب (أولها) وهى أعلاها أن يجلس لقضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم
وارشادهم وتصحيح عقودهم طالبا بذلك الثواب من الله تعالى لا لدنيا يصيبها
ولا لثناء وغيره امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام والله فى عون العبد مادام
العبد فى عون أخيه اه فاذا اعطى شيئا تبرم منه واغلظ على فاعله وهذا
عزيز الوجود فان وجد كان ما يفعله من ذلك افضل من صلاته النافلة
فى بيته وانقطاعه للتعبد اذ أنه خير متعد لاخوانه المسلمين ولا يختلف ان
النفع المتعدى افضل من القاصر على المرء نفسه بشرط السلامة من الآفات
التى تعتوره فى ذلك (المرتبة الثانية) ان يجلس للشهادة فاذا جاءه شغل اخذ

عليه

عليه أجرة نسخه للورقة أو أقل منه ليس الا فان زاده على ذلك شيئا رده عليه ولم يقبله وهذا قريب من المرتبة الاولى فى عزة وجوده (وقد) كان سيدى ابو عبد الله بن عمران رحمه الله تعالى بمدينة فاس جالسا فى العدول وجاءه انسان فكتب عنده حجة وأعطاه درهما فرده عليه وقال لا نستحقه فقال له ماعندى غير الدرهم فقال لا آخذ مالا استحقه فقال له فكم نعطيك قال ربع درهم قال ماعندى ربع قال هات اربعة من البيض ثم جاءه مرة أخرى لاداء الشهادة فنزل من دكانه لادائها فأعطاه شيئا فانتهره وزجره وقال تطعمون الناس الحرام ومع هذا الحال من التحرز والاحتياط لدينه تبرم من ذلك وقام من المجلس وانعزل فى بيته فعلى منواله فانسج ان أردت الخلاص (المرتبة الثالثة) أن يجلس فاذا جاءه شغل عمله ولا يطلب عليه شيئا فان أعطاه قليلا رضى به وان أعطاه كثيرا عن طيب نفس منه لم يرده وهذه المرتبة أدنى من المرتبتين المتقدمتين مع كونها جائزة شرعا وقد قل وجودها فى هذا الوقت (المرتبة الرابعة) مايتعاطونه فى هذا الزمان وهو محرم اتفاقا وهو أن يطلب الشاهد مالا يستحقه ويمنع الحجة لاجله حتى يأخذ اكثر من ذلك حتى أدى الامر الى أن يترك بعض الناس الاشهاد على حقوقه لاجل الاجحاف به وخوفا من اعانتهم على أكل الحرام (وأقبح) من هذا انه اذا طلب من بعضهم أو اكثرهم اليوم أداء الشهادة عند الاضطرار اليها يتناساها كأنه لا يعلمها حتى اذا أعطى شيئا تذكرها اذ ذاك من غير ارتياب (سيما) فى صدقات النساء يفعل بعضهم فيها فعلا قبيحا وهو أن يمسك الصداق عنده فاذا طلب منه يقول حتى أفتش فلا يزال يماطل حتى اذا اضطرت المرأة اليه بموت زوجها أو طلاقه اياها أو تطلب حقها المذكور فى صداقها فيطلب منها اذ ذاك مايختاره وان كانت ضعيفة الحال وخشيت منه أيضا ان كان الصداق عندها أن تقضى ماتريده عند غيره (وكذلك) يفعلون بالمباراة وأفعالهم من هذا وماشا كله اقبح من أن تذكر وتنزه الكتب عن ذكرها والاقلام عن كتبها (وقد) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح المرء مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا اه ولاشك ان من أخذ مالا يستحقه فقد باع

دينه بعرض من الدنيا (فان) قال قائل قد يضطر طالب العلم الى العدالة والجلوس لاجل العائلة وما يتوره من الضرورات الشرعية لقلة ذات يده عما يحوجه الى ذلك (فالجواب) ما تقدم قبل هذا وهو أن ما كان من أمور الدين لا تتوكل به الدنيا فمن اضطر الى ذلك فله فى غيره من الاسباب الشرعية اتساع وهى كثيرة متعددة وأمور الدين والآخرة بمعزل عن أسباب الدنيا فلا ضرورة تدعو الى التسبب فى العدالة والجلوس لما ذكرناهم الا أن يدخل عليه ذلك من غير أن يقصده ويجلس بقصد أحد الوجوه الثلاثة المتقدم ذكرها فلا بأس اذن ويرجى له أنه فى طاعة لضرورة الناس اليه وضرورته شرعية (تنبيه) وليحذر اذا جلس أن يفعل ما جرت به عادة بعض أهل الوقت وهو ما يسقط العدالة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن السرف وعن اضاعة المال ولا شك ان كتب الصداق فى خرقة الحرير من باب السرف واضاعة المال وان كانت المرأة يجوز لها لبس الحرير والتحلى بالذهب لكن فيما يكون لبسا وتحليا شرعيا وأما الصداق فمن باب الفخر والخيلاء والمباهاة والمخالفة وقريب من هذا كتبهم لذلك فى النصافى وان كان مباحا لبسه للرجال والنساء وهذا ليس بلبس والسرف فيه موجود وذلك منهى عنه كما تقدم ولهم فى الرق وغيره من المباح اتساع (ثم) كذلك يحذر من هذه البدعة الاخرى وهو أن يكتب سطرا أو سطرين ثم يترك بياضا خارجا عن العادة فهو أيضا من باب اضاعة المال والسرف والخيلاء وان كان فى رق أو ورق ولو لم يكن فيه الا مخالفة السلف الماضين رضى الله عنهم لكان فعلهم لذلك قبيحا فكيف به مع مصادمة النصوص الشرعية المانعة من السرف (تنبيه آخر) وليحذر أن يحضر كتب صداق فى موضع مفروش بحرير على ما يفعلونه فى الغالب أو يجلس على حرير أو يستند اليه أو الى وسادة مطرزة بحرير على ما يفعلونه فى هذا الوقت من وسع الطراز بالحرير وقد تقدم القدر الذى يباح ويتسامح فى اباحته من الحرير للرجال (وكذلك) يمنع من الدخول تحت السقف المذهب ومن المواضع التى فيها تماثيل أو صور ممنوعة شرعا (وكذلك) لا يجوز أن يحضر الكتب فى موضع فيه منكر بين أو مع من يتعاطى ذلك جهرا مثل أن يكون ثم شرب خمر أو مغان على ما يعلم من حضورهن بآلات الطرب وكشف الوجوه

والمعاصم

والمعاصم أو يكون ثم نساء متبرجات سواء اختلطن بالرجال أم لا (وكذلك) لا يحضره وضعا فيه مغاني الرجال بالآلات الممنوعة المتقدم ذكرها وان كان مكروها دونها ولا في مكان تحضره الشيمة على الصفة المتقدم ذكرها (وكذلك) يتعين على من هو منسوب الى الخير والصلاح والعلم أو أحدها أن لا يجيب الى موضع فيه شيء مما ذكر وما أشبهه فان ذلك قدح في خيره وصلاحه وعلمه لانه يجب عليه تغيير ذلك واقل ما يمكن في حقه من التغيير أن لا يجيب لموضع فيه شيء من ذلك بعد أن يعرفه أن امتناعه من أجل كذا وكذا فان ذلك كله ممنوع شرعا وان كان هذا في حق الناس كلهم ممنوعا في النكاح وغيره لكن في حق العدل آكد لانه اذا حضر شيئا من هذا وما شاكله ترتب عليه مفسدتان عظيمتان احداهما وهي أشدهما سقوط عدالته في نفسه واذا سقطت عدالته بطلت العقود التي يشهد فيها ان كان النصاب لم يكمل الابه والثانية أنه قدوة فيقع العوام بسبب تعاطيه ذلك في اعتقاد جوازه في الشرع فيكون ذلك سببا للاحداث في الدين بزيادة ماليس منه فيدخل تحت ذم الشرع حيث قال ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء اه وهذا أمر قد تساهل فيه أكثرهم اليوم وفيه من الخطر ما تقدم ذكره (تنبيه آخر) وكذلك يحترز الشاهد على نفسه مما اعتاده بعضهم في هذا الزمان وهو أن القاضي اذا أشهد على نفسه في امضاء الحكم قام الشهود له ذلك وانحنوا حتى يقرب بعضهم من الركوع الممنوع لغير الله تعالى وتكلموا مع ذلك بالفاظ مفخمة ممنوعة في الشرع لما فيها من التزكية والتملق بالباطل ولاشك أن ذلك الفعل قدح فيمن فعل ذلك وفيمن رضي به (وكذلك) يحترز من قيامه عند طاس القاضي ومن تشميته بالفاظهم التي اعتادوها اليوم ولم ترد في الشرع (وقد) وقع بهذا الذي ذكر التنبيه بالادنى على الاكثر وبالاصغر على الاكبر فليتنبه لذلك من يتنبه والله تعالى يوفقنا واياك لما فيه رضاه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم * (تنبيه آخر) * وينبغي له اذا جاءه الخصمان ليشهد عليهما بتقييد ألفاظهما وما أشبه كل ذلك مما يقع بينهما حين المشاجرة أو الرجل وزوجته يريدان الفراق أن يكسر على كل واحد

قوله ان يكسر الخ ملخصه كما في القاموس محاولة تسوية الحمل على البعير اهـ

منهما مهما أمكنه ويشير عليهما بالصلح جهده ويذكر لهما ما في الصلح من
الخير والبركة (قال) الله تعالى في كتابه العزيز لا خير في كثير من نجواهم الا
من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس (وقال) الله تعالى وان
امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما
صلحا والصلح خير (فلا) يعجل الشاهد عليهما بالشهادة الا بعد الاياس من
صلحهما ويرى ان الفرقة خير لهما والشهادة أوجب عليهما لما يراه من حسم
باب النزاع بينهما ويخبرهما بما في التقاطع والتدابر من الآثام فاذا فعل ذلك
كان له الثواب الجزيل لامتثال الكتاب والسنة في ذلك وفيه ترك الاستشراف
لما في أيدي الناس من الحطام وبه تحصل البركة (لما) ورد في الحديث
الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال ان هذا المال خضرة حلوة فمن
أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه
(وقد) أدركت بعض الشهود بمدينة فاس اذا جاءهم من ذكر من المتخاصمين
لا يعجلون عليهم بالاشهاد حتى ييأسوا من صلحهم كما تقدم وكان لهم مع ذلك
الخير والبركة ولم يكن لهم سبب غير ما هم فيه ثم مع ذلك كان حالهم أجمل
حال في اليسار والسعة فظهرت عليهم بركات الامتثال لما قاله عليه الصلاة
والسلام في الحديث المتقدم اذ البركة هي المقصودة فاذا حصلت فلا يلتفت
الى الاسباب قلت أو كثرت (ولاجل) ترك النظر الى هذا المعنى كثرت اليوم
الاشغال والشهادات وامحقت البركات سيما ان حصلت شهادته على
ما يفعلونه اليوم من هذه الصفة المذمومة في التحليل فانها كالترياق المجرب
قد علمت بالعادة الماضية فيه وهو أن من فعل ذلك وتعاناه من الزوجين
والولي والشهود سلط عليه الفقر ولاجل هذا تجد الواحد منهم يحصل له
عليه في اليوم جملة من الفضة ومع ذلك حاله ضيق وتجد عليه الدين ويشتكي
بالفقر والفاقة الكثيرة وهذا حال الكثير منهم كل ذلك سببه الاستشراف
كما تقدم ذمه في الحديث (فان) قال قائل ان الشاهد اذا فعل ما ذكرتموه
يقل عليه الشغل وقد ينعدم في أكثر الاوقات فيضيع حاله وحال عياله
(فالجواب) ان الشغل القليل مع امتثال السنة أبرك من الكثير مع مخالفتها
بل ما مع المخالفة بركة أصلا (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لن تموت نفس

حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب اه (فارشد) عليه الصلاة والسلام لما فيه صلاح أمته دينا ودنيا فمن حاول الراحة فى غيره فقد رام شططا وتعب وأتعب (فليحذر) العاقل من هذا الامر فانه خطر (ثم) مع تنزهه عن الاشغال الكثيرة يحصل له البركة وفراغ السر وقد يجد السبيل الى المطالعة والدرس وهو فى دكانه بخلاف حاله مع كثرة الاشغال المكروهة شرعا فان البركة تمحق منها ويتعوق بها عن الاشتغال بالعلم وقد تقدم ان الاشتغال بالعلم أفضل الاعمال وأزكاها وأبركها فليشد على ذلك يده لانه لا شئ أبرك مما هو فيه (ألا ترى) الى ما فى الحديث الذى خرجه صاحب الحلية وصححه السمرقندى رحمه الله تعالى فى فضل العلم والثناء على حامله وبركته والتنويه بقدره (وهو) ما روى عن معاذ يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة والانس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والمعين على الضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتفى آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى الى رأيهم ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان فى البحر وهوامه وسباع الطير وأنعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح الابصار من الظلمة بالعلم تبلغ منازل الاخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته القيام وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء اه

(فصل فى آداب العالم والمتعلم فى بيته مع أهله) قد تقدم انهما قدوة للمقتدى فاذا فعلت زوجة أحدهما شيئا انسب ذلك للشرع ومصارحة فى الدين غالبا فيتعين على كل منهما أن يتحفظ على تصرف أهله كما يتحفظ على تصرفه فى نفسه كما تقدم (وقد) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال النساء شقائق الرجال يعنى فى امتثال الاوامر والنواهى (فاذا) تقرر هذا فقد تقدم ما فى النعوت من الذم فى حق النساء والرجال وما فى قيام

الرجال بعضهم لبعض من الذم وقيام المرأة للمرأة أشنع اذ أنها عورة وحركتها
زيادة فى ظهور العورة لان فى قيامها يرى منها مالا حاجة تدعو الى رؤيته
(وبالجملة) فان القيام فى حقها أشد من قيام الرجل وان كان ذلك ممنوعا له
الا فيما استثنى كما تقدم (وليحذر) ان يفاحشها (وقد) منع مالك رحمه الله
تعالى من ذلك فى حق غير العالم والمتعلم فكيف به فى حقهم الا انهم قدوة
(قال) ابن رشد رحمه الله انما كره مالك رحمه الله ذلك لانه لم يكن من عمل
الناس اه وله فى الانبساط بما يجوز شرعا اتساع فلا ضرورة تدعو الى غيره
(وليحذر) ان تتزين زوجته بالذهب والفضة فى غير ما أبيح لها اذ أن الشرع
انما أجاز لهن لباس الحرير والتحلى بالذهب على أبدانهن (واذا كان) ذلك
كذلك فلا يجوز له أن يتركها تتخذ المكحلة أو الميل أو المرآة من ذهب أو فضة
اذ أن ذلك ليس بزينة شرعية (وكذلك) يمنعها مما عمت به البلوى فى هذا الزمان
حتى صار كأنه شعيرة بينهم وهو ان الزوجة لا تدخل على زوجها فى الغالب
الا بثلاث دكك دكة فضة ودكتى نحاس ابيض واصفر وهذا لا قائل به من
المسلمين أعنى ما كان من ذلك فضة اذ أن ذلك محرم على الرجال والنساء وان
كان قد اختلف فى اتخاذ الاناء الصغير للمرأة لكنه قول لا يعول عليه وهو آثم
فى فعله وادخاره وتجب الزكاة عليه كل سنة تمضى عليه (ويتعين على الزوج أو
الولى أن يمنع ما احدثه النساء من تزيينهن للحواجب بما يمنع وصول الماء الى
البشرة سيما ان كان نجسا اذ أن ذلك محرم اتفاقا (وأما) النقش والتكتيب
فلا شك فى منعه لانه نجس وحائل ويزيد على ما ذكر بكشف العورة لاجله
اذ أن المرأة الحرة كلها عورة الا وجهها وكفيها (واختلف) فى حالها مع
النساء مثلها من المسلمات فقيل كالرجل مع المرأة الاجنبية وقيل كالرجل
مع الرجل وفيه من التشويه أعنى فى النقش والتكتيب انهن يغيرن به
البدن ويكسبه ذلك خشونة وذلك مما ينغص على الرجل فى الاستمتاع وقد
يؤول ذلك الى وقوع البغضاء بينهما وان غفلت المرأة عن نفسها قليلا بقى
بدنها كأنه ضرب بالسياط والغالب ان بدنها يدمى فتزيد النجاسة ويكثر ضد
مراد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى التباعد عنها وأما هى فالغالب انها
تقاسى من ذلك شدة حتى تبرأ اذا برئت بقى أثره فى بدنها حفرا حفرا بعد أن

كان

كان مستوياً بحيث ما سالما من العيوب (وليحذر) من هذه البدعة التي اتخذها بعض النساء في الغالب وهي انها اذا ارادت الخروج لبست احسن ثيابها وتزينت وتعطرت ولبست من الحلي ما قدرت عليه من سوار وخلخال وتضيف الى ذلك فعلا قبيحا شنيعا وهو ان تجعل الخلخال فوق السراويل لكي يظهر وقد تضرب برجلها في الغالب فيسمع له حس وهذا خلاف ما نطق به الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه وتعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها الى قوله تعالى ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (وكذلك) ما يفعلنه من لبس هذا الازار الرفيع الذي لو جعل على عود لافتتن بعض الرجال في الغالب لحسن منظره وصقالته ورقة قماشه وقد تقدم ان السنة في حق المرأة اذا ارادت الخروج ان تلبس حشف ثيابها ومع ذلك فالسنة في حقها ان تجر مرطها خلفها شبرا او من شبر الى ذراع وان تمشي مع الجدران وتترك وسط الطريق وهذا في حق سائر الناس (واما) في حق العالم والمتعلم فيجل حالهما ان يرضيا بشيء من ذلك وقد تقدم انهما قدوة للمقتدين فاذا رأى احد زوجة العالم او المتعلم تعمل شيئا مما ذكر ينسب ذلك الى الشرع كما تقدم وهذه مفسدة عظيمة فكيف تنسب الى من له علم معاذ الله (وقد) تقدم أن المرأة لها ثلاث خرجات فان كان ولا بد من الزيادة على هذه الثلاث فليكن على ما ينبغي من لسان الشرع في ذلك (ويعلمها) السنة في الخروج وفي الاقامة في بيتها اذ انها اذا كانت في بيتها فيستحب لها ان تفعل ما تقدم انها تفعله في خروجها الى قوله عليه الصلاة والسلام جهاد المرأة حسن التبعل ومن حسن التبعل التزين والتحلي والتعطر في بيتها لزوجها مع حسن الخلق والتأني له ولها في ذلك اسوة بالسلف والخلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين (وكذلك) يحذر من هذه البدعة التي اعتادها بعضهم من انهم ينامون في ثيابهم والسنة الفراش والتجريد من الثياب ما لم يجاوز الاربعين على ما تقدم (وقد) جاء في الحديث على ما ذكره مسلم ما هو صريح في الدلالة على التجريد والفراش (وفيه) عن عائشة رضي الله عنها انها اقامت من فراشها قالت فجعلت درعي في راسي واختمرت وتقنعت ازاري الى ان قال فان جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت فنادانى فأخفيته منك ولم يكن

يدخل عليك وقد وضعت ثيابك (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى التى
يفعلها بعضهم وهى قبيحة مستهجنة وهى ان الزوجة اذا جاءت الى الفراش
تأخذ شيئا يعطيه لها زوجها فى الغالب غير نفقتها بحسب حاله وحالها تحق
الفراش على ما يزعمون وهذا منكر بين (وقد) وقع بمدينة فاس انهم أحدثوا
ان الرجل اذا دخل على زوجته يعطى فضة عند حل السراويل فبلغ ذلك
العلماء فقالوا هو شبيه بالزنا ومنعوه وهذا انما كان فى أول ليلة فما بالك به
فى كل ليلة (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى بل المحرم وهو أن الرجل
يغفل عن زوجته فى الغالب ولا يسألها عن صلاتها ولا عما يلزمها فى الشرع
وذلك محرم لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع فى بيته وهو مسئول عن
رعيته فهو مسئول عن صلاتها وقد تقدمت حكاية سيدى أبى محمد رحمه الله
مع أهله والغالب فى هذا الزمان ان الرجل يراعى حق نفسه اذا كانت له
عناية بدينه فيطأ ويخرج الى الحمام ويترك أهله وهن جنب وليس عندهن
موضع للغسل ولا آلة تعين عليه وقد يستحى بعضهن وهو الغالب أن
يخرجن الى الحمام فى كل أوان فيكان ذلك سببا لترك الصلاة وهو يعتقد
انه برىء الذمة من جهة أهله فى تركهن الصلاة وليس الامر كذلك وان
امرهن بها فأمر مطاق اذ لا يفكر لهن فى تحصيل الغسل من غير مضرة تلحقهن
والغالب ان ترك صلاة الزوجة انما هو من جهته لا من جهتها وقد يجتمعان
فى الغالب أعنى الغفلة عنها وايثارها لترك الصلاة وقد يكون لها فى البيت
ما يمكنها الغسل فيه لكن تستحى من العائلة التى فى البيت أن تغتسل وهم
يشعرون بها فتترك الصلاة لاجل ذلك وهذا كله من المحرمات المتفق عليها
ولا حياء فى الدين وانما هى عوائد جرت واستحكمت وصار يستحى فى الغالب
من فعل الواجبات ولا يستحى من فعل المحرمات عافانا الله من ذلك بمنه
وكرمه (والعجب) من أكثرهم ان الواحد منهم يشترى الدار بالالف
أو يبنيها ابتداء ثم يتوضأ فى طشت ولا يعمل موضعا للوضوء فضلا عن موضع
الغسل وما ذاك الا لاجل العوائد الرديئة المستهجنة القبيحة وهو أنهم لا فكرة
لهم فى الغالب الا فى صلاح دنياهم وما كان من امر الدين فلا يفكرون فيه
حتى يفجأهم ان كانوا متقين فى هذا الزمان فان أصابت الجنابة بعض

المتعففين منهم على دينه خرج الى الحمام وترك أهله كما تقدم وفى الحمام من كشف العورات ومالا يجوز أشياء متعددة (وكذلك) تجد بعضهم يعطى فى صداق المرأة المئين أو الآلاف ولا يعد موضعا للغسل بشئ يسير من ذلك وكذلك المرأة تساعده على ترك ذلك فكأنهم اصطلحوا على فعل الاسباب التى تترك الصلاة لاجلها والصلاة لا تسقط بشئ من ذلك لاجرم أن التوفيق بينهما قل أن يقع وان دامت الالفة بينهما فعلى دخن وان قدر بينهما مولود فالغالب عليه ان نشأ العقوق وارتكاب مالا ينبغى كل ذلك بسبب ترك مراعاة ما يجب من حق الله تعالى منهما معا (وقد) تقدم ان المرأة لو طلبت من القاضى أن يعمل لها زوجها موضعا للغسل لحكم لها بذلك عليه (الا ترى) ان مالكا رحمه الله لما ان سئل عن الغسل من ماء الحمام فقيل له أيما أحب اليك الغسل من ماء الحمام أو الغسل بالماء البارد فقال والله ما دخول الحمام بصواب فكيف يغتسل من مائه (فهذا) دليل واضح على ان غسلهم كان فى بيوتهم بل ان أهل الحجاز ما كانوا يعرفون الحمام (الا ترى) الى ما رواه أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال الا بازار وامنعوها النساء الا مريضة أو نفساء (وروى) أبو داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجال والنساء عن دخول الحمام قالت ثم رخص للرجال أن يدخلوه بالمئزر (وقال) دخل على عائشة نسوة من نساء أهل الشام فقالت لعلكن من الكورة التى يدخل نساؤها الحمامات قلن نعم قالت أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرأة تخلع ثيابها فى غير بيتها الا هتكت ما بينها وبين الله تعالى من حجاب (وروى) أبو داود عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير ازار ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام الا من عذر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر اه (وقد) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله كثيرا ما يحافظ على ما نحن بسبيله وذلك انه كان اذا عزم عليه أحد من المعتقدين له أن

يدخل بيته سأله هل عندك حمام في بيتك أم لا فان قال نعم مضى اليه وان قال لا امتنع من المضي اليه فكان ذلك سببا الى تيسير الطهارة على كل من عرفه في الغالب (وقد) قال الامام القرشي رحمه الله اذا أراد الله بعبد خيرا يسر عليه أسباب الطهارة ولا شك ان من كان في بيته موضع للغسل والوضوء فقد تيسرت عليه الطهارة اذ ان ذلك من أعظم أسباب التيسير لها

(فصل في دخول المرأة الحمام) وينبغي له أن لا يأذن لزوجته في دخول الحمام لما اشتمل عليه في هذا الزمان من المفاسد الدينية والعوائد الرديئة لان علماءنا رحمة الله عليهم اختلفوا في المرأة مع المرأة هل حكمها حكم الرجل مع الرجل أو حكم الرجل مع المرأة الاجنبية أو حكم الرجل مع ذوات محارمه وهن قد تركن ذلك كله وخرقن اجماع الامة بدخولهن الحمامات باديات العورات وان قدرنا ان امرأة منهن سترت من سرتها الى ركبتها عبن ذلك عليها وأسمعنها من الكلام ما لا ينبغي حتى تزيل السترة عنها ثم ينضاف الى ذلك محرم آخر وهو أن اليهودية والنصرانية لا يجوز لها أن ترى بدن الحرة المسلمة وهن يجتمعن في الحمامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات فيكشف بعضهن على عورات بعض فكيف يأذن أحد أهله في دخولها فان قال انه يأخذ لاهله الخلوة فما ذكر من المفاسد لا تذهبه الخلوة اذ انهن حين الدخول فيها والخروج منها والجلوس في المقطع يكشفن على عورات غيرهن ويكشف عليهن اللهم الا أن تكون الخلوة خارجة عن الحمام فكأنها حمام مستقل بنفسه فهذا جائز بشرط أن يكون كل من دخل يستتر السترة الشرعية ولا يمكن البلانة من الدخول على أهله وهي منكشفة حتى تستتر السترة الشرعية فهذا للضرورة لا بأس به (وكذلك) لو أخلى لاهله الحمام بليل واستترن فلا بأس اذن على ما تقدم في الخلوة لكن لا أعدل بالسلامة شيئا اذ ان الغسل في البيت فيه ستر حصين وسد لباب الذريعة الى المفاسد الا ترى ان الواحدة منهن اذا ارادت الحمام استصحبت معها أنفر ثيابها وأنفس حليها فتلبسه حين فراغها من الغسل في الحمام حتى يراها غيرها فتقع بذلك المفاخرة والمباهاة وقل ان تقنع المرأة التي ترى ذلك على غيرها من

المقطع الحوض الذي ملئ نصفه ثم قطع عنه الماء اه

زوجها

زوجها الا بمثل ذلك أو مايقاربه وقد لا يكون لزوجها قدرة على ذلك فتنشأ المفاسد وربما كان ذلك سببا للافراق أو الاقامة على شنآن بينهما طول المدة هذا حال غالبهن وذلك ضد مقصود الشرع الشريف في الالفة والود الذى جعله الله تعالى بين الزوجين بقوله عز وجل في كتابه العزيز ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وفي دخول الحمام مفاسد جملة وفيما ذكر غنية عن ذكر باقيها وهي بينة عند المتأمل ان عرض ذلك على لسان العلم فيتبين له مافيه من القبح (فان) قال مثلا الغسل في البيت يصعب عليه (فقد) تقدم انه لو اتفق في خلوة يعملها في البيت من بعض ما يعطى من الصداق او من ثمن الملك لانسدت هذه الثلمة (فلو) قال ايضا ان الغسل في البيت لا يكون كالحمام سيما في ايام البرد (فالجواب) ان ايام البرد يمكن المرأة ان تستغني فيها عن الغسل بالسدر وما شاكله اذ أن ايام البرد لا يجتمع فيها الوسخ ولا الغبار كثيرا فاذا فرغت ايام البرد كان الغسل في البيت في الموضع المهيأ له لا مشقة فيه ويكفيها في تلك المدة انها تغتسل من الحيض كما تغتسل من الجنابة لكن بشرط ان يعلم زوجته سرعة الغسل فان ذلك آمن مما يتوقع من الضرر بها وذلك من السنة الماضية (الا ترى) الى ما خرجه البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقيمت الصلاة عليه ما فسوى الناس صفوفهم ثم ذكر أنه جنب فقال على رسلكم ثم دخل بيته خرج وراسه يقطر ماء فصلى بهم فهذا دليل واضح على سرعة غسله صلى الله عليه وسلم اذ أنه عليه الصلاة والسلام ارحم الخلق بامته واشفقهم عليها فلو كان زمان الغسل فيه طول لامرهم بالجلوس حين ذكرها وقد يكون فيهم الضعيف والشيخ الكبير ولنا في فعله صلى الله عليه وسلم اسوة (وكذلك) يعلمها اذا اغتسلت في البيت ان تترك راسها مغطى لا تكشفه حتى اذا جاءت الى غسله كشفته وخللت شعر راسها وافاضت الماء عليه ثم نشفته في الوقت وغطته ثم بعد ذلك تغسل سائر بدنها وانما يأمرها بذلك خيفة ان يصيبها في راسها الم ان تركته مكشوفا حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ولها ان تترك راسها مغطى حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ثم تغسل راسها على ما تقدم ذكره وليس في ذلك الا ترك الترتيب فيه وهو في الغسل ليس بواجب ولو كان

المغتسل به ألم فى رأسه لا يقدر على كشفه رجلا كان أو امرأة فانه يغسل جميع
بدنه ويمسح على رأسه من غير حائل فلو كان يضره المسح عليه مسح على العمامة
أو الخمار ويجزيه ذلك مادام به الاذى وكذلك ان كان الالم فى غير رأسه
وليس عليه تيمم عند مالك رحمه الله ومذهب الشافعى رحمه الله يجمع بين
الغسل والتيمم ولو كان لا يقدر على استعمال الماء فى شئ من بدنه لمرض به
أو جرح أو لما يخشى أن ينزل به من مرض فله أن يتيمم وان طال به ذلك
(وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم فى المرأة اذا طهرت من حيضتها وهى فى
سفر مع زوجها ولم يكن معهما من الماء ما يكفيهما لغسلهما من الجنابة بعد
غسلها من حيضتها فليس لزوجها أن يطأها بعد الغسل من حيضتها حتى
يكون معهما من الماء ما يكفيهما اللهم الا أن يطول السفر بهما مع عدم
الماء فيجوز لزوجها أن يطأها ويتيمما من جنابتهما (وكذلك) فيما نحن
بسبيله ان كانت المدة قصيرة لا يتضرر بها الزوج فلا يجوز له وطؤها لعجزها
عن استعمال الماء وان طالت المدة وأضر ذلك بالزوج فذلك جائز (وقد)
قال عليه الصلاة والسلام الصعيد وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين
فاذا وجده فليمسه بدنه أو كما قال عليه الصلاة والسلام ولا فرق بين ان
يعدم الماء أو يتعذر عليه استعماله بوجه من الوجوه الشرعية والله الموفق
وهذا كله جار على الامتثال (واذا كان) ذلك كذلك فلا عذر له فى دخول
الحمام على الصفة المذمومة شرعا (فلو) قال مثلا الغالب على الناس عدم
الجدة والسكنى بالكراء فلا يتأتى لاكثرهم عمل موضع فى البيت للاغتسال
فيه (فالجواب) ان الغالب فى البيوت ان يكون فيها خزانة أو موضع كنيف
فيتخذه للغسل فيجعل فيه اناء يقعد فيه مثل الماجور وغيره والمقصود ان
من كان همه صلاح دينه عمل الحيلة فى صلاحه ودرأ المفاسد عنه وهذا
متعين عليه والله أعلم

(فصل فى تعليم الزوجة أحكام الغسل وما تحتاج اليه فيه) ويتعين
على الزوج أو غيره ممن يلى أمر المرأة ان يعلمها أحكام الغسل وما يجب وما فيه
من الفرائض والسنن والفضائل وان كان هذا موجودا فى كتب الفقه
لكن تمس الحاجة الى ذكره هنا كما تقدم فى أول الكتاب من ذكر فرائض

الوضوء

الوضوء وسننه وفضائله لتتم الآداب فى ذلك كله ان شاء الله تعالى فيعلمها
ان الغسل يجب من أحد أربعة اشياء من الانزال وان لم يكن جماع ومن
التقاء الختانين وان لم يكن انزال ومن دم الحيض ومن دم النفاس
وفرائضه المتفق عليها فى المذهب وهى النية والماء المطلق وتعميم
الجسد بالماء واختلف فى ثمان الفور والتدليك والبدن الطاهر ونقل
الماء وامرار اليد مع الماء ودوام النية والخشوع والتخليل وسننه خمس
غسل اليدين قبل ادخالهما فى الاناء والمضمضة والاستنشاق والاستنثار
ومسح الصماخين وفضائله تسع التسمية والسواك والموضع الطاهر
والبداءة بغسل اعضاء الوضوء والبداءة بالأعلى فالأعلى والبداءة بالايمن
فالأيمن والصمت الاعن ذكر الله تعالى والتشهد والدعاء بعد الغسل
واختلف فى الخاتم فى الغسل والوضوء هل يحركه ليصل الماء الى ماتحته أم لا
على ثلاثة أقوال يفرق فى الثالث بين ان يكون ضيقا فيحركه او واسعا فيتركه
وليحذر ان يستنجى وهو فى يده ان كان عليه اسم من اسماء الله تعالى او اسم
من اسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كان قد روى عن مالك اجازة
ذلك لكن هى رواية منكرة عند أهل المذهب عن آخرهم فينبغى ان لا يعرج
عليها ولا يلتفت اليها الان مثل هذا لا ينبغى أن ينسب الى آحاد العلماء فضلا
عن الامام مالك رحمه الله تعالى لما كان عنده من التعظيم لجانب الله تعالى
وجانب نبيه عليه الصلاة والسلام كما هو مشهور معروف عنه (فان كانت)
المرأة فى السمن بحيث لا تصل يدها الى موضع النجاسة منها فلا يجوز لها أن
تترك غيرها يغسل لها ذلك من جارية او غيرها ولا يجوز أن يكشف عليها غير
زوجها فان أمكن زوجها ان يغسل لها ذلك فبها ونعمت وله الاجر فى ذلك
والثواب الجزيل وان أبى فليس عليه ذلك واجبا وتصلى هى بالنجاسة
ولا يكشف عليها احد لان ستر العورة واجب وكشفها محرم اتفاقا وازالة
النجاسة فى الصلاة مختلف فيها على اربعة اقوال احدها ان ازالتها مستحبة
وما اختلف فيه فارتكابه ايسر من الذى لم يختلف فيه (واما الرجل) فان كان
لا يصل الى ذلك بيده فانه يتعين عليه ان قدر أن يشترى جارية تلى ذلك منه
وان تطوعت الزوجة بغسله لم يجب عليه شراء الجارية ولا يحل له ان يكشف

عورته على غيره من ذكر فان لم يجد فصلاته بالنجاسة أخف من كشف عورته وهذا كله على مذهب مالك رحمه الله تعالى (وكذلك) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم في المرأة البدنة والرجل يكون مثلها في الموضع الذي لا يصلان اليه بأيديهما من ظهورهما اذا اغتسلا على أربعة أقوال (احدها) أن يستنيب من يلي ذلك منه (الثاني) انه يتخذ خرقة أو غيرها يعالج ذلك بها (الثالث) انه يغمره بالماء ولا يجب عليه غير ذلك وهذا هو المشهور (الرابع) الفرق بين القليل والكثير (ثم يعلمها) الشروط التي يسقط بها عنها الوضوء والغسل ويجب عليها التيمم وهي ست أن تعدم الماء أو تعدم بعضه أو يتعذر استعماله مع وجوده ووجود الحدث ووجود الصعيد ودخول الوقت وأن يكون متصلا بالصلاة (ثم) يعلمها فرائض التيمم وهي خمس النية والفور والضربة الاولى بالارض ومسح الوجه ومسح اليدين الى الكوعين وسننه ثلاث الضربة الثانية بالارض والمسح من الكوعين الى المرفقين والترتيب وفضائله أربعة التسمية والسواك والصمت وذكر الله تعالى (ويعلمها) موانع الحيض والنفاس على ما تقدم بيانه وانما وقع التنبيه على التعليم لاهله لما يتعين عليه لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته وأيضا فانه يقبح بالمتعلم أو العالم ان تسئل زوجته عن شيء مما يحتاج اليه النساء في الدين فلا يكون عندها علم بذلك مع كونه متعينا عليها فهذا من أقبح الاشياء وأرذلها اذ انه قدوة للمقتدين كما تقدم

* (فصل في دخول الرجل الحمام) * وليحذر هو أيضا من دخول الحمام مهما استطاع تركه كان به علة أو لا بل أوجب اذ ان العلة التي تقدم ذكرها في حمام النساء موجودة في الغالب في حمام الرجال وان كانوا في السترة أوجد من النساء (الا ترى) ان بعضهم اذا دخل الحمام استتر بالفوطة فاذا استقر فيه نزعها وبقي مكشوف العورة وكذلك اذا خرج الى المسلخ التي ما عليه وبقي مكشوفا حتى يتنشف (وقد قال) علماؤنا رحمة الله عليهم انه لا يجوز ان يجتمع مستور العورة مع مكشوف العورة تحت سقف واحد (وقال) ابن رشد رحمه الله تعالى في معنى كراهة مالك للغسل من ماء الحمام ثلاث معان

احدها

(أحدها) ما نحن بسبيله وهو أنه لا يأمن أن تنكشف عورته فيراها غيره او تنكشف عورة غيره فيراها هو اذ لا يكاد يسلم من ذلك من دخله مع الناس لقلة تحفظهم وهذا اذا دخل مستترا مع مستترين وأما من دخل غير مستتر او مع من لا يستتر فلا يحل ذلك ومن فعله فذلك جرحة في حقه وقدح في شهادته (المعنى الثانى) ان ماء الحمام غير مصان من الايدى والغالب أن يدخل يده فيه من لا يتحفظ من النجاسات مثل الصبى الصغير والكبير الذى لا يعرف ما يلزمه من الاحكام فيصير الماء مضافا فتسلبه الطهورية (الثالث) ان ماء الحمام يوقد عليه بالنجاسات والاقذار فقد يصير الماء مضافا من دخانها فتسلبه الطهورية أيضا كما تقدم اه وهذا حال أهل وقتنا فى الغالب وهو وان يدخل مستور العورة مع مكشوف العورة كما هو مشاهد معلوم (مع) انه قد ذكر بعض الناس انه يجوز دخول الحمام وان كان فيه من هو مكشوف العورة ويصون نظره وسمعه كما انه يجوز له الاغتسال فى النهر وان كان يجد ذلك فيه كما يجوز له أن يدخل المساجد وفيها ما فيها (وهذا) الذى ذكره رحمه الله تعالى محمول على زمنه الذى كان فيه وأما زماننا هذا فمعاذ الله أن يجيزه هو أو غيره لما تقدم ذكره من ان النساء باديات العورات كلهن ليس فيهن من تستتر والسترة الشرعية عيب عندهن كما تقدم وحمام الرجال قريب منه فيتعين على المكلف أن يتركه ما استطاع جهده (وما ذكره) من الغسل فى النهر والدخول فى المساجد وفيها ما فيها فغير وارد لان المكلف يكره له أن يدخلها ابتداء الا أن يضطر اليها على ما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى مع ان الغالب فى هذا الوقت ان شاطئ النهر فيه من كشف العورات ما هو مثل الحمام أو أعظم منه على ما هو مشاهد مرئى من كشف عورات النواتى ومن يفعل كفعلهم سيما ان كان فى غير زمن البرد فذلك أكثر وأشنع لورود الناس للغسل وغيره وقل من يستتر فلا حاجة تدعو الى الكلام على ذلك لمشاهدته عيانا وما أتى على بعض المتأخرين الا انهم يحملون ألفاظ العلماء على عرفهم فى زمانهم وليس الامر كذلك بل كل زمان يختص بعرفه وعادته والله الموفق (وكذلك) يجرى هذا المعنى فى الفساقى التى فى المدارس والرباطات اذ انها محل كشف العورات فى هذا الزمان ومن ذلك

ما تجده في الحمام في الغالب من الصور التي على بابه والتي في جدرانه وأقل ما يجب عليه من التغيير إزالة رؤسها فيتعين عليه انكار ذلك والأخذ على يد فاعله فكيف يدخله العالم أو المتعلم ويسكتان إلى غير ذلك من المفاسد وهي بينة (وإن) كان قد أجاز علماؤنا رحمة الله عليهم دخول الحمام (لكن) بشروط وهي أن لا يدخلها أحد من الرجال والنساء الا للتداوي (الثاني) أن يتعمد أوقات الخلوة وقلة الناس (الثالث) أن يستر عورته بإزار صفيق (الرابع) أن يطرح بصره إلى الأرض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور (الخامس) أن يغير ما رأى من منكر برفق يقول استتر سترك الله (السادس) أن دلكه أحد لا يمكنه من عورته من سرته إلى ركبته الا امرأته أو جاريته (السابع) أن يدخله بأجرة معلومة (الثامن) أن يصب الماء على قدر الحاجة (التاسع) أن لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون دينهم على كراهة في ذلك لما يخشى (العاشر) أن يتذكر به عذاب جهنم (وينبغي) أنه مهما استطاع أن يعلم أهله بالفعل كان أولى إذ أنه أبلغ في الثبوت في نفس المتعلم (وقد) كان صلى الله عليه وسلم يغتسل هو وزوجته من إناء واحد حتى أنها لتقول دع لي دع لي فكل شيء يمكن تعليمه بالفعل للمتعلم كان ذلك أولى من القول كما تقدم من أنه أثبت في النفوس (وينبغي) للعالم يتعين عليه أن يعلم أهله كل ما يحتاجون إليه من الأحكام غير ما تقدم إذ أن ما ذكرناه هو تنبيه على سائر ما يعتورهم لأن النساء في الغالب يتعلمن منهن الأحكام فيما يقع لهن فإذا كن جاهلات بما يسألن عنه فقد يكون ذلك من باب كتم العلم (ثم) إذا دخل بيته فهو بين أحد أمرين (إما) أن يكون مقبلا على العلم لا يسعه غيره فيا حبذا فيشتغل بما هو بصدده ولا يعرج على غيره (كما حكي) عن القاضي عبد الوهاب رحمه الله أنه لما أن دخل مصر وتأهل بها وقعد مع زوجته سنين ثم مات رحمه الله تعالى أراد أهلها أن يزوجوها فقالت لهم إذا عزمتم فزوجوني على أبي بكر فقالوا كيف وقد أقمت سنين معه فقالت أول ليلة دخل علي صلى ركعتين وجلس ينظر في كتبه ولم يرفع رأسه ثم كذلك في سائر أيامه فقمت يوما ولبست وتزينت ولعبت بين يديه فرفع رأسه ونظر إلي وتبسم وأخذ القلم الذي بيده فجره على وجهي وأسود

ماتجده في الحمام في الغالب من الصور التي على بابه والتي في جدرانه وأقل ما يجب عليه من التغيير ازالة رؤسها فيتعين عليه انكار ذلك والأخذ على يد فاعله فكيف يدخله العالم أو المتعلم ويسكتان الى غير ذلك من المفاسد وهي بينة (وان) كان قد أجاز علماؤنا رحمة الله عليهم دخول الحمام (لكن) بشروط وهي أن لا يدخلها أحد من الرجال والنساء الا للتداوي (الثاني) أن يتعمد أوقات الخلوة وقلة الناس (الثالث) أن يستر عورته بازار صفيق (الرابع) أن يطرح بصره الى الارض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور (الخامس) أن يغير ما رأى من منكر برفق يقول استتر سترك الله (السادس) ان دلكه احد لا يمكنه من عورته من سرته الى ركبته الا امرأته او جاريته (السابع) ان يدخله باجرة معلومة (الثامن) ان يصب الماء على قدر الحاجة (التاسع) ان لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون دينهم على كراهة في ذلك لما يخشى (العاشر) ان يتذكر به عذاب جهنم (وينبغي) انه مهما استطاع ان يعلم اهله بالفعل كان اولى اذ انه ابلغ في الثبوت في نفس المتعلم (وقد) كان صلى الله عليه وسلم يغتسل هو وزوجته من اناء واحد حتى انها تقول دع لي دع لي فكل شيء يمكن تعلمه بالفعل للمتعلم كان ذلك اولى من القول كما تقدم من انه اثبت في النفوس (وينبغي) له ان يتعين عليه ان يعلم اهله كل ما يحتاجون اليه من الاحكام غير ما تقدم اذ ان ما ذكر انما هو تنبيه على سائر ما يعتورهم لان النساء في الغالب يتعلمن منهن الاحكام فيما يقع لهن فاذا كن جاهلات عما يسألن عنه فقد يكون ذلك من باب كتم العلم (ثم) اذا دخل بيته فهو بين احد امرين (اما) أن يكون مقبلا على العلم لا يسعه غيره فيا حبذا فيشتغل بما هو بصدده ولا يعرج على غيره (كما حكى) عن القاضي عبد الوهاب رحمه الله انه لما ان دخل مصر وتأهل بها وقعد مع زوجته سنين ثم مات رحمه الله تعالى اراد اهلها ان يزوجوها فقالت لهم اذا عزمتم فزوجوني على ابي بكر فقالوا كيف وقد أقمت سنين معه فقالت أول ليلة دخل علي صلى ركعتين وجلس ينظر في كتبه ولم يرفع رأسه ثم كذلك في سائر ايامه فقمت يوما ولبست وتزينت ولعبت بين يديه فرفع رأسه ونظر الي وتبسم واخذ القلم الذي بيده فجره على وجهي واقسد

به

(وفيه) وجه آخر وهو انه قد يموت فى ذلك النوم فتشرع له الطهارة لكى يكون على أكمل الحالات (وفيه) وجه رابع وهو أن النوم اذا وقع عقب طهارة اجتزأ المكلف منه بالقليل لاجل بركة الاتباع فتوفر عليه رأس ماله وهو عمره كما تقدم (ثم) يقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين فى كفيه وينفث فيهما ويمسحهما على سائر جسده ثم يتعرى كما سبق ويدخل فى فراشه فيضطجع على جنبه الايمن بعد تسمية الله تعالى وليس من شرطه أن يبقى على الايمن بل نفس الدخول هو الذى يطلب فيه التيمن ثم بعد ذلك ينتقل الى ما هو أيسر عليه فان كان به ضعف يتعذر عليه أن يدخل على الايمن فالاولى أن يتحمل المشقة فى الدخول على الايمن ثم يرجع عن ذلك من حينه وان تعذر عليه ذلك فيدخل على الجنب الآخر للضرورة الداعية الى ذلك (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى اشتكى مرة بنزلة نزلت له فى الجانب الايمن وحصل له من ذلك شدة فلما ان جاء الى الفراش ليضطجع صعب عليه أن يضطجع على تلك الجهة فأراد أن يضطجع على الايسر لاجل الضرورة ثم وقع له أنه يتحمل المشقة فى تلك اللحظة لتحصل له بركة الامتثال ثم ينقلب الى الجانب الايسر فى الوقت قال فاضطجعت على الايمن بعزيمة فوالله ما أعلم هل الألم ارتفع قبل وصول رأسى الى الوسادة أو بعد وصولها انتهى وما ذاك الا بركة امتثال السنة اذ انها لا تدخل فى شئ الا وحلت البركة فيه (ثم) يقرأ آية الكرسى ثم يسبح الله ثلاثا وثلاثين ويحمد الله ثلاثا وثلاثين ويكبر الله أربعا وثلاثين ويجعل يده اليمنى تحت خده اليمين ويده اليسرى على وركه الايسر ثم يقول باسمك اللهم وضعت جنبى وباسمك ارفعه اللهم ان أمسكت نفسى فاغفر لها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى أسلمت نفسى اليك وفوضت امرى اليك والجأت ظهرى اليك ووجهت وجهى اليك رهبة منك ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك استغفرك وأتوب اليك آمنت بكتابك الذى انزلت ورسولك الذى ارسلت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت واسررت واعلنت انت الهى لا اله الا انت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك انتهى (ثم) يقول اللهم اشغفنى بالقليل من النوم واجعله لى عونا على طاعتك وينوى بنومه العون على طاعة الله تعالى مطلقا من طلب علم أو صلاة

وغيرهما

وغيرهما اذ انه اذا لم يعط نفسه حظها من النوم قل أن يتأتى له منها التوفية بالمأمورات على أنواعها سيما وهو مطلوب بالحضور فى الطاعات سيما ان كانت صلاة اذ الحضور مع النوم متعذر (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه (ثم) يشعر نفسه حين الدخول فى الفراش بالدخول فى قبره لان النوم هو الموت الاصغر فشرع له نوع من حالة الموتى وهو التجريد من ثياب الاحياء والدخول فى ثياب تشبه ثياب الموتى اذ انها شبيهة بالكفن (فاذا) أشعر المرء نفسه بذلك قل منه الاستغراق فى النوم وخاف الفوات (اذ) أن قيام الليل فيه فوائد منها أنه ينور القبر لان وقت الليل شبيه بظلمة القبر فكان الثواب مناسبا القيام فى ظلمة الليل (وفى التعرى) حكم أخرى وهى أنه يريح البدن من حرارة حركة النهار ويسهل عليه التقليب يمينا وشمالا (وفيه) ادخال السرور على أهله (وفيه) زيادة التمتع بالاهل بخلاف ما يفعله أكثر الناس اليوم لان التمتع عندهم اغماء وفى المحل ليس الا اذان الرجل ثيابه عليه والمرأة مثله (وفيه) التواضع (وفيه) امتثال السنة كما تقدم (وفيه) امتثال الامر لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال والنوم فى الثوب هو من ذلك الباب فان الثوب الذى عمره سنة اذا نام فيه نقص عن ذلك (وفيه) قلة الدواب (وفيه) قاعدة من قواعد السنة وهى النظافة اذ أن الثوب الذى ينام فيه يكثر فيه هوام بدنه ويتقذر الى غير ذلك من الفوائد وهى جملة (وينبغى له) أن يعتبر فى النوم وحالته فيه اذ انه بينما هو حاضر العقل والحس متكلم سميع بصير آمر ناه مدبر الى غير ذلك من الامور ثم تأتى عليه عاهة النوم لا يشعر بها من أين أتته ولا بكيفها فيترك الملك ملكه وتدبيره وسياسته فيه والعالم علمه والمحترف حرفته وكل من كان فى شئ وعزم على فعله تركه قهر الاجل هذه العاهة التى أتت عليه مجبرا على ذلك ليس له سبيل الى الامتناع منه ولا دفعه عنه فسبحان من قهر عباده بالموت وهذا متكرر عليه فى كل ليلة وفى بعض الايام وهو المذكر بالموت والدال عليه قال الله تعالى فى كتابه العزيز الله يتوفى الانفس حين موتها

والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون كل ذلك تذكرة وعبرة لمن ينظر ويعتبر قال عز وجل في كتابه العزيز وفي أنفسكم افلا تبصرون بينما هو مستيقظ مدع للقوة والسطوة اذ أتاه ما لم يقدر على دفعه كما تقدم فيسيل لعابه وتنحل أعضاؤه ويحدث وهو لا يشعر بنفسه والغالب على بعضهم انه يبقى مثله اذ ذاك ولاجل هذا المعنى كان من الادب في النوم أن لا ينام بين مستيقظين قال الله تعالى في كتابه العزيز لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين قال العلماء رحمهم الله سلط عليهم النوم والنسيان (ثم) يتذكر به ما أنعم الله تعالى عليه بسببه اذ أن اليقظة فيها حرارة فلو تمادت على البشرية لأهلكتها سيما وكثير من الناس لهم الرغبة فيما هم بصدده من طلب دنيا والعمل في أسبابها أو علم أو عمل الى غير ذلك فلو وكل الامر اليه فيه لحرم نفسه النوم البتة لقوة الحرص على ما هو بسبيله فجعل الله تعالى النوم يأتيه قهرا رحمة به هذا وجه (الوجه الثاني) أن التصرف فيه حرارة والنوم فيه سكون وبرودة فيعتدل مزاجه بذلك (قال) الله تعالى في كتابه العزيز ومن كل شئ خلقنا زوجين وهذه منه يقظة ونوم وحرارة وبرودة ذكر وانثى صحيح ومريض طائع وعاص مؤمن وكافر شقي وسعيد الى غير ذلك (والمقصود) ان الله تعالى جعل ذلك رحمة للعبد بفضله حرسه مع ذلك في نومه كما حفظه في حال يقظته (قال) الله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن (وقال) الله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فسبحان المنعم المنان

(فصل في آدابه في الاجتماع بأهله) فان كانت له حاجة الى أهله فالسنة الماضية في ذلك أنه لا يكون معه أحد في البيت غير زوجته أو جاريته اذ ذاك (وقد كان) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اذا كانت له حاجة الى أهله أخرج الرضيع من البيت (وقد) قالوا لا ينبغي أن يفعل ذلك وهر في البيت وذكر المحرمنهم تنبيه على غيره والمقصود انه يكون سالما من عينين تنظران اليه اذ أن ذلك عورة والعورة يتعين سترها (وهو) مخير في فعل

ذلك أول الليل أو آخره لكن أول الليل أولى لان وقت الغسل يبقى زمنه متسعا بخلاف آخر الليل فانه قد يضيق عليه وقد يؤول الى تفويت الصبح في جماعة أو الى اخراج الصلاة عن وقتها المختار (ووجه آخر) وهو أن آخر الليل اذا فعل ذلك فيه كان عقيب نوم وقد يتعلق بالفم والانف شئ من بخار المعدة مما يغير رائحة الفم أو الانف فاذا شمها أحدهما كان ذلك سببا للكراهة أحدهما في صاحبه ومراد الشارع صلوات الله عليه وسلامه دوام الالفة والمحبة وذلك ينافيها (الاترى) الى نهيه عليه الصلاة والسلام عن أن يأتي الرجل أهله طروقا ليلا لئلا يدخل عليهن قبل ان يتأهبن للقائه فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك لكي تمتشط الشعثة وتدهن وتتطيب وتتأهب فيكون ذلك أدعى الى بقاء العصمة والالفة والمودة (الاترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام انه كان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه وذلك لفوائد (أحدها) ان يبدأ بزيارة بيت ربه وبالخضوع له فيه بالركوع والسجود (ومنها) ان يفضل ما هو منسوب الى ربه ليبين لامته صلى الله عليه وسلم على تقديم ما هو لله على ما لانفسهم فيه حظ ما (ومنها) ان أصحابه ومعارفه يأخذون حظهم من رؤيته عليه الصلاة والسلام حين قدومه فاذا فرغوا ودخل بيته لم يكن ثم من يحوجه الى الخروج في الغالب (ومنها) ما تقدم ذكره من أن أهله يأخذون الاهبة للقائه (ومنها) ان لقاء الاحبة بغتة قد يؤول الى ذهاب النفوس عند اللقاء لقوة ما يتوالى على النفس اذ ذاك من الفرح والسرور (وقد) حكى عن كثير من الناس انهم ماتوا بسبب ذلك فاجأهم السرور فماتوا من شدة الفرح وقوم فجأتهم المصائب فماتوا من شدة الهم والغم (ومن) هذا الباب ما فعله يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم في التلطف بالاجتماع بأبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام في انه أرسل اليه البشير اولا حتى علم أنه موجود في الاحياء ثم أرسل اليه ثانيا القميص ليجد ريحه كما أخبر به عز وجل في كتابه العزيز فزاد أنسه بشم رائحته واثره ثم بعد ذلك وقع الاجتماع (وينبغي) له اذا عزم على الاجتماع بأهله ان يتحرز مما يفعله بعض العوام وهو ممنوع منهي عنه وهو أن يأتي زوجته وهي على غفلة بل حتى يلاعبها ويمازحها بما هو مباح مثل الجسة والقبلة وما شاكل ذلك حتى اذا رأى انها قد

انبعثت لما هو بريد منها وانشرحت لذلك واقبلت عليه فحينئذ يأتيها (وحكمة) الشرع في ذلك بينة وذلك ان المرأة تحب من الرجل ما يحب منها فاذا أتاها على غفلة قد يقضي هو حاجته وتبقى هي فقد يشوش عليها ذلك وقد لا ينصان دينها فاذا فعل ما ذكر تيسر عليها الامر وانصان دينها (ثم) اذا أتاها فيمتثل السنة في ذلك وهو ان يقول ما جاء في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال لو ان أحدكم اذا أتى الى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه اه (ولا شك) ان من امتثل السنة في ذلك خرج ولده كما ذكره عليه الصلاة والسلام (فان) قال قائل قد نجد كثيرا من أولاد المباركين يخرجون على صفة من الصفات الذميمة (فالجواب) ان والده لو امتثل السنة فيما تقدم ذكره ما حصل شيء من ذلك والقليل من الناس من يثبت لامتثال السنة في ذلك الوقت لغلبة قوة باعث النفس على تحصيل لذاتها وشهواتها (وينبغي) له ان يراعي حق زوجته في الجماع وان يأتيها ليصون دينها ويكون قضاء حاجته تبعا لغرضها فيحصل اذ ذاك في عموم قوله عليه الصلاة والسلام والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه اه (وكثير) من الناس من لا يعرف السنة في ذلك يأتي زوجته على غفلة فيقضي حاجته منها وهي لم تقض منه وطرا كما تفعل البهائم فيكون ذلك سببا لاحد شيئين اما فساد دينها واما تبقى متشوشة متشوفة لغيره (وينبغي) له ان لا يجامعها وهما مكشوفان بحيث لا يكون عليهما شيء يسترهما (لان) النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وعابه وقال فيه كما يفعل العيران (وقد كان) الصديق رضي الله عنه يغطي رأسه اذ ذاك حياء من الله تعالى (وان كان) في برية أو على سطح فلا يجامع مستقبل القبلة ولا مستدبرها (وان كان) في بيت فيختلف فيه بالجواز والكراهة والمشهور الجواز (وينبغي) له اذا قضى وطره أن لا يعجل بالقيام لان ذلك مما يشوش عليها بل يبقى هنيهة حتى يعلم انها قد انقضت حاجتها والمقصود مراعاة أمرها لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي عليهن ويحض على الاحسان اليهن وهذا موضع لا يمكن الاحسان اليها من غيره فليجتهد في ذلك جهده والله المسئول في التجاوز عما يعجز المرء عنه (وينبغي) له أن

يتجنب ما يفعله بعض الناس (وقد) سئل مالك رحمه الله عنه فأنكره وعابه وهو الفخر والكلام السقط (قال) ابن رشد رحمه الله وانما أنكر مالك رحمه الله ذلك لأنه لم يكن من عمل السلف (ثم) اذا فرغ من قضاء أربه فهو مخير بين احد أمرين اما أن يغتسل لينام على أكمل الحالات واما أن يتوضأ لينام على احدى الطهارتين (واختلف) اذا تعذر عليه الغسل أو الوضوء هل يتيمم أم لا (قال) ابن حبيب لا ينام الجنب حتى يتوضأ فان تعذر عليه فليتيمم ولا ينام الا بوضوء أو تيمم (وينبغي) له أن ينوى عند الجماع رجاء أن يكون بينهما ولد يكثر به الاسلام ويكون من العلماء الصالحين (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انى لأتزوج النساء ومالي اليهن حاجة وأطؤهن ومالي اليهن شهوة قيل له ولم ذلك يا أمير المؤمنين قال رجاء أن يخرج الله من ظهرى من يكاثر به محمد صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيامة (وينبغي) له اذا نوى ما تقدم وفعل ما ذكر أن يكل ذلك الى مشيئة ربه عز وجل وان يفتقر اليه فيه ويتبرأ من مشيئة نفسه وتدبيره وحوله وقوته وان يكون اذ ذاك متواضعا متذللا لعل أن تقضى حاجته (وقد) جاء فى الحديث الصحيح عن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون فالحاصل من هذا ان يتعلق المرء بمشيئة الله تعالى ويكل الامر اليه ويتبرأ من مشيئته كما تقدم (ثم) ان بدا له أن يعود الى الاجتماع باهله فان كان بعد الغسل أو الوضوء فيفعل كما تقدم أولا وان كان قبل ذلك فليغسل ذكره قبل ان يعود (لأن) النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ذلك غسل ذكره ثم عاد (قال) القاضى عياض رحمه الله تعالى وانما فعل ذلك لان غسل الذكر يقوى العضو وينشطه وكثرة هذا كان من شان العرب أن يتمدحوا به ويفتخروا به لانه دليل على قوة الرجل وصحة بدنه ومزاجه (ولهذا) المعنى أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ماء اربعين رجلا حتى خرج عن مألوفهم وعادتهم

(فان) قال قائل فاذا كان ذلك على ما قررتم ان كثرة هذا ممدوح والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء والمرسلين فما الجواب عن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام في كونه أعطى ماءمائة رجل (فالجواب) أن كلا منهما صلوات الله عليهما وسلامه أعطى مقصده ومطلبه فنبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام طلب ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ومن شان الملوك الزيادة في هذا الشان و كثرة النساء فاعطى ما يفوق به سائر الملوك لان الملوك وان وجدوا القدرة على تحصيل كثرة النساء فهم عاجزون عن ماء رجل واحد فضلا عن ماء مائة رجل والنبي صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فاعطى صلى الله عليه وسلم ما يفضاهم به وان كان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى ماء اربعين رجلا فحاله في ذلك كما قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن القبلة للصائم وأيكم املك لاربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على انه عليه الصلاة والسلام كان لا ياتي لاحوال البشرية لاجل نفسه المكرمة بل ذلك منه عليه الصلاة والسلام على طريق تانيس البشرية لاجل الاقتداء به عليه الصلاة والسلام (الاترى) الى قول عمر المتقدم ذكره انى لاتزوّج النساء ومالى اليهن حاجة (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة انتهى (فانظر) الى حكمة قوله عليه الصلاة والسلام حبب ولم يقل احببت وقال من دنياكم فاضافها اليهم دونه عليه الصلاة والسلام فدل على انه عليه الصلاة والسلام كان حبه خاصا بمولاه عز وجل يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة وماذاك الا لما اشتملت عليه من المعاني العلية الشريفة فكان عليه الصلاة والسلام بشرى الظاهر ملكي الباطن فكان عليه الصلاة والسلام لا ياتي الى شئ من أحوال البشرية الا تانيسا لامته وتشريعا لها لا انه محتاج الى شئ من ذلك كما تقدم وللجهل بهذه الاوصاف الجليلة والخصال الحميدة قال الجاهل المسكين مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق (الاترى) الى قوله تعالى في كتابه العزيز قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك فقال لكم انى ملك ولم يقل انى ملك

فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم أعنى فى معانيه عليه الصلاة والسلام لا فى ذاته الكريمة اذ انه عليه الصلاة والسلام يلحق بشريته ما يلحق البشر (ولهذا) قال سيدى الشيخ الجليل أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى فى صفته عليه الصلاة والسلام ه وبشر ليس كالابشار كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار (وهذا) منه رحمه الله على سبيل التقريب للافهام (فدل) على أنه عليه الصلاة والسلام كان ملكى الباطن ومن كان ملكى الباطن ملك نفسه (ومن) هاهنا يفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام أخرجنى الذى أخرجكما لان هذا وما أشبهه من باب التأنيس للامة (ومن) ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى مرضه الذى مات فيه ان للموت لسكرات قال بعض العلماء فيه ان ذلك من باب شدة الآلام والأوجاع لرفعة منازل المرسلين ومثله قوله عليه الصلاة والسلام انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم الحديث انتهى وهذا من باب تأنيس البشرية كما تقدم (وقد) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول فى قوله عليه الصلاة والسلام ان للموت لسكرات ان تلك السكرات سكرات الطرب (ألا ترى) الى قول بلال رضى الله عنه حين قال له أهله وهو فى السياق واكرباه ففتح عينه وقال واطرباه غدا ألقى الأحبه محمدا وحزبه انتهى فاذا كان هذا طربه فى هذا الحال بلقاء محبوبه وهو النبى صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم المولى الكريم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وهذا) موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه (فالحاصل) من هذا أن احوال البشرية وما يطرأ عليها من الامراض والأعراض انما ذلك على الظاهر فى الظاهر وهو عليه الصلاة والسلام مشغول بربه مقبل على آخرته ظاهره مع الخلق وباطنه مع رب الخلق ومن كان كذلك فهو غائب عن ألم الظاهر (وهذا) تجده محسوسا فى بعض الأولياء فكيف بسيد الاولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه (ألا ترى) الى ما حكى عن بعض السلف وهو عروة بن الزبير رضى الله عنه لما أصابته الاكلة فى رجله فارادوا أن يقطعوا القدم التى خرجت فيه لئلا تتعدى لجميع بدنه فكان يأبى عليهم ذلك فقالت لهم زوجته انكم لا تقدرون على ذلك الا ان يكون فى الصلاة فلما ان كان فى الصلاة حضروا

وقطعوها له فلما فرغ من صلاته رآهم محدقين به فقال لهم اتريدون ان تقطعوا الى غيرهذه المرة ان شاء الله تعالى فقالوا له ها هو ذا فقال والله ما شعرت بكم (وكذلك) ما حكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه كان فى المسجد يصلى وانهدمت اسطوانة فيه ففزع الناس من اسواقهم ينظرون الخبر لشدة انزعاجهم عند وقوعها وتأثيرهم وهو فى الصلاة لم يشعر بشئ من ذلك (وقد) تقدمت حكاية بعض المتأخرين أنه اذا كان فى بيته لا يتكلم أحد فى حضرته فاذا دخل فى الصلاة تكلموا ولغطوا فسئل أهله عن ذلك فقالوا انه اذا كان فى الصلاة لا يشعر بشئ (وظاهر) ما حكى عنهم فى ذلك مشكل وبيان اشكاله انه اذا لم يشعر بشئ مما ذكر فكيف يتأتى منه التوفية باركان الصلاة (وقد) كان سيدى ابو محمد رحمه الله يزيل هذا الاشكال فيفرق بين الفرض والنفل ويقول ان كان فرضا فلا بد من ابقاء بعض حال البشرية عليه لتوفية أركان الفرض وان كان فى النفل فحقيقة الحضور فيه أن يفنى الذاكر فى المذكور

(فصل) وقد تقدم فى الحديث الوارد فى ان المؤمن يأكل بشهوة عياله فاذا كان فى الاكل بهذه المثابة فما بالك به فى الجماع اذ انه من أكبر الملذوذات والشهوات فيعمل على أن يوفى لها ذلك اذا أرادته وهو لا يطلع على ارادتها لانها لا تطالب ذلك فى الغالب وان كان قد ركب فيها من الشهوة أضعاف ما فى الرجل لكن أعطاها الله تعالى من الحياء ما يغمر ذلك كله فاذا رأى منها أمارات الطالب لذلك فليرضها وذلك مثل أن تتزين وتتعطر وتلبس الى غير ذلك (فالحاصل) انه يكون غرضه تابعا لغرضها فيتصف اذ ذاك بما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن يأكل بشهوة عياله وقوله عليه الصلاة والسلام والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه الى غير ذلك وهو كثير (وهذا) اذا لم تكن ثم ضرورة أكيدة للجماع فى وقته ذلك مثل ان يكون قد رأى امرأة أعجبته فيريد أن يمتثل السنة لقوله عليه الصلاة والسلام من رأى منكم امرأة تعجبه فليأت أهله فان الذى عندها مثل الذى عند هذه فان كان كذلك فلا ينتظر أمارات طلبها (لكن) ينبغى له أن لا يترك الملاعبة قبل الفعل مع الآداب المتقدم ذكرها

(وقد ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن لم يكن له أهل ورأى امرأة أعجبته فليقل اللهم أبدل لي عوضها حورية فان الله تعالى يبدل له عوضها حورية أو كما قال عليه الصلاة والسلام

(فصل) وليحذر أن يفعل مع زوجته أو جاريته هذا الفعل القبيح الشنيع الذي أحدثه بعض السفهاء وهو اتيان المرأة في دبرها وهي مسئلة معضلة في الاسلام (وليتهم) لو اقتصروا على ذلك لكنهم نسبوا ذلك الى الجواز ويقولون انه مروي عن مالك رحمه الله وهي رواية منكرة عنه لا أصل لها الان من نسبها الى مالك انما نسبها الكتاب السر وان وجد ذلك في غيره فهو متقول عليه وأصحاب مالك رحمه الله مطبقون على أن مالكا لم يكن له كتاب سر وفيه من غير هذا أشياء كثيرة منكرة يجل غير مالك عن ان يتهم بها فكيف بمنصبه وما عرف مالك الا بنقيض ما تقولوا عنه من أن يخص الخليفة برخص دون غيره بل كان يشدد عليهم ويأخذهم بالسياسة حتى ينزلهم عن درجاتهم الى درجات غيرهم من سائر المسلمين مثل ما جرى له مع الخليفة في اقراء الموطأ عليه كما تقدم (وقد) قال له الخليفة مرة يا مالك مازلت تذل الامراء فهذا هو المعروف والمعهود من حاله معهم (وقد) سئل مالك رحمه الله في الكتب المشهورة المروية عنه أيجوز وطء المرأة في دبرها فقال أما أنتم قوم عرب ألم تسمعوا قول الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أيكون الزرع حيث لا انبات (وقوله) تعالى انى شئتم قيل معناه كيف شئتم مقبلة أو مدبرة أو باركة في موضع الزرع (وقيل) معناه متى شئتم من ليل أو نهار روي عن ابن عباس وروي عنه أيضا انه قال معناه فأتوا حرثكم كيف شئتم ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا (وقد) روي عن عبد الله بن عمر انه سئل عن جواز ذلك فقال اف اف أيفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم (وقد) خرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها (ومن) البيان والتحصيل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في محاشهن ملعون من اتى النساء في غير مخرج الاولاد (وقد) قيل لمالك رحمه الله في الكتب المروية عنه أنت تبيح ذلك فقال

قوله في محاشهن اي ادبارهن كما في رواية اهـ

كذب من قاله وقال مرة أخرى كذبوا على وقال فى أخرى كذبوا على عافاك الله أما تسمع الله تعالى يقول نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم هل يكون الحرث الا فى موضع الزرع ولا يكون الوطء الا فى موضع الولد (ومن) كتاب التفسير لابن عطية رحمه الله وفى مصنف النسائى قد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اتيان النساء فى أدبارهن حرام (وروى) عنه أنه قال من أتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد (قال) رحمه الله وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغى لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج فى هذه النازلة على زلة عالم لم تصح عنه والله المرشد لا رب غيره (ومن) التفسير للقرطبى رحمه الله وقد روى عن ابن عمر تكفير من فعله قال وروى الترمذى فى مسنده عن سعيد بن يسار بن الحباب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى امرأة فى دبرها لم ينظر الله اليه يوم القيامة (وروى) أبو داود الطيالسى فى مسنده عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تلك اللوطية الصغرى أعنى اتيان المرأة فى دبرها (وروى) عن طاوس انه قال كان بدء عمل قوم لوط اتيان النساء فى ادبارهن (قال) ابن المنذر واذا ثبت الشئ عن النبى صلى الله عليه وسلم استغنى به عما سواه (ومن) كتاب الشيخ الامام الجليل ابى عبد الله محمد المعروف بابن ظفر روى ان عليا كرم الله وجهه سئل عن ذلك فقال اما علمتم انها اللوطية الصغرى (وروى) عبد الرحمن بن القاسم ان شرطى المدينة دخل على مالك بن انس رحمه الله فسأله عن رجل رفع اليه انه قد اتى امرأته فى دبرها فقال له مالك بن انس أرى ان توجعه ضربا فان عاد الى ذلك ففرق بينهما (واما) ما حكى ان قوما من السلف اجازوا ذلك فلا يصلح مع ماذكر اضافته اليهم بل يحمل على سوء ضبط النقلة والاشتباه عليهم فان الدبر اسم للظهر قال الله تعالى ويولون الدبر وقال ومن يولهم يومئذ دبره اى ظهره والمرأة تؤتى من قبل ومن دبر انتهى يعنى انها تؤتى من جهة ظهرها فى قبلها (وسبب) نزول الآية ان رجلا من المهاجرين تزوج امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ما اعتاده المهاجرون من انهم كانوا يتلذذون من نسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات فأنكرته عليه وقالت كنا نؤتى

على حرف فامتنع ذلك والا فاجتنبنى حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك فى موضع الولد (وروى) ان اليهود كانوا يقولون اذا جامع الرجل أهله فى فرجها من ورائها كان ولده أحول فانزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اه من السنن لابى داود وقد اخرجه البخارى أيضا (هذا) ماهو من طريق النقل (وأما) طريق النظر فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم اذا منع الوطء فى الفرج فى حال الحيض من اجل الأذى لقوله تعالى ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن وهى أيام يسيرة من الشهر غالبا فما بالك بموضع لاتفارقه النجاسة التى هى أشد من دم الحيض (وقد) قالوا أيضا ان المرأة كلها محل للاستمتاع الا ما كان من الوطء فى الدبر فهو محرم مطلقا وفيما تحت الازار فى أيام الحيض (وقد) تقدم أن شهوة الرجل ينبغى ان تكون تابعة لشهوة المرأة ووطؤها فى الدبر لامنفعة لها فيه بل تتضرر به من وجهين أحدهما تحريك باعث شهوتها من غير أن تنال غرضها والثانى ان الوطء فى ذلك المحل يضرها

(فصل) ويتعين عليه أن يتحفظ فى نفسه بالفعل وفى غيره بالقول من هذه الخصلة القبيحة التى عمت بها البلوى فى الغالب وهى أن الرجل اذا رأى امرأة اعجبته وأتى أهله جعل بين عينيه تلك المرأة التى رآها وهذا نوع من الزنا لما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن أخذ كوزا يشرب منه الماء فصور بين عينيه أنه خمر يشربه ان ذلك الماء يصير عليه حراما وهذا مما عمت به البلوى (حتى) لقد قال لى من اثق به انه استفتى فى ذلك من ينسب الى العلم فأفتى بان قال اذا جعل من رآها بين عينيه عند جماع زوجته فانه يؤجر على ذلك وعلله بأن قال اذا فعل ذلك صان دينه فانا لله وانا اليه راجعون على وجود الجهل والجهل بالجهل (وما) ذكر لايختص بالرجل وحده بل المرأة داخلة فيه بل هى أشد لان الغالب عليها فى هذا الزمان الخروج أو النظر من الطاق فاذا رأت من يعجبها تعلق بخاطرها فاذا كانت عند الاجتماع بزوجها جعلت تلك الصورة التى رأتها بين عينيها فيكون كل

واحد منهما فى معنى الزانى نسأل الله السلامة بمنه (ولا) يقتصر على اجتناب ذلك ليس الا بل ينبه عليه أهله وغيرهم ويخبرهم بان ذلك حرام لايجوز (وقد) ذكر الطرطوشى رحمه الله فى ذلك حديثا عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما

(فصل) وينبغى له أنه اذا اجتمع باهله وكان بينهما ما كان فلا يذكر شيئا من ذلك لغيرها وكثيرا ما يفعل بعض السفهاء هذا المعنى فيذكر بين أصحابه وغيرهم ما كان بينه وبين زوجته أو جاريته وهذا قبيح من الفعل كفى به انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم فى المصادر والموارد كما تقدم وكما لا يحدث أحدا من الناس بما ذكر فكذلك لا يحدث أهله بشئ جرى بينه وبين غيرهم كائنا ما كان وهذا النوع أيضا مما يتساهل فيه كثير من الناس وهو قبيح اذ أن ذلك يحدث بين الرجال الاجانب والنساء المودة والمحبة فيأتى الرجل الى أهله فيثنى لهم على من يخطر بباله ويسلم عليهن من جهته والسلام يحدث المودة والمحبة (وقد) قال بعض السلف رضى الله عنهم ليس للنساء فى السلام نصيب (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول كيف يمكن ان يبلغ الانسان لهن السلام فانه يحدث لهن المودة فى القلوب ودخول وسواس النفس والهوى والشيطان ونزغاته فليحذر من هذه العادة فانها شنيعة (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان السلام ليس بمشروع على المرأة الشابة فى الابتداء به اللهم الا أن يحدث المرء بما جرى له مع شيخه أو من يعتقده فى مسائل العلم أو ما يحتاج اليه المكلف فى دينه من الآداب فهذا مندوب اليه وقد يجب فى بعض المواطن (وقد) تقدم الكلام على آدابه فى تصرفه فى بيته لكن بقى من ذلك أول ليلة تدخل عليه الزوجة أو الجارية فالتصرف فى ذلك كما تقدم لكن يستحب له أن يضع يده على ناصيتها والناصية مقدم الرأس زوجة كانت أو جارية بكرا كانت أو ثيبا ويثنى على الله تعالى ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انى اسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ثم يمضى لسبيله

فصل

(فصل) فاذا استيقظ من نومه فامر يده على وجهه ثم يتشهد ثم يرجع الى الجانب الايمن ان لم يكن عليه ثم يسمى الله تعالى ويلبس ثوبه ويدخل يده اليمنى فى الكم قبل اليسرى فاذا لبس ثوبه فان كان على غير جنابة قرأ ان فى خلق السموات والارض الى آخر سورة آل عمران وبداءته تعرك النوم عن عينيه كذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ثم يسمى الله تعالى ويقوم من الفراش فينظر الى السماء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما أعلنت أنت الهى لا اله الا أنت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك هكذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم (وكان) أبو الدرداء رضى الله عنه يقول اذا قام من الليل نامت العيون وغارت النجوم وانت الحى القيوم (فان) كان جنبا فلا يقرأ شيئا من القرآن ويقتصر على الذكر المذكور وقد تقدم ما يفعل فى ورده بالليل وغيره وكذلك تقدم بأى نية يلبس ثوبه وكم له فيه من نية فى اول الكتاب فاغنى عن اعادته (وما) تقدم ذكره من الذكر عند الاستفاقة من النوم الى غير ذلك مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان اه وكسل النفس فى الغالب اغماه ولاجل العقد الثلاث فان هو ذكر الله عز وجل انحلت عقدة كما قال عليه الصلاة والسلام فيذهب من الكسل بقدر ذلك ثم ان توضأ انحلت العقدة الثانية فيذهب معها من الكسل بقدر ذلك ثم ان صلى ذهب الكسل كله وبقى كما قال عليه الصلاة والسلام نشيطا طيب النفس (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى حكمة الشرع فى كونه شرع انه اذا فعل المرء ما ذكر يصلى ركعتين خفيفتين

ثم بعد ذلك يصلى ركعتين طويلتين ثم يتدرج الى أقل من ذلك على ما جاء فى الحديث فشرع له عليه الصلاة والسلام أولا ركعتين خفيفتين حتى تذهب عقد الشيطان كلها ويذهب اثرها مرة واحدة فيجد بسبب النشاط الذى يحصل له ما يقدر به على طول القيام الذى شرعه عليه الصلاة والسلام فى قيام الليل وما تقدم ذكره من أنه يدخل يده اليمنى فى كمه اليمين أولا مأخوذ من قول عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع فى شأنه كله فى طهوره وترجله وتنعله فعمت الافعال كلها بقولها فى شأنه كله ثم فصلت ذلك كله على القاعدة الشرعية لان المكلف لا يخلو فعله من احدى ثلاث اما واجب أو مندوب أو مباح فذكرت الطهور لتشير به الى جنس الواجبات والترجل لجنس المندوبات والتنعل لجنس المباحات واذا كان ذلك كذلك فى اللبس فينبغى أن يكون عكسه فى النزع فاذا نزع ثوبه فيبدأ بنزع الكم من اليد اليسرى قبل اليمنى على ما تقدم من نزع النعل عند دخول المسجد والخروج منه

(فصل) وينبغى أن يكون الطالب مع شيخه أعنى فى الاجتماع به مختارا للاوقات التى يعلم أن الاجتماع به فيها يخف عليه تحرزا من أن يجد للاجتماع به كلفة فيحرم العلم بسبب ذلك أو بركته لاجل أنه قد يكون الشيخ عنده فى ذلك الوقت ما هو أهم عليه من الاجتماع بالناس وهذا النوع كثيرا ما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان تجدهم يعتقدون الشخص ويقولون ببركته ثم انهم يختارون الاوقات الفاضلة فيأتون فيها الى زيارته فيشغلونه عن اغتنام بركة تلك الاوقات فيصيرهو وهم بالسواء أعنى فى بطالة تلك الاوقات الشريفة ولا شك ان الشيطان ألقى اليهم ذلك فتجدهم مخالفين لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (الاترى) الى ما كان عليه حالهم فى شهر رمضان اذ أنه اذا دخل عليهم تناكر بعضهم من بعض ونفر كل واحد منهم من صاحبه حتى اذا فرغ اجتمعوا وأقبل بعضهم على بعض بخلاف ما الحال عليه اليوم فانه اذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزياراتهم فيه فمن لم يأت منهم الى قريبه او صاحبه او معلمه يجدون عليه ويقع التشويش بينهم فانا لله وانا اليه راجعون على عكس

الامور وارتكاب مالا ينبغي مع رؤية النفس انها على الخير والدين فيرون
أن اجتماعهم في هذه الايام الشريفة قربة الى الله تعالى يتقربون بها اليه

(فصل في نبذ بقيت لم تذكر بعد) فمنها ان طالب العلم اذا كان ساكنا
في المدرسة او الرباط فينبغي له أن يتحفظ من أمور منها أن لا يدع الوضوء
من ماء الفسقية او البئر ولا يتوضأ من ماء الصهريج او الزير المعدين للشرب
لان ذلك انما عمل للشرب لا للوضوء والغسل وقد تقدم أنه قدوة لغيره فقد
يقتدى به فيكون ذلك ذريعة الى فعل مالا يجوز وبعض الناس يفعل ماذكر
وهو لا يجوز لما تقدم (وينبغي) له أن لا يتوضأ على البلاط الذي على
السقوف لان ذلك يضر بالبلاط والخشب وهما وقف (وينبغي) له أن لا
يستجمر بالحجارة ويدعها في الموضع لان القيم اذا وجدها هناك رماها في
المرحاض فيمتلئ بالحجارة وذلك ضرر بالوقف (ويحرم) عليه أن يستجمر بحائط
الوقف أو باصبعه ويمسح ما أصابه في الحائط وهذا النوع قد كثر وهو
محرم (وينبغي) له اذا لم يتوضأ في الفسقية ان يكون له وعاء يتوضأ فيه
وكذلك اذا احتاج الى الغسل يكون له وعاء يغتسل فيه لئلا يضر بالسقف كما
تقدم (وينبغي) له اذا صعد أو نزل أن يمشي برفق اذ أن المشي بقوة يضر
بالبلاط والسقوف وهما وقف سيما اذا كان بقبقاب فيحذر من هذا جهده
فهذا منتهى الكلام على سبيل الايجاز والاختصار على آداب العالم والمتعلم
لينتبه بما ذكر على مالم يذكر والله الموفق

(فصل في نية الامام والمؤذن وآدابهما) والكلام عليهما مشترك
مثل ما تقدم في العالم والمتعلم فالامام له آداب تخصه فمنها ما هو واجب
ومنها ما هو مندوب ومثله المؤذن (فالواجب) على الامام على ماذكره
العلماء أن يكون فيه ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا
ذكرا عدلا متكلما قارئا للقرآن أو لا ثم القرآن فقيها باحكام الصلاة
(والمؤذن) شرطوا فيه أيضا ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا
بالغا ذكرا عدلا متكلما عارفا بالاوقات سالما من اللحن في الاذان (وينبغي)
للامام أن ينوي الامامة في خمسة مواضع وهي كل صلاة لا تصح الا في جماعة
حتى تحصل له فضيلتها ولا يلزمه ان ينوي الامامة في غيرها وهي صلاة

الجمعة وصلاة الخوف والجمع للمطر وصلاة الجنازة واذا كان ماموما واستخلف
هذا الذي يجب فيه نية الامامة وما عدا ذلك فلا يجب لكن اذا لم ينو
الامامة لا تحصل له فضيلة من نواها واذا نواها فينبغي له أن يستصحب مع
ذلك نية الايمان والاحتساب كما تقدم في حق العالم (وأما) المأموم فيلزمه
أن ينوي أنه مأموم فان لم ينو ذلك لم تصح صلاته (والامامة) فرض على
الكفاية فاذا عزم عليها فلينو بذلك أنه يقوم بفرض الكفاية حتى يسقط
ذلك عن اخوانه المسلمين (وينبغي) له أن لا يتسارع اليها ولا يتركها رغبة
عنها (وقد ورد) أن جماعة تراد والامامة بينهم فخسف بهم وكثير من الناس
من يتورع عن الامامة وهو خطأ وكثير منهم من يبادر اليها وهو خطأ أيضا
(وأما) في زماننا هذا أعني في الديار المصرية وما أشبهها فينبغي لمن فيه أهلية
أن يبادر اليها اذا كان لا يعرف حال الامام وأما مع معرفته فيعمل على
ما يعلم من ذلك (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول اذا أخذك وقت
الصلاة بمسجد من المساجد فان كنت في بلاد المغرب فصل حيث كنت
وليس عليك اعادة وان كنت في الديار المصرية وما أشبهها فيقع التفصيل
بين أن تعلم حال الامام أم لا فتعمل على ما تعلم من حاله فان كان فيه أهلية
مضت صلاتك والا فتعيدها (وكان) رحمه الله يعلل ذلك فيقول ان بلاد
المغرب لا يتولى الامامة في المسجد الاعظم الا من اجمع أهل تلك البلد على
فضيلته وتقدمته في العلم والخير والصلاح وسائر المساجد لا يتولى الامامة
فيها الا من اجمع اهل تلك الناحية على فضيلته عليهم واما الديار المصرية وما
اشبهها فان الامامة فيها بالدراهم غالبا وهي اذا كانت كذلك لا يتولاها الا
صاحب جاه او شوكة ومن اتصف بذلك فالغالب عليه رقة الدين فاذا صلى
خلفه وهو لا يعرف حاله أعاد صلاته لقوله عليه الصلاة والسلام أئمتكم
شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون (وينبغي) له اذا تولى الامامة ان يكون
ذلك منه بنية صالحة صادقة لله تعالى لا يطالب بذلك عوضا من ثناء ولا راحة
دنيوية ولا صورة مميزة بين الناس بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا لان الامامة
من أكبر مهمات الدين (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف

الجنة وعرفها يوجد من مسيرة خمسمائة عام انتهى فيحذر من هذا الخطر العظيم (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الاولون والآخرون عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل أم قوما وهم به راضون ورجل ينادي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة اه (فان) خاف أن يكون في الجماعة من يكره امامته فتركها اذ ذاك أفضل له وذلك بشرط أن تكون الكراهة على موجب شرعي حذرا أن يكره أحد امامته لحظ دنيوي أو نفساني أو ما أشبه ذلك فان كانت الكراهة شرعية فلا يتقدم (لما) ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن ثلاثا رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حي على الفلاح فلم يجب (فان) كان له على الامامة معلوم فلا يأخذه بنية الاجارة بل يأخذه على نية الفتوح من الله تعالى لا على أنه عوض على فعل الامامة (واذا) كان ذلك كذلك فعلامته أن لا يطلبه ولا يجد القلق حين قطعه عنه ولا يتضجر ولا يترك ما هو بصدده فان طلب أو تضجر فقد خرج عن باب المندوب الى باب المكروه أو المحرم كما تقدم في امر العالم ولو تكلم في ذلك بنية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وارشاد المسلمين لصالح دينهم فذلك سائغ ما لم يصحبه حظ ما فان صحبه فيكره أو يمنع بحسب الحال (وينبغي) له أن يحفظ على الاوقات أكثر من تحفظ المؤذن عليها اذ أنه قد يخطئ المؤذن في بعض الاوقات فيكون ذلك سببا لايقاع الصلاة في غير وقتها والمؤمن كفيل لأخيه فاذا كان الامام يتحفظ على الاوقات فقل ان يتأتى خطأهما معا بل اذا أخطأ هذا أصاب هذا في الغالب ومذهب مالك رحمه الله ان معرفة الاوقات فرض في حق كل مكلف (واذا) كان ذلك كذلك فما بالك بمن له الامامة اذ به الحل والربط في الصلاة (وينبغي) له أن يتحفظ على منصب الامامة مما يتعاطاه بعض الناس من الاشياء التي تزري بصاحبها من المزاح وكثرة الضحك سيما مع الاجانب والمشي في الاسواق لغير ضرورة شرعية وما أشبه ذلك من الاشياء التي تزري بصاحبها وليس ذلك من منصب الامامة في شئ (وقد) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات كما تقدم (وبعضهم) يقعد على دكان البياع لا لحاجة وذلك جلوس على

الطرقات وهو موضع النهي كما تقدم (وينبغي) له أن يكون أعظم الجماعة قلقا وخوفا وأكثرهم علما وخشية ورقة (وقد ورد) ان الصلاة ترفع على اتقى قلب رجل من الجماعة فينبغي أن يكون الامام هو المتصف بذلك حتى يحصل جميع من خلفه في صحيفته وفي خفارته (وينبغي) له أن لا يرى لنفسه على من تقدمهم فضلا ويرى الفضل لهم عليه ويتخوف على ذمته لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وينبغي) له بل يتعين عليه أن يكون أكبر همه التحفظ من العوائد المتخذة والبدع المحدثة التي أحدثها كثير من الناس حتى صارت كانها من السنن المعمول بها عندهم حتى لو تركها أحد اليوم لوجدوا عليه وقالوا ترك السنة فظهر بذلك ما أخبر به عليه الصلاة والسلام حيث قال كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة فيتحفظ من هذا الامر الخطر جهده اذ أنه علم للعامة في المسجد في الاقتداء به في الغالب

(فصل في ذكر بعض البدع التي أحدثت في المسجد والامر بتغييرها) قال الرسول عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولاشك ان المسجد وما يفعل فيه من رعية الامام والمؤذن والقيم الى غير ذلك ممن له التصرف (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين رأى نخامة في القبلة فحكها بيده ورؤي منه كراهية أو رؤي كراهيته لذلك وشدته عليه وقال ان أحدكم اذا قام يصلي فانما يناجي ربه أو ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض وقال أو يفعل هكذا فنظره عليه الصلاة والسلام لذلك من بعض فوائد ان المسجد من جملة رعيته وقوله عليه الصلاة والسلام ولكن عن يساره أو تحت قدمه انما ذلك في مثل مسجده عليه الصلاة والسلام الذي هو مفروش بالرمل وأما غيره مما هو مفروش بالحصر أو بالرخام أو بالبلاط فيكره ذلك فيه فلم يبق الا الثالث الذي ذكره عليه الصلاة والسلام وهو أن يبزق في طرف ردائه ويحكها (فان) قال قائل انه يبصق تحت طرف الحصير ويرد الحصير عليها وذلك نوع من الدفن لها كما هو المذهب (فالجواب) ان ذلك محمول على ما كان عليه الصدر الاول من كثرة تعظيمهم للمساجد

واحترامها وان مساجدهم كانت يمكن الدفن فيها غالبا وقل من يقع منه ذلك لشدة التعظيم بخلاف ما عليه الحال اليوم فتعاطى القليل منه يؤدى الى الكثير (وذلك) لا ينبغى لوجوه (الاول) ان فيه استقذار للمسجد (الثانى) ان الذباب يجتمع بسبب ذلك فيشوش على من فى المسجد فان لم يكن فى المسجد احد فيمنع لان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه بنو آدم (الثالث) ان الخشاش يكثر بسببها لانه يتغذى بها (الرابع) ان هذا يسمى تغطية ولا يسمى دفنا (الخامس) انه لم يكن من فعل من مضى (السادس) ان فيه نوعا من اضاعة المال لان الحصير اذا فعل ذلك تحته مرة بعد اخرى آل الى تقطيعه (السابع) ان ذلك تصرف فى الوقف فى غير ما جعل له لانها انما جعلت للصلاة عليها (الثامن) ان ذلك يكسب الرائحة الكريهة فى المسجد وقد امرنا بتطييبه وهذا ضده (التاسع) انه يخاف ان يخرج مع البصاق شئ من الدم وهو نجس أو غيره من قيح وصديد ممن به مرض (وهذا) مثل ما قالوه فيمن بقى بين أسنانه شئ من أثر ما أكل اذ انه اذا عالجه وأزاله فلا يبتلعه لان الغالب مخالطته لشئ من دم اللثات (وكذلك) السواك لا يستاك به قبل أن يغسله من المرة الاولى لوجهين (أحدهما) خيفة أن يكون قد خالطه شئ من النجاسة (الثانى) انه اذا سلم من النجاسة ففعله ذلك مكروه لانه يرد بصاقه الى فيه وذلك مستقذر وانما أمر بالسواك لاجل النظافة وهذا ضده (هذا) اذا كان فى المسجد حصير فان كان فيه رخام أو بلاط أو غيرهما مما لا يمكن الدفن فيه وليس عليه شئ فيمنع البصاق فيه أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ودفنها لا يمكن فلم يبق الا أن تكون خطيئة (فاذا) تقرر أن المسجد من رعية الامام فيحتاج أن يتفقده فما كان فيه على منهاج السلف الماضين أبقاه وما كان من غير ذلك أزاله برفق وتلطف ان قدر على ذلك كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام فى النخامة (فالمسجد) من صفته أن لا يكون فيه حائل يحول بين الناس من رؤية بعضهم لبعض (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين اعتكف فى المسجد انه اتخذ حجرة من حصير والحصير مما لا يتأبد (وقد) نقل عبد الحق فى الاحكام الصغرى له قال مسلم عن عائشة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حصير وكان يحجره من الليل فيصلي فيه فجعل الناس يصلون بصلاته ويبسطه بالنهار الحديث هذا وهو لضرورة الاعتكاف فما بالك به لغير ضرورة شرعية (فعلى هذا) ففعل المقاصير والدرابزين من البدع المحدثة وقد ترتب بسبب ذلك جملة مفاسد (أولها) ان الموضع وقف للصلاة وما فعل فيه لغيرها فهو غصب لمواضع صلاة المسلمين (الثاني) ان فيه تقطيع الصفوف وذلك خلاف السنة (الثالث) انه لا يمكن استقبال الخطيب في حال خطبته ولا رؤيته بسببها اذ انها تحول بين المأموم والامام (وقد ورد) اذا قام الامام يخطب فاستقبلوه بوجوهكم وارمقوه باعينكم ومع وجود هذه المقاصير والدرابزين لا يمكن ذلك فكانت سببا لمخالفة السنة (الرابع) ان فعلها في المسجد أفضى الى أمر مستهجن وهو ان من لا خير فيه يجد السبيل الى الوصول الى اغراضه الخسيسة بارتكاب محرم أو مكروه لكونه يتوارى فيها عن أعين الناظرين (الخامس) انه قد ينام فيها بعض الغرباء للضرورة فيجد اللص السبيل الى أخذ متاعه اذ انه ليس ثم من ينظر اليه بسببها وقد وقع ذلك في المسجد كثيرا (السادس) انه قد يجد بعض الناس السبيل الى أن يبول في المسجد بسببها اذ انه يستتر بها فلا يرى اذ ذاك سيما الصبيان الصغار الذين لا ينضبط حالهم في الغالب (السابع) ما في ذلك من مخالفة السنة (الثامن) ان ذلك من باب زخرفة المساجد وذلك من أشراط الساعة (التاسع) قد يجيء أعمى لا يهتدي بتلك الابواب الضيقة التي في الدرابزين فكانت سببا لادخال الضرر على كثير من المسلمين من أصحاب الاعذار (وكان) سبب اتخاذها ان الخلافة لما رجعت ملكا وتخوف الملوك على أنفسهم من القتل عملوا هذه المقاصير ليتحصنوا بها ممن يثب الى قتلهم فلا يدخلها الا خاصة الملك وحجابه على بابها (ومن العتبية) قال مالك اول من جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليماني فجعل مقصورة من طين وجعل فيها تشبيكا (قال) ابن رشد رحمه الله والمقصورة محدثة لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عهد الخلفاء بعده وانما احدثها الامراء للخوف على أنفسهم فاتخاذها في الجوامع مكروه فان كانت ممنوعة تفتح احيانا وتمنع احيانا فالصف الاول هو الخارج عنها اللاصق بها وان كانت

مباحة

مباحة غير ممنوعة فالصف الاول هو اللاصق بجدار القبلة فى داخلها روى ذلك عن مالك (وقوله) وجعل فيها تشبيكا يريد تخرج بما يرى منه الناس ركوعه وسجوده للاقتداء به انتهى (ثم) كثر استعمال ذلك حتى صارت تعمل لغير ضرورة فصارت كأنها من زى المسجد وكثر هذا حتى صار الامر الى أن من أراد أن يعمل مدرسة ويقف لها وقفا يأخذ من الجامع ناحية حيث يختار فيه فيديرها بالدرابزين ويجعلها لاخذ الدرس فيها فسرى الامر الى أنه لو جاء أحد من المسلمين من غير الفقهاء يدخل ذلك الموضع للضرورة التى تقصد لها المساجد فيمنع من ذلك ويطرد فى وقت الدرس وهذا غصب واحداث وتصرف فى الوقف لاشك فيه

(فصل) ومن هذا الباب الكرسى الكبير الذى يعملونه فى الجامع ويؤبدونه وعليه المصحف لكى يقرأ على الناس ولا ضرورة تدعو الى ذلك لوجهين (الاول) انه يمسك به من المسجد موضع كبير وهو وقف على المصلين لصلاتهم (الثانى) انهم يقرؤون عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة فمنهم المصلى ومنهم التالى ومنهم الذاكر ومنهم المفكر فاذا قرأ القارى اذذاك قطع عليهم ماهم فيه (وقد) نهى عليه الصلاة والسلام عن رفع الصوت بالقراءة فى المسجد بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن وهو نص فى عين المسئلة ولا التفات الى من فرق بين أن يكون المستمعون أكثر ممن يتشوش من المشتغلين بالصلاة وغيرها مما تقدم ذكره فان شوش على واحد منهم منع من ذلك لوجود الضرر (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لاضرر ولا اضرار (وقال) عليه الصلاة والسلام من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه (وقال) عليه الصلاة والسلام ملعون من ضار مؤمنا رواها الترمذى (وأول) من أحدث هذه البدعة فى المسجد الحجاج أعنى القراءة فى المصحف ولم يكن ذلك من عمل من مضى (فان) قال قائل قد ارسل عثمان رضى الله عنه المصاحف الى الامصار توضع فى الجوامع (فالجواب) ان ذلك انما كان لتجميع الناس على ما أثبت فى المصحف الذى أجمع عليه خاصة ليذهب التنازع فى القرآن ويرجع لهذا المصحف اذا اختلف فى شئ من القرآن ويترك ماعداه لانه امام المصاحف وقد أمن الاختلاف فيه والحمد

لله فلا يكتب مصحف ويجعل في المسجد (ومن) هذا الباب أيضا ما أحدثوه في المسجد من الصناديق المؤبدة التي يجعل فيها بعض الناس أقدامهم وغيرها من أثاثهم وذلك غصب لموضع مصلى المسلمين كما تقدم (قال) الطرطوشي وقد كره مالك رحمه الله التابوت الذي جعل في المسجد للصدقات ورآه من حرث الدنيا اهـ (ومن) التصرفات في الوقف والتغيير له لغير ضرورة شرعية دعت الى ذلك ما يفعله بعضهم من حفر جدار المسجد حتى يعمل فيه موضعا كالخزانة الصغيرة يعمل فيها ما يختاره من شمعة أو كتاب أو غيرهما فعلى ما ذكر فقس كل ما يرد عليك مما أحدثوه في المسجد (ومن) هذا الباب الدكة التي يصعد عليها المؤذنون للاذان يوم الجمعة ولا ضرورة تدعو الى الاذان عليها بل هي أشد من الصناديق اذ يمكن نقل الصناديق ولا يمكن نقلها اذ ان السنة في أذان الجمعة اذا صعد الامام على المنبر أن يكون المؤذن على المنار كذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان رضي الله عنهم وكان المؤذنون ثلاثة يؤذنون واحدا بعد واحد ثم زاد عثمان بن عفان رضي الله عنه أذانا آخر بالزوراء وهو موضع بالسوق لما ان كثر الناس وأبقى الاذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنار والخطيب على المنبر اذ ذاك (ثم انه) لما ان تولى هشام ابن عبد الملك أخذ الاذان الذي فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه بالزوراء وجعله على المنار وكان المؤذن واحدا يؤذن عند الزوال ثم نقل الاذان الذي كان على المنار حين صعود الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم بين يديه وكانوا يؤذنون ثلاثة فجعلهم يؤذنون جماعة ويسترجعون قال علماؤنا رحمة الله عليهم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم أولى ان تتبع (فقد بان) ان فعل ذلك في المسجد بين يدي الخطيب بدعة وان أذانهم جماعة أيضا بدعة أخرى فتمسك بعض الناس بهاتين البدعتين وهما مما أحدثه هشام بن عبد الملك كما تقدم (ثم) تطاول الامر على ذلك حتى صار بين الناس كأنه سنة معمول بها فزادوا على الثلاثة المؤذنين أكثر من ثلاثة وثلاثة كما هو مشاهد فهذه بدعة ثالثة ثم أحدثوا الدكة التي يصعدون عليها ويؤذنون فهذه بدعة رابعة

وكل

وكل ذلك ليس له أصل في الشرع (هذا) ما هو من طريق النقل (وأما) ما هو من طريق المعنى فلأن الاذان انما هو نداء الى الصلاة ومن هو في المسجد لامعنى لندائه اذ هو حاضر ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء اذا كان النداء في المسجد (هذا) وجه (الثاني) ان الدكة التي أحدثوها ضيقة من غير حظير فقد تلتوي رجل أحدهم او يعثر فيقع فتنكسر وقد جرى ذلك فيكون مسئولا عن نفسه مع وجود آلمه (الثالث) انه لامعنى لما اذ المراد انما هو اسماع الحاضرين وهم لو اذنوا في الارض لأسمعوا من في المسجد وانما هي عوائد وقع الاستئناس بها فصار المنكر لها كأنه يأتي ببدعة على زعمهم فانا لله وانا اليه راجعون على قلب الحقائق لانهم يعتقدون ان ما هم عليه هو الصواب والأفضل ولو فعلوا ذلك مع اعتقادهم انه بدعة لكان أخف أن يرجى لأحدهم أن يتوب

(فصل) ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت الى أمر مخوف وهو وقوع الخلل في الصلاة (ألا ترى) انهم لما ان فعلوا الاذان في جماعة مضوا على ذلك في التبليغ في الصلاة والجماعة اذا بالغوا مشى بعضهم على صوت بعض مع رفع أصواتهم بالتكبير في الصلاة على ما يعلم من زعقات المؤذنين وذلك يذهب الحضور والخشوع او بعضه ويذهب السكينة والوقار أيضا (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم في صحة صلاة المسمع الواحد والصلاة به وبطلانها على أربعة أقوال تصح لا تصح الفرق بين ان يأذن الامام فتصح أولا يأذن فلا تصح والفرق بين أن يكون صوت الامام يعمهم فلا تصح أولا يعمهم فتصح (فاذا) كان هذا في تبليغ الواحد فما بالك في تبليغ الجماعة على صوت واحد كما سبق فأولى بجريان الخلاف في صحة صلاتهم وبطلانها بتبليغهم (وهذا) انما هو اذا أتوا كلهم بالتكبير كاملا في جميع الصلاة فلو كبر واحد من المسمعين التكبير كاملا في جميع الصلاة جرى في صلاته والصلاة به الخلاف السابق في المسمع الواحد الذي ليس معه غيره (هذا) ما لم يتعمد أن يمشي على صوت غيره فان مشى على صوت غيره فهي المسئلة الاولى (وأما) على ما يفعلونه اليوم من كونهم يتواكلون في التكبير ويديرونه بينهم ويقطعونه ويوصلونه وذلك ان بعضهم يبتدي التكبير فيقول

الله ويمد صوته ثم يبتدي الآخر من أثناء الكلمة نفسها واصلا صوته بصوت صاحبه قبل انقطاعه مبالغا في رفع صوته على سبيل العمد وفاعل هذا مرائي بالتكبير على وجهه (واذا) كان ذلك كذلك فهو شغل في الصلاة بزيادة غير شرعية ولا ضرورة شرعية فتبطل صلاتهم والحالة هذه من غير جريان الخلاف السابق (ويقع أيضا) بذلك التهويش والتشويش والتخليط سيما وهم لو أتوا به من غير تواكل أو توصيل وترديد لا تبطل صلاتهم أيضا من غير خلاف وذلك انهم يغيرون وضع التكبير لانهم يقولون آلله فيزيدون على الهمزة مدة وكذلك يصنعون في أكبر وبعضهم يزيد بعد الباء من أكبر الفا الى غير ذلك من صنيعهم (وان) أتى بعضهم بالتكبير كاملا فانه لا يفعل ذلك في جميع تكبيرات الصلاة (واذا) كان ذلك فحكمه حكم المسئلة المذكورة آنفا وهو البطلان (واذا) علم ذلك فيسري الخلل الى صلاة من صلى بتبليغهم لان من يريد أن يصلي خلف الامام لا يجوز له أن يقتدي الا باحد اربعة أشياء أولها وهو أعلاها أن يرى أفعال الامام فان تعذر ذلك فسماع أقواله فان تعذر ذلك فرؤية أفعال المأمومين فان تعذر ذلك فسماع أقوالهم فان تعذر فلا امامة (وفي هذا) نكتة أخرى وهي ان الامام اذا دخل في الصلاة بتكبيرة الاحرام كبروا خلفه اذ ذاك قبل أن يدخلوا في الصلاة ليسمعوا الناس بذلك فيعلموا بتكبيرهم ان الامام قد أحرم بالصلاة فمن أحرم من الناس حينئذ سرى الخلل الى صلاته من هذا الوجه أيضا لما تقدم ان الاقتداء لا يجوز الا باحد أربعة أشياء وهذا ليس بواحد منها (ثم) ان تبليغهم في الصلاة جماعة أدى الى مخالفة السنة لان السنة في الصلاة أن يكون المأموم تبعا للامام وفي حكمه وفي هذا الفعل يصير الامام في حكم المأموم لان المكبرين يطولون في التكبير ويمططونه والامام ينتظر فراغهم منه وحينئذ ينتقل الى الركن الذي يليه (وأفضى) تسميعهم جماعات أيضا الى مفسدة أخرى وهي ان الامام يكبر للركوع في بعض الاحيان ويركع فيكبرون خلفه ويطولون برفع أصواتهم عليه فيرفع رأسه من الركوع قبل أن ينقضي تكبيرهم ويأتي المسبوق فيكبر تكبيرة الاحرام ويركع ظنا منه ان الامام في الركوع بعد لكونه يسمع صوت المكبرين في الركوع فتفسد عليه صلاته وهو لا يشعر اذ

لو علم

لو علم ذلك لتدارك ما وقع لان تلك الركعة لم تصح له

(فصل) ومن هذا الباب أيضا الدكة التى تحت هذه الدكة التى يؤذنون عليها للجمعة والتعليل فيها ما تقدم فى المقاصير والصناديق وكذلك الدكة التى يسمعون عليها فى الصلوات الخمس والتعليل فيها كذلك (ثم العجب) كيف غاب عنهم أصل موضع الصلاة اذان الصلاة صلة بين العبد وربه واذا كانت صلة فمن شأنها كثرة التواضع وتمريغ الوجه على الارض والتراب ان أمكن ذلك فهو افضل واعلى فان تعذر ذلك فليكن على الحصير الغليظ (ومذهب مالك) رحمه الله ان الصلاة على الثوب الكتان لغير ضرورة مكروهة مع وجود الحصير وبهذه النسبة تكون الصلاة على ثوب القطن مكروهة اذا وجد الكتان والصلاة على الثوب الصوف مكروهة ان وجد القطن (فالحاصل) ان أعلى المراتب مباشرة الارض بالسجود ثم يليها الحصير الغليظ ثم ما هو وأرفع منه ثم الكتان الغليظ كذلك ثم القطن مثله ثم الصوف والمقصود أن المحل محل تواضع وتصاغر وذلة وخشوع وخضوع وفعل الدكة ينافى ذلك كله لان المصلى عليها يرتفع بها عن الارض ارتفاعا كثيرا ويصلى على الخشب وليس من جنس الارض فانا لله وانا اليه راجعون (فان) قال قائل انما جعلت الدكة للاذان للجمعة وللخمس ليسمع الناس (فالجواب) ان من كان خارج المسجد لا يسمع تبليغهم فى الغالب ومن كان فى المسجد فسواء كان المؤذنون على الدكة أو بالارض هم يسمعونهم غالبا (فان) قال قائل قد يكون الجامع كبيرا وفيه الجمع الكثير ولا يسمعهم المؤذن الواحد (فالجواب) انه لا فرق بين صوت الواحد والجماعة بل صوت الواحد فى الاسماع ابلغ لكونه يصوت أكثر ما يقدر عليه بخلاف ما اذا كان فى جماعة يبلغ معهم فانه يحتاج أن يوافقهم على أصواتهم (ولاجل) هذا المعنى يسمع المؤذن الواحد فى الشاهد على بعد ولا تسمع الجماعة الا فيما هو أقرب من ذلك فى الغالب (وفى) جوامع المغرب تجد فى الجامع الواحد أربعة مؤذنين واحد خلف الامام والثانى حيث ينتهى اليه صوت الاول والثالث حيث ينتهى اليه صوت الثانى ثم الرابع كذلك على هذا الترتيب وهؤلاء الاربعة حكمهم حكم المبلغ الواحد الذى وقع الخلاف المتقدم فيه والمشهور جوازه

وصحة صلاته والله تعالى أعلم

(فصل) ومن هذا الباب أيضا أعنى فى امساك مواضع فى المسجد وتقطيع الصفوف بها اتخاذ هذا المنبر العالى فانه أخذ من المسجد جزءا جيدا وهو وقف على صلاة المسلمين كفى به انه لم يكن من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ولا من فعل الخلفاء بعده واذا كان ذلك كذلك فهو من جملة ما احدث فى المساجد وفيه تقطيع الصفوف كما هو مشاهد فى هذه البلاد (قال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه كان عندهم ان تقدمة الصفوف الى فناء المنبر بدعة (وكان) الثورى رحمه الله يقول ان الصف الاول هو الخارج بين يدى المنبر انتهى (وأما) بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف لكن بقيت عندهم بدعتان احداهما كبر المنبر على ما هو هنا والثانية انهم يدخلون المنبر فى بيت اذا فرغ الخطيب من الخطبة وهذه بدعة الحجاج (ومنبر السنة) غير هذا كله كان ثلاث درجات لا غير والثلاث درجات لا تشغل مواضع المصلين (فان) قال قائل بل تشغل ولو موضعا واحدا (فالجواب) ان هذا مستثنى بفعل صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الحالات وما عداه فبدعة لانه لا ضرورة تدعو اليه (فان) قال قائل قد كثر الناس واتسع الجامع فاذا صعد الخطيب على المنبر وهو ثلاث درجات قل ان يسمع الخطبة الجميع أو أكثرهم فى الغالب (فالجواب) ان من كان على منبر عال هو الذى لا يسمعهم لكونه بعيدا عنهم فكأنه فى سطح وحده فلا يسمع من تحته وهذا مشاهد (الا ترى) ان الخطيب يخطب على هذا المنبر العالى وكثير من الناس لا يسمعونه واذا دخل فى الصلاة سمعوا قراءته أكثر من خطبته وما ذاك الا لكونه فى الصلاة واقفا معهم على الارض وفى حال الخطبة لم يكن معهم كذلك ولا يرد على هذا علو المنار للاذان وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى

(فصل) ومن هذا الباب أيضا البئر التى فى المسجد لانه سبب لأن يعمل المسجد طريقا لسببها حتى يدخل النساء اليها وقد يكون فيهن الحيض والمرأة الشابة وان كانت طاهرة والصغار ومن ينزه المسجد عن امثالهم ممن لم يتحفظ وقد امتنع بسببها مواضع فى المسجد للمصلين فيه كما تقدم فى غيره ولا ضرورة دعت الى البئر هناك لانها ليست بحلوة فينتفع بالشرب منها ولو كانت

كذلك لا تنفع الناس بالشرب من غير أن يتخذ المسجد طريقا (واذا) كان كذلك فلم يبق النفع بها الا الطهارة وغسل النجاسة وذلك ممنوع منه فى المسجد وقد وسع الله تعالى على الناس بالآبار حتى فى بعض الطرق فى غير المسجد فاما الآبار التى فى المساجد فلا ينقل الماء منها الى غيرها لان ذلك ذريعة الى اتخاذ المساجد طريقا كما تقدم اللهم الا أن تكون البئر قديمة وجاء من بنى المسجد هناك وترك البئر فى وسطه فان كان ذلك كذلك فالطريق الى البئر ليس بمسجد ولا يصح فيه الاعتكاف

(فصل) ومن هذا الباب موضع الفسقية والحظير الذى عليها وما عليها من الطبقة (وهى) لا تخلو اما أن تكون من المسجد أم لا فان كانت من المسجد فيمنع الوضوء منها وقد تقدم منع كشف العورة عند الفسقية فى المدارس وغيرها واذا كان ذلك كذلك فكشف العورة هنا أعظم فى المنع لحرمة هذا الموضع لكونه من المسجد سيما وبعض الناس يبول هناك ويستنجى (وان لم تكن) من المسجد فيمنع الوضوء أيضا لانهم يتوضؤن هناك فتمتلئ أقدامهم ويخرجون فيلوثون بها المسجد بيقين وذلك يمنع (وأما الطبقة) فان لم تكن من المسجد فالاعتكاف لا يصح فيها وان كانت من المسجد فلا تصح الجمعة فيها لكونها محجورة (وفى) موضع الفسقية مفسدة اخرى أكثر مما تقدم ذكره فى المقاصير لان بعض من لا خير فيه يصل بسبب ذلك الى ما يريده من أغراضه الخسيسة اذ انها أكثر سترا من المقاصير لانها فى مؤخر المسجد والغالب من الناس انهم يأتون الصف الاول وما قاربه فيبقى مؤخر المسجد فى الغالب خاليا سيما ان كان لبلاوهم لا يقعدون فى تلك الناحية الا قليلا

(فصل) وأما موضع الديوان فلا يخلو أيضا اما أن يكون من المسجد أم لا فان كان من المسجد فلا يجوز غلقه ولا تحجيره ولا جلوس أهل الديوان فيه وان كان من غير المسجد فلا يصح فيه الاعتكاف اذ ان من شرطه المسجد كما تقدم

(فصل) وينبغى له أن يغير ما أحدثوه من الزخرفة فى المحراب وغيره فان ذلك من البدع وهو من اشراط الساعة (ومن الطرطوشى) قال ابن القاسم

وسمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما عمل من التزويق فى قبلته فقال كره الناس ذلك حين فعله لانه يشغلهم بالنظر اليه (وسئل مالك) عن المساجد هل يكره أن يكتب فى قبلتها بالصبغ مثل آية الكرسى وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوها فقال اكره أن يكتب فى قبلة المسجد شئ من القرآن والتزويق وقال ان ذلك يشغل المصلى انتهى (وكذلك) ينبغى له أن يغير ما أحدثوه من الصاق العمد فى جدار القبلة وفى الاعمدة أو ما يلصقونه أو يكتبونه فى الجدران والاعمدة (وكذلك) يغير ما يعلقونه من خرق كسوة الكعبة فى المحراب وغيره فان ذلك كله من البدع لانه لم يكن من فعل من مضى (واما التخليق) بالزعفران فى المسجد فهو جائز اذ أنه من الطيب لكن قد قال مالك رحمه الله ان الصدقة بثمن ذلك أفضل و يجوز تخليقه بشرط أن لا يفعل ذلك الا من يجوز له دخول المسجد حذرا من ان تدخله حائض بسبب ذلك أو امرأة طاهرة تخالط الناس فى موضع مصلاهم وهى ممنوعة من ذلك

(فصل) و ينبغى له أن يغير ما أحدثوه من التآزير فى جدران المسجد لانه من باب الزخرفة أيضا ولانه لا يمكن ذلك الا بمسامير أو ما يقوم مقامها من أوتاد وغيرها وذلك لا يجوز فى الوقف الا لضرورة شرعية مثل أن يكون جدار المسجد فيه سباخ أو شئ يلوث ثياب المصلين فيغتفر ذلك لاجل هذه الضرورة (ومنع) دق المسامير وما تقدم لا يختص بالمسجد وحده بل هو حكم شائع فى كل وقف (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من الفقهاء اذا دخلت لاحدهم بيته فى المدرسة تجد كل ماله من كتب واثاث بالارض خشية مما ذكر من تسمير مسامير يضع عليها شيئا من عمامة أو غيرها (وكذلك) يمنع مما ذكر من كان ساكنا فى موضع وقف بكراء او غيره فلا يجوز له شئ من ذلك فيه ولو اذن له الناظر فى ذلك فلو كان البيت ملكا لغيره جاز له ذلك بعد الاذن فيه من المالك فان لم يأذن له لم يجز

(فصل) فانظر رحمنا الله و اياك الى مقتضى ما تقدم ذكره فكيف يمكن ان يسمر فى المسجد المسامير الكبار والاوتاد و يقتطعون من المسجد مواضع يمنعونها من غيرهم ويسكنون فيها دائما و ينامون فيها و يقومون وقد يجنب

أحدهم ليلا فلا يمكنه الخروج من المسجد فيجلس في المسجد وهو جنب وذلك محرم ولا نكير في ذلك ولا من يغير بعضه فانا لله وانا اليه راجعون وفاعل ما ذكر مصر على معصية مقيم عليها ولو تاب بقلبه ولفظه حتى يفارقها فكيف يزار أو يتبرك به مع هذه الجرحة لانه غاصب لمواضع المصلين في كل وقت ما دام مقيما على ذلك حتى ان بعضهم اذا خرج من المقصورة أغلقها على متاعه وأخذ المفتاح معه حتى كأنها بيت أبيه أو جده (وقد) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم في المبيت في المسجد للغرباء اذا اضطروا اليه فذهب مالك رحمه الله الى أن ذلك يجوز في البادية ولا يجوز في الحاضرة وأعني بالبادية التي ليس فيها بناء يأوي اليه وأما بلاد الريف فانه يوجد فيها مواضع غير المسجد فلم تدع الضرورة الى المبيت في المسجد

(فصل) فان قال قائل ان المسجد لا يمتلئ بالناس حتى يحتاجوا لتلك المواضع التي أحدثوا فيها ما احدثوا (فالجواب) ان ما أجمع عليه المسلمون من المساجد المهجورة لا يجوز سكناها ولا اجارتها ولا احتكارها فاذا كان ذلك كذلك فما نحن بسبيله من باب أولى والله الموفق

(فصل) ومن هذا الباب أيضا ما أحدثوه في سطوح المسجد من البيوت وذلك غصب لمواضع المسلمين في المسجد واحتكار لها واحداث في الوقف لغير ضرورة شرعية وفيه من المفاسد ما تقدم ذكره من أمر المقيمين في المسجد وغصبهم لتلك المواضع التي سكنوها بل هذا أشد لان تلك البيوت التي في السطوح مؤبدة للسكنى بخلاف ما تقدم ذكره وفيه مع ما ذكر من المفاسد الاقامة في المسجد وقد يكون جنبا كما سبق في حق من تقدم ذكره (وقد كان) بعض القضاة لما ان تولى وهو والله اعلم المعروف بابن بنت الاعز جاء الى سطوح الجامع بمصر في جماعة وهدم البيوت المحدثة عن آخرها ولم يسأل لمن هذا البيت ولا لمن هذه الثياب بل أخذ ما وجد من ذلك وغيره ورماه في صحن الجامع ومشى الامر على ذلك مدة من الزمان طويلة ثم أحدثوها أيضا ما لم يجد وامن ينهاهم عن ذلك ولا من يتكلم فيه (وصلاة) الجمعة فيها وفي غيرها من سطوح المسجد لا تصح على مذهب مالك رحمه الله لان من شرط الجمعة الجامع المسقوف ومن صفة المسجد أن يدخل بغير اذن وأن

يكون جميع الناس فيه سواء وسطوح المسجد ليس كذلك فانه محجور على بعض الناس ولا تصح الجمعة فيما هو كذلك كما لا تصح في بيت القناديل لاشتراكهما في التحجير على بعض الناس دون بعض كما تقدم ولو قدرنا أن السطوح ليست بمحجورة على أحد فالحكم في مذهب مالك رحمه الله للغالب والغالب أنها محجورة على بعض الناس دون بعض كما تقدم بيانه

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم الوضوء في سطح المسجد ومن كان ساكنا في سطوحه فانه يتوضأ فيه للضرورة كما يشاهد من عوائدهم فيه وذلك ممنوع لا شك فيه كما لا يتوضأ في داخل المسجد لان حرمة سطحه كحرمته (وقد اختلف) علماؤنا رحمة الله عليهم في الخطيب اذا أحدث في أثناء خطبته أو بعد فراغه منها هل يجوز له أن يتوضأ في المسجد فروى عن ابن القاسم أنه لا بأس أن يتوضأ في صحنه وضوء طاهر وكره مالك رحمه الله ذلك وان كان في طشت ومن يتوضأ في السطوح أو في البيوت التي فيها فانما يتوضأ فيما هو داخل المسجد وذلك كله ممنوع (وقد ترتبت) على بناء البيوت في سطوح المسجد مفاسد جملة (فمنها) ان بعض الناس ممن يعتكف في البيوت التي فوق سطوح المسجد تجدهم أول شهر رمضان أو في آخر شعبان يتقدمه الفرش والغطاء والوطاء وما يحتاج اليه في بيته مما يمنع فعله في المسجد (وقد) منع مالك رحمه الله أن يأتي الرجل بوسادة في المسجد يتكئ عليها أو بفروة يجلس عليها وأنكر ذلك وقال تشبه المساجد بالبيوت

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم المراوح اذ أن اتخاذها في المسجد بدعة ثم ان بعضهم الغالب عليهم اليوم زيارة المعتكف في معتكفه وكثرة الكلام في المسجد واللغط فيه (وقد ورد) ان ذلك يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم اذا اعتكفوا لا يأتيهم أحد حتى يخرجوا من اعتكافهم اذ أن حال المعتكف يدور بين صلاة وتلاوة وفكر وذكر وغير ذلك فليس بمشروع له كالصلاة على الجنازة ومدارسة العلم ان كان يمشي اليه وأما ان غشيه في مجلسه وهو يسمعه فلا بأس به هذا على مذهب مالك رحمه الله (وأما) النوم الخفيف فهو مستثنى لضرورة البشرية (وكذلك) ينبغي ان يمنع ما أحدثوه فيما يأتون به لفطورهم

فتجد الروائح التى لأطعمتهم يشمها الفقراء والمساكين حين يؤتون بها عند الغروب والناس اذذاك فى المسجد ينتظرون صلاة المغرب فتبقى نفوسهم اذذاك مشتهية لذلك الطعام وأعينهم فيه سيما اذا دخلوا به من باب السطوح الذى فى القبلة فانه أكثر فى هذا الباب من غيره ثم مع ذلك فى سطوح المسجد من الفقراء المحتاجين كثير ويتأذون بتلك الروائح كثيرا ويخاف على فاعل ذلك اما عاجلا واما آجلا والمعتكف انما دخل لاعتكافه لزيادة الفضل وهذا ضده فليتحفظ من هذا كله والله الموفق (فهذا الكلام) على بعض المواضع التى وقعت فيها مخالفة السنة كما تقدم ذكره ثم نرجع الآن الى بقية ما أحدثوه فى بعض الجوامع (فمن ذلك) السبحة التى أحدثوها وعملوا لها مسند وقات تكون فيه وجامكية لقيمها وحاملها والذاكرين عليها وهذا كله مخالف للسنة المطهرة ولما كان عليه السلف رضى الله عنهم وقد تقدم ذكر حالهم فى الذكر كيف كان ثم ان بعض من اقتدى بمن أحدثها زاد فيها حدثا آخر وهو ان جعل لها شيخا يعرف بشيخ السبحة وخادما يعرف بخادم السبحة الى غير ذلك وهى بدعة قريبة العهد بالحدوث فينبغى لامام المسجد ان يتقدم الى ازالة كل ما تقدم ذكره على قدر استطاعته مع ان هذا متعين على سائر المسلمين لكن فى حق الامام آكد لان المسجد من رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والله الموفق

مطلب السبحة

(فصل) وقد تقدم فى آداب المتعلم انه لا يجلس لقاص ولا لسماع قراءة الكتب التى تقرأ وليس هناك شيخ يبين ما يشكل على السامع منها ويتعين عليه بيان ذلك وان لم يسئل عنه وهذا فى حق امام المسجد آكد اذ انه راع عليه كما تقدم فيمنع من ذلك جهده سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعض الناس فى هذا الوقت وهو ان يجتمع اليه الناس لسماع الكتب فيه ثم تاتى النساء أيضا لسماعها فيقعد الرجال بمكان والنساء قبالتهم سيما وقد حدث فى هذا الوقت ان بعض النساء يأخذهن الحال على ما يزعمن فتقوم المرأة وتقعد وتصيح بصوت ندى وتظهر منها عورات لو كانت فى بيتها لمنعت فكيف بها فى الجامع بحضرة الرجال فنشأ عن هذا مفاسد جملة وتشويشات لقلوب بعض الحاضرين خفاء والبعض جهرا وفساد عليهم بالقص أسأل الله

السلامة عنه

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما أحدثوه من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة الجمعة بل زاد بعضهم في هذا الوقت فعل ذلك بعد الصلوات الخمس وذلك كله من البدع وموضع المصافحة في الشرع انما هو عند لقاء المسلم لاخيه لا في ادبار الصلوات الخمس وذلك كله من البدع فحيث وضعها الشرع نضعها فينهى عن ذلك ويزجر فاعله لما أتى من خلاف السنة

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما يدخله بعض الناس الى المسجد حين اتيانهم بالميت الى الصلاة عليه فيه من القراء والفقراء الذاكرين والمكبرين والمريدين اذ أن ذلك كله من البدع في غير المسجد فكيف به في المسجد ولان ذلك يشوش على المتنفل والتالي والذاكر والمتفكر والمسجد انما بني لهؤلاء دون غيرهم (وقد استفتي) الامام النووي رحمه الله فقيل له هذه القراءة التي يقرؤها بعض الجهال على الجنائز بدمشق بالتمطيط الفاحش والتغني الزائد وادخال حروف زائدة وكلمات ونحو ذلك مما هو مشاهد منهم هل هو مذموم أم لا (فاجاب) بما هذا لفظه هذا منكر ظاهر مذموم فاحش وهو حرام باجماع العلماء وقد نقل الاجماع فيه الماوردي وغير واحد وعلى ولي الامر وفقه الله زجرهم عنه وتعزيرهم واستتابتهم ويجب انكاره على كل مكلف تمكن من انكاره انتهى (واذا) كان كذلك فيتعين منع ذلك كله مع ان الصلاة على الميت في المسجد تمنع في مذهب الامام مالك رحمه الله لو كانت سالمة لقوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شئ له أخرجه أبو داود في سننه وهذا الذي خرجه أبو داود يقويه عمل السلف المتصل بل لو انفرد العمل لكان كافيا في منعه في المسجد والله الموفق (ثم انهم) يؤخرون الصلاة على الميت ودفنه حتى يفرغ الامام من خطبته وصلاته ان كان في الجمعة وان كان في غيرها فينتظرون به انقضاء تلك الصلاة التي تكون (وقد) وردت السنة ان من اكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه (وقد كان) بعض العلماء رحمه الله ممن كان يحافظ على السنة اذا جاؤا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويامر أهله أن يخرجوا الى دفنه ويعلمهم أن الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه

فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة فلو كان العلماء ماشين على ما مشى عليه هذا السيد لانسدت هذه الثلمة التي وقعت وهي ان من احدث شيئا سكت له عليه فتزايد الامر بذلك فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان مع ما ذكر ترتبت مفاسد على كون الميت يصلى عليه في المسجد (الاترى) ان الغالب على بعضهم يأتون بالميت الى المسجد في زحام من الوقت فيجدون المسجد قد امتلأ بالناس فيدخل الحاملون له وهم حفاة قد مشوا باقدامهم على النجاسات على ما يعلم في الطرقات في هذا الوقت ثم يدخلون المسجد على ذلك الحال من غير ان يمسحوا أقدامهم او يحكوها بالارض فيتخطون رقاب الناس بتلك الاقدام ويمشون بها على ثيابهم وقد يتنجس بعض المسجد وثياب من مشوا عليه بذلك (وهذا الموضع) مما وقع عليه النص من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه في فاعل ذلك أنه مؤذ قال عليه الصلاة والسلام للذي تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اجلس فقد آذيت هذا وجه (الوجه الثاني) ان الغالب على بعضهم انه يكون قدمه في جزمته فاذا تحرك تحرك القدم بحركته وينحك بعضه في بعض فان كانت فيه نجاسة وهو الغالب وقعت في المسجد فيصلي الناس عليها فتبطل صلاتهم بذلك (الوجه الثالث) ان موضع سرير الميت يمسك مواضع للمصلين وذلك غصب لهم لان الموضع وقف على المصلين وهم لاحاجة لهم به كلية الا في وقت الصلاة المكتوبة سيما اذا كانت صلاة الجمعة فيتأكد تعيين الغصب في ذلك (الوجه الرابع) ان الغالب على بعض الموتى أن يبقى فيهم شئ من الفضلات والميت لا يمسك ذلك وقد تخرج في المسجد والنجاسة في المسجد ممنوعة (الوجه الخامس) رفع صوت الحاملين على ما يعلم منهم عند ارادة الصلاة على الميت وبعدها حين خروجهم مما لم يرد به الشرع فينتهكون بذلك حرمة المسجد الى غير ذلك وهو كثير متعدد لان مخالفة السنة لاتأتي بخير والخير كله في الاتباع له عليه الصلاة والسلام في الدقيق والجليل (وسئل مالك) عن الجنائز يؤذن بها على أبواب المساجد فكره ذلك وكره أن يصاح خلفه باستغفروا له يغفر الله لكم وأفتوا في ذلك بالكراهة (قال) ابن القاسم سألت مالكا عن الجنازة يؤذن بها في المسجد بصياح قال لاخير فيه

وكرهه وقال لا ارى باسا ان يدار فى الحلق و يؤذن الناس بها ولا يرفع بذلك صوت (قال القاضى) ابو الوليد بن رشد رحمه الله فى البيان والتحصيل أما النداء بالجنائز فى داخل المسجد فلا ينبغى ولا يجوز باتفاق لكراهة رفع الصوت فى المسجد فقد كره ذلك حتى فى العلم وأما النداء بها على أبواب المسجد فكرهه مالك ورآه من النعى المنهى عنه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والنعى فان النعى من عمل الجاهلية والنعى عندهم أن ينادى فى الناس ألا ان فلانا قد مات فاشهدوا جنازته وأما الايذان بها والاعلام من غير نداء فذلك جائز باجماع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المرأة التى توفيت ليلا أفلا آذنتمونى بها وقد روى عن حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه أنه قال اذا أنا مت فلا تؤذنوا بى أحدا انى أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعى وبالله التوفيق اه (فان) قال قائل ان النجاسة لا تخرج من الميت فى المسجد لما يفعلونه من سد مخارجه وارسال القطن معه (فالجواب) أن فى فعل هذا محرمات أخر منها هتك حرمة المؤمن بعد موته ولا فرق فى ذلك بين حياته وموته لانهم يرسلون معه القطن فى فمه ويدخلونه الى حلقه ويرسلونه معه بعود أو غيره حتى يملؤا حلقه بالقطن وينزل ذقنه الى أسفل ويطلع أنفه الى فوق و يملؤن فمه وشدقيه بالقطن فيبقى مثلة للناظر وكذلك يفعلون فى أنفه فيرسلون فيه القطن حتى يتعاظم أنفه ثم يفعلون فعلا قبيحا فيرسلون القطن فى دبره بعود أو غيره وهذا فعل قبيح شنيع لان ذلك حرام فى حياته فكذلك بعد موته (ووجه آخر) وهو أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه أمرنا بغسل الميت اكراما للقاء الملائكة فى القبر وهم يفعلون به ما ذكر فاذا جاؤا به الى القبر اخرجوا ذلك منه فيخرج القطن وهو ملوث بالفضلات فى الغالب ويبقى الفم مفتوحا لا يمكن غلقه ثم ان ما يخرج منه فى الغالب له رائحة كريهة والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم وهم يبقون ذلك معه فى قبره فى الغالب فذهب بذلك المعنى الذى لاجله أمرنا الشارع عليه الصلاة والسلام بفعله وهو الاكرام بغسله للقاء الملائكة (ثم العجب) فى كونهم يأتون بماء الورد فيسكبون ذلك عليه فى القبر وهذه أيضا بدعة اخرى

لان

لأن الطيب انما شرع فى حق الميت بعد الغسل لا فى القبر فكيف يجتمع طيب ونجاسة

(فصل) وينبغى له أن يمنع من يرفع صوته فى حال الخطبة وغيرها فى المسجد لان رفع الصوت فى المسجد بدعة (للورد) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وجمروها أيام جمعكم واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم اه (وقد كثر) رفع الاصوات والخصومات فى المساجد فى هذا الزمان حتى ان الخطيب لا يسمع منه ما يقول لكثرة غوغائهم اذ ذاك (وكذلك) ينبغى له أن يغير عليهم ما أحدثوه من التصفيق فى حال الخطبة اذ أن ذلك فعل قبيح وليس ذلك من فعل الرجال لقوله عليه الصلاة والسلام وانما التصفيق للنساء وهذا كله سببه السكوت عما احدث فى الدين (وقد روى) أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر الجمعة ثلاث نفر فرجل حضرها بلغو فذلك حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله ان شاء أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة الى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك ان الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اه (وينبغى له) أن يغير ما أحدثوه من تفريق الربعة حين اجتماع الناس لصلاة الجمعة فاذا كان عند الاذان قام الذى فرقها بالجمع ما فرق من تلك الاجزاء فيتخطى رقاب الناس بسبب أخذها منهم (وهذا) فيه محذورات جملة (منها) ان ذلك مخالف للسلف رضوان الله عليهم اذ انه لم يرد عن أحد منهم أنه فعل ذلك (الوجه الثانى) ان فيه تخطى رقاب الناس حين ارتصاصهم لانتظار صلاة الجمعة لغير ضرورة شرعية وقد تقدم النهى عن ذلك وان فاعله مؤذ وقد ورد ان كل مؤذ فى النار (الوجه الثالث) أنه قد يعطى الختمة لمن لا يحسن ان يقرأ فقد يحصل له خجل بسبب ذلك وهذه أذية وصلت على يده لمسلم كان عنها فى غنى (الوجه الرابع) أنه قد ينسى بعض الاجزاء فلا يأخذه فيضيع على الوقف (الوجه الخامس) انه قد يأخذه بعض الناس ويكتمه

مطلب التصفيق

مطلب تفريق الربعة

التساهلهم فى الوقف فقد يخفى ويختار أن يختص هو بمنفعته فى بيته اما لنفسه اولولده أوغيرذلك فيذهب على الوقف (الوجه السادس) انه قد يأتى عليه فى بعض الاحيان انه يكون مشغولا فى جمع ثلاث الاجزاء والخطيب اذذاك يخطب فيقع الكلام والمراجعة بسبب جمعها فى حال الخطبة (وينبغى له) أن ينهى الناس أن يقفوا تحت اللوح الاخضر للدعاء وكذلك عند أركان المسجد اذ أن ذلك بدعة ممن فعله (وينبغى له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من ارسال البسط والسجادات وغيرها قبل أن يأتى أصحابها (وقد تقدم) ما فى ذلك من القبح ومخالفة السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فأغنى ذلك عن اعادته والله الموفق (وينبغى له) أن ينهى من يقرأ الاعشار وغيرها بالجهر والناس ينتظرون صلاة الجمعة أوغيرها من الفرائض لانه موضع النهى لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن انتهى (ولا) يظن ظان ان هذا انكار لقراءة القرآن بل ذلك مندوب اليه بشرط أن يسلم من التشويش على غيره من المصلين والذاكرين والتالين والمتفكرين وكل من كان فى عبادة (والحاصل) ان ذلك يمنع فى المسجد المطروق مطلقا وان لم يكن فيه أحد لانه معد ومعرض لما تقدم ذكره من العبادات المقصود بها واما ان كان فى مسجد مهجور وليس فيه غير السامعين اوفى مدرسة اورباط اوبيت فذلك مندوب اليه بحسب الحال بشرط ان لا يكون ثم غير السامعين كما تقدم فان كان ثم غيرهم فيمنع لاحتمال ان يكون ثم من يدرس او يطالع او يصلى او يأخذ راحة لنفسه فيقطع عليه ماهو بصدده وقد تقدم ماورد فى الحديث لاضرر ولاضرار اه (هذا) اذا سلم من الزيادة اوالنقصان مثل أن يمد المقصور او يقصر الممدود او يشدد موضع التخفيف اوعكسه او يظهر موضع الادغام اوعكسه او يظهر موضع الاخفاء الى غير ذلك وان لا يصل بالعشر آية اخرى غير متصلة به لان ذلك تغيير للقرآن فى الظاهر عن نظمه الذى اجمعت عليه الامة (وينبغى له) ان ينهى عن قراءة الاسباع سيما التى فى المسجد لما تقدم من ان المسجد انما بنى للمصلين والذاكرين وقراءة الاسباع فى المسجد مما يشوشون بها لما ورد فى الحديث لاضرر ولاضرار فأى شئ كان فيه تشويش منع والله الموفق

مطلب
ارسال البسط والسجادات

مطلب
قرآءة الاعشار

مطلب
قرآءة الاسباع

مطلب الذاكرين جماعة

الموفق (وينبغى له) أن ينهى الفقراء الذاكرين جماعة فى المسجد قبل الصلاة أو بعدها أو فى غيرهما من الاوقات لما تقدم من منع ذلك فى أول الكتاب (وينبغى له) أن يمنع من يسأل فى المسجد لما ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من سأل فى المسجد فاحرموه ومن كتاب القوت قال ابن مسعود اذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه انتهى والمسجد لم يبن للسؤال فيه وانما بنى لما تقدم ذكره من العبادات والسؤال يشوش على من يتعبد فيه (وينبغى له) أن ينهى عن الاعطاء لمن يسأل فيه لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام فاحرموه ولان اعطاءه ذريعة الى سؤاله فى المسجد (وينبغى له) أن يمنع السقائين الذين يدخلون المسجد وينادون فيه على من يسبل لهم فاذا سبل لهم ينادون غفر الله لمن سبل ورحم من جعل الماء للسبيل وما أشبه ذلك من ألفاظهم ويضربون مع ذلك بشئ فى أيديهم له صوت يشبه صوت الناقوس وهذا كله من البدع ومما ينزه المسجد عن مثله (وفى) فعل ذلك فى المسجد مفاسد جملة (منها) ما تقدم ذكره من شبه الناقوس (ومنها) رفع الصوت فى المسجد لغير ضرورة شرعية (ومنها) البيع والشراء فى المسجد لأن بعضهم يفعل ما ذكر وبعضهم يمشى يخترق الصفوف فى المسجد فمن احتاج أن يشرب ناداه فشرب وأعطاه العوض عن ذلك وهذا بيع بين ليس فيه واسطة تسبيل ولا غيره سيما والمعاطاة بيع عند مالك رحمه الله ومن تبعه (ومنها) تخطى رقاب الناس فى حال انتظارهم للصلاة (ومنها) تلويث المسجد لانه لابد أن يقع من الماشى فيه وان كان طاهرا الا أنه يمنع فى المسجد على هذا الوجه وقد تقدم مشى بعضهم حفاة ودخولهم المسجد بتلك الاقدام النجسة وما فى ذلك من المحذور كما تقدم ذكره وقد تقدم أيضا ما يفعلونه فى المسجد فى ليلة الاسراء وليلة النصف من شعبان ووقود القناديل وغيرها وما فى ذلك مما لا ينبغى وكذلك ما يفعل فى ليلة الختم فى أواخر شهر رمضان مبسوطا فى مواضعه فليلتمس هناك (وأما) البيع والشراء فى المسجد فقد عمت به البلوى بجهل الجاهل وسكوت العالم حتى صار الامر الى جهل الحكم فيه واستحلت العوائد حتى ان أم القرى مكة التى لها من الشرف ما لها

مطلب السؤال

مطلب السقائين

يبيعون و يشترون في مسجدها والسماسرة ينادون فيه على السلع على رءوس الاشهاد و يسمع لهم هناك أصوات عالية من كثرة اللغط ولا يتركون شيئا الا يبيعونه فيه من قماش و عقيق ودقيق وحنطة وتين ولوز واكروعود أراك وغير ذلك وعلى هذا الا يستاك من له ورع بعود الا راك وان كان من السنة لانهم انما يبيعونه في المسجد اللهم الا أن يعلمه من يأتيه به انه اشتراه خارج المسجد فيستاك به حينئذ والله الموفق (وينبغي له) أن ينهى عن تعليق القناديل المذهبة ووقودها والتزيين بها لان ذلك من باب زخرفة المساجد وذلك من أشراط الساعة كما تقدم وفيه السرف وهو محرم اذ ان الذهب لا يستعمل الا في تحلية النساء وفي تحلية المصحف والسيف واختلف في المنطقة وغير ذلك ممنوع (وينبغي له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من مشيهم في المسجد لقضاء حوائجهم ولهم طريق سواه وان كانت أبعد منه واتخاذ المسجد طريقا من أشراط الساعة وها هو ذا قد شاع وكثر وقل ان تجد جامعا الا وقد اتخذوه طريقا وقل من ينهى عن ذلك ولو قدرنا ان أحدا نهى عنه لا ستحمقوه وقد يتأذى بسبب ذلك فانا لله وانا اليه راجعون (وينبغي له) أن يمنع النساء اللاتي يدخلن الجامع ويجلسن فيه لانتظار بيع غزلهم ويدخل المنادي اليهن ومعه الغزل فيكلمهن في الجامع ويشاورهن على ثمن ذلك فمن رضيت منهن تقول قد بعت وذلك بيع في المسجد لان المنادي صار اذ ذاك كالوكيل و يقع بذلك كثرة الكلام والزيادة والنقصان في المسجد و يجتمع بسبب ذلك في المسجد من في قلبه مرض ويجد السبيل الى ما سولت له نفسه من الاغراض الخسيسة وبعضهن يكون معها الاولاد الصغار وقد يبولون في المسجد وقد رؤي ذلك عيانا (وينبغي له) أن يمنع النساء اللاتي يأتين للمحاكمات في المسجد ويدخلن اليه لانتظار ما يريدونه ويدخل اليهن الوكلاء والرجال والازواج وتكثر الخصومات وترتفع الاصوات كما هو مشاهد مرئي والقاضي بمعزل عنهم خارج المسجد وقد تقدم ما في ذلك من المفاسد فيمنع من هذا كله وفي الاشارة ما يغني عن العبارة والله المستعان (وينهى) الناس عما يفعلونه من الحلق والجلوس جماعة في المسجد للحديث في أمر الدنيا وما جرى لفلان وما جرى على فلان وقد تقدم ما ورد في الحديث

مطلب تعليق القناديل

مطلب جعل المسجد طريقا

مطلب بيع الغزل

مطلب المحاكمات

مطلب الحديث في أمر الدنيا

من ان الكلام فى المسجد بغير ذكر الله تعالى يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فينهاهم ويفرق جمعهم (وقد) ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم من حاجة (وروى) عنه أيضا عليه الصلاة والسلام انه قال اذا أتى الرجل المسجد فأكثر من الكلام تقول له الملائكة اسكت ياولى الله فان زاد تقول اسكت يابغيض الله فان زاد تقول اسكت عليك لعنة الله (وانما) يجلس فى المسجد لما تقدم ذكره من الصلاة والتلاوة والذكر والتفكر أو تدريس العلم بشرط عدم رفع الاصوات وعدم التشويش على المصلين والذاكرين (وأما) فى غير المسجد فيجتمع جماعة ويجوز جهرا بشرط عدم التشويش على غيره (وهذا النوع) مما عمت به البلوى حتى فى المساجد الثلاث فقد كثر فيها الحديث والقيل والقال ورفع الاصوات سيما فى أيام الموسم فتجد رفع الاصوات عند قبر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم والحديث الكثير بحيث المنتهى حين أوقات الزيارة له عليه الصلاة والسلام (وكذلك) فى قضاء المناسك فى الحج تجد لهم غوغاء حتى كأنهم قط ماهم فى عبادة (وكذلك) تجدهم فى المسجد الاقصى على ماعلم من عوائدهم فيه من الوقوف يوم عرفة والنفور عند الغروب وذلك بدعة ممن فعله لان البيت المقدس لم يحج اليه أحد قط ولا فرضه الله فيه وما كان الحج من عهد آدم عليه الصلاة والسلام الى النبى عليه الصلاة والسلام الا البيت الله الحرام وعرفة ومنى والمناسك المشهورة المعروفة ولم يكن فى المسجد الاقصى الا الصلاة الى الصخرة فهى القبلة التى كانت ثم حولت الى البيت الحرام (فالوقوف) بالمسجد الاقصى ليس فيه اقتداء بالماضين ولا بالمتأخرين لما ذكر (على أنه) لوحج اليه قبل هذه الشريعة المحمدية لم يجز أن يفعل ذلك فيه اليوم كما أنه لا تجوز الصلاة الى الصخرة بعد نسخها (وقد شذ) بعض الناس فقال بجواز الوقوف فيه بمعنى أنه مثاب لا أنه يجزئ عن الحج المشروع وهو قول لا يرجع اليه لما تقدم بيانه فافهمه (ومما) أحدثوا فيه ما يفعلونه ليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب فيسمع لهم صياح وهرج وبدع كثيرة حين صلاة الرغائب وأول ماحدثت هذه

البـدع فى المسجد الاقصى ومنه شاعت فى الاقاليم على مانقله الامام الطرطوشى رحمه الله فى كتاب الحوادث والبـدع له فاذا كان الامام ينهى عن ذلك أو يتكلم فيه كما تقدم ذكره لا تحسمت المادة أو بعضها والله الموفق (وينهى) من يقعد فى المسجد لتفلية ثيابه سيما فى أيام البرد يقعدون فى الشمس ويفلون ثيابهم وهذا لايحل اجماعا لان جلدة البرغوث الذى خالط الانسان نجسة وجلدة القملة نجسة مطلقا وهم يلقون ذلك فى المسجد بعد قتله ولوفرضنا أن أحدا منهم يجمعه ويلقيه خارج المسجد فذلك لايجوز لان قتلها فى المسجد يمنع وان لم يلقها فيه اذ أنه حامل للنجاسة فى المسجد من حين قتلها الى حين القائها خارج المسجد لغير ضرورة شرعية (ومن الطرطوشى) وكره مالك قتل القملة ورميها فى المسجد ولا يطرحها من ثوبه فى المسجد ولا يقتلها بين النعلين فى المسجد انتهى (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم فى المصلى اذا أخذ قملة وهو فى الصلاة فلا يجوز له أن يلقيها فى المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قتلتم فأحسنوا القتلة (واذا) رماها فى المسجد وهى بالحياة فاما أن تموت جوعا او تضعف وكلاهما عذاب لها وليس ذلك من حسن القتلة وشان من وقع له ذلك أن ينقلها لمكان آخر من بدنه أو ثوبه أو يربطها فى طرفه حتى يخرج من المسجد (وأما) البرغوث اذا أخذه وهو فى الصلاة فانه يلقيه فى المسجد من غير أن يقتله لان البرغوث لا يقعد بمكان واحد بل ينتقل فى الغالب وربما خرج من المسجد هذا وجه (الوجه الثانى) انه لو بقى فى المسجد فانه يأكل من التراب لانه منه خلق و يعيش فيه بخلاف القملة فانها خلقت من دم الانسان (وقد حكى) عن سيدى حسن الزبيدى رحمه الله أنه خرج يوما مع أصحابه الى بستانه فلما ان كان فى أثناء الطريق رجع الى بيته وأمر أصحابه أن يذهبوا الى البستان فسألوه عن سبب رجوعه فقال كان على قميص نسيته فى البيت وفيه دواب نخفت أن يموتوا جوعا فرجعت اما ان أقتلهم واما أن ألبسه (وهذا الامر) قد كثر وفشا سيما فى المسجد الاقصى فترى الغرباء يأتون اليه بدلوق تغلى قملا فيجردونها عنهم ويلقونها فى المسجد فتحس بحرارة الشمس فتخرج من الثوب وتموت بحر الشمس ثم ينفض أحدهم دلقه ويلبسه وتبقى الدواب كلها ميتة فى المسجد فاذا كان

مطلب
تفلية الثياب

امام المسجد ينهى عن هذا وأمثاله تنبه الناس اليه وتركوه وغيروه على من فعله والله الموفق (وينهى) الناس عما أحدثوه من الاكل فى المسجد سيما ان كان من المطبوخ بالبصل أو الثوم أو الكراث وأما ان كان نيئا فهو موضع النهى سواء بسواء والاكل فى المسجد فى مذهب مالك رحمه الله لا يسامح فيه الا الشئ الخفيف كالسويق ونحوه (ومن الطرطوشى) سئل مالك رحمه الله عن الاكل فى المسجد فقال اما الشئ الخفيف مثل السويق ويسير الطعام فارجو أن يكون خفيفا ولو خرج الى باب المسجد كان أعجب الى وأما الكثير فلا يعجبنى ولا فى رحابه (وقال) فى الذى يأكل اللحم فى المسجد أليس يخرج اغسل يده قالوا بلى قال فليخرج ليأكل انتهى (وقد) كره مالك رحمه الله ما هو أخف من هذا وهو الكلام بغير لسان العرب فى المسجد فقال وأكره أن يتكلم بالسنة العجم فى المسجد قال وانما ذلك لما قيل فى السنة الاعاجم انها خب قال ولا يفعل فى المسجد شئ من الخب قال وهو وان يحسن العربية أشد اه (وهذا) الامر اليوم قد كثر وشاع حتى ان القومة ليخرجون من المسجد فى كل يوم صحافا كثيرة وأوراقا وغير ذلك من كثرة ما يؤكل فى المسجد ويجتمع بسبب ذلك الذباب والخشاش ويكثر القطاط ويرون ان اطعامهم الطعام من باب الحسنات فتكثر القطاط فى المسجد فاذا أكل أحد فى المسجد اجتمعت عليه القطاط فى المسجد بسبب ذلك فيبلن فيه وبولهن نجس وقد رأيت ذلك عيانا فى الصف الاول فكان ذلك سببا الى صلاة بعض الناس على النجاسة وبطلان صلاتهم بذلك حتى آل الامر فى ذلك الى أن من كان عنده هر مؤذ أرسله الى الجامع (فكان) الناس يوقرون بيوت ربهم ويحترمونها وينزهونها عما لا يليق بها وكانت المساجد كما ورد فى الحديث المسجد بيت كل تقى (فانعكس) الامر الى ان صار المسجد مأوى للقطاط المؤذية والاكل سبب ذلك سيما فى المسجد الاقصى فانه يكثر ورود الغرباء اليه فتجدهم يأكلون اللحم ويرمون العظام فى المسجد ويأكلون البطيخ ويرمون قشوره الى غير ذلك من فضلات المأكول وقل من تجده يلقى ذلك فى خارج المسجد بل يدخلون فيه بالحمير بسبب ما يحتاجون اليه من البنيان والعمارة فتبول الحمير فيه

مطلب الاكل

الخب بالكسر الخداع اه

وتروث كانه عندهم طريق من الطرق المسلوكة ولو كان كذلك فنحن مأمورون بتنظيف الطرق فكيف الحال فى المساجد فكيف الحال فى المسجد الاقصى الذى فيه من الفضل ما فيه فانا لله وانا اليه راجعون فاذا كان امام المسجد ينهى عن تلك الاشياء و ينبه عليها انحسمت المادة فان الخير والحمد لله لم يعدم من الناس فان لم يسمع واحد سمع آخر (وقد ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (والكلام) فى هذه الاشياء سبب لهداية بعض الناس (وكثير) من الناس من يمتنع من الكلام فى هذه الاشياء ويحتج على ذلك بأن يقول ان الغالب على الناس انهم لا يسمعون وعن عوائدهم لا يرجعون (وجواب هذا) ما تقدم فى الحديث لأن يهدى الله بك رجلا واحدا الخ (الاترى) الى ما ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتى النبى يوم القيامة ومعه الرجل الواحد ويأتى النبى ومعه الرجلان والثلاثة الى غير ذلك فالخير والحمد لله لم يعدم من هذه الامة اذ أن الخير فيها كامن فمن نبه منهم تنبه ورجع وانقاد واستغفر وكنت أنت السبب فى ذلك والله الموفق للجميع بمنه (وينهى) عما احدثوه من النوم فى المسجد سيما بعد صلاة الصبح وكذلك فى أثناء النهار سيما فى شهر رمضان فتجد المسجد قد ارتص بالناس فى الغالب (وقد) ورد فى الحديث ان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه بنو آدم (والنائم) قل ان يسلم من خروج الريح منه فتتاذى الملائكة به (وقد) نهينا عن دخول المسجد برائحة الثوم أو البصل (لقوله) عليه الصلاة والسلام من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مساجدنا يؤذينا بريح الثوم فاذا كان هذا فى حق الثوم فمن باب أولى الريح الخارج من المخرج وقد يحتلم النائم فيبقى جنبا فى المسجد وفيه مفسدة اخرى وهو ان ذلك ذريعة لأن تسرق عمامته أو رداؤه وفيه من المفاسد أشياء عديدة يطول تتبعها والحاصل منها ان كل ما كرهه الشرع تجد فيه مخاوف فيتعين تركه فاذا علم الناس ذلك من نهى الامام ارتدعوا عنه و بالله التوفيق (وينهى) عما احدثوه من خياطة قلوع المراكب فى المسجد لانا قد نهينا عن الكلام فى المسجد فى غير عبادة فكيف بالصنعة تعمل فيه فذلك لا يجوز (وقد)

مطلب النوم

مطلب قلوع المراكب

منع

منع علماؤنا رحمة الله عليهم نسخ العلم في المسجد ونسخ القرآن اذا كان على وجه التسبب فيه فما بالك بغيرهما فيمنع فاعل ذلك حتى لا يعود الى مثله والله الموفق (وينهى) السقاء الذي يدخل بالجمل في المسجد لان بوله على مذهب الشافعي رحمه الله نجس وعلى مذهب مالك رحمه الله يلوث المسجد وان كان طاهرا في نفسه فيمنع لان المسجد ينزه عما هو أقل من هذا (وينهى) عما احدثوه من المشي في المسجد بالغنم لانها قد تبول فيه والكلام عليه كالكلام على دخول السقاء بالجمل في المسجد (وكذلك) ينبغي أن ينهى عن دخول الشواء في المسجد لان في ذلك مفاسد (منها) أن يجعل المسجد طريقا وقد تقدم ما فيه (الثانية) انه يدخل بالقذر الى المسجد والمسجد ينزه عن أقل من هذا (الثالثة) ان رائحته قوية فقد يكون في المسجد من الفقراء المتوجهين من تتشوق نفسه لذلك ولا شئ معه ليشترى به فيتشوش في عبادته (الرابعة) ان حامله الغالب عليه انه كان في موضع المذبح وهو محل النجاسات وحاملها حاف هناك ويدخل المسجد على تلك الحالة (الخامسة) ان الحاملين له الغالب عليهم كثرة الكلام ويرفعون أصواتهم بكلام لا ينبغي في غير المسجد فكيف به في المسجد (السادسة) ما فيه من التشويش على المصلين والذاكرين وهذا الكلام على الحكم بان الشواء طاهر وأما اذا كان متنجسا فلا يدخل بالنجاسة في المسجد اتفاقا (وينهى) عن دخول الرهبان في المسجد حين يفرشونه بالحصر المضفورة التي يضفرونها فان مذهب مالك رحمه الله منع دخولهم في المسجد ولا ضرورة تدعو الى دخولهم لان الله تعالى أغنى بالمسلمين عنهم اذ أن غيرهم يقوم مقامهم في فرشها وبالله التوفيق (وينهى) الناس عن اتيانهم الى المسجد باولادهم الذين لا يعقلون ما يؤمرون به أو ينهون عنه اذ أن ذلك ذريعة الى التشويش على المصلين حين صلاتهم (ألا ترى) ان الناس يكونون في صلاتهم ويبكى الصبي فيشوش على المصلين فينهى عن ذلك ويزجر فاعله (وهذا) اذا كان الصبي مع أبيه أو غيره من الرجال (فاما) ان كان مع امه فلا بأس به لوجهين (أحدهما) ان الغالب في موضع النساء أن يكون بالبعد بحيث لا يشوش ذلك على الرجال (الثاني) ان الغالب في الاولاد اذا كانوا مع امهاتهم قل أن يكون

مطلب دخول الجمال والغنم

مطلب الشواء

مطلب دخول الرهبان

مطلب دخول الناس باولادهم

بخلاف الآباء (وهذا) اذا دعت الضرورة الى صلاة المرأة فى جماعة فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل (فان قيل) قد كان النساء يخرجن الى المسجد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ويصلين معه جماعة (وقد) ورد ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخفف صلاته اذا سمع بكاء الصبى مخافة أن تفتتن أمه (فالجواب) عن ذلك من وجهين (أحدهما) ما قالت عائشة رضى الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى اسرائيل (الثانى) ان الصلاة خلف النبى صلى الله عليه وسلم لا يوازيها شئ وكلا الامرين قد فقد فاذا لم تخرج الأم للصلاة فالاتيان بالاولاد للمسجد دون أمهاتهم يمنع (وقد تقدم) النهى عن الذكر والقراءة جهرا فى المسجد اذا كان يشوش على المصلين والذاكرين فهذا من باب أولى أن ينهى عنه ويزجر فاعله (وينهى) الناس عن كتبهم الحفائظ فى آخر جمعة من شهر رمضان فى حال الخطبة وذلك يمنع لوجوه (أحدها) لما احتوت عليه من اللفظ الاعجمى (وقد) قال مالك رحمه الله لما ان سئل عنه وما يدريك لعله كفر (الثانى) ان فيه اللغو فى حال الخطبة (الثالث) أنه يشتغل بالكتب عن سماع الخطبة (الرابع) انه يشتغل ببدعة ويترك ما اختلف فيه الناس من الاصغاء فى حال الخطبة هل هو فرض أو سنة مؤكدة (الخامس) ما أحدثوه من بيعها وشرائها فى المسجد فينهى عن ذلك ويزجر فاعله وبعض الناس يكتبها بعد صلاة عصر الجمعة وذلك بدعة أيضا لكنها أخف من البدعة المتقدم ذكرها اذ انه ليس ثم خطبة يشتغل عنها ولو كتبها واسقط منها اللفظ الاعجمى ولم يتخذ لكتابتها وقتا معلوما لكان ذلك جائزا والله أعلم (وينهى النساء) عما أحدثنه وسلكن لهن عنه من دخولهن الى صلاة الجمعة فى مؤخر الجامع وان كانت لهن مقصورة معلومة لكنها كالعدم سواء بسواء اذ انها لا تسترهن والغالب عليهن خروجهن على ما قد علم من التحلى واللباس كما تقدم مع أنه لا ضرورة تدعو الى ذلك لان موضعهن فى الزيارة قد استغنين به عن دخول المسجد والقرب من الرجال فهو أليق بهن ما لم يخالطن الرجال ولا فرق فى ذلك بين صلاة الجمعة والخميس والجنائز وغير ذلك وكان الأليق بهن بل الواجب عليهن أن لا يخرجن ولا يمكن من

مطلب منع الحفائظ

مطلب دخول النساء لصلاة الجمعة

ذلك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد قالوا ان صلاة المرأة فى بيتها وحدها أفضل من صلاتها فى المسجد فى جماعة وصلاتها فى مخدع فى بيتها أفضل من صلاتها فى بيتها فكيفما زاد سترها واحتجابها كان أفضل لصلاتها (اللهم) الا أن تكون ممن يمكنها ان تصلى فى بيتها مع جماعة فى المسجد الذى يجاورها وهى لا تخرج من بيتها فذلك أفضل لها من غير خلاف فى مذهب مالك رحمه الله تعالى (ولذلك) كان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يصلين فى بيوتهن بصلاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد (وينهى الناس) عما أحدثوه من دخول بعضهم الى المسجد بالصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم جهرا يرفع بذلك صوته حين دخوله وحين خروجه ويجيبه بعض من يسمع صوته ممن فى المسجد و يسمع لهم ضجيج فوى بنزه المسجد عن تلك الزعقات فيه ولو فعل ذلك فى السوق أو الطريق لكان جائزا أو مندوبا اليه بحسب الحال وأما فى المسجد فيمنع لما فيه من التشويش على ما تقدم ذكره فى المسجد والله الموفق (وينهى) عما أحدثوه من ادخال المرآة فى المسجد لقص الشارب ونتف الشيب وغير ذلك مما هو مشاهد من فعلهم وهذا يمنع منه فى المسجد وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم واذا كان الطهور فى المسجد ممنوعا فكيف يدخل بالفضلات فى المسجد و يعمل فيه الصنعة وقد تقدم منع نسخ الختمة أو العلم فى المسجد اذا كان ذلك على وجه التسبب فكيف بهذه الصنعة وما أشبهها والشعر وان كان طاهرا فى نفسه فهو وفش ينزه المسجد عنه هذا اذا كان الشعر مقصوصا (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى ولا يقلم أظفاره فى المسجد ولا يقص شاربه وان أخذه فى ثوبه وأكره ان يتسوك فى المسجد لاجل أن ما يخرج من السواك يلقيه فى المسجد (قال) ولا أحب أن يتمضمض فى المسجد قال وليخرج لفعل ذلك ذكره الطرطوشى (واما) اذا كان الشعر بأصله مثل نتف الشيب فان الحياة تحل أصله فيكون ذلك الموضع من الشعرة نجسا وقل أن يسلم من وقوع القمل فى المسجد اما حيا واما ميتا وكلاهما يمنع فيه (وهذا أمر) قد عمت به البلوى فى أكثر المواضع سيما فى المسجد الاقصى الذى ترد اليه الخلق

مطلب
قص الشارب ونتف الشيب الخ

كثيرا (وقد رأيت بعض من ينتسب الى المشيخة والنسك وقد سبل نفسه على هذه الحسنة على زعمه فهو قاعد على باب الميضأة وهو فى المسجد فأى غريب جاء قص له أظافره أو شاربه وأزال شعره اذا احتاج اليه ويلقى كل ذلك فى المسجد وذلك لا يجوز وقد منع مالك من فعل ذلك فى المسجد وان كان يجمعه ويخرجه منه فكيف بالقائه فى المسجد ثم انه مع هذا الحدث زرع دالية عنب فى المسجد فأطعمت وأثمرت وبقى اذا ورد أحد من أبناء الدنيا أخذ من عنبها وحصرمها وأهداه اليه على سبيل البركة وحصل به ما هو معلوم من حطام الدنيا وهذا النوع مما أحدثوه كثيرا فى المسجد الاقصى واتخذوا فيه دوالى عنب وخزائن للسكنى وهو مسجد ولا يجوز شئ من ذلك فيه (وقد تقدم) أن المساجد المهجورة لا يجوز سكناها ولا أن يحدث فيها احدث غير ما بنيت له (وينهى الباعين) للقضامة وغيرها فى طريق المسجد وعلى أبوابه وفى الزيادة اذ أن من كان منهم مصليا يمسك بها أكثر من موضعين فيكون غاصبا التلك المواضع حين الصلاة كما تقدم وغير المصلى منهم يتعين أدبه وزجره لامرين أحدهما انه يضيق على المسلمين طريقهم والثانى انه تارك للصلاة وتارك الصلاة قد اختلف فيه هل هو مرتد أو مرتكب كبيرة سيما ان كانت صلاة جمعة فذلك أعظم (وكذلك) يتعين عليه أن يمنع غير ما ذكر ممن يبيع الحلاوة أو اللحم أو المشموم أو غير ذلك مما يضيق به طريق المسلمين وقد تقدم انه لا ينبغى للانسان أن يشترى من دكان لها مسطبة خارجة فى شارع المسلمين وهذا من باب أولى وأحرى أن يمنع ويتعين عليه أيضا أن يهدم المساطب الملاصقة لجدار المساجد اذ أن ذلك طريق للمصلين والناس اجمعين

مطلب القضامة وهى الحمص

(فصل) وينهى الزبالين أن يعملوا فى أوقات الصلاة سيما وقت اتيان الناس لصلاة الجمعة لأن الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد أمر بالتنظيف لها بالغسل ولبس النظيف من الثياب واستعمال الطيب وغير ذلك فاذا فعل المكلف ما أمره به صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وخرج ليصلى الجمعة اتى الزبالين فى طريقه فيفسدون عليه هيئته لها وهذا ضرر كثير (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار فينهى عن

ذلك

ذلك ويزيدوفاعله لانه مؤذ وقد ورد كل مؤذ فى النار (وينهى) الناس عما أحدثوه من وقوف الدواب على باب المسجد لانهم يضيقون على المسلمين طريقهم اليه ويروثون بها ويبولون على أبوابه ويمشى الناس على ذلك بأقدامهم ويدخلون المسجد فينجسون بما أصابته من المسجد وهذا محرم وفى وقوفهم على أبواب المسجد أذية كثيرة سيما الشيخ الكبير والاعمى وغيرهما من أرباب الاعذار الذين هم مخاطبون بالجمعة بل ربما أذوا بالرفس والكدم الاصحاء فكيف بمن سواهم من الشيوخ وغيرهم من الضعفاء (فان) قال قائل الضرورة داعية لوقوف الدواب سيما لاجل الغلمان المسكين لتلك الدواب (فالجواب) أنه لا ضرورة تدعو الى ذلك لكثرة المواضع التى هى معدة لجعل الدواب فيها كالفنادق والاصطبلات وغيرها فلو لم يكن ثم مواضع لكان يتعين على صاحب الدابة أنه اذا أتى بها الى المسجد يرسلها الى مواضعها التى كانت فيه ويخبر من يأتيه بها فى الوقت الذى يحتاجها فيه فتنحسم مادة الضرر بذلك والله الموفق (وينهى) البياعين عما أحدثوه يوم الجمعة من بيعهم وشرائهم والناس فى الصلاة أو فى سماع الخطيب وهذا محرم اذ أنه اذا صعد الامام على المنبر حرم حينئذ البيع والشراء حتى تنقضى الصلاة وبعض الناس اليوم يكون الخطيب على المنبر الى انقضاء الصلاة وهم يبيعون ويشترون ولا يستحيون (وينهى) الناس عما احدثوه من صلاتهم الجمعة فى الدكاكين وذلك لا يجوز على مذهب مالك رحمه الله لان الجمعة لا تصح عنده فى موضع محجور وانما تصح عنده فى المسجد أو الطرق المتصلة به ان تعذر دخول المسجد وبعضهم يأتى الى الجمعة فيقعد فى الدكان ينتظر اقامة صلاة الجمعة والمسجد بعد لم يمتلئ بالناس وذلك لا يجوز على كل حال (وينهى) الناس عما احدثه بعضهم من الاتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة فان هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم وقد كانوا رضى الله عنهم اذا أراد أحدهم أن يؤكد الامر لصاحبه يقول له ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة (ومن) كتاب القوت وكان أهل المدينة يتسابون فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة (وقد) قال مالك فى موطائه ان غسل الجمعة واجب وهو ظاهر الحديث من قوله صلى

مطلب
وقوف الدواب

الكدم العض وزنا ومعنى اه

مطلب
البيع والشراء وقت الصلاة وعند سماع الخطبة

مطلب
صلاة الجمعة فى الدكاكين

مطلب
الغسل ولبس الثياب الحسنة

الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم (واختلف) العلماء فى ذلك هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة (واذا) كان كذلك فقد قالوا فيمن ترك الوتر انه يفسق بذلك لكونه سنة وللاختلاف فيه أيضا هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة وما يوجب فسق تاركه فجدير أن يحافظ على فعله ولا يترك الا من ضرورة شرعية وبعض الناس قد أهملوا ذلك حتى كانه لا يعرف بينهم أعنى عند أكثر العامة وعند بعض الفقهاء حكاية تحكى حتى كأنهم ليسوا من أهل الخطاب بالغسل لها (وكذلك) ينهاهم عما تركوه من لبس الحسن من الثياب لها واستعمال الطيب فان ذلك من سننها المؤكدة أيضا (قال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه وليتطيب بأطيب طيبه مما ظهر ريحه وخفى لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه اه (وقد) ترك ذلك بعضهم وهو عكس ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم أجمعين (حتى) انك لتجد بعض الفقهاء فى الدرس أو فى دكانه أو حين اجتماعه باحد القضاة أو غيرهم من أرباب المناصب على هيئة من ثياب ورائحة طيب وغيرهما وتجده فى صلاة الجمعة على هيئة دونها وسبب هذا تعظيم الدنيا فى القلوب والتهاون بشعائر الدين والغفلة بسبب العوائد الرديئة (ولا) يظن ظان ان ما ذكر من لبس الحسن من الثياب هو ما اعتاده بعض الناس فى هذا الزمان بل ذلك على ما درج عليه السلف وكانوا رضوان الله عليهم على ما نقله الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه أثمان أثوابهم القمص كانت من الخمسة الى العشرة فما بينهما من الاثمان وكان جمهور العلماء وخيار التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين والثلاثين وكان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمته أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعده سرفا فيما جاوزها اه (فعلى هذا) فما زاد على ذلك فهو من البدع الحادثة بعدهم (اللهم) الا ما كان من ذلك لضرورة شرعية من دفع حر او برد أو غيرهما فقد خرج عن هذا الباب الى باب الجائز أو المندوب أو الواجب بحسب الحال (فاذا نبه) الامام على هذا وحض على فعله وقبح تركه تنبه الناس لما ارتكبوه فلعلهم ان يرجعوا أو بعضهم والله الموفق (وينهى)

الناس مما احدثوه من الركوع بعد الاذان الاول للجمعة لانه مخالف لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (لانهم) كانوا على قسمين (فمنهم) من كان يركع حين دخوله المسجد ولا يزال كذلك حتى يصعد الامام على المنبر فاذا جلس عليه قطعوا تنفلهم (ومنهم) من كان يركع ويجلس حتى يصلى الجمعة ولم يحدثوا ركوعا بعد الاذان الاول ولا غيره فلا المتنفل يعيب على الجالس ولا الجالس يعيب على المتنفل وهذا بخلاف ماهم اليوم يفعلونه فانهم يجلسون حتى اذا أذن المؤذن قاموا للركوع (فان) قال قائل هذا وقت يجوز فيه الركوع وقد روى البخاري عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة قالها ثلاثا وقال فى الثالثة لمن شاء (فالجواب) ان السلف رضوان الله عليهم أفقه بالحال وأعرف بالمقال فما يسعنا الا اتباعهم فيما فعلوه (وهذا) على قاعدة مذهب مالك رحمه الله تعالى لان اتباع السلف أولى (فان) قال قائل الركوع انما هو للجمعة (فالجواب) ان السنة فى هذا ما كان السلف يفعلونه من ركوعهم المتقدم (الا ترى) ان وقت الجمعة قد اختلف العلماء فيه هل هو من طلوع الشمس كصلاة العيدين أو من الزوال فذهب الامام أحمد فى جماعة الى أنه من طلوع الشمس واذا كان الخلاف فى وقتها على ما وصفنا تأكد الاقتداء بفعل السلف المتقدم (فان) قال قائل فعلى ما قررتموه لا يجوز لمن ركع وجلس ينتظر صلاة الجمعة أن يقوم بعد ذلك فيركع وهذا جائز فكيف تمنعوه (فالجواب) انا لا نمنع ذلك لانه وقت يجوز فيه الركوع لمن أراده وانما المنع عن اتخاذ ذلك عادة بعد الاذان لا قبله فانه يجوز والله الموفق (على) ان هذا الاذان المفعول اليوم أوّلا لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وانما فعله عثمان رضى الله عنه على ما تقدم بيانه فالاذان الذى فعل فى السوق والركوع للجمعة لا يكون فى السوق ومن كان فى المسجد لا يسمعه حتى يركع عنده (ثم انه) لم ينقل ان هشاما لما ان نقله كانوا يركعون بعده على انا لو قدرنا انهم فعلوا ذلك فلا حجة فيه لان فعل هشام ليس بحجة (فان) قال الامام مثلا ان الناس لا يرجعون اليه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه وانه ليس بين يديه رجال يأمرون وينهون

حتى تزال بهم الحرمة (فالجواب) ان المؤذنين هم رجاله وجنده وحزبه ألا ان حزب الله هم المفلحون (فان) قال مثلا ان الناس لا يرجعون بذلك (فالجواب) انهم ان لم يرجعوا بما تقدم ذكره فيتعين عليه أن يوصل كل ذلك للمحتسب فيمنع من كل ما ذكر باليد القوية فان فعل فبها ونعمت وقد برئت ذمته وذمة غيره وان لم يفعل هذا فقد برئت ذمة الامام وأما قبل ايصال ذلك فان الذمة لا تبرأ لاجل ان كل ما ذكر من رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقد تقدم ان المسجد وما حوله وما يحتاج اليه من رعية الامام (واذا) كان ذلك من رعيته فيتعين عليه أن ينظر فيما ذكر كله بشرطه على ما تقدم (وكذلك) ينظر في أمر المؤذنين لانهم من جملة رعيته وان كان الاذان أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فهذا دليل واضح على فضيلة المؤذن وبالجملة فهو من رعيته والمؤذن والامام كل ما ذكر فهو من رعيتهما معا فيتعين على الامام أن يكون أكثر الناس تقوى وأفضلهم وأورعهم الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة ان اجتمعت فان تعذر اجتماعها فأكثرها فيتخذ من اتصف بذلك مؤذنا وقد تقدمت شروط المؤذن فأغنى ذلك عن اعادتها لكن بقيت الاوصاف المندوب اليها فيه وهي أن يكون صيتا حسن الصوت ويكره له التطريب في الاذان وكذلك التحزين وكذلك يكره له امالة حروفه وافراط المد وغير ذلك مما ذكره الفقهاء

(فصل في موضع الاذان) ومن السنة الماضية أن يؤذن المؤذن على المنار فان تعذر ذلك فعلى سطح المسجد فان تعذر ذلك فعلى بابه (وكان) المنار عند السلف رضوان الله عليهم بناء يبنونه على سطح المسجد كهيئته اليوم لكن هؤلاء أحدثوا فيه انهم عملوه مربعا على أركان أربعة (وكان) في عهد السلف رضوان الله عليهم مدورا (وكان) قريبا من البيوت خلافا لما أحدثوه اليوم من تعلية المنار (وذلك) يمنع لوجوه (أحدها) مخالفة السلف رضي الله عنهم (الثاني) انه يكشف على حريم المسلمين (الثالث) ان صوته يبعد عن أهل الارض ونداؤه انما هو لهم (وقد) بنى بعض الملوك في المغرب منارا زاد في علوه فبقي المؤذن اذا أذن لا يسمع أحد ممن تحته صوته (وهذا) اذا كان المنار تقدم وجوده على بناء الدار (وأما) اذا كانت الدور مبنية ثم جاء

بعض

بعض الناس يريد أن يعمل المنار فانه يمنع من ذلك لانه يكشف عليهم (اللهم) الا أن يكون بين المنار والدور سكك وبعد بحيث انه اذا طلع المؤذن على المنار ورأى الناس على أسطحة بيوتهم لا يميز بين الذكر والانثى منهم فهذا جائز على ما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فاذا كان المنار أعلى من البيوت قليلا أسمع الناس اذانه بعم كثيرا منهم بخلاف ما اذا كان مرتفعا كثيرا والسنة المتقدمة فى الاذان أن يؤذن واحد بعد واحد فان كان المؤذنون جماعة فيؤذنون واحدا بعد واحد فى الصلوات التى أوقاتها ممتدة فيؤذنون فى الظهر من العشرة الى الخمسة عشر وفى العصر من الثلاثة الى الخمسة وفى العشاء كذلك والصبح يؤذنون لها على المشهور من سدس الليل الآخر الى طلوع الفجر فى كل ذلك يؤذن واحد بعد واحد والمغرب لا يؤذن لها الا واحد ليس الا

(فصل فى الاذان جماعة) فان كثر المؤذنون فزادوا على عدد ماذكر وكانوا يبتغون بذلك الثواب وخافوا أن يفوتهم الوقت ولم يسعهم الجميع ان أذنوا واحدا بعد واحد فمن سبق منهم كان أولى فان استووا فيه فانهم يؤذنون الجميع (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم ومن شرط ذلك أن يكون كل واحد منهم يؤذن لنفسه من غير أن يمشى على صوت غيره (وكذلك) الحكم فى مذهب الشافعى رحمه الله تعالى (قال) الشيخ الامام النواوى رحمه الله فى كتاب الروضة له فى باب الاذان من كلام الرافعى رحمه الله فاذا ترتب للاذان اثنان فصاعدا فالمستحب أن لا يتراسلوا بل ان اتسع الوقت ترتبوا فيه فان تنازعوا فى الابتداء أقرع بينهم وان ضاق الوقت فان كان المسجد كبيرا أذنوا متفرقين فى أقطاره وان كان صغيرا وقفوا معا وأذنوا وهذا ان لم يؤد اختلاف الاصوات الى تشويش فان أدى اليه لم يؤذن الا واحد فان تنازعوا أقرع بينهم انتهى (وأذانهم) جماعة على صوت واحد من البدع المكروهة المخالفة لسنة الماضين والاتباع فى الاذان وغيره متعين وفى الاذان آكد لانه من أكبر اعلام الدين (ألا ترى) ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يغزو قوما أمهل حتى يدخل وقت الصلاة فان سمع الاذان تركهم وان لم يسمعه أغار عليهم (ولان) فى الاذان جماعة جملة مفاسد (منها) مخالفة السنة (الثانى) أن من كان منهم صيتا حسن الصوت وهو المطلوب فى الاذان

خفى أمره فلا يسمع (الثالث) ان الغالب فى الجماعة اذا أذنوا على صوت واحد لا يفهم السامع ما يقولون والمراد بالاذان انما هو نداء الناس الى الصلاة وذهبت فائدة معنى قوله حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة خير من النوم (الرابع) ان بعضهم يمشى على صوت بعض والمراد بالاذان أن يرفع الانسان به صوته مهما امكنه وذلك لا يمكنه فى الجماعة كما تقدم (الخامس) ان الغالب على بعضهم أنه لا يأتى بالاذان كله لانه لابد أن يتنفس فى اثنائه فيجد غيره قد سبقه بشئ منه فيحتاج أن يمشى على صوت من تقدمه فيترك ما فاته من ذلك ويوافقهم فيما هم فيه (السادس) انه قد مضت عادة المؤذن على السنة أنه اذا أراد أن يؤذن عمل الحس من تنحنح أو كلام مّا من حيث أنه يشعر به أنه يريد ان يؤذن ثم بعد ذلك يشرع فى الاذان هذا وهو مؤذن واحد فكيف بالجماعة وما ذاك الا خيفة أن يؤذن ومن حوله على غفلة فقد يحصل بسببه لبعضهم رجفة فاذا كان هذا فى حق المؤذن الواحد فما بالك بجماعة يرفعون أصواتهم على بغتة وقد تكون حامل فتأخذها الرجفة بذلك فتسقط وترتجف بذلك الاولاد الصغار وكذلك كل من ليس له عقل ثابت وتشويشهم كثير قل ان ينحصر (وقد تقدم) ان أول من أحدث الاذان جماعة هشام بن عبد الملك فجعل المؤذنين الثلاثة الذين كانوا يؤذنون واحدا بعد واحد على المنار فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم يؤذنون بين يديه جميعا اذا صعد الامام على المنبر واخذ الاذان الذى زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه لما ان كثر الناس وكان ذلك مؤذنا واحدا فجعله على المنار فهذا الذى أحدثه هشام بن عبد الملك ولم يزد على الثلاثة الذين كانوا فيمن قبله يؤذنون واحدا بعد واحد شيئا (ثم أحدثوا) فى هذا الزمان على الثلاثة جمعا كثيرا كما هو مشاهد (وكذلك) زادوا على المؤذن الواحد على المنار فجعلوهم جماعة وفعلهم ذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون ذلك منهم ابتغاء الثواب فالثواب لا يكون الا بالاتباع لا بالابتداع وان كان لاخذ الجامكية فالجامكية لا تصرف فى بدعة كما انه يكره الوقف عليها ابتداء وبالجملة فكل ما خالف الشرع فمفاسده لا تنحصر فى الغالب والله سبحانه الموفق

فصل

(فصل في النهي عن الاذان بالالحان) وليحذر في نفسه أن يؤذن بالالحان وينهى غيره عما أحدثوا فيه مما يشبه الغناء وهذا ما لم يكن في جماعة يطربون تطريبا يشبه الغناء حتى لا يعلم ما يقولونه من ألفاظ الاذان الأصوات ترتفع وتنخفض وهي بدعة مستهجنة قريبة العهد بالحدوث أحدثها بعض الامراء بمدرسة بناها ثم سرى ذلك منها الى غيرها وهذا الاذان هو المعمول به في الشام في هذا الزمان وهي بدعة قبيحة اذ أن الاذان انما المقصود به النداء الى الصلاة فلا بد من تفهيم ألفاظه للسامع وهذا الاذان لا يفهم منه شئ لما دخل ألفاظه من شبه الهنوك والتغني (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ (وقد روى) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان أذانك سهلا سمحا والا فلا تؤذن أخرجه الدارقطني في سننه (وقال) الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه ومما أحدثوه التلحين في الاذان وهو من البغي فيه والاعتداء (قال رجل) من المؤذنين لابن عمر انى لأحبك في الله فقال له لكنى أبغضك في الله فقال ولم يا أبا عبد الرحمن قال لانك تبغي في أذانك وتأخذ عليه أجرة (وكان) أبو بكر الآجرى رحمه الله يقول خرجت من بغداد ولم يحل لى المقام بها قد ابتدعوا في كل شئ حتى في قراءة القرآن وفي الاذان يعنى الاجارة والتلحين اه (والعجب) من بعض الناس حيث يردّون على مالك رحمه الله تعالى في كونه يأخذ بعمل أهل المدينة والرجوع اليهم ثم انهم يستدلون على جواز هذا الاذان المذكور بأنه مما مضى عليه عمل أهل الشام على أن القاعدة تقتضى أن يكون كل ما حدث من جهة المشرق لا يعول عليه ولا يقتدى به لقوله عليه الصلاة والسلام الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان وأشار الى المشرق وما حدث بالشام الامن تلك الجهة (ثم انظر) رحمنا الله واياك الى البدعة اذا حدثت فان الشيطان لا يقتصر عليها وحدها بل يضم اليها بدعا أو محرمات (الا ترى) انهم لما أن أحدثوا هذا الاذان تعدت بدعته الى محرم وهو أنهم يسمعون للمأمومين وهم في الصلاة بتلك الالحان وذلك كلام في الصلاة على سبيل

العمد لا لعذر شرعى فتبطل صلاتهم بذلك واذا بطلت صلاتهم سرى ذلك الى فساد من ائتم بتسميعهم لما تقدم من ان المأموم لا يجوز له الاقتداء الا باحد اربعة أشياء فان عدمت فلا ائتمام فى تلك الصلاة وهى أن يرى افعال الامام فان تعذر فسماع اقواله فان تعذر فرؤية افعال المأمومين فان تعذر فسماع اقوالهم وهؤلاء ليسوا فى صلاة لما تقدم بيانه بخلاف ماتقدم من التسميع جماعة بالالفاظ المفهومة فانه قد اختلف فى صحة صلاة من صلى بتسميعهم بناء على الاختلاف فى صلاتهم هل هى صحيحة أو فاسدة وقد تقدم بيانه

(فصل فى النهى عن الاذان فى المسجد) وقد تقدم ان للاذان ثلاثة مواضع المنار وعلى سطح المسجد وعلى بابه واذا كان ذلك كذلك فيمنع من الاذان فى جوف المسجد لوجوه (أحدها) انه لم يكن من فعل من مضى الاهم الا أن يكون للجمع بين الصلاتين فذلك جائز فى جوفه وأما الاقامة فلا تكون الا فى المسجد (الثانى) ان الاذان انما هو نداء للناس ليأتوا الى المسجد ومن كان فيه فلا فائدة لندائه لان ذلك تحصيل حاصل ومن كان فى بيته فانه لا يسمعه من المسجد غالبا واذا كان الاذان فى المسجد على هذه الصفة فلا فائدة له وما ليس فيه فائدة يمنع (الثالث) ان الاذان فى المسجد فيه تشويش على من هو فيه يتنفل أو يذكر أو يفعل غير ذلك من العبادات التى بنى المسجد لاجلها وما كان بهذه المثابة فيمنع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار (ثم انظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت أيضا الى بدع أخر (ألا ترى) أنهم لما ان احدثوا الاذان فى المسجد اقتدى العوام بهم فصار كل من خطر له ان يؤذن قام وأذن فى موضعه والغالب على بعض العوام أنهم لا يحسنون النطق بالفاظ الاذان فيزيدون فيه وينقصون ويكثر التغليط حتى ان بعض الصبيان الصغار يؤذنون فيجمعون بين تغيير الاذان وبين التشويش على من فى المسجد من المتعبدين كما تقدم بيانه وشئ يجمع هذه المفاسد فيتعين ان يجنب بيت الله منه

(فصل فى الطواف بالمؤذن فى اركان المسجد اذا مات) وينهى المؤذنين عما احدثوه من الطواف باحدهم فى اركان المسجد اذا مات (وكذلك) ينهاهم عما احدثوه من التكبير والتهليل بتلك الاصوات المزعجة حين

يطوفون به فيه (وذلك) يمنع لوجوه (الاول) انه قد اختلف العلماء هل يدخل بالميت فى المسجد للصلاة عليه والصلاة عليه فرض كفاية فما بالك بما ليس بفرض ولا سنة بل للعبث والبدعة واقامته فى المسجد حتى يطوفون به بعد الصلاة عليه لا يجوز اتفاقا (الثانى) انه لما ان صلى عليه لم تدع ضرورة الى ابقائه فى المسجد (الثالث) ان فيه تأخير دفنه ومن اكرام الميت الاسراع به وقد تقدم ان بعض الائمة من المتبعين كان رحمه الله اذا أتوا بالميت الى المسجد قبل صلاة الجمعة بدأ بالصلاة عليه وقال لاهله اذهبوا الى دفنه ولا جمعة عليكم ان لم تدركوها بعد ذلك (الرابع) انه قد يخرج منه شئ من الفضلات فى ذلك الزمان الذى يطوفون به فيه فيذهب المعنى الذى لاجله أمرنا بغسله (الخامس) ان فيه تشويشا على من فى المسجد كما تقدم وهذا نوع مما أحدثه بعض الشرفاء فى الحجاز وهو أنهم اذا مات لهم ميت ذكرا كان أو أنثى صغيرا كان أو كبيرا فيدخلون به المسجد فيطوفون به البيت العتيق سبعا وذلك من البدع والامور الحادثة وفيه من المفاسد ما هو أكثر مما ذكر من أجل الطائفين بالبيت وحرمة ذلك المسجد على غيره وبعد المسافة فى الدخول اليه والخروج منه الى غير ذلك

(فصل فى أذان الشاب على المنار) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من أذان الشاب على المنار لانه لم يكن من فعل من مضى (وقد تقدم) فى أوصاف المؤذن أن يكون من أتقاهم ولا يعرف ذلك فى الشاب (وينبغى) للمؤذن الذى يصعد على المنار أن يكون متزوجا لانه أغض لطرفه والغالب فى الشاب عدم ذلك والمنار لا يصعده الا مأمون الغائلة (وقد كان) بعض الصالحين بمدينة فاس وكان يصحب امام المسجد الاعظم الذى هناك وكان للرجل الصالح ولد حسن الصوت فطلب من الامام أن يأذن لولده فى الصعود على المنار يؤذن فيه فأبى عليه فقال له ولم تمنعه قال ان المنار لا يصعد عليه عندنا الا من شاب ذراعاه لان ذلك دليل على الطعن فى السن فرغبه فى ذلك فامتنع منه وقال أتريد أن تحدث الفتنة فى قلوب المؤمنين والمؤمنات فقد تراه امرأة فتشغف به وكذلك هو أيضا قد يرى ما لا يمكنه الصبر عنه فتقع الفتن وأقل ما فيه شغل القلوب بشئ كانوا عنه فى غنى (فانظر)

رحمنا الله تعالى واياك كيف كان تحرزهم فى هذا العهد القريب وكيف هو الحال اليوم هذا وهم يؤذنون الاذان الشرعى من غير تمطيط ولا تمييل ولا تصنع الى غير ذلك مما أحدثوه فى هذا الزمان فيمنع من ذلك جهده اذا كان على المنار واما على باب المسجد فيجوز ذلك وكذلك على سطحه ان أمن ان يكشف على أحد والله الموفق

(فصل فى النهى عما أحدثوه بالليل من غير السنة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التسبيح بالليل وان كان ذكر الله تعالى حسنا سرا وعلنا لكن فى المواضع التى تركها الشارع صلوات الله عليه وسلامه ولم يعين فيها شيئا معلوما وقد رتب الشارع صلوات الله عليه وسلامه للصبح أذانا قبل طلوع الفجر وأذانا عند طلوعه وان كان المؤذنون فى هذا الزمان يؤذنون قبل طلوع الفجر لكنهم يفعلون ذلك على سبيل الاخفاء لتركهم رفع الصوت به حتى لا يسمع (وهذا) ضد ما شرع الاذان له لان الاذان انما شرع لاعلام الناس بالوقت (قال) عليه الصلاة والسلام ان بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم (وقد ورد) أذان بلال كان ينوّم اليقظان ويوقظ الوسنان ومعنى ذلك ان من كان أحيا الليل كله فاذا سمع اذان بلال نام حتى تحصل له راحة ونشاط لصلاة الصبح فى جماعة وان كان نائما فاذا سمع أذان بلال قام وتطهر وأدرك ورده من الليل (وقد) اختلف العلماء رحمهم الله فى الاذان للصبح متى يكون فقيل بعد نصف الليل الاول وقيل من أول الثلث الاخير وقيل السدس الاخير وهو المشهور أعنى انه يكون الوقت كله الى طلوع الفجر محلا للاذان فيه (واذا) كان ذلك كذلك فقد قالوا ان المؤذنين يرتبون فى آذانهم حتى يكون الناس على يقين من أمر الوقت الذى هم فيه حتى يتهيؤا للعبادة فيرتب المؤذنون على حسب ما يسع الوقت من عددهم المتقدم ذكره لكن يكون وقت أذان كل انسان منهم معلوما لا يتقدمه ولا يتأخره فيكون الناس يعرفون بالعادة الاول والثانى والثالث وهكذا الى المؤذن الآخر الذى يؤذن عند طلوع الفجر وهو الرئيس صاحب الوقت فينضبط الوقت بذلك على المصلين ويعرف كل انسان منهم كم بقى من الوقت مما يسع الغسل أو الوضوء أو الورد أو الاستبراء وغير

ذلك فيتم النظام على هذا الترتيب وهو واضبط حالا وأكثر ثوابا لاجل الاتباع بخلاف ما احدثوه من التسبيح وما يقولون فيه حتى ان بعضهم ليندب الاطلال بصوت فيه تحزين يقرب من النوح فى كثير من الاحيان ثم مع ذلك لا يعرف الناس فى الغالب أى وقت هم فيه من الليل بالنسبة الى طلوع الفجر سيما وهم قد احدثوا زيادة على ما ذكر أنه اذا قرب طلوع الفجر سكتوا سكتة طويلة ثم يؤذن فمن أفاق فى حال سكوتهم فقد يخيل اليه أنه فى أول الليل بعد فيقع بذلك الغرر لبعض الناس (ثم العجب) من انهم يأتون بالاذان الاول للصبح الذى قبل طلوع الفجر ويخفون ذلك فاذا فرغوا منه رفعوا أصواتهم بما أحدثوه من التسبيح فانا لله وانا اليه راجعون السنة تخفى وغير ما شرع يظهر (فان) قال قائل انما يخفون الاذان الاول للصبح خيفة أن يصلى الناس عليه صلاة الصبح فتكون صلاتهم باطلة لايقاعها قبل دخول الوقت (فالجواب) انهم لو امتثلوا السنة فيما تقرر من ترتيب المؤذنين واحدا بعد واحد وان الاول معروف وقته وكذلك الثانى الى المؤذن الذى يؤذن على الفجر كما تقدم لما انبهم الوقت على أحد ممن سمعهم وكانوا متبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم (وكذلك) ينبغى أن ينهاهم عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر وان كانت الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم من أكبر العبادات وأجلها فينبغى أن يسلك بها مسالكها فلا توضع الا فى مواضعها التى جعلت لها (الا ترى) أن قراءة القران من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه فى الركوع ولا فى السجود ولا فى الجلوس أعنى الجلوس فى الصلاة لان ذلك ليس بمحل للتلاوة (فالصلاة والتسليم) على النبى صلى الله عليه وسلم احدثوها فى أربعة مواضع لم تكن تفعل فيها فى عهد من مضى والخير كله فى الاتباع لهم رضى الله عنهم مع أنها قريبة العهد بالحدوث جدا اقرب مما تقدم ذكره فيما أحدثه بعض الامراء من التغنى بالاذان كما تقدم (وهى) عند طلوع الفجر من كل ليلة وبعد أذان العشاء ليلة الجمعة وبعد خروج الامام فى المسجد على الناس يوم الجمعة ليرقى المنبر وعند صعود الامام عليه يسلمون عند كل درجة يصعدها والكل فى الاحداث قريب من قريب أعنى فى زماننا هذا

وأصل احداثه من قبل المشرق وتقدم الحديث عنه عليه الصلاة والسلام بقوله الفتنة من هاهنا وأشار الى المشرق (وقد تقدم) فى أول الكتاب كيف كان خوف الصحابة رضى الله عنهم من الحدث فى الدين وما جرى لهم من جمع القرآن وما جرى لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما أن رأى الطير الذى هناك وقع على القذر ثم ارتفع عنه ووقع على ثوبه فعلم ذلك الموضع على انه اذا خرج يغسله فلما ان جاء الى غسله قال والله ما أكون بأول من أحدث بدعة فى الاسلام والصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم لا يشك مسلم أنها من أكبر العبادات وأجلها وان كان ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم حسنا سرا وعلنا لكن ليس لنا أن نضع العبادات الا فى مواضعها التى وضعها الشارع فيها ومضى عليها سلف الامة ألا ترى الى قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله قد بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رأيناه يفعل (ومن) كتاب الامام ابى الحسن رزين قال وعن نافع قال عطس رجل الى جنب عبد الله بن عمر فقال الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله ما هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول اذا عطسنا وانما علمنا أن نقول الحمد لله رب العالمين انتهى (وما) تقدم ذكره فهو جواب لقول من يقول ان الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم مشروع بنص الكتاب والسنة فكيف يمنع وقد تقدم جواب من اتصف بالانصاف وهو معدوم فى الغالب ألا ترى الى قول مالك رحمه الله ليس فى زماننا هذا أقل من الانصاف فاذا كان الحال فى زمان مالك على ما ذكر فما بالك به اليوم فى هذا الزمان (وقد) وقع لبعض الاكابر من العلماء انه لما أن سمع الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر فقال هذا العالم أنا أعمل من كل واحدة مائة فبقى على ذلك زمانا فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وحشر الناس الى المحشر والناس فى أمر مهول واذا بمناد ينادى أين الذاكرون دبر كل

صلاة فقام ناس من ناس قال فقمت معهم فجئنا الى موضع فيه ملائكة يعطون الناس ثواب ذلك وكنت أزاحم معهم ويعطونهم ولا يعطوني شيئا فما زلت كذلك حتى فرغ الجميع فجئت وطلبت منهم الثواب فقالوا لى مالك عندنا شئ فقلت لهم ولم أعطيتم أولئك فقالوا لى هؤلاء كانوا يذكرون الله دبر كل صلاة فقلت لهم وما كانوا يذكرون فذكروا أنهم كانوا يسبحون الله ثلاثا وثلاثين الخ فقلت أنا والله كنت أعمل من كل واحدة مائة فقالوا ما هكذا أمر صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم بل أمر بثلاث وثلاثين مالك عندنا شئ قال فانتبهت مرعوبا فتبت الى الله تعالى أن لا أزيد على ما قرره صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم شيئا فالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم متأكدة فى جميع الحالات لكن اتخاذها عادة من المؤذنين على المنار عند طلوع الفجر وغيره مما تقدم ذكره لم يكن ذلك مشروعا ولا فعله أحد من السلف الماضين رضى الله عنهم فتحرى ذلك فى هذه الاوقات كالزيادة على الذكر المشروع كما تقدم (ومع) ما ذكر من التعليل ترتب عليه مفاسد منها ارتكاب نهيه عليه الصلاة والسلام بقوله لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن فاذا نهى عليه الصلاة والسلام عن الجهر بالقرآن وتلاوته من أكبر العبادات وما ذاك الا لما يدخل من التشويش على من فى المسجد ممن يتعبد اذا جهر به فما بالك بما يفعلونه فيه من هذه الطرق التى يعملونها فى التسبيح وما يفعلونه فيه مما يشبه الغناء فى وقت والنوح فى وقت وندب الاطلال فى وقت وينشدون فيه القصائد وفى المسجد من المتهجدين ما هو معلوم فلا يبقى أحد منهم الا وقد وصل له من التشويش ما لا خفاء فيه فيتفرق أمرهم وتتشوش خواطرهم (ولو قدرنا) أن المسجد ليس فيه أحد فيمنع أيضا لانه بصدد أن يأتى الناس اليه (فأين هذا) مما روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله حين كان فى المسجد فى آخر الليل يتهجد ثم دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان اذ ذاك خليفة وكان حسن الصوت فجهر بالقراءة فلما أن سمعه سعيد بن المسيب رحمه الله قال لخادمه اذهب الى هذا المصلى فقل له اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد ثم أقبل على صلاته فجاء الخادم فوجد المصلى عمر بن عبد العزيز فرجع ولم يقل له شيئا فلما أن سلم سعيد بن

المسيب رحمه الله قال لخادمه ألم أقل لك تنهى هذا المصلى عما هو يفعل فقال له هو الخليفة عمر بن عبد العزيز قال اذهب اليه وقل له ما أخبرتك به فذهب اليه فقال له ان سعيدا يقول لك اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد فخفف فى صلاته فلما ان سلم منها اخذ نعليه وخرج من المسجد قال ابن رشد رحمه الله وهذا من تواضعه فى خلافته هذا وجه (الوجه الثانى) ان بعض العوام يأتون المسجد لاجل سماع التسبيح بتلك الالحان والنغمات فيقع منهم اشياء من الزعقات وما يشبهها مما ينزه المسجد عنها (الثالث) ما احدثوه فيه من صعود الشبان اذذاك على المنار ولهم أصوات حسنة ونغمات تشبه الغناء فيرفعون عقيرتهم بذلك فكل من له غرض خسيس يصدر منه فى وقت سماعه مالا ينبغى كما تقدم وقد يكون ذلك سببا الى تعلق قلب من لاخير فيه بالشاب الذى يسمعونه ويترتب على ذلك من الفتن أشياء لا تنحصر (ومن) ذلك ايضا ما يفعله بعض أهل المغرب من أنه اذا أذن المؤذن الذى يؤذن عند طلوع الفجر على ما تقدم من الترتيب اجتمع المؤذنون بجمعهم ونادوا على صوت واحد أصبح ولله الحمد ويكررون ذلك مرارا عديدة مع دورانهم على المنار وما يفعلونه من ذلك لاضرورة ولا حاجة تدعو اليه لما تقدم من ان المؤذن الذى يؤذن على الفجر يكون وقته معلوما عند السامعين فمن سمعه منهم علم أن الفجر قد طلع فالحاصل ان كل ما جاء على خلاف ما احكمته الشريعة المطهرة فمفاسده عديدة لا تنحصر

* (فصل فى التسحير فى شهر رمضان) * وينهى المؤذنين عما احدثوه فى شهر رمضان من التسحير لانه لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ولم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم كما تقدم سيما وهم يقومون الى التسحير بعد نصف الليل لان السحور لافائدة فيه الا ان يقوى به الانسان على صوم النهار وذلك لايحصل الا اذا فعل قبل طلوع الفجر بقليل كما ورد فى الحديث عن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قام الى الصلاة قلت كم كان بين الاذان والسحور قال قدر خمسين آية فاذا تسحر الانسان فى هذا الوقت فالغالب عليه انه لايجوع الا بعد الظهر واذا جاع ذلك الوقت فمسافة الفطر قريبة فتسهل لذلك العبادة ولذلك

سموا السحور الغداء المبارك لان وقت السحور قريب من وقت الغداء ويحصل له مع ذلك أجر الصيام مع نشاط بدنه وتوفير عمره لقيام ليله لانه اذا تسحر فى الليل حصل له الكسل عن قيام الليل بسبب البخار الذى يصعد الى دماغه فيدخن عليه فيغلبه النوم بخلاف ما اذا تسحر قريبا من طلوع الفجر فانه اذا فرغ منه اشتغل بالطهارة لصلاة الفرض ثم دخل بعد اداء الفرض فى أوراده واشتغل بها ثم تصرف بعد ذلك فى مهماته فيحصل له التهجد فى ليله وخفة الصوم عليه فى نهاره وينضبط حاله (فان) قال قائل انما يتسحرون بعد نصف الليل خيفة أن يبقى الناس لا يعرفون الوقت الذى يجوز لهم الاكل فيه (فالجواب) ما تقدم ذكره من أن المؤذنين اذا كانوا على الترتيب المذكور علم الناس بسبب ذلك فى أى جزء هم من الليل وهل يأكلون ويشربون أم لا كما كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم يعرفون جواز الاكل باذان بلال ومنعه باذان ابن أم مكتوم (واذا) كان ذلك كذلك فلا حاجة تدعو الى ما أحدثوه من التسحير ثم مع ذلك فيه من المفاسد ما تقدم ذكره من التشويش على من فى المسجد من المتهجدين (فان) قال قائل هذا الذى ذكرتموه انما ينضبط به حال المسجد الجامع وما حوله اما من بعد عنه فلا يسمعون المؤذنين ولا يعلمون فى أى جزء هم من الليل (فالجواب) ان المساجد قد كثرت فما من موضع الا وبجانبه مسجد أو مساجد فيعمل فى كل مسجد أذانان بشرط العلم بصوت الاول والثانى على ما تقدم بيانه فيكفيهم ذلك لان الاول منهما يدل على جواز الاكل والثانى يدل على منعه لكن بشرط أن يكونوا تابعين فى أذانهم للجامع أو يكون المؤذن من أهل المعرفة بالاوقات والثقة والامانة والمسجد الجامع هو الذى يكون فيه مؤذنون جملة على ما تقدم بيانه

(فصل فى اختلاف العوائد فى التسحير) اعلم أن التسحير لا أصل له فى الشرع الشريف ولاجل ذلك اختلفت فيه عوائد أهل الاقاليم فلو كان من الشرع ما اختلفت فيه عوائدهم (ألا ترى) ان التسحير فى الديار المصرية بالجامع يقول المؤذنون تسحروا كلوا واشربوا وما أشبه ذلك على ما هو معلوم من أقوالهم ويقرؤن الآية الكريمة التى فى سورة البقرة وهى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الى آخر الآية ويكررون ذلك

مرارا عديدة ثم يسقون على زعمهم ويقرءون الآية الكريمة التي في سورة هل اتى على الانسان حين من الدهر من قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس الى قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا والقرآن العزيز ينبغي أن ينزه عن موضع بدعة أو على موضع بدعة ثم يقولون في أثناء ذلك ما تقدمت الاشارة اليه من انشاد القصائد وما ترتب على ذلك ويسحرون أيضا بالطبلة يطوف بها أصحاب الارباع وغيرهم على البيوت ويضربون عليها هذا الذي مضت عليه عادتهم وكل ذلك من البدع (وأما) أهل الاسكندرية وأهل اليمن وبعض أهل المغرب فيسحرون بدق الابواب على أصحاب البيوت وينادون عليهم قوموا كلوا وهذا نوع آخر من البدع نحو ما تقدم (وأما) أهل الشام فانهم يسحرون بدق الطار وضرب الشبابة والغناء والهنوك والرقص واللهو واللعب وهذا شنيع جدا وهو أن يكون شهر رمضان الذي جعله الشارع عليه الصلاة والسلام للصلاة والصيام والتلاوة والقيام قابلوه بضد الاكرام والاحترام فانا لله وانا اليه راجعون (وأما) بعض أهل المغرب فانهم يفعلون قريبا من فعل أهل الشام وهو أنه اذا كان وقت السحور عندهم يضربون بالنفير على المنار ويكررونه سبع مرات ثم بعده يضربون بالابواق سبعا أو خمسا فاذا قطعوا حرم الاكل اذ ذاك عندهم (ثم) العجب منهم فيما يفعلونه من ذلك لانهم يضربون بالنفير والابواق في الافراح التي تكون عندهم ويمشون بذلك في الطرقات فاذا مروا على باب مسجد سكتوا وأسكتوا ويخاطب بعضهم بعضا بقولهم احترموا بيت الله تعالى فيكفون حتى يجاوزونه فيرجعون الى ما كانوا عليه ثم اذا دخل شهر رمضان الذي هو شهر الصيام والقيام والتوبة والرجوع الى الله تعالى من كل رذيلة يأخذون فيه النفير والابواق ويصعدون بها على المنار في هذا الشهر الكريم ويقابلونه بضد ما تقدم ذكره وهذا يدلك على ان فعل التسحير بدعة بلا شك ولا ريب اذ انها لو كانت مأثورة لكانت على شكل معلوم لا يختلف حالها في بلدة دون أخرى كما تقدم فيتعين على من قدر من المسلمين عموما التغيير عليهم وعلى المؤذن والامام خصوصا كل منهم يغير ما في اقليمه ان قدر على ذلك بشرطه كما تقدم بيانه فان لم يستطع ففي بلده فان لم يستطع

ففى مسجده (تنبيه) وليحذر أن يغتر أو يميل الى شئ من البدع بسبب ما مضت له من العوائد وتربى عليها فان ذلك سم وقل من يسلم من آفاتها (وقد رأيت) بعض المغاربة وكان من البلد الذى يسحرون فيه بالنفير والابواق لما ان سمع المسحرين فى هذه البلاد يقولون تسحروا كلوا واشربوا قال ماهذه البدعة وأنكرها لاستئناسه بما تربى عليه وماتربى عليه هو أكثر شناعة وقبحا وأقرب الى المنع مما أنكره هنا فالعوائد قل أن يظهر الحق معها الا بتأييد وتوفيق من المولى سبحانه وتعالى (ولاجل العوائد) وما ألفت النفوس منها أنكرت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم ماجاء به من الهدى والبيان وكان ذلك سببا لكفرهم وطغيانهم وعنادهم بقولهم ان هذا الاسحر مبين سحر مستمر سحر يؤثر ان امشوا واصبروا على آلهتكم أجعل الآلهة الها واحدا ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هى الاحياتنا الدنيا الى غير ذلك من الالفاظ التى كفروا بها بسبب ماتربوا عليه ونشأوا فيه (فالحذر) الحذر من هذا السم فانه قاتل ومل مع الحق حيث كان وكن متيقظا الخلاص مهجتك بالاتباع وترك الابتداع واقبل نصيحة أخ مشفق فان الاتباع أفضل عمل يعمله المرء فى هذا الزمان والله يوفقنا واياك لما يرضاه عنه فانه القادر عليه (سؤال وارد) فان قال قائل ان التسحير من البدع المستحبات (فالجواب) ان البدع قد قسمها العلماء على خمسة أقسام (بدعة واجبة) وهى مثل كتب العلم فانه لم يكن من فعل من مضى لان العلم كان فى صدورهم وكشكل المصحف ونقطه (البدعة الثانية) بدعة مستحبة قالوا مثل بناء القناطر وتنظيف الطرق لسلوكها وتهيئ الجسور وبناء المدارس والربط وما أشبه ذلك (البدعة الثالثة) وهى المباحة كالمنخل والاشنان وما شاكلهما (البدعة الرابعة) وهى المكروهة مثل الاكل على الخوان وما أشبهه (البدعة الخامسة) وهى المحرمة وهى أكثر من أن تنحصر (منها) ماأحدثه النساء اللاتى وصفهن عليه الصلاة والسلام فى الحديث بقوله نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن مثل أسنمة البخت لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها انتهى (ومما) يقرب منه اتخاذ المساجد طريقا (ومنها) اتخاذها للمديون وكل ذلك من أشراط الساعة كما تقدم (ومسئلة التسحير) لم تدع

ضرورة الى فعلها اذان صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه قد شرع الاذان الاوّل للصبح دالا على جواز الأكل والشرب والثانى دالا على تحريمهما فلم يبق أن يكون ما يعمل زيادة عليهما الا بدعة مكروهة لان المؤذنين اذا أذنوا مرتين على ما تقدم انضبطت الاوقات وعلمت (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى أن ينهى الناس عما اعتادوه من تعليق الفوانيس التى جعلوها علما على جواز الاكل والشرب وغيرهما ما دامت معلقة موقودة وعلى تحريم ذلك اذا أنزلوها وذلك يمنع فعله لوجوه (أحدها) ما ورد من ان الصحابة رضى الله عنهم لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشئ يعرفونه فذكروا أن يوقدوا نارا أو يضربوا ناقوسا كالنصارى وفى رواية وقال بعضهم اتخذ واقرنا مثل قرن اليهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان بدلا عن ذلك ولم يفعلوا واحدا منها اذ انها من خصال اهل الكتاب والنار يعبدها المجوس (الوجه الثانى) ان فى ذلك تغريرا بالصوم اذ انه قد تنطفى فى أثناء الليل فيظن من لا يراها موقودة ان الفجر قد طلع فيترك الاكل والشرب وغيرهما وقد يكون مضطرا الى ذلك فيتضرر فى صومه (الوجه الثالث) انه قد ينساها من هو موكل بها موقودة أو ينام عنها فيظن من يراها كذلك ان الفجر لم يطلع فيتعاطى شيأ مما تقدم ذكره فيفسد به صومه (الوجه الرابع) انه قد تشتبك ولا يقدر من هو موكل بها على خلاصها فحكمه كالوجه الذى قبله وفيه مفسدة أخرى هى أكبر مما قبلها وهى مخاطرة من هو موكل بها بنفسه اذا اشتبكت وكانت موقودة وحاول خلاصها فانه قد يسقط فيموت وقد وقع ذلك والله الموفق

(فصل فى التذكار يوم الجمعة) وينهى المؤذنين عما احدثوه من التذكار يوم الجمعة لما تقدم من ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا أمر به ولا فعله أحد بعده من السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين بل هو قريب العهد بالحدوث أحدثه بعض الامراء وهو الذى أحدث التغنى بالاذان فى المدرسة التى بناها كما تقدم وبدعة هذا أصلها يتعين تركها (سؤال وارد) فان قال قائل الناس مضطرون الى التذكار لكى يقوموا من أسواقهم ويخرجوا من بيوتهم فيأتوا الى المسجد (فالجواب) أنه لا يخلو حال من يأتى

الى الجمعة اما أن يكون بعيدا أو قريبا فان كان قريبا من المسجد فالاذان الاول الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه يكفيه سماعه وان كان بعيدا فهو لا يسمع الاذان الاول الذى للتذكار فيأخذ لنفسه بالاحتياط ألا ترى ان السعى الى الجمعة يجب على الناس بحسب قرب مواضعهم وبعدها وقد يتعين على بعضهم الاتيان الى الجمعة من طلوع الشمس وعلى بعضهم من الزوال بحسب ماذكر من القرب والبعد (واذا) كان ذلك كذلك فلا ضرورة تدعو الى ما أحدثوه ثم مع ذلك ترتبت عليه المفاسد المتقدم ذكرها أعنى من التشويش على من هو فى المسجد ينتظر الجمعة وهم على ما يعلم من حالهم منهم المصلى ومنهم الذاكر والتالى والمتفكر الى غير ذلك كما تقدم (وهذه البدعة) قد عمت بها البلوى فى الاقاليم لكن كل أهل اقليم قد اختصوا بعوائد كما مضى ذلك فى التسحير الاترى ان التذكار فى الديار المصرية على ماهو ومشاهد وفى المغرب ليس كذلك بل يجتمع جماعة من المؤذنين فيرفعون أصواتهم على المنار يقولون الوضوء للصلاة ويدورون عليه مرارا وهو بدعة أيضا (وذلك) مكروه لوجوه (الاول) انه لم يكن من فعل من مضى (الثانى) ان العامة تسمعهم فيظنون ان الغسل للجمعة غير مشروع لها والغالب انهم لا يسألون العلماء فتندرس هذه السنة بينهم ولو قدرنا انهم ينادون الغسل لصلاة الجمعة فذلك يمنع أيضا لانه قد يكون من الناس من يتعذر عليه الغسل للجمعة وهو الغالب فقد يكون ذلك سببا لترك الجمعة لجهله وهو لا يسأل ويسمع الغسل للجمعة ولا يقدر عليه فيترك الصلاة لاجل ذلك (الثالث) ما ترتب على ذلك من التشويش على من فى المسجد كما تقدم بيانه

(فصل) قد تقدم ان المؤذنين للفجر يكونون على الترتيب المتقدم ذكره وكذلك يكونون فى أذان الظهر فيعلم المؤذن الاول والثانى والثالث وهكذا الى الآخر الذى يصلى على آخر أذانه حتى يكون الناس على علم من الوقت فيتأهبون للصلاة بايقاع الطهارة والجلوس لانتظار الصلاة أو الجلوس فى دكاكينهم حتى يسمعوا المؤذن الآخر فيتركوا اذ ذاك بيعهم وشراءهم ويهرعون لصلاتهم حتى يقضوها (لكن) زاد بعض أهل المغرب هنا بدعة وهى انه اذا فرغ المؤذن الآخر الذى يصلون على آخر أذانه يجتمع

جماعة المؤذنين فينادون على صوت واحد حضرت الصلاة رحمكم الله
ويدورون على المنار مرارا وكذلك يفعلون فى العصر وكذلك يفعلون فى
صلاة الصبح اذا أذن المؤذن على الفجر اجتمعوا بجمعهم ونادوا أصبح ولله الحمد
ويدورون على المنار مرارا وكل ذلك من البدع لانه لم يأت فى الشرع ولم تدع
اليه ضرورة على ما تقدم ثم على الترتيب المذكور يترتبون جماعة فى العصر
على ما تقدم بيانه وأما المغرب فليس لها الا وقت واحد ووقتها ضيق لا يسع
المؤذنين جماعة واحدا بعد واحد فيؤذن لها واحد ليس الا وقد تقدم أن
المؤذنين اذا تزاحموا وكان ذلك منهم ابتغاء الثواب ولم يسبق أحدهم الآخر
أذنوا جماعة كل منهم يؤذن لنفسه ولا يمشى على صوت رفيقه ويترتب
المؤذنون فى العشاء كما فى الظهر والعصر

(فصل فى حكمة ترتيب الاذان) انظر رحمنا الله واياك الى حكمة
الشرع فى الاذان واحدا بعد واحد كيف عمت منفعته للامة اذ أن صاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من حكاه له مثل أجره فلو كان المؤذن
واحدا ليس الا لفاتت هذه الفضيلة على كثير من الامة اذ أنه قد يكون
المكلف قاعدا لقضاء حاجته أو فى سوقه مشغولا لا يسمعه أو فى أكله أو
شربه أو نومه الى غير ذلك من الاعذار فلو كان المؤذنون جماعة يؤذنون
فى فور واحد لفاتتهم حكايته فاذا أذنوا على الترتيب السابق واحدا بعد
واحد فمن كان له عذر فى ترك حكاية المؤذن الاول أدرك الثانى وكذلك
قد يتنبه النائم من نومه فيحكيه ويعلم فى أى وقت هو من ايقاع الصلاة فتعم
المنفعة للامة (وقد ورد) أربعة مواضع لا يرد فيها الدعاء عند اصطفاف
الناس الى الجهاد وعند اصطفافهم الى الصلاة وعند سماع النداء وعند
نزول المطر (فاذا) حكى المكلف المؤذن ودعا باختياره استجيب له ان شاء
الله تعالى للوعد الجميل (ومثل) هذه الحكمة العجيبة المباركة ما نقل عنه
عليه الصلاة والسلام من قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن
العاص رضى الله عنه صم يوما وأفطر يوما فقال انى أطيق أفضل من ذلك
فقال عليه الصلاة والسلام لا أفضل من ذلك ثم انه عليه الصلاة والسلام

لم

لم يفعل ذلك فى حق نفسه الكريمة بل قال الواصف لصومه عليه الصلاة والسلام انه كان يصوم حتى نقول انه لا يفطر ويفطر حتى نقول انه لا يصوم وما أكمل صيام شهر قط الا رمضان (وذلك) منه عليه الصلاة والسلام توسعة على الامة وأخذ منه بالأفضل والأعلى ألا ترى انه لو صام يوما وأفطر يوما لفاتت تلك الفضيلة على كثير من الامة مثل المسافر والمريض والحائض وعلى ما فعله عليه الصلاة والسلام يدرك كل منهم الفضيلة بكمالها وذلك نصف الدهر (ومثل) ذلك أيضا ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن صلاة نبى الله داود عليه الصلاة والسلام انه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولم يفعله عليه الصلاة والسلام فى نفسه المكرمة بل قال الواصف لقيامه انه عليه الصلاة والسلام كان لا تريد أن تراه فى جزء من الليل قائما الا رأيته نائما ولا تريد أن تراه فى جزء من الليل نائما الا رأيته قائما وما ذاك الا لرفقه عليه الصلاة والسلام بامته حتى لا تفوتهم فضيلة اتباعه عليه الصلاة والسلام فمن نام منهم فى جزء من الليل أدرك الجزء الآخر فسبحان من أهله للرفق بأمته ورفع المشاق عنهم ويسر عليهم كيف لا وقد قال سبحانه وتعالى فى صفته معهم بالمؤمنين رؤف رحيم اللهم اجعلنا من أمته بحرمته عندك لارب سواك

(فصل) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من وقوفهم على أبواب المساجد وقولهم الصلاة رحمكم الله حضرت الصلاة الصلاة يا أهل الصلاة الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد شرع للمكلف حضور الصلاة بسماعه الاذان فالزيادة عليه بدعة (هذا) وجه (الوجه الثانى) انه اذا فعل ذلك بقى الاذان الشرعى كأنه لا معنى له لان الناس اذا عهدوا ذلك يتكلون على وقوف المؤذن على ابواب المساجد وعلى قوله المتقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالغالب من الناس انهم اذا سمعوا الاذان الشرعى لم يهرعوا الى المسجد لاتكالهم على ما وصفنا وذلك كله من الحدث فى الدين (وقد كان) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مارا فى طريق بالبصرة فسمع المؤذن فدخل الى المسجد يصلى فيه الفرض فركع فبينما هو فى أثناء الركوع واذا بالمؤذن قد وقف على باب المسجد وقال حضرت الصلاة

رحمكم الله فرغ من ركوعه واخذ نعليه وخرج وقال والله لا أصلي في مسجد فيه بدعة

(فصل) وكذلك ينهاهم عما أحدثوه من قراءة ان الله فالق الحب والنوى وقوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن عند ارادتهم الاذان للفجر وان كانت قراءة القرآن كلها بركة وخيرا لكن ليس لنا أن نضع العبادات الا حيث وضعها صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه كما تقدم بيانه

(فصل في النهي عن النداء على الغائب بما لا ينبغي) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من النداء على الغائب بالالفاظ التي فيها التزكية والتعظيم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزكوا على الله أحدا والميت مضطر الى الدعاء والتزكية ضد ما هو مضطر اليه من الدعاء اذ أنها قد تكون سببا لعذابه أو توبيخه فيقال له أهكذا كنت وقد وقع هذا منهم كثيرا في منامات رؤيت لهم في هذا المعنى (ألا ترى) الى قولهم الصلاة على الرجل العالم العامل الصالح العابد الورع الزاهد الناسك الحاج الى بيت الله الزائر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان الدين الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم في هذا المعنى (فان) قال قائل ان مذهب الشافعي رحمه الله جواز الصلاة على الغائب (فالجواب) أننا لا ننكر مذهبه بل ننكر ما أنكره الشارع صلوات الله عليه وسلامه من التزكية المذكورة فلو قال المؤذن مثلا الصلاة على العبد الفقير الى الله النازل بفنائه المضطر الى رحمته واحسانه فلان باسمه الشرعي وما أشبه هذا من الالفاظ فان ذلك لا ينكر ولا يكره وهذا على مذهب من أجاز الصلاة على الغائب كما تقدم لكن يخاف أنه يكون ذلك نعيا لقول بعض الصحابة رضي الله عنهم اذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحدا فاني أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي

(فصل في النهي عن مشي المؤذنين أمام الجنازة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من مشيهم أمام الجنائز ورفعهم أصواتهم بالتكبير كتكبير العيد فان فعلى ذلك أمام الجنائز بدعة قريبة العهد بالحدوث كان أول من

أحدثها وال من الولاة قريب العهد جدا أحدثها على جنازة كانت له ثم سرى ذلك الى أن فعله بعض من له الرياسة فى الدولة ثم انتشر ذلك وشاع حتى صار عند الناس ان من لم يفعله ما قام بحق ميته وياليته لو وقف الامر على هذا الحد لكن زادوا على ذلك اعتقادهم انهم فى طاعة وخير وبركة وهم فى الحقيقة على ضد ما يظنون وقد تقدم ان المؤذن يكون متصفا بالديانة والامانة ومن اتصف بالبدعة فقد تعذر وصفه بذلك

(فصل فى عقد النكاح فى المسجد) وينبغى للامام أو المؤذن أن يتقدم الى نهى الناس عما احدثوه حين عقد الانكحة فى المسجد من اتيانهم بالمباخر المفضضة وذلك لا يجوز على كل حال فى بيت ولا غيره وان كان نفس البخور والطيب مندوبا اليه فى المسجد مع انه قد قال مالك ان الصدقة بثمن ذلك أفضل ولكن يمنع لاجل ظرفه لانه مفضض (وأما) فرش البسط فى المسجد فهو بدعة ولو كانت فى البيوت لكان ذلك جائزا بشرط أن لا يقصد بفرشها المباهاة وما شاكلها وهذا كله من باب الجهالة وذلك اذا كان الفاعل لهذا من عامة الناس الذين لم يتلبسوا بالعلم ولا يسألوا عما وقع لهم وأما ان كان ممن يقرأ العلم فهو من باب الغفلة عن احكام الله تعالى وعما يجب على المرء فى دينه من الامر والنهى والتشبه بمن تقدم ذكرهم من أهل الجاهلية والرعونة ثم ينضم الى ما ذكر فى المسجد ما ينزه عنه من الالفاظ التى تقتضى التزكية والتعظيم لو كانت فى الشخص أو الكذب ان لم تكن فيه وكلاهما لا يجوز وكذلك ما يقع منهم من الثناق والايمان والغالب ان الايمان اذا كثرت فان الحنث فيها واقع فيحذر من أن يسامح فى شئ من هذا جهده والله المستعان

(فصل فى تهيئ الامام للجمعة) ويتأكد فى حق الامام خصوصا الغسل للجمعة وان كان نظيفا فى نفسه لوجوه (الاول) أن الغسل للجمعة مختلف فى وجوبه وقد تقدم (الثانى) أنه قدوة للمقتدين فقد يراه أحد حين صلاة الجمعة بالوضوء وحده أو يسمع عنه ذلك فيقتدى به فى ترك هذه السنة المؤكدة (الثالث) ان الامام من صفته أن يكون أكملهم حالا ومن صلى الجمعة بغير غسل فهو أنقص حالا ممن اغتسل

(فصل فى ذكر الاشياء التى ينبغى للامام أن يتجنبها فى نفسه) وقد تقرر فى الشريعة أن أحسن لباس الناس البياض (لقوله) عليه الصلاة والسلام خير لباسكم البياض انتهى فينبغى للامام أن يبادر اليه قبل غيره لانه قدوة كما تقدم (وقد) قال الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه ومن أفضل ما يلبس البياض ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضائل أن ينظر الى لابسه انتهى (فان) كان الثوب جديدا فليمتثل السنة حين لبسه بأن يسمى الله تعالى ثم يقول ما ورد فى السنة من الدعاء عند لبسه الثوب الجديد وذلك أن يقول اللهم انى أسألك خير هذا الثوب وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له انتهى ثم يقول اللهم اجعله لى عونا على طاعتك (ويستحب) لمن رأى الثوب الجديد على غيره أن يقول له تبلى ويخلف الله تعالى (وقد ورد) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه تبلى وتخلفى (وقد) خرج أبو داود فى سننه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه اما قميصا أو عمامة زاد الترمذى أو رداء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (قال) أبو نضرة وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تبلى ويخلف الله تعالى (ومنه) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وان) كان غير جديد فالتسمية لا بد منها عند لبسه وعند خلعه كما تقدم (وينبغى) أن يكون غالب لباسه البياض سيما للخطبة وان كان لبس السواد جائزا لان النبى صلى الله عليه وسلم لبسه وخطب فيه لكن المواظبة على لبسه للامام للجمعة دون غيره بدعة فينبغى أن يلبس البياض ولو كان يوما ما حتى يخرج بذلك من هذه البدعة ما لم يؤد لبس البياض الى توقع فتنة أو ضرر يلحقه (وكذلك) الرئيس يتجنب ما يتجنبه الامام (وكذلك) يتحفظ من غرز الابر فيما يتطيلس به أو يتعمم على ما تقدم فى باب اللباس (وكذلك) لا يلبس الخفين وان كان

لبسهما

لبسهما حائز اسفرا وحضرا لكن لبسهما لاجل الخطبة وصلاة الجمعة بدعة أيضا (وكذلك) يتحفظ من جعل الأعلام السود على المنبر حال الخطبة فان ذلك من البدع أيضا اللهم الا أن يتوقع الفتنة بزوالها فيتعين عليه أن ينكر ذلك بقلبه والله أعلم

(فصل في خروج الامام على الناس يوم الجمعة) وينبغي له أن يتحفظ من هذه البدعة التي يفعلها بعض الخطباء وهو أنه اذا خرج على الناس يوم الجمعة لا يسلم عليهم والسلام مشروع عند لقاء المسلم لاخيه المسلم وذلك سنة معمول بها مشهورة معروفة فكيف يتركها الامام وهو قدوة لغيره فيخالف السنة في أول دخوله لبيت ربه وهذا لا يليق به ولا بمنصبه وينبغي له أن يتحفظ في نفسه حين دخول المسجد فيفعل الآداب المتقدم ذكرها لانه قدوة كما تقدم فلو فعل غير ذلك مرة لاقتدى الناس به

(فصل) وينبغي له أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من أن الامام اذا خرج على الناس في المسجد يقوم المؤذنون اذ ذاك ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم يكررون ذلك مرارا حتى يصل الى المنبر وان كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أجل العبادات كما تقدم

(فصل في صعود الامام على المنبر) وينبغي له أن يأخذ السيف أو العصا أو غيرهما بيده اليمنى اذ أنها السنة ولأن تناول الطهارات انما يكون باليمين والمستقذرات بالشمال ولا حجة لمن قال انه يأخذه باليسار لكونه أيسر عليه في مناولته اذا أراد أحد اغتياله لان هذا المعنى مما يختص بالامراء الذين يخافون على أنفسهم الغيلة وهذا مأمون في هذا الزمان في الغالب اذ أن الامام ليس له تعلق بالامارة في الغالب حتى يغتاله أحد

(فصل في كيفية صعوده على المنبر) وينبغي له اذا أراد أن يصعد المنبر أن يسمي الله تعالى ويقدم اليمين كما تقدم (ويحذر) أن يضرب بما في يده على درج المنبر لوجهين (أحدهما) انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في الاتباع لهم كما تقدم (الثاني) أن المنبر وقف والضرب عليه على الدوام مما يضر به ويخلقه وان كان قد قال بعض الناس بجوازه لكنه محجوج بما ذكر من الاتباع (وكذلك ينهى المؤذنين عن الصلاة والتسليم عند كل ضربة

يضربها عليه فان ذلك من البدع أيضا ولا يطوّل على الناس فى رقيه المنبر الا لضرورة من كبر سن أو ضعف بدن فاذا وصل الى الموضع الذى يخطب عليه أقبل بوجهه على الناس وجلس من غير سلام من المؤذنين وان كان قد ورد فيه حديث لكن الذى استقر عليه عمل السلف رضوان الله عليهم تركه اذاك وبعضهم يسلم ويزيد فيه بدعة وهو أن يشير بيده الى الناس ولا يقف مستقبل القبلة و يبسط يديه ليدعو اذ ذاك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد عدوا ذلك من البدع

(فصل فى فرش السجادة على المنبر) وليحذر أن يفرش السجادة على المنبر لان ذلك بدعة اذ أنه لم يأت عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الخلفاء بعده ولا عن أحد من الصحابة ولا السلف رضى الله عنهم أجمعين فلم يبق الا أن يكون ذلك بدعة ولا ضرورة تدعو اليها لانه ليس بموضع صلاة (وكذلك) ينبغى أن يمنع ما يفرش على درج المنبر يوم الجمعة فانه من باب الترفه ولم يكن من فعل من مضى فهو بدعة أيضا (وينهى الرئيس) عما أحدثه من ندائه عند ارادة الخطيب الخطبة بقوله للناس أيها الناس صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت أنصتوا رحمكم الله انتهى (والعجب) من بعض الناس انهم ينكرون على مالك رحمه الله أخذه بعمل أهل المدينة ويستحسنون هذا الفعل ويحتجون على صحته بأنه من عمل أهل الشام وعادتهم المستمرة وقد تقدم (وكذلك) ينهاهم أيضا عما أحدثوه من صعود الرئيس على المنبر مع الامام وان كان يجلس دونه وذلك يمنع لوجهين (أحدهما) أن الرئيس بهذا الفعل يخالف السنة فى استقباله للخطيب فى حال الخطبة ورمقه بعينيه لانه مستدبر له اذ ذاك (والثانى) أنه لم يرد أن أحدا ممن مضى جلس مع الخطيب على المنبر (والعجب) منه انه يأتى بنص الحديث المتقدم ثم يأمرهم بالانصات بعده بقوله أنصتوا رحمكم الله ثم يفعل ضد ذلك ويأمرهم بالكلام فيتكلم ويستدعى الكلام بقوله آمين اللهم آمين غفر الله لمن يقول آمين اللهم صل عليه صلى الله عليه وسلم وقوله رضى الله عنهم أجمعين (ولا حجة) لمن يقول ان مذهب الشافعى رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم

فلا

فلا بأس أن يصلي عليه السامع يرفع صوته بذلك لان رفع الصوت هو أن يسمع المرء نفسه ومن يليه على ما يعهد من عمل السلف في جهرهم في مواضع الجهر لا على ما يعهد من زعقات المؤذنين فان ذلك خارج عن حد السمت وحال الخطبة حال خشوع وحضور اذ أنها بدل عن الركعتين في الظهر على قول بعضهم فلا يجوز فيها الا ما يجوز في الصلاة أعني الانصات عند قراءة الامام (ومذهب) مالك رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر الجنة أو النار أو ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان السامع يسأل ويستعيذ ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند سماعه لذلك سرا في نفسه (زاد) أشهب ان الانصات أفضل له فان فعل فسرا في نفسه ولو عطس فيحمد الله سرا في نفسه ومن سمعه فلا يشمته فان جهل فشمته فلا يرد عليه والانصات على مذهب مالك رحمه الله واجب على الصفة التي ذكرت على من سمع الخطبة وعلى من لم يسمعها وعلى من كان في المسجد أو خارجه ممن ينتظر صلاة الجمعة (ومذهب) الشافعي رحمه الله تعالى ان الانصات يجب على أربعين وما زاد على ذلك فالانصات مندوب في حقهم ولا شك ان ترك المندوب في هذا الوقت الفاضل يقبح سيما على ما تقدم من القول بان الخطبة بدل عن الركعتين في الظهر وبالجملة ففعل السلف أولى ما يبادر اليه كان الفعل واجبا ومندوبا وقد كانوا جميعا منصتين (وقد) قال مالك رحمه الله ليس العمل على فعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين سمع رجلين يتكلمان في حال الخطبة فحصبهما أن اصمتا قال لان حصبهما بمنزلة قوله لهما اسكتا فاذا كان عمل السلف على هذا الذي ذكره فالمبادرة الى اتباعهم أفضل وأعلى كما تقدم فانهم على الهدى المستقيم (وينبغي له) أن يجتنب التقعير في خطبته والتصنع فيها (وكذلك) يجتنب تطويل الخطبة وتقصير الصلاة (لما) رواه مالك في موطئه عنه عليه الصلاة والسلام انه قال أنتم في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطي يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدؤن فيه أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتي على الناس زمان كثير قراؤه قليل فقهاؤه تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطي يطيلون فيه الخطبة ويقصرون فيه

الصلاة يبدءون فيه أهواءهم قبل أعمالهم انتهى (فهذا) دليل واضح لما ورد ان طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل فليتحفظ على هذا فانه من أكبر الاصول المعتبرة فى الخطبة والصلاة (وأما) ترضى الخطيب فى خطبته عن الخلفاء من الصحابة وبقية العشرة وباقى الصحابة وأمهات المؤمنين وعترة النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم أجمعين فهو من باب المندوب لا من باب البدعة وان كان لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا الصحابة رضى الله عنهم لكن فعله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لأمر كان وقع قبله وذلك ان بعض بنى أمية كانوا يسبون بعض الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين على المنابر فى خطبتهم فلما أن ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أبدل مكان ذلك الترضى عنهم وقد قال مالك رضى الله عنه فى حقه هو امام هدى وأنا اقتدى به (وينبغى) له ان يكون فى خطبته على حال خشوع وتضرع لانه يعظ الناس والمقصود من الموعظة حصول الخشوع والرجوع الى الله سبحانه وتعالى باتباع أمره واجتناب نهيه والخوف منه والخوف مما اوعد به وقوة الرجاء فيما وعد به وحسن الظن به سبحانه وتعالى فاذا كان الخطيب مستعملا فى نفسه ما ذكر كان ذلك أدعى الى قبول ما يلقيه الى السامعين لاتصافه بما اتصف به هو فى نفسه كما مر فى المؤذن اذا أذن ينبغى له ان يكون على طهارة ليبادر لفعل ما نادى اليه اولا فيكون أدعى الى صدع القلوب لان العلم اذا خرج من عامل تشبث بالقلوب واذا خرج من غيره انساب عن القلوب على ما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم وقد تقدم انه يتجنب فى خطبته التصنع لان التصنع اذا وقع فهو الداء الذى ليس له دواء فى الغالب اذ انه يشبه النفاق بل هو النفاق بعينه اذ ان معنى النفاق أن يظهر بلسانه وجوارحه ما ليس فى قلبه أسأل الله السلامة بمنه

• (فصل فى اسلام الكافر فى حال الخطبة) * وينبغى له أن يتجنب هذه البدعة التى يفعلها بعضهم وهى أن الكافر يأتى الى الخطيب فيسلم على يديه فى غير الجمعة ثم يعود ويأتى ثانيا والخطيب على المنبر حتى يتلفظ بالاسلام على رؤس الناس ويقطع الخطيب الخطبة بسببه وتقع ضجة فى المسجد ينزه المسجد عنها وهو قد كان أسلم قبل ذلك كما تقدم ولا يجوز له أن يقطع ترتيب

الخطبة

قوله مئنة بفتح الميم وكسر الهمزة وتشديد النون اى علامة اهـ

الخطبة لاجل هذا لانه كان مسلما قبل ولا عذر له فى أنه يجدد الاسلام اذ ذاك ليشتهر اسلامه بين المسلمين ويعرفوه بذلك حتى لا يعود الى ما كان عليه من الكفر لما تقدم من اسلامه لانه بنفس اسلامه جرت عليه أحكام المسلمين وعرفه من عرفه منهم فلا ضرورة تدعو الى ما يفعلونه من ذلك ولو قدرنا انه الآن أسلم فيتعين على الخطيب أنه يأمره بالخروج من المسجد و يأمر من يخرج معه من المسلمين حتى يغتسل ان كان جنبا ولو لم تتقدم له جنابة فى حال كفره فيغتسل للاسلام فان ترك الغسل على قول بعضهم فالوضوء لابد منه ليصلى به الجمعة

(فصل) فاذا فرغ من خطبته ودعائه فيها فليختمها بقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية أو بقوله اذكروا الله يذكركم او ما فى معناه فاذا فرغ منه فليقم المؤذن الصلاة فاذا دخل المحراب فينبغى له ان يصلى على ما هنالك من الحصير و يترك السجادة اذ ان اتخاذها للصلاة بدعة الا لضرورة التحفظ من النجاسة ولا ضرورة تدعو اليها فى هذا الموضع اذ ان المحراب له هيبة ولا يدخله أحد فى الغالب سيما الصبيان الصغار ومن لا يؤبه له فان الغالب من أحوالهم أنهم لا يقربون موضعه فهو على أصله من الطهارة (والامام) ينبغى له أن يكون أفضل القوم فى كل الاحوال ومن ذلك ان لا يسجد على حائل بينه وبين الارض فانه السنة ولما أدت الضرورة الى الحصر المفروشة هناك فعلت وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يباشر الارض بوجهه ويديه فى سجوده لا يحول بينه و بين الارض شئ وكذلك كان حال أكثر السلف رضى الله عنهم فمن قدر على ذلك فهو الأولى والأفضل فى حقه اللهم الا أن تدعو ضرورة الى ذلك فأرباب الضرورات لهم أحكام أخر ودين الله يسر (فاذا) استوى قائما فى المحراب فالسنة الماضية أن يكون قريبا من المأمومين (وقد) كان الامام من السلف رضى الله عنهم يقرب أن تمس ثيابه ثياب المأمومين (وقد قالوا) ان من فقه الامام قربه من المأمومين وذلك لفوائد نذكرها (منها) انه قد يطرأ عليه فى صلاته ما يوجب خروجه منها فلا يحتاج الى كلام ولا الى كثير عمل فى الاستخلاف بل يمد يده الى من يستخلفه فيقدمه (ومنها) انه قد يسهو

فى صلاته فيسجدون له فلا يسعهم فاذا كان قريبا منهم سمعهم فى الغالب وتداركوا بالافاقة ذلك بسبهم له وتنبيههم له عليه فيتدارك اصلاح ما اخل به (ومنها) أنه قد يكون فى ثوبه نجاسة لم يشعر بها فاذا كان قريبا منهم ادركوها فنبهوه عليها الى غير ذلك (ولم يكن) للسلف رضوان الله عليهم محراب وهو من البدع التى أحدثت لكنها بدعة مستحبة لان أكثر الناس اذا دخلوا المسجد لا يعرفون القبلة الا بالمحراب فصارت متعينة (لكن) يكون المحراب على قدر الحاجة وهم قد زادوا فيه زيادة كثيرة والغالب من بعض الائمة انهم يصلون داخل المحراب حتى يصيروا بسبب ذلك على بعد من المأمومين وذلك خلاف السنة (ثم) انه يخرج نفسه بذلك من الفضيلة الكاملة لان باقى المسجد أفضل منه (ألا ترى) ان علماءنا رحمة الله عليهم قالوا فيمن اضطر الى النوم فى المسجد انه ينام فى محرابه لانه أخف من باقى المسجد بل ينبغى له أنه اذا كان المسجد لم يضق بالناس فلا يدخل الامام الى المحراب فان ضاق بهم فليدخل على الصفة المتقدمة لانه اذا لم يدخل يمسك بوقوفه خارجا عنه موضع صف من المسجد وهو قد يسع خلقا كثيرا (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى التى يفعلها بعض الائمة وهو أنهم لا يعتنون بتسوية الصفوف ثم ان الامام يلتفت عن يمينه ويقول استووا يرحمكم الله ثم يلتفت عن شماله ويقول مثل ذلك و يقول له الرئيس أو أحد المأمومين كبر رضى الله عنا وعنك هذا فعلهم سواء كان فى الصف خلل أو لم يكن ولو كان ثم خلل لم يسده احد بقوله وهذا كله من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم (وقد كان الائمة من السلف رضى الله عنهم يوكلون الرجال بتسويتها منهم عثمان ابن عفان رضى الله عنه ثم لا يكبرون حتى يأتى من وكلوهم بذلك فيخبروهم أنها قد استوت فيكبرون اذ ذاك (وقد) جاء فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم (وقد) نقل عن السلف رضى الله عنهم ان ثيابهم كانت تنقطع من جهة المناكب أولا لشدة تراصهم فى صلاتهم وهذه السجادات تمنع من ذلك ضرورة لانها تبسط على موضع فى المسجد يزيد على قدر ما يحتاج اليه صاحبها فى قيامه

وسجوده اللهم الا أن يضم اليه من بجانبه حتى يصلي معه عليها فيخرج عن باب الكراهة لكن يدخل على صاحبها وجه آخر وهو أنه اذا كان من يصلي الى جانبه متورعا أو في كسب صاحبها علة شبهة أو حرام وقد يكون كسبه حلالا لكن يمتنع من وجه آخر وهو تحرجه من دخول المنة عليه واذا كان ذلك كذلك فلا يفعل لانه يأتي الى فعل مندوب وهو التراص في الصف فيقع في محرم أو مكروه

(فصل في دخوله في الصلاة) فاذا استوت الصفوف فلينو اذ ذاك الدخول في الصلاة بقلبه ولا ينطق بلسانه ولا يجهر بالنية فان الجهر بها من البدع (واختلف) في النطق باللسان هل هو بدعة أو كمال (فقال) بعضهم هو كمال لانه أتى بالنية في محلها وهو القلب ونطق بها اللسان وذلك زيادة كمال هذا ما لم يجهر بها (وقال) بعضهم ان النطق باللسان مكروه ويحتمل ذلك وجهين (أحدهما) أنه قد يكون صاحب هذا القول يرى ان النطق بها بدعة اذ لم يأت في كتاب ولا سنة (ويحتمل) أن يكون ذلك لما يخشى أنه اذا نطق بها بلسانه قد يسهو عنها بقلبه واذا كان ذلك كذلك فتبطل صلاته لانه أتى بالنية في غير محلها (الا ترى) ان محل القراءة النطق باللسان فلو قرأ بقلبه ولم ينطق بها لسانه لم تجزه صلاته وكذلك لو تلفظ بالنية بلسانه ولم ينوها بقلبه (ومن) صفة النية على الكمال أن ينوي بصلاته التقرب الى الله تعالى بأداء ما افترض عليه من تلك الصلاة بعينها وذلك يحتوي على خمس نيات وهي نية الاداء ونية التقرب الى الله تعالى ونية الفرض وتعيين الصلاة واحضار الايمان والاحتساب وهو شرط في صحة ذلك كله واختلف في تعيين الايام وعدد الركعات ويتعين على المأموم أن ينوي الائتمام لان المأموم يلزمه أن ينوي أنه مأموم فان لم يفعل بطلت صلاته بخلاف الامام فانه لا يلزمه أن ينوي الامامة الا في كل صلاة لا تصح الا في جماعة وهي خمس وذلك ما نحن بسبيله من صلاة الجمعة والثانية الصلاة على الجنازة والثالثة الجمع ليلة المطر والرابعة صلاة الخوف والخامسة المأموم المستخلف وما عدا ذلك لا يجب عليه فيه نية الامامة لكن ان نواها كان أعظم أجرا وأكثر ثوابا ممن لم ينوها (ثم) يستفتح القراءة فيقرأ بعد أم

القرآن فى الركعة الاولى بسورة الجمعة وأما الثانية فاختلفت الروايات فيها فقيل اذا جاءك المنافقون وقيل سبح اسم ربك الأعلى وقيل هل أتاك حديث الغاشية وهو الاكثر ولم يختلف المذهب فى الاولى انه لا يقرأ فيها الا سورة الجمعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عما يقرأ المسبوق بركعة فى الجمعة فقال يقرأ مثل ما قرأ امامه بسورة الجمعة فقيل له اقراءة سورة الجمعة فى صلاة الجمعة سنة قال لا أدرى ما هي سنة ولكن من أدركنا كان يقرأ بها فى الركعة الاولى من الجمعة انتهى وان كان قد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ فى الركعة الاولى من صلاة الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وفى الثانية بهل أتاك حديث الغاشية لكن الذى واظب عليه عليه الصلاة والسلام واستقر عليه عمل السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين ما تقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالمواظبة على ترك قراءة سورة الجمعة فى الركعة الاولى منها مما لا ينبغى فليحذر من هذا جهده وبعض الائمة فى هذا الزمان يقرأ بعد أم القرآن بآخر سورة الجمعة من قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة الى آخرها وفى الثانية بآخر سورة المنافقين من قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الى آخرها وهذا راجع الى ما تقدم من قصر الصلاة واطالة الخطبة وما كان السلف رضى الله عنهم يقرؤن الا سورة كاملة بعد أم القرآن وان كان الشافعي رحمه الله قد أجاز الاقتصار على قراءة بعض السورة فذلك من باب الجواز والمندوب والافضل والاتباع قراءة سورة كاملة

(فصل) وما تقدم من أن النية لا يجهر بها فهو عام فى الامام والمأموم والفذ فالجهر بها بدعة على كل حال اذ انه لم يروان النبى صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء ولا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جهروا بها فلم يبق الا أن يكون الجهر بها بدعة (وينبغى له) أن ينهى المأمومين عما أحدثوه من قراءتهم بالجهر اياك نعبد واياك نستعين حين قراءة الامام اياها فيحذر من هذا جهده فانه بدعة (وينبغى له) أن ينهى عن الجهر خلفه بالقراءة فى صلاة السر لان ذلك خلاف السنة وفيه التشويش عليه وعلى من يقرب منه (وقد) ورد النهى عن أقل من هذا بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم

على بعض بالقرآن وكان كل واحد منهم يصلى لنفسه وهذه صلاة واحدة فمن باب أولى أن ينهى عن ذلك (وكذلك) اذا كانت الصلاة جهرية وقرأ المأموم أم القرآن خلفه فلا يجهر بها (وقد) ورد النهى عن ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام انى أقول مالى أنازع القرآن فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان فى الجهر بها ما تقدم ذكره وهو من البدع أيضا لانه يترك سنة الاسرار فى الصلاة (ولا حجة) لمن يحتج بالحديث الوارد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمعهم الآية أحيانا اذ أن ذلك خاص بالامام مع انه عليه الصلاة والسلام انما فعل ذلك لكى يعلم الناس الحكم فى صلاة السر انه يقرأ فيها بسورة بعد أم القرآن حتى لا يجد أحد السبيل الى ان يقول كان يسبح أو يدعو أو يفكر فكان جهره عليه الصلاة والسلام بالآية أحيانا لهذا المعنى والله أعلم (وينبغى) للامام أن لا يجهر بالتسبيح فى ركوعه أو سجوده ولا يجهر بالدعاء فى موضع الدعاء فى الصلاة أو عقبها وما يفعله فى حق نفسه فيحمل المأمومين عليه لان ذلك من السنة والجهر بذلك بدعة اذ أنه لم يروان النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فسلم منها وبسط يديه ودعا وأمن المأمومون على دعائه وكذلك الخلفاء الراشدون بعده رضى الله عنهم أجمعين وكذلك باقى الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وشئ لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة فلا شك فى ان تركه أفضل من فعله بل هو بدعة كما تقدم (وكذلك) لا يسمع صدره عند قراءة القنوت فى الصبح وغيرها مما شرع فيه القنوت أو الدعاء لما تقدم (وكذلك) ينهى غيره عن فعل ذلك اذ انه بدعة (وكذلك) ينهى من يفعل ذلك عند رفع الرأس من الركوع اذ أنه بدعة (وكذلك) لا يجهر بالدعاء بعد فراغه من التشهد وقبل السلام وينهى غيره عن فعله لانه بدعة (والاصل) الذى يبنى عليه صلاته ويعتمد عليه الخشوع والحضور فيها فيمثل نفسه انه واقف بين يدى الملك الجليل يخاطبه ويناجيه فان كان فى القراءة فهو يسمع كلام ربه عزوجل وان كان فى غيرها من دعاء أو ذكر فهو يناجى مولاه بدعائه ويذكره سبحانه وتعالى المولى العليم

يسمعه اذ انه أقرب اليه من حبل الوريد أعنى بالعلم والاحاطة فتخشع جوارحه كلها انقيادا منها لما حصل فى قلبه من الخشوع والحذر الحذر من خشوع جوارحه الظاهرة دون الجوارح الباطنة وقد تقدم هذا المعنى فى الخطبة وهو فى الصلاة أولى وقد ورد ان الصلاة فى الجماعة ترفع على أتقى قلب رجل منهم فينبغى أن يكون ذلك الرجل هو الامام اذ انه يعتبر فى حقه أن يكون أفضلهم وبحصول هذه الصفة تزكو صلاته ويعود من بركاتها على الحاضرين معه فيعمل على تحصيل هذه المزية جهده والله الموفق (والسنة المتقدمة) أن يلى الامام من الناس أفضلهم علما وعملا لقوله عليه الصلاة والسلام ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى (ومن فوائده) انه لو طرأ على الامام ما يوجب الاستخلاف لوجد من فيه أهلية لذلك بقربه من غير كلفة يتكلفها وهذه سنة معمول بها فى بلاد المغرب على ما كنت أعهد أنه لا يستر الامام الا من فيه أهلية التقدم للامامة فى الغالب وقد تقدم بعض ذلك وهذه خصلة دائرة فى هذه البلاد فى الغالب فتجد من لا علم عنده يستر الامام وتجد أهل الفضل فى المواضع البعيدة عنه وذلك بدعة ومخالفة للسنة لما تقدم من أمره عليه الصلاة والسلام بقوله ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى ولفعله عليه الصلاة والسلام وفعل أصحابه رضى الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى للامام أن يكون أول من يسبق الى المسجد ان أمكنه ذلك ليحصل هذه السنة ويخمد هذه البدعة ويقتدى الناس به وما زال الفضلاء والاكابر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الانصار هم الذين يبادرون الى المساجد فى أوائل الاوقات أو قبلها (حتى) انه قد حكى عن بعضهم انه جاء الى صلاة الجمعة فوجد رجلين قد سبقاه فجعل يعاتب نفسه ويقول أثالث ثلاثة أثالث ثلاثة فلو جاء الامام أو غيره من الفضلاء الى المسجد فوجدوا غيرهم ممن ليس فى منزلتهم قد سبقهم لتلك المواضع التى يعهدون الصلاة فيها أعنى من كان يستر الامام أو يقرب منه كان من سبق لتلك المواضع أحق بها منه وأولى ولا يقام منها اتفاقا واقامته ظلم له وبدعة (اللهم) الا أن يؤثر السابق بهذه القربة غيره من أهل الفضل والدين (فذلك) له بل هو مندوب اليه لوجهين (أحدهما) ما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام

ليليني منكم أولو الاحلام والنهى وللعمل الماضي المتقدم ذكره (والثاني) من صلى خلف مغفور له غفر له فاذا قدمه لأحد هذين الوجهين كان مندوبا اليه (وقد تقدمت) حكاية بعض السلف الذي كان يأتي الى المسجد أول الوقت ليدرك فضيلة الصف الاول فاذا امتلأ بالناس تأخر الى الثاني وآثر بمكانه غيره وهكذا الى ان يصلي في آخر صف من المسجد فسئل عن موجب ذلك فقال ابكر لأحوز فضيلة الصف الاول ثم اتأخر رجاء ان اكون قد صليت خلف مغفور له فيغفر لي وليس هذا من باب الايثار بالقرب لان ذلك الخلاف انما هو فيمن ترك قربة لابدل عنها أما من تركها لما هو أعلى منها وأولى فليس من هذا الباب بل هو من باب ترك قربة لما هو أعلى منها كما تقدم وقد عد بعض العلماء ترك التبكير يوم الجمعة من البدع الحادثة وذلك محمول على اختلاف المذهبين مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان التبكير من غدوة النهار اليها أفضل ومذهب مالك رحمه الله ان معناه التهجير ودليله عمل السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (وقد) استدل الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله على صحة مذهبه من ان التبكير اليها أفضل من التهجير بان قال أول بدعة حدثت ترك التبكير الى الجمعة وقد كانوا يأتونها بالمشاعل ليلا وقد كان بعضهم يبيت في المسجد ليلة الجمعة ليصلي الجمعة (وقد) كره مالك رحمه الله التبكير اليها وعلله بانه لم يكن من عمل السلف قال ولم يكونوا يبكرون هذا التبكير وأخاف على فاعله ان يدخله شئ ولا يختلف أحد في صحة نقل مالك عن السلف رضي الله عنهم أجمعين (ويؤيده) ما جرى لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين دخل المسجد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب للجمعة فلو كان التبكير أفضل لما تأخر عثمان رضي الله عنه واشتغل بالسوق الى الوقت الذي أتى فيه الى الجمعة (وينبغي له) اذا سلم من صلاته أن يقوم من موضعه ذلك ومعناه انه يغير هيئته في جلوسه في الصلاة ليقبل على الناس بوجهه فاذا فعل ذلك فقد أتى بالسنة لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى صلاة أقبل على الناس بوجهه فيحصل لفاعل ذلك امتثال السنة واستغفار الملائكة له مادام في المسجد بخلاف ما لو قام من موضعه وخرج منه فانه يفوت على نفسه استغفار الملائكة له هذا اذا كان في المسجد فان كان في بيته أو في رحله في السفر فلا بأس بجلوسه فيه وتغيير الهيئة أولى كذا قال علماؤنا رحمة الله

عليهم وبعض الائمة يقعد في مصلاه على هيئته التي كان عليها في صلاته وذلك
بدعة لانه عليه السلام لم يفعله ولا أحد من الخلفاء ولا من الصحابة بعده رضي
الله عنهم أجمعين لانه قد يخلط على الداخل الى المسجد فيظن انه في الصلاة
وقد ذكر الفقهاء في ذلك تعاليل أخر موجودة في كتبهم (وهذا) بخلاف
المأموم فان له أن يقعد من غير تغيير هيئة صلاته حتى يفرغ مما شرع فيه
من الذكر والدعاء عقب صلاته ثم يتنفل بعد ذلك بما أحب لكن المستحب في
حقه أن لا يتنفل بعد الصلاة ان كانت الصلاة مما يتنفل بعدها في موضعه
الذي صلى فيه الفريضة بل ينتقل عنه الى جهة أخرى فيصلي فيها فان لم
يفعل فلا حرج ويصليها في موضعه والتنفل في المساجد بتوابع الفرائض
أفضل من فعلها في البيوت لئلا يكون ذلك ذريعة لمن لا علم عنده بتأكدها
فيقتصر على الفرائض دونها (وهذا كله) فيما عدا الركوع بعد المغرب
وبعد الجمعة (أما المغرب) فلأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع
بعدها في بيته وحكمة ذلك على ما قاله بعض العلماء انه فعل ذلك عليه الصلاة
والسلام على ما علم من عادته الجميلة في رحمته بأمته اذ أن من كان منهم صائما
وركع عقب المغرب في المسجد لا ينتظره أكثرهم حتى ينصرفوا بانصرافه
فقد يكون عند بعضهم الاولاد والعائلة فينتظرونه فيكون ذلك مشقة
فأزالها عليه السلام عنهم بركوعه في بيته انتهى على انه لو ركع في المسجد
لم يكره لان ذلك انما كان خشية من وجود المشقة على بعض الناس فاذا أمن
منها جاز (وأما في الجمعة) فلا يتنفل عقبها امام ولا غيره الا في بيته بذلك
ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي قبل الظهر ركعتين
وبعدها ركعتين وقبل العصر ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وكان
لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته (وقد ورد) أن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا قام يتنفل بعد صلاة الجمعة فجبذه
وأقعده وقال له اجلس تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من صلاة الظهر والنبي
صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم يقل شيئا (فالتنفل) بعد الجمعة في المسجد
بدعة لما ذكر حتى ينصرف الى بيته فيصلي فيه فان كان غريبا أو ممن لا بيت
له أو ممن يريد انتظاره صلاة العصر في المسجد فاختلف علماؤنا رحمة الله عليهم

فيه

فيه فنهم من يقول يخرج من باب و يدخل من آخر ومنهم من يقول ينتقل
من مكانه الى غيره من المسجد فيركع فيه ومنهم من يقول اذا طال مجلسه
أو حديثه يعنى مما يسوغ الكلام به فى المسجد كما تقدم فيجوز له أن
يركع فى موضعه من غير انتقال والله أعلم (والسنة الماضية) ان لا يترك
الذكر والدعاء عقب الصلاة (ومن) آداب الدعاء أن يثنى على الله تعالى بما
هو أهله بما تيسر له ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعو لنفسه
اولا ولمن حضره من اخوانه المسلمين سرا فى نفسه (وليحذر) أن يخص نفسه
بالدعاء دونهم اذا كان اماما فى الصلاة و بعدها فان فعل فقد خانهم هكذا
ورد فى الحديث على ما رواه أبو داود والترمذى (وكذلك) يستحب لكل
واحد من المصلين أن يدعو لنفسه وان حضره من اخوانه المسلمين من امام
ومأموم (وليحذروا جميعا) من الجهر بالذكر والدعاء و بسط الايدى عنده
أعنى عند الفراغ من الصلاة ان كان فى جماعة فان ذلك من البدع لما تقدم
ذكره اللهم الا أن يريد الامام بذلك تعليم المأمومين بأن الدعاء مشروع
بعد الصلاة فيجهر بذلك ويبسط يديه على ما قاله الشافعى رحمه الله تعالى
حتى اذا رأى أنهم قد تعلموا امسك (وبعض الائمة) اذا سلم من صلاته أقبل
على الدعاء يجهر به قبل الذكر المشروع عقب الصلاة و يتمادى على ذلك
كأنه مشروع له الجهر فيه لغير ضرورة التعليم وذلك من باب ترك الافضل
الذى هو الذكر المأثور وقد يخفى على بعض الناس بما يفعله من الذكر المأثور
عقب الصلاة فليحذر من هذا جهده وقد تقدم النهى عن القراءة جماعة
والذكر جماعة (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى له أن ينهى الناس عما
أحدثوه من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة جماعة فى المسجد أو غيره وان
كان قد ورد استحباب قراءتها كاملة فى يوم الجمعة خصوصا فذلك محمول
على ما كان عليه السلف رضى الله عنهم لا على ما نحن عليه فيقرأها سرا فى
نفسه فى المسجد أو جهرا فى غيره أو فيه ان كان المسجد مهجورا ما لم يكن فيه
من يتشوش بقراءته والسر أفضل وأما اجتماعهم لذلك فبدعة كما تقدم
والله تعالى أعلم

(فصل فى الصلاة على الميت فى المسجد) الصلاة على الميت فى المسجد

جائزة على مذهب الشافعي رحمه الله لكن بشرط ان لا يتقدم على الجنازة ولا على الامام فان تقدم على أحدهما فصلاته باطلة (وأما) مذهب مالك رحمه الله فيكره لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شئ له أخرجه أبو داود رحمه الله وللعمل المتصل وهو أنهم كانوا لا يصلون على ميت في المسجد وما ورد من أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد فلم يصحبه العمل والعمل عند مالك رحمه الله أقوى لان الحديث يحتمل النسخ وغيره والعمل لا يحتمل شيئا من ذلك بل هو على جادة الاتباع والاتباع أولى ما يبادر اليه لعدم الاحتمال فيه وهذا بشرط أن لا يتقدم على الامام ولا على الجنازة فان تقدم عليهما فقد ارتكب ثلاث مكروهات أحدها الصلاة على الميت في المسجد الثاني التقدم على الامام الثالث التقدم على الجنازة ولا يتقرب الى الله تعالى بمكروه فكيف اذا تعدد وحد المكروه ما تركه أفضل من فعله (تنبيه) ويتعين عليه أن ينظر فيما بني أو يبنى الى جانب المسجد من ميضأة أو سراب فما كان من ذلك يصل منه نداوة الى ارض المسجد أو جدرانه فيمنع من ذلك ويبطله على من فعله لان دخول النجاسة في المسجد محرم وان كان عليها حصير لان الارض هي المسجد لا الحصير وأيضا فان الحصير اذا بسط على تلك الارض تنجس بها وكذلك الجدران لان المصلين يستندون في غالب احوالهم اليها فتنجس ثيابهم وسواء كان ذلك في مقدم المسجد أو مؤخره لا فرق بينهما وبعض الناس يفعل ذلك نظرا منه لتحصيل الحسنة بتيسير موضع الطهارة سيما في حق من كان منقطعا في المسجد أو من بيته بعيد منه فيقرب على الجميع أمر الوضوء للصلاة فيقع في محرمات جملة لما تقدم ذكره فيحذر من هذا جهده لان الحسنة التي توصل الى السيئة ما هي بحسنة بل هي السيئة نفسها والغالب على الشيطان أن يدس هذا المعنى لبعض من فيه خير وصلاح حتى يوقعه في السيئة وهو يزعم أنه في حسنة وهذا من بعض مكائد ابليس اللعين

(فصل في خروج الامام الى صلاة العيدين) والسنة الماضية في صلاة العيدين أن تكون في المصلى لان النبي صلى الله عليه وسلم قال

صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ثم مع هذه الفضيلة العظيمة خرج صلى الله عليه وسلم الى المصلى وتركه فهذا دليل واضح على تأكد أمر الخروج الى المصلى لصلاة العيدين فهي السنة وصلاتهما في المسجد على مذهب مالك رحمه الله تعالى بدعة الا أن تكون ثم ضرورة داعية الى ذلك فليس ببدعة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلها ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده ولانه عليه الصلاة والسلام أمر النساء أن يخرجن الى صلاة العيدين وأمر الحيض وربات الخدور بالخروج اليهما فقالت احداهن يا رسول الله احدانا لا يكون لها جلباب فقال عليه الصلاة والسلام تعيرها أختها من جلبابها لتشهد الخير ودعوة المسلمين فلما ان شرع عليه الصلاة والسلام لهن الخروج شرع الصلاة في البراح لاظهار شعيرة الاسلام وليحصل لهم عليه الصلاة والسلام ما قد أمر به في الحديث الآخر من قوله عليه الصلاة والسلام باعدوا بين أنفاس النساء وأنفاس الرجال فلما أمر في هذا الحديث وجعله في صلاة العيد فكان النساء بعيدا من الرجال ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام لما ان فرغ من خطبته وصلاته جاء الى النساء فوعظهن وذكرهن فلو كن قريبا لسمعن الخطبة ولما احتجن الى تذكيره لهن بعد الخطبة هذا وجه ووجه ثان وهو أن المسجد ولو كبر فهم محصورون في الخروج من أبوابه المعلومة وقد يجتمع الرجال والنساء عند الدخول فيها والخروج منها فتقع الفتن في موضع العبادات والبراح ليس كذلك لاتساع البرية فلا يصل فيها أحد لاحد في الغالب وهذا بعكس ما يفعله بعض الناس اليوم وهو أن المسجد عندهم كبير وله أبواب شتى فيخرجون منه الى البراح لكونه أوسع وهو السنة فبنوا في ذلك البراح موضعا يكون في الغالب على قدر صحن الجامع أو أصغر وجعلوا له بابين ليس الا بابا للجهة القبلية والآخر في مقابلته فيجتمع النساء والرجال في أحد البابين في الدخول والخروج وتقف الخيل والدواب عليها فاذا انصرفوا خرجوا منهما كذلك مزدحمين والغالب ان النساء اذا خرجن لغير العيد يلبسن الحسن من الثياب ويستعملن الطيب ويتحلين الى غير ذلك مما تقدم من زينتهن فكيف بهن في العيدين والرجال أيضا يتجملون بالا

يجوز لهم فتقع الفتن وتتلوث القلوب وهم قد خرجوا للقربة فآل الامر الى ضدها وفى هذا البناء أمور أخر منها ان البابين المفتوحين لا باب عليهما فيبقى ذلك المكان مأوى لما لا ينبغى من قطاع الطريق واللصوص وغيرهما ممن يفعل القبائح المتوقعة فيها وقد قيل من العصمة أن لا تجد فاذا كان الانسان يهم بالمعصية ولا يجد من يوقعها معه ولا يجد موضعا فهذا نوع من العصمة فاذا وجد الموضع متيسرا كان ذلك تيسير المعصية لمن أرادها والموضع موضع عبادة فينبغى أن ينزه عن هذا فيترك مكشوفا لا بناء فيه فان كان لا يقدر على ازالة ما فيه من البنيان فيترك الصلاة فيما حواه البنيان ويصلى خارجا عنه فى البراح فهو الاولى والافضل فى حقه بل المتعين اليوم لكن السنة أن لا ينصرف بعد الصلاة حتى يفرغ الامام من خطبته وان كان لا يسمعها كما تقدم فى الانصات لخطبة الجمعة وهذا كله من مكائد ابليس يأتى الى مواضع القرب فيدس فيها دسائس حتى ترجع الى الضد من ذلك نسأل الله العافية منه

(فصل فى التكبير عند الخروج الى المصلى) والسنة الماضية أن يكبر عند خروجه الى المصلى ان كان ذلك عند طلوع الشمس أو قرب طلوعها فان كان قبل ذلك وأتى الى المصلى لاجل بعد منزله فليس عليه تكبير حتى يدخل الوقت المذكور على المشهور وقيل يشرع له التكبير من بعد طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح اذا خرج فى وقته ذلك (والسنة المتقدمة) أن يجهر بالتكبير فيسمع نفسه ومن يليه والزيادة على ذلك حتى يعقر حلقه من البدع اذ انه لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم الامام كرورفع الصوت بذلك يخرج عن حد السمت والوقار ولا فرق فى ذلك أعنى فى التكبير بين أن يكون اماما أو مؤذنا أو غيرهما فان التكبير مشروع فى حقهم أجمعين على ما تقدم وصفه الا النساء فان المرأة تسمع نفسها ليس الا بخلاف ما يفعله بعض الناس اليوم فكأن التكبير انما شرع فى حق المؤذنين دون غيرهم فتجد المؤذنين يرفعون أصواتهم بالتكبير كما تقدم وأكثر الناس يستمعون لهم ولا يكبرون وينظرون اليهم كأن التكبير ما شرع الا لهم وهذه بدعة محدثة ثم أنهم يمشون على صوت واحد وذلك بدعة لان المشروع انما هو أن يكبر كل

إنسان

انسان لنفسه ولا يمشي على صوت غيره (ومما) أحدثوه من البدع أيضا وقودهم القناديل في طريق الامام عند خروجه الى صلاة الصبح يوم العيد ومما أحدثوه أيضا انهم يأتون الى باب دار الامام قبل صلاة الصبح يوم العيد فاذا اجتمعوا وخرج عليهم الامام شرعوا في التكبير على ما وصفناه من رفع الصوت به الخارج عن الحد المشروع فيمشون معه بالتكبير حتى يصلوا الى قرب المحراب فيتشوش من في المسجد كما تقدم وحينئذ يقطعون التكبير ويأخذون في الصلاة فاذا فرغوا من صلاة الصبح خرجوا مع امامهم بالتكبير على ما تقدم ذكره والناس سكوت لا يكبرون وهذا وان كان التكبير سنة ففعلهم ذلك محرم على ما علم من زعقات المؤذنين من البدع وكذلك تكبيرهم على صوت واحد وكذلك سكوت الناس لاجل استماعهم وتركهم التكبير لانفسهم فهذه ثلاث بدع معارضة لسنة التكبير على ما مضى من انه يكبر كل من خرج الى صلاة العيد من الرجال كان اماما أو مؤذنا او غيرهما يسمع بذلك نفسه ومن يليه وفوق ذلك قليلا ولا يرفع صوته حتى يعقر حلقه لان ذلك محدث وقد تقدم ان أحسن اللباس وأفضله البياض فينبغي للامام أن يكون أفضل القوم حتى في ملبسه وزيه على ما تقدم في اللباس في الجمعة بشرطه (وينبغي) أن لا يقدم الصلاة فيوقعها في الوقت المنهي عن ايقاع الصلاة فيه وبعض الائمة يفعلون هذا وذلك منهي عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس حتى ترتفع وعند الغروب حتى تغيب فيوقع بعضهم الصلاة عند بزوغ الشمس وهو موضع النهي فيخرج الى فعل بر فيقع في ضده نعوذ بالله من ذلك (وبعض الناس) يفعلون ضد هذا فيؤخرون صلاة العيد حتى تسخن الشمس وهو خلاف السنة أيضا لان السنة وردت في الخارج الى المصلى أن يعجل الاوبة الى اهله لانه ان كان في عيد الاضحى فيضحي لهم ان كان ممن يضحي حتى يفطروا على أضحيتهم وان كان في عيد الفطر فيأكلون معه وان كانوا قد افطروا قبل خروجهم الى المصلى على تمرات أو الماء كما وردت السنة والغالب على كثير من الناس العيال والاولاد فيبقون متشوفين منتظرين له وقد تقدم هذا المعنى واذا كان ذلك كذلك فالافضل ما بين هذين وهو الوسط فالمختار أن لا يصلي عند طلوع

الشمس لما تقدم من نهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك ولا يؤخرها حتى ترتفع الشمس (فاذا) خرج الامام الى الصحراء وخطب فليكن بالارض لا على المنبر فانه بدعة (قال) الشيخ الامام أبوطالب المكى رحمه الله فى كتاب القوت له روينا ان مروان لما أحدث المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبوسعيد الخدرى فقال يامروان ماهذه البدعة فقال انها ليست ببدعة هى خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد انتهى (فان) فعل وخطب على المنبر فقد مضت السنة فى خطبة الجمعة أن يكون الامام وحده على المنبر دون غيره (وقد) أحدثوا فى منبر العيد اليوم بدعة أكثر من جلوس الرئيس مع الامام على المنبر فى الجمعة لانهم زادوا أن الخطيب اذا خطب فى صلاة العيد امتلأ المنبر كله من المؤذنين وغيرهم يرتصون عليه وكذلك فيما فوق المنبر (وينبغى) له اذا خطب أن يوجز فى خطبته ولا يطيلها فان التطويل ههنا أشد كراهة منه فى الجمعة لما تقدم ذكره من انتظار الاهل لهم فى العيدين والله أعلم

(فصل فى التحفظ من النجاسة فى المصلى) ويتعين على الامام وغيره ممن يصلى فى المصلى التحفظ من الصلاة على موضع فيه نجاسة غير معفو عنها سيما ان كان الموضع مما تطؤه الخيل والدواب فلا شك فى نجاسته سيما وايقاع الصلاة يكون فى أول النهار قبل أن تنزل الشمس على الارض فتنشف تلك الرطوبة فمن صلى عليها تنجس ما أصيب من بدنه أو ثيابه وان فرش عليها شيئا يصلى عليه تنجس فلا يصلى عليه بعد ذلك حتى يغسله وقد تكون الصلاة على موضع قبور وقد كره علماؤنا رحمة الله عليهم الصلاة عليها دون حائل الا أن تكون المقبرة جديدة لم تنبش بعد وقيل هى مكروهة مطلقا فى الجديدة والقديمة الا على حائل والله أعلم

(فصل فى سلام العيد) قد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى قول الرجل لاخيه يوم العيد تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك على أربعة أقوال جائز لانه قول حسن مكروه لانه من فعل اليهود مندوب اليه لانه دعاء

ودعاء

ودعاء المؤمن لأخيه مستحب الرابع لا يبتدي به فان قال له أحد رد عليه مثله واذا كان اختلافهم في هذا الدعاء الحسن مع تقدم حدوثه فما بالك بقول القائل عيد مبارك مجردا عن تلك الالفاظ مع انه متأخر الحدوث فمن باب أولى أن يكره وهو ومثل قولهم يوم مبارك وليلة مباركة وصبحك الله بالخير ومساك بالخير وقد كره علماؤنا رحمة الله عليهم كل ذلك وقد تقدم بعضه (وأما المعانقة) فقد كرهها مالك وأجازها ابن عيينة أعني عند اللقاء من غيبة كانت (وأما) في العيد لمن هو حاضر معك فلا (وأما) المصافحة فانها وضعت في الشرع عند لقاء المؤمن لأخيه (وأما) في العيدين على ما اعتاده بعضهم عند الفراغ من الصلاة يتصافحون فلا أعرفه (لكن) قال الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان رحمه الله انه أدرك بمدينة فاس والعلماء العاملون بعلمهم بها متوافرون انهم كانوا اذا فرغوا من صلاة العيد صافح بعضهم بعضا فان كان يساعده النقل عن السلف فيا حبذا وان لم ينقل عنهم فتركه أولى

(فصل في خروج النساء الى صلاة العيد) قد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر النساء بالخروج الى صلاة العيد في المصلى حتى الحيض وربات الخدور وذلك محمول على ما كان عليه في وقته عليه الصلاة والسلام من التستر وترك الزينة والصيانة والتعفف وان مروطهن تنجر خلفهن من شبر الى ذراع وبعدهن من الرجال وقد قالت عائشة رضي الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد كما منعه نساء بني اسرائيل واذا كان ذلك كذلك فيتعين منعهن في هذا الزمان على كل حال لما في خروجهن من الفتن التي لا تكاد تخفى وما يقع من ضد العبادة المأمور بها

(فصل في انصراف الناس من صلاة العيد) قد تقدم ان السنة في الخروج الى صلاة العيدين سرعة الاوبة الى الأهل فلا يشتغل بزيارة القبور وله أن يزور اخوانه من الاحياء لكن ان كان له أهل فليبدأ بهم ويزيل تشوفهم اليه ثم بعد ذلك يمضي لما يختاره من زيارة من ذكر وان لم يكن له أهل فليمض الى اخوانه ومعارفه المتقين من الاولياء والصالحين للتبرك برؤيتهم والتماس الدعاء منهم لكن يتحرى وقت زيارتهم

اذ أن الغالب من اخوانه انهم يقعدون والسنة فيها أن يتولى المكلف ذلك بنفسه فاذا خرج الوقت الذى هو معد للذبح غالبا فليمش عليهم كما تقدم ذكره وان علم أن فيهم من لم يذبح فله أن يأتى اليه فى أى وقت شاء لعدم المانع

(فصل فى صلاة العيد فى المسجد) فان صليت صلاة العيد فى المسجد لاجل ضرورة المطر أو غيره من الاعذار الشرعية فالسنة فيها كما تقدم فى المصلى لكن فى المسجد يخفضون أصواتهم أكثر مما ذكر فى البرية تنزيها للمسجد من رفع الاصوات فيه كما تقدم ولابد من الخطبة بعد الصلاة وينبغى أن يكون النساء بمعزل بعيد عن الرجال بخلاف ما هن اليوم يفعلنه لانهن يخالطن الرجال فى الغالب فتجد المسجد غالبه مملوءا يوم العيد بالنساء وغالب خروجهن على ما يعلم كما تقدم غير مرة ولو منعن من الخروج لكان أحسن بل هو المتعين فى هذا الزمان ويتعين عليه أن يتقدم الى الوعاظ الذين يعملون فى المسجد فيمنعهم من الكلام وقد تقدم منعه فى حق الرجال ففى حق النساء من باب أولى اذ أن مفاسدهن تزيد على مفاسد الرجال وقد تقدم منع الوعاظ من المسجد مطلقا

(فصل فى التكبير اثر الصلوات الخمس فى أيام العيد) وقد مضت السنة ان أهل الآفاق يكبرون دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فى أيام اقامة الحج بمنى فاذا سلم الامام من صلاة الفرض فى تلك الايام كبر تكبيرا يسمع نفسه ومن يليه ويكبر الحاضرون بتكبيره كل واحد يكبر لنفسه ولا يمشى على صوت غيره على ما وصف من أنه يسمع نفسه ومن يليه فهذه هى السنة (واما) ما يفعله بعض الناس اليوم من أنه اذا سلم الامام من صلاته كبر المؤذنون على صوت واحد على ما يعلم من زعقاتهم فى المآذن ويطيلون فيه والناس يستمعون اليهم ولا يكبرون فى الغالب وان كبر أحد منهم فهو يمشى على أصواتهم وذلك كله من البدع اذ أنه لم ينقل أن النبى صلى الله عليه وسلم فعله ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده وفيه اخراق حرمة المسجد برفع الاصوات فيه والتشويش على من به من المصلين والتالين والذاكرين

(فصل فى صلاة التراويح فى المسجد) قد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم صلى في رمضان في المسجد ثلاث ليال فلما ان اجتمعوا جلس في الرابعة ولم يخرج اليهم فلما ان أصبح قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم وما منعني من الخروج اليكم الا خشية أن تفرض عليكم (فلما) أن مضى لسبيله عليه الصلاة والسلام أمن مما ذكره من الفرض على الامة (فلما) أن ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة وتفرغ للنظر في مثل هذه الاشياء وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقومون في ليالي رمضان أوزاعا متفرقين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو جمعتهم على قارئ واحد لكان أحسن فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه فخرج عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة أخرى وهم يصلون على ما أمرهم به فقال نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل وقد تقدم ذكر أصل فعلها وما كان كذلك فلا يكون بدعة (وانما) عنى بذلك والله أعلم احد أمرين أحدهما جمعهم على قارئ واحد الثاني أن يكون أراد بذلك قيامهم أول الليل دون آخره وأما الفعل في نفسه فهو سنة لا اختلاف فيه (وما) قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانما هو محمول على غيرهم لا عليهم اذ انهم رضي الله عنهم جمعوا بين الفضيلتين من قيام أول الليل وآخره ألا ترى الى ما حكاه مالك رحمه الله في موطأه انهم كانوا اذا انصرفوا من صلاة التراويح استعجلوا الخدم بالطعام مخافة الفجر وكانوا يعتمدون على العصي من طول القيام فقد حازوا رضي الله عنهم الفضيلتين معا قيام أول الليل وآخره فعلى منوالهم فانسج ان كنت متبعا ان المحب لمن يحب مطيع وهم سادتنا وقدوتنا الى ربنا فينبغي لنا الاتباع لهم والاقتفاء لآثارهم المباركة لعل بركة ذلك تعود على المتبع لهم (لكن) هذا قد تعذر في هذا الزمان في الغالب أعني قيام الليل كله في المسجد لما يختلط به مما لا ينبغي واذا كان ذلك كذلك فيتعين على المكلف اليوم أن لا يخلي نفسه من هذه السنة البتة بل يفعلها في المسجد مع الناس على ما هم يفعلون اليوم من التخفيف فيها فاذا فرغوا ورجع الى بيته فينبغي له أن يغتنم بركة اتباعهم في قيام الليل الى آخره ان امكنه ذلك فيصلي في بيته بمن تيسر معه من أهله أو وحده فتحصل الفضيلة الكاملة ان شاء الله تعالى ويكون وتره آخر تنفله اقتداء

بهم (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى حين كان يصلي مع الناس في المسجد
وكان الامام ممن يوتر بثلاث لا يفصل بينهما بسلام اما انا فاذا أوتر واخرجت
وتركتهم فللانسان بمالك رحمه الله اسوة في ترك الوتر معهم حتى يوتر في بيته
بعد تنفله آخر الليل الا ان يكون ممن يحتاج الى النوم اذا اتى الى بيته ويخاف
أن يستغرقه الى طلوع الفجر فلا يغتر ويترك الوتر بعد نومه وليوقعه قبله
فان أدرك من آخر الليل شيئا قامه ولم يعد وتره على المشهور من مذهب
مالك رحمه الله وان لم يدرك شيئا فقد حصل له الوتر في وقته ولا حرج عليه
(وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يصلي في المسجد مع الناس صلاة القيام
ويوتر معهم فاذا رجع الى بيته صلى ما قدر له ولا يعيد الوتر وكان رحمه الله
يقول ان شيخه سيدي الشيخ أبا الحسن الزيات رحمه الله كان يفعل ذلك
(وكان) سيدي أبو محمد رحمه الله يقول ينبغي للمكلف انه اذا صلى المغرب
يعجل فطره ثم يقوم فيصلي بحزبين ونصف أو أكثر قبل العشاء ثم يخرج
فيصلي مع الناس القيام ويوتر معهم ثم اذا رجع الى بيته صلى لنفسه بحزبين
ونصف أو أكثر فيجتمع له من ذلك ثمن الختمة أو أكثر منه في الغالب ثم ينام
ما قدر له ثم يقوم لتهجده فيصلي ما تيسر له مما بقي عليه من الليل (فان) قال
قائل قد قررتم ان قيام رمضان في المسجد سنة فما وجه ترك أبي بكر لها
(فالجواب) ان ابا بكر رضي الله عنه كان مشتغلا بما هو أعظم من ذلك وأهم
في الدين وهو قتال أهل الردة ومانعي الزكاة وبعث الجيوش الى الشام وغير
ذلك وما جرى له مع مسيلمة الكذاب وغيره وتراكم الفتن عند انتقال النبي
صلى الله عليه وسلم مع شغله بجمع القرآن وتدوينه مع قصر مدته رضي الله
عنه فلم يتفرغ لما تفرغ له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبان
ما ذكر واتضح والله الموفق

(فصل في صفة الامام في قيام رمضان) وينبغي ان يكون من اهل العلم
والخير والديانة بخلاف ما يفعله بعضهم اليوم لان الغالب منهم انهم انما
يقدمون الرجل لحسن صوته لا لحسن دينه وقد قال مالك رحمه الله في القوم
يقدمون الرجل ليصلي بهم لحسن صوته انما يقدموه ليغني لهم وهذا اذا
كان على ما يعلم من التطريب في القراءة ووضعها على الطرائق التي

ضبط الجواء بها التي تشبه الملوك وأما الوقد وولديه وحسن صوته وقراءته على المنهج المشروع فلا شك ان هذا أفضل من غيره (وينبغي) أن لا يقدم للامامة الامن تطوّع بها دون من يأخذ عليها عوضا فان لم يوجد الا به فقيل تباح وقيل تكره وهي في الفريضة أشد كراهة (وأجاز ذلك) الشافعي رحمه الله تعالى من غير كراهة (وقال) الاوزاعي الصلاة خلفه باطلة (وكره ذلك) أبو حنيفة وأصحابه (وينبغي) للامام كما تقدم غير مرة ان يكون افضل القوم ومن جملة فضيلته ان يتقدم لا لعوض يأخذه على صلاته فان كان ثم عوض فينبغي له أن لا ينظر اليه وأن يصلي هو لله تعالى لا لغيره ويترك النظر للعوض فان جاءه شيء وكان محتاجا اليه قبله لضرورته وهذا عام في الفرض والنفل وان لم يكن محتاجا اليه وأخذه وتصدق به فلا بأس بذلك (وقد) كان بجامع مصر بعض الفضلاء من الائمة يصلي بالناس فيه وكان بعض الفضلاء من المغاربة يجيء المسجد بعد سلام الامام من صلاته فيصلي في آخر المسجد لنفسه فيصلي بصلاته ناس ثم كذلك ثم كذلك حتى علم به الناس فرجع أكثرهم وتركوا الصلاة خلف الامام الاصلي وصلوا خلف هذا لاعتقادهم فيه فتشوش الامام من ذلك لقلة من يصلي خلفه وكثرة من يصلي خلف الآخر فاجتمع به وسأله ما يمنعه من الصلاة خلفه فاخبره انه يأخذ على صلاته اجرة فقال له والله ما أكلت منها شيئا قط ولكني اتصدق بها فقال له الان اصلي خلفك فرجع فصلى خلفه (فاذا) اخذ العوض لا لنفسه بل لغيره فلا حرج عليه ان شاء الله تعالى وانما المكروه ان يأخذه لنفسه والذي يتبين به ذلك ويتضح انه اذا قطع عنه العوض فان تبرم وتضجر أو ترك الامامة فلا شك في كراهة ذلك في حقه وان بقي على ما كان عليه من الملازمة والسكوت والرضا فلا يضره ما اخذه ان شاء الله تعالى والحاصل من هذا ما تقدم في حال العالم في اخذه الجامكية على التدريس وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية وأغنى عن اعادته

(فصل في الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح) وينبغي له ان يتجنب ما أحدثوه من الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح ومن رفع أصواتهم بذلك والمشي على صوت واحد فان ذلك كله من البدع (وكذلك)

ينهى عن قول المؤذن بعد ذكرهم بعد التسليمتين من صلاة التراويح الصلاة يرحمكم الله فانه محدث أيضا والمحدث في الدين ممنوع وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء بعده ثم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولم يذكر عن أحد من السلف فعل ذلك فيسعنا ما وسعهم

(فصل فيما يفعل في ليلة الختم) وينبغي له أن يجتنب ما أحدثه بعضهم في الختم من أنهم يقومون في ليالي رمضان كلها في الغالب بحزبين فما فوقهما فاذا كانت ليلة الختم التي ينبغي أن يزاد فيها على القيام المعهود لفضيلتها فيصلي بعضهم فيها بنصف حزب ليس الا وهو من سورة والضحى الى آخر الختمة وكان السلف رضوان الله عليهم يقومون تلك الليلة كلها فجاء هؤلاء ففعلوا الضد من ذلك كما تقدم

(فصل في صفة قيام العشر الاواخر من شهر رمضان) وينبغي للمكلف أن يمتثل السنة في قيام العشر الاواخر من شهر رمضان اذ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى فراشه وشد مئزره وأيقظ أهله وأحيا الليل كله وهذه سنة قد تركت في الغالب في هذا الزمان فتجد بعضهم يقومون من أول الشهر فاذا دخل العشر الاواخر تركوه لانهم يختمون في أوله أو في أثنائه ثم لا يعودون للقيام بعد ختمهم وهذه بدعة ممن فعلها وهي مصادمة لفعله عليه الصلاة والسلام وان قام بعضهم فبالشئ القليل مع انه قد أحيا بعضهم هذا العشر في المسجد الجامع وهي سنة حسنة لو سلمت مما طرأ عليها من المفاسد فمنها ان الائمة يأخذون عليها عوضا معلوما الثاني ان المسجد يبقى في ظلام الليل مفتوح الابواب يدخل اليه منها من يقوم ومن لا يقوم وظلام الليل يسترهم فلو كان من وقف على الائمة وقف على زيت يعم المسجد كله بضوئه وعلى رجال يطوفون بالمسجد طول ليلهم فمن رأوه فيه في غير عبادة أخرجوه لكان ذلك حسنا وأما مع عدم هذا فمفاسده كثيرة وفي التلويح ما يغني عن التصريح أسأل الله السلامة بمنه

(فصل في الخطبة عقب الختم) والخطب الشرعية معروفة مشهورة ولم يذكر فيها خطبة عند ختم القرآن في رمضان ولا غيره واذا لم تذكر فهي بدعة ممن فعلها سيما ان كان الموضع معروفا مشهورا مثل أن يكون المسجد الجامع

أو يكون المسجد منسوبا الى عالم أو معروف بالخير والصلاح أو يكون منسوبا الى المشيخة الى غير ذلك ففعل ذلك فيه أشد كراهة لاقتداء كثير من عامة الناس به وان كان ذلك ممنوعا فى حق المساجد كلها لكن يتأكد المنع فى حق من يقتدى به (وينبغى له) أن يتجنب ما أحدثوه بعد الختم من الدعاء برفع الاصوات والزعقات قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز ادعوا ربكم تضرعا وخفية وبعض هؤلاء يعرضون عن التضرع والخفية بالعياط والزعقات وذلك مخالف للسنة المطهرة (وقد) سئل بعض السلف رضى الله عنهم عن الدعاء الذى يدعو به عند ختم القرآن فقال أستغفر الله من تلاوتى اياه سبعين مرة (وسئل غيره) عن ذلك فقال أسأل الله أن لا يمقتنى على تلاوتى (وقد قالت) عائشة رضى الله عنها كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم اه (ولا) يظن ظان أن الظلم انما هو فى الدماء أو الأعراض أو الاموال بل هو عام اذ قد يكون ظالما لنفسه فيدخل اذ ذاك تحت الوعيد (وبالجملة) فالموضع موضع خشوع وتضرع وابتهال ورجوع الى المولى سبحانه وتعالى بالتوبة مما قارفه من الذنوب والسهو والغفلات وتقصير حال البشرية فينبغى ان يبذل العبد جهده كل على قدر حاله ومرتبته (ومن) دعائه عليه الصلاة والسلام قوله اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (ومن ذلك) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ٣ (ومن ذلك) الدعاء الذى علمه جبريل عليه السلام لآدم عليه السلام حيث قال له قل اللهم تمم على النعمة حتى تهنئنى المعيشة وحسن لى العاقبة حتى لا تضرنى ذنوبى وخلصنى من شبائك الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة بسلام (ومن ذلك) ما رواه مالك رحمه الله فى موطائه عنه عليه الصلاة والسلام انه كان من دعائه عليه السلام اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون (وقد) قال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله فى كتابه المسمى بالاذكار والدعوات مر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو وما

٣ وتمامه كما فى الجامع الصغير واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر اه

يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف ببركة دعائه (وقال) بعضهم ادع الله بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق (وقيل) ان العلماء والابدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها (ويشهد له) آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده بأكثر من ذلك انتهى (هذا) هو المستحب في الجماعات أو من كان في موضع من مواضع العبادات (وأما) ان كان الانسان وحده أو في جماعة يؤثرون تطويل دعائه فالمستحب أن يمضي فيه لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الملحين في الدعاء اه (وهذا) في غير المسجد ويجوز في المسجد بشرط أن لا يكون الجهر والتطويل بالدعاء عادة (فالحاصل) من هذا أن يمضي فيما فتح له فيه في أي وجهة كانت من صلاة أو صوم أو علم أو دعاء أو تضرع أو ابتهال أو خشوع حتى انهم قد قالوا لو أخذه الخشوع في صلاة النافلة فليمض في ذلك ولو ختم الختمة في ركعة واحدة وكذلك لو وجد الخشوع في آية واحدة فانه يكررها ما دام على ذلك حتى الصباح ولا يقطعها الا لفرض تعين وكذلك اذا فتح له في الدعاء فالمستحب في حقه أن لا يقطعه أيضا فمن له عقل فليرجع الى عمل السلف رضي الله عنهم ويترك الحدث في الدين والله المستعان (قال) الشيخ الجليل أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المشهور بالطرطوشي رحمه الله فان قيل هل يأثم فاعل ذلك (فالجواب) أن يقال ان كان ذلك على وجه السلامة من اللغط ولم يكن الا الرجال أو الرجال والنساء منفردين بعضهم عن بعض يسمعون الدعاء فهذه البدعة التي كره مالك رحمه الله وأما ان كان على الوجه الذي يجري في هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء ومصادمة اجسادهم ومزاحمة من في قلبه مرض من أهل الريب ومعانقة بعضهم لبعض كما حكى لنا أن رجلا وجد رجلا يطأ امرأة وهم وقوف في زحام الناس وحكت لنا امرأة ان رجلا واقعها فما حال بينهما الا الثياب وأمثال ذلك من الفسق واللغط فهذا فسوق فيفسق الذي كان سببا في اجتماعهم (فان قيل) أليس قد روى عبد الرزاق في التفسير أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان اذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله (قلنا)

فهذا هو الحجة عليكم بأنه كان يصلى فى بيته ويجمع أهله فأين هذا من تلفيق الخطب على رؤس الاشهاد وتختلط الرجال والنساء والصبيان والغوغاء وتكثر الزعقات والصياح ويختلط الامر ويذهب بهاء الاسلام ووقار الايمان (وأيضا) فانه ماروى انه دعا وانما جمع أهله فحسب (ولما) روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع رجلا يقول يا حبذا صفرة ماء ذراعيه الماء كان قد توضأت به امرأة فبقى فيه من أثر الزعفران فعلاه بالدرة (وروى) انه نهى أن يجلس الرجل فى مجلس المرأة عقب قيامها وكل من قال بأصل الذرائع يلزمه القول بهذا الفرع ومن أبى أصل الذرائع من العلماء يلزمه انكاره لما يجرى فيه من اختلاط الرجال والنساء اه

(فصل فى القيام عند الختم بسجدات القرآن) وينبغى له ان يتجنب ما أحدثه بعضهم من البدع عند الختم وهو انهم يقومون بسجدات القرآن كلها فيسجدونها متوالية فى ركعة واحدة أو ركعات فلا يفعل ذلك فى نفسه وينهى عنه غيره اذ انه من البدع التى أحدثت بعد السلف وبعضهم يبدل مكان السجدات قراءة التهليل على التوالى فكل آية فيها ذكر لا اله الا الله او ولا اله الا هو وقرأها الى آخر الختمة وذلك من البدع أيضا

(فصل فى قيام السنة كلها) قال الباجى رحمه الله فى شرح الموطأ ان هذا القيام الذى يقوم الناس به فى رمضان فى المساجد هو مشروع فى السنة كلها يوقعونه فى بيوتهم وهو أقل ما يمكن فى حق القارى وانما جعل ذلك فى المساجد فى رمضان لكى يحصل لعامة الناس فضيلة القيام بالقرآن كله وسماع كلام ربهم فى أفضل الشهور انتهى ولكونه أنزل فيه القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ولكون جبريل عليه السلام كان يدارس القرآن النبى صلى الله عليه وسلم فيه فلاجل هذه الوجوه وماشابهها ناسب محافظة جميع الناس على قيامه وان كان القيام فى السنة كلها مشروعا لمن حفظ القرآن ومن لم يحفظه فمن حفظه قام به فى بيته جهرا ولا يقوم به فى المسجد أعنى فى جماعة كما فى رمضان وغير الحافظ يستحب له أن يصلى عدد الركعات بأم القرآن وبما تيسر معها من السور فى بيته أيضا هذه هى السنة الماضية فى الامة خلافا لما فعله بعض الناس من انه جعل

القيام المعهود فى رمضان دائما فى زاويته فى جميع السنة ثم نقلت عنه واشتهرت فصارت تعمل فى بعض المواضع المشهورة (وقد) قال ابن حبيب وغيره من العلماء انهم يمنعون من ذلك فى المساجد وفى كل موضع مشهور وكذلك لو تواعدوا على انهم يجمعون فى موضع مشهور فانهم يمنعون منه فان فعلوا فهى بدعة ممن فعلها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما تقدم نعمت البدعة هذه يعنى فى جمعهم على قارى واحد فى رمضان على ما تقدم بيانه فذكره رضى الله عنه ذلك للتنبيه على أن من فعله على تلك الصفة فى غير شهر رمضان فانه بدعة

(فصل فيما يفعلونه بعد الختم مما لا ينبغى) قد تقدم ان الدعاء بعد الصلاة يستحب على الصفة المذكورة قبل وعند الختم مثله (قال مالك) فى المدونة الامر فى رمضان الصلاة وليس بالقصص فى الدعاء (قال الطرطوشى) رحمه الله فقد نهى مالك أن يقص احد بالدعاء فى رمضان وحكى ان الامر المعمول به فى المدينة القراءة من غير قصص ولا دعاء (ومن المستخرجة) عن ابن القاسم قال سئل مالك عن الذى يقرأ القرآن فيختمه ثم يدعو قال ما سمعت انه يدعو عند ختم القرآن وما هو من عمل الناس (ومن) مختصر ما ليس فى المختصر قال مالك لا بأس أن يجتمع القوم فى القراءة عند من يقرئهم أو يفتح على كل واحد منهم فيما يقرأ قال ويكره الدعاء بعد فراغهم (وروى) ابن القاسم ايضا عن مالك أن أبا سلمة بن عبد الرحمن رأى رجلا قائما يدعو رافعا يديه فانكر ذلك وقال لا تقلصوا تقليص اليهود قال مالك التقليص رفع الصوت بالدعاء ورفع اليدين (وروى) ابن القاسم ايضا قال سئل مالك عما يعمل الناس به من الدعاء حين يدخلون المسجد وحين يخرجون ووقوفهم عند ذلك فقال هذا من البدع وانكر ذلك انكارا شديدا (قال) بعض أصحابنا انما يعنى بهذا الوقوف للدعاء فاما الدعاء عند دخوله وخروجه ماشيا فانه جائز وقد وردت فيه آثار عن النبى صلى الله عليه وسلم (وسئل مالك) عن الرجل يدعو خلف الصلاة قائما قال ليس بصواب ولا أحب لاحد أن يفعله (وذكر) ابن شعبان فى كتابه عقب ذكره جملا من هذه الامور المحدثة قال انما كره مالك خيفة أن يلحق بما يجب فعله حتى

يتخذ أمراماضيا ومالنا نقدر ذلك بل قد وجدنا ما كنا نحذره أكثر المسلمين اليوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما شرع قيام رمضان على هذا الوجه وان تركه بدعة مع القطع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجمع فى رمضان الا ليالتين اهـ فاذا تقرر هذا من مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى فاعلم ان الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع الصوت فى جماعة وأما الدعاء فى السر فهو جائز أو مندوب بحسب الحال وعلى هذا درج السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله اذا ختم عنده فى شهر رمضان فى المسجد فى جماعة لم يزد على ما يعهد منه خلف المكتوبة شيئا وكالا نعرف دعاءه بعد الصلاة الا حين يرمق السماء ببينيه وهذا ضد ما يفعلونه فى هذا الزمان عقب الختم من قراءة القصائد والكلام المسجع حتى كأنه يشبه الغناء لما فيه من التطريب والتنزك وخلوه من الخشوع والتضرع والابتهال للمولى الكريم سبحانه وتعالى قال عز وجل فى كتابه العزيز أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ولم يقل أمّن يجيب القوّال وقد جمع ذلك من البدع أشياء جملة يعرفها من له اطلاع على فعل السلف الماضين فان خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وما مضى عليه سلف الامة الماضين رضى الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك فيتعين عليه أن يمنع ما يفعله بعض الناس بعد الختم وما انضاف اليه مما لا ينبغى (فمن ذلك) اجتماع المؤذنين تلك الليلة فى موضع الختم فيكبرون جماعة فى حال كونهم فى الصلاة لغير ضرورة داعية الى المسمع الواحد فضلا عن جماعة بل بعضهم يسمعون وليسوا فى صلاة وهذا فيه ما فيه من القبح والمخالفة لسنة السلف الماضين وقد تقدم ذلك ويؤذنون أيضا كذلك (ثم) انهم زادوا على ذلك اذا خرج القارى من الموضع الذى صلى فيه أتوه ببغلة أو فرس ليركبها ثم تختلف أحوالهم فى صفة ذهابه الى بيته (فمنهم) من يقرأ القرآن بين يديه كما هم يفعلونه أمام جنائزهم وأمامهم المدير على عادتهم الذميمة والمؤذنون يكبرون بين يديه كتكبير العيد (قال) القاضى أبو الوليد ابن رشد رحمه الله كره مالك قراءة القرآن فى الاسواق والطرق لوجوه ثلاثة (أحدها) تنزيه القرآن وتعظيمه من أن يقرأه وهو ماش فى الطرق

والاسواق لما قد يكون فيها من الاقذار والنجاسات (والثانى) أنه اذا قرأ القرآن على هذه الاحوال لم يتدبره حق التدبر (والثالث) لما يخشى أن يدخله ذلك فيما يفسد نيته انتهى (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالفقراء الذاكرين بين يديه (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالاغانى وهو أشدها وان كانت كلها ممنوعة (وبعضهم) يضيف الى ذلك ضرب الطبل والابواق والدف (وبعضهم) الطار والشبابة فى بيته (وبعضهم) يجمع ذلك كله او أكثره ويحضر اذ ذاك من اللهو واللعب تلك الليلة ما هو ضد المطلوب فيها من الاعتكاف على الخير وترك الشر وترك المباهاة والفخر وغير ذلك مما شاكله ثم انهم يعملون أنواعا من الاطعمة والحلاوات فسبحان الله ما أضر البدع وما أكثر شؤمها (حتى) لقد رأيت بعض المشايخ عمل لولده ختما ببعض ما ذكر فلما جاءت السنة الثانية سألته عن ولده فى أى موضع صلى القيام فقال لى أنا منعته من القيام فقلت له ولم قال لان الاصحاب والاخوان والمعارف يطالبوننى بالختم فأحتاج الى كلفة كثيرة (فانظر) الى شؤم البدع كيف جرت الى ترك الطاعات وترك المحافظة على حفظ الختمة لان الصبى اذا كان يصلى بالقرآن فى كل سنة بقيت الختمة محفوظة عليه لم ينسها فى الغالب (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت والغالب فى الصبيان انهم لا يقومون فى الليل فاذا لم يصلوا به فى الليل ولم يقوموا به فى رمضان والغالب من حالهم الاشتغال بامر الدنيا والاسباب التى تعوقهم عن معاهدة الختمة فيكون ذلك سببا لنسيانها لا كثرهم

(فصل فى وقود القناديل ليلة الختم) وينبغى فى ليالى رمضان كلها أن يزاد فيها الوقود قليلا زائدا على العادة لاجل اجتماع الناس وكثرتهم فيه دون غيره فيرون المواضع التى يقصدونها وان كان الموضع يسعهم أم لا والمواضع التى يضعون فيها أقدامهم والمواضع التى يمشون فيها الى غير ذلك من منافعهم (ولا يزاد) فى ليلة الختم شئ زائد على ما فعل فى أول الشهر لانه لم يكن من فعل من مضى بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن حد الشرع ومع ما فيها من اضاعة

المال والسرف والخيلاء سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه فان كان فيه شئ من الفضة او الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة اليه وان كان بغيرهما فهو اضاعة مال وسرف وخيلاء (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو انهم يعلقون ختمة عند الموضع الذى يختمون فيه (وتختلف) احوالهم فيها فبعضهم يتخذها من الشقق الحرير الملونة (وبعضهم) من غيرها لكنها تكون ملونة ايضا ويعلقون فيها القناديل وذلك محرم وسرف وخيلاء واضاعة مال واستعمال لما لا يجوز استعماله من الحرير وغيره (وبعضهم) يجعل الماء الذى فى القناديل ملونا (وبعضهم) يضم الى ذلك القناديل المذهبة او الملونة او هما معا وهذا كله من باب السرف والخيلاء والبدعة واضاعة المال ومحبة الظهور والقيل والقال فكيف ما زادت فضيلة الليالى والايام قابلوها بضدها اسأل الله تعالى العافية منه (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو انهم يستعيرون القناديل من مسجد آخر وهو لا يجوز لان قناديل هذا المسجد وقف عليه فلا يجوز اخراجها منه ولا استعمالها فى غيره (ومنهم) من يفعل ما هو اشد مما ذكر وهو ان من كان عنده فرح فى طول السنة استعار القناديل من مسجد واستعملها فى بيته للسماع والرقص وما اشبه ذلك ثم افضى ما ذكر من الوقود الى اجتماع اهل الريب والشك والفسوق ومن لا يرضى حاله حتى جر ذلك الى اجتماع الرجال والنساء فى موضع واحد مع اختلاط بعضهم ببعض وانضاف الى ذلك بسبب كثرة الوقود اجتماع اللصوص وتشويشهم على بعض الحاضرين وانضاف اليه ايضا كثرة اللغط فى المسجد ورفع الاصوات فيه والقيل والقال اذ انه يكون الامام فى الصلاة وكثير من الناس يتحدثون ويخوضون فى الاشياء التى ينزه المسجد عن بعضها فى غير رمضان فكيف بها فى شهر رمضان العظيم فكيف بها فى ليلة الختم منه فليتحفظ من هذا كله وما اشبه جهده (وهذا) اذا كان الزيت من مال الانسان نفسه (واما) ان كان من ريع الوقف فلا يختلف احد فى منعه (ولو) شرط الواقف ذلك لم يعتبر شرطه (لقوله) عليه الصلاة والسلام كل شرط ليس فى كتاب الله تعالى فهو باطل وان كان مائة شرط انتهى (ولانه) من باب السرف والخيلاء وقد تقدم

وهذه عادة قد استمر عليها بعض أهل الوقت سيما فى المسجد الجامع سيما فى مسجد دمشق فانهم يفعلون فيه افعالا لا تليق بسبب سكوت بعض العلماء عن ذلك فانا لله وانا اليه راجعون على انقلاب الحقائق اذ انهم لو فعلوا ذلك وهم يعتقدون أنه سرف وبدعة كما تقدم لرجيت لهم التوبة والاقلاع ولكن زادوا على ذلك اعتقادهم ان فعل ذلك من اظهار شعائر الاسلام واذا تقرر هذا عندهم فلا يتوب أحد من اظهار الشعائر وفعلها فمن أراد السلامة من هذا الامر المخوف فليغير ذلك مهما استطاع جهده فان عدم الاستطاعة فلا يصلى فيه تلك الليلة لان بصلاته فيه يكثر سواد أهل البدع ويكون حجة ان كان قدوة للقوم بان ذلك جائز غير مكروه لقول من يقول قد كان سيدى فلان يحضره ولا يغيره فلو كان بدعة لما حضره ولا رضى به وهذا والحالة هذه زيادة فى الدين وهى مسئلة معضلة اذ ان اثم ذلك كله على من فعله أو أمر به أو استحسنه أو رضى به أو أعان عليه بشئ ما أو قدر على تغييره بشروطه فلم يفعل وكذلك الحكم فى كل شئ أحدث فى الدين فليجتنب هذا جهده والله الموفق (ولا حجة) ان يقول انه مضطر للصلاة فيه لتحصيل فضيلة الجماعة اذ أن الفضيلة موجودة فى غيره من المساجد ان كان سالما مما ذكر ويتأكد الترك فى حق من هو قدوة لقول مالك رحمه الله اذا حضرت أمرا ليس بطاعة لله ولا تقدر أن تنهى عنه فتنح عنهم واتركهم لقوله عليه الصلاة والسلام لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق اذا شهده أو علمه نقله ابن يونس فى كتابه (فان فرض) انه لا يجد مسجدا سالما مما تقدم ذكره فليصل فى بيته فهو أفضل له وأقرب الى رضاء ربه سيما فى هذا الزمان اذ أن أقرب ما يتقرب به المتقربون الى الله سبحانه وتعالى اليوم بغض البدع ومحبة السنن والعمل عليها ومحبة أهلها وموالاتهم اذ أن هذا الفن قد اندرس الا عند من وفقه الله وقليل ما هم (وينبغى له) أن يتجنب فى نفسه وينهى غيره عما أحدثه بعضهم من احضارهم الكيزان وغيرها من أوانى الماء فى المسجد حين الختم فاذا ختم القارى شربوا من ذلك الماء ويرجعون به الى بيوتهم فيسقونه لأهليهم ومن شاؤا على سبيل التبرك وهذه بدعة لم تنقل عن أحد من السلف رضى الله عنهم (وهذا) الذى ذكر لا يختص بليلة

الختم بل هو عام فى كل ليلة فعلوا ذلك فيها مثل ما يفعلونه فى ليالى الاعياد والتهاليل والماتم وليلة النصف من شعبان واول ليلة جمعة من رجب وآخر اربعاء من السنة التى اتخذوها الزيارة القبور فمن لم يحضر ذلك منهم كانه فاتته شعيرة من شعائر الدين وذلك كله على ما يعلم منهم من صفة خروجهم واجتماعهم رجالا ونساء وشبانا الى غير ذلك على ما تقدم فان توقع شيئا مما يخالف السنة على ما تقدم فصلاته فذا فى بيته افضل له من الصلاة فى المسجد اذ ذاك ان لم يقدر على تغيير ما هنالك والله المستعان (وينبغى له) أن يتجنب ما أحدثوه من البدع فى تواعدهم للختم فيقولون فلان يختم فى ليلة كذا وفلان فى ليلة كذا ويعرض ذلك بعضهم على بعض ويكون ذلك بينهم بالنوبة حتى صار ذلك كأنه ولائم تعمل وشعائر تظهر فلا يزالون كذلك غالبا من انتصاف شهر رمضان الى آخر الشهر فليحذر من ذلك فى نفسه وينهى غيره عنه اذ أنه لم يكن من فعل من مضى أعنى فى مواعدتهم فى الختم فى شهر رمضان (واما) ان كان انسان يريد أن يختم لنفسه فى أى وقت كان من السنة فيجمع أهله لتعمهم الرحمة لان الرحمة تنزل عند ختم القرآن الكريم فذلك جائز فعل أنس رضى الله عنه وقد تقدم (وانما) نهى عن ذلك فى شهر رمضان لوجهين (أحدهما) ما تقدم من كونه لم يكن من فعل من مضى (والثانى) خيفة مما قد وقع وهو أن يعتقد أنها شعيرة من شعائر الدين ولو فعلوا ذلك فى بيوتهم فى طول السنة لكان ذلك بدعة أيضا اذ أن السنة الماضية فى هذا وأمثاله اخفاؤه مهما أمكن فهذا ذكر بعض ما أحدثوه فقس عليه كل ما رأيته مما لم نذكره تصب ان شاء الله تعالى

(فصل فى ذكر آداب المؤدب) اعلم رحمنا الله واياك ان ما تقدم ذكره من الآداب فى حق من تقدم انما ذلك كله فرع عن هذا الاصل اذ أن أصل كل خير وبركة انما هو كتاب الله عز وجل اذ هو معدن الجميع وهو ينبوع كل علم نافع (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى أن يكون حامله من أكثر الناس فى التعظيم لشعائره والمشى على سنن من تقدمه فى تعظيمه ذلك واكرامه (واذا) كان ذلك كذلك فهو مضطر محتاج الى تحسين النية فيه أكثر من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به

عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة اه ومعلوم على ما تقدم ان أصل الخير انما هو القرآن فهو أعلى أعمال الآخرة فيحفظ نفسه من أن يجلس لسبب الاستجلاب للرزق لأنه ان فعل ذلك فقد أراد به عرضا من الدنيا فيدخل تحت هذا الوعيد العظيم أسأل الله تعالى السلامة من ذلك بمنه اذ أن استجلاب الرزق لا يسوقه حرص حريص (واذا) كان ذلك كذلك فان هو جلس له فهو تحصيل حاصل اذ أن الرزق لا يزيد ولا ينقص بذلك وقد حرم نفسه خيرا عظيما وثوابا جزيلا (ولا) يظن ظان أن الترك انما يكون بالانتقال عما هو فيه بل يستصحب الحال على ما هو عليه لكن بتبديل النية يستقيم الحال ان شاء الله تعالى (وكيفية ذلك) بتوفيق الله تعالى أن ينوي بما يفعله من ذلك الامتثال لأمر الله تعالى وارشاد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه اه والمراد بالخير هنا خير الآخرة أي ان أعمال الآخرة كلهم هذا ومقدمهم اذ أن منه انفتح سلوك طريق الآخرة وهو الطريق الى الله تعالى لان أصل ذلك معرفة الخط والاستخراج والحفظ والضبط والفهم للمسائل وذلك كله مفتاحه المؤدب فهو أول باب من أبواب التوفيق دخله المكلف واذا كان ذلك كذلك فقد ظهرت مزيته وكيف لا وهو حامل كلام الله الذي ليس كمثله شئ (وقد) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت اه (وهذا منه) رضي الله عنه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون تلفظه بالسبعين كناية منه عما لا نهاية له اذ أن من عادة العرب أنها تطلق السبعين على ما لا نهاية له ومنه قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان نزل عليه ذلك حمل الامر على ظاهر اللفظ فقال عليه الصلاة والسلام والله لأزيدن على السبعين مالم أنه فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (والوجه الثاني) أن يكون ذلك منه على وجه التقريب والافالامر يجل عن أن يأخذه حصر أو حد (وانظر) بعين الحقيقة الى قوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله فانك اذا نظرت الى هذا وجدته مشاهدا مرئيا بالعلم القطعي اذ أن البحار كلها على عظمها

وكثرتها ومددها الدائم مفتقرة الى من يمدها لان كل نقطة منها محتاجة لكتب مايجرى عليها من الاحكام من حين بروزها من العدم الى الوجود ومن أى موضع برزت ومن اى شئ أصلها وعلى اى موضع تسلك ومن ينتفع بها ومايطرأ عليها من الاعراض وفى اى موضع تستقر وهى لاتقوم بنفسها لما تحتاج اليه فبقيت العوالم كلها دون شئ تكتب به وهذا معنى كلام سيدى أبى محمد رحمه الله تعالى وهذا تنبيه لمن له يقظة فينظر ويعتبر (وقد) يجتمع للمؤدب خير الدنيا والآخرة وهو الغالب لما ورد فى الاثر اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول يادنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك اه (فاذا) كانت نيته بجلوسه لله تعالى لأن يعلم آية لجاهل بها ولكى يصحح صلاة المسلمين بتعليمه أم القرآن الى غير ذلك من نفعه العام للصغير والكبير فهو قد بدأ بحظه من آخرته وقد قال عليه الصلاة والسلام من بدأ بحظه من دنياه فاته حظه من آخرته ولم ينل من دنياه الاما كتب له ومن بدأ بحظه من آخرته نال حظه من آخرته ولم يفته من دنياه ماقسم له أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) تقرر أن الدنيا تجيء راغمة لطالب الآخرة فكم من زاهد فيها ومتورع وفقير ومتوجه صادق فى تنزهه وتوجهه وعالم صادق فى علمه وطالب علم صادق فى تعلمه وعارف ومبتدئ ومنتهى أتتهم الدنيا وهى راغمة مع فراغهم لما هم بصدده (كل ذلك) أصله ماجاس هذا اليه فالكل فرع عنه وراجع اليه (فينبغى له) أن يعظم ما أكرمه الله تعالى به من هذا المجلس الشريف وان لايشينه بشين المخالفة والاعتقاد الردىء والدسائس والنزغات التى تطرأ على بعض الناس فى ذلك وهى كثيرة (ودواء ذلك) ان وقع صدق الافتقار الى الله تعالى وقوة الثقة بمضمونه والنزول بساحته والاتصاف بصفات المحتاجين المضطرين الذين لا رب لهم ولا اختيار الا مولاهم فهو مقصودهم ومطلوبهم الذى عليه يعولون واليه يلجئون وعليه يتوكلون اذ انه سبحانه وتعالى لا يرد قاصده ولا يخيب من سأله وهو أكرم واجل من ان لا يعطى حتى يسئل فكيف بمن نزل بساحته وتضرع اليه والقى كنفه بين يديه فاذا فعل ماذكر عادت بركة ذلك عليه سرا وعلنا اما حسا واما معنى او كلاهما (وقد) ذكر الشيخ ابو عبد

الله القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب التفسير له حديثا قال روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس وخير من يمشي على جديد الارض المعلمون كلما اخلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براءة للمعلم وبراءة للصبي وبراءة لأبويه من النار اه (واذا) كان ذلك كذلك فينوي في جلوسه للتعليم ما تقدم ذكره في حق العالم وآدابه وهديه وهذا من باب أولى أن يكون مطلوبا بذلك كله لانه الاصل كما تقدم وغيره فرع عنه (وانما) وقع تأخير ذكره الى هنا وان كان هو الاصل كما تقدم لما مضى أول الكتاب ان العالم نفعه عام لاجل ما احتوى عليه من مصلحة الدين واقامة منار الاسلام وفتاويه التي يعبد الله تعالى بها ولا يعصى وقد تقدم في العالم ان نيته تكون لاظهار دين الله تعالى ومعرفة أحكامه اللازمة له ولغيره ولا ينظر الى المعلوم ولا يلتفت اليه فان جاء شيء من ذلك أخذه على سبيل انه فتوح من الله تعالى ليستعين به على ما هو بصدده وكذلك ما هنا سواء بسواء (فيركب) الطريقة الوسطى لاشرقية ولا غربية ويكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة لا يشرف بعضهم على بعض فابن الفقير وابن صاحب الدنيا على حد واحد في التربية والتعليم وكذلك من أعطاه ومن منعه اذ بهذا يتبين صدق حاله فيما هو بصدده فان كان يعلم من أعطاه أكثر ممن لم يعطه فذلك دليل على كذبه في نيته كما تقدم في العالم اذا تعذر عليه المعلوم فتسخط وتضجر دل ذلك على فساد نيته فكذلك ما هنا بل يكون من لم يعطه أرجى عنده ممن يعطيه لان من لم يعطه تمحض تعليمه لله تعالى بخلاف من أعطاه فانه قد يكون مشوبا بدسيسة لا تعلم السلامة فيه معها والسلامة أولى ما يغتنم المرء فيغتنمها العاقل (فاذا) جاس لما ذكر فلا ينبغي له أن يبوح بنيته لأحد ولا يذكرها له في هذا الزمان بل يفعل ذلك سرا في نفسه مع ربه عز وجل لا يطلع عليه غيره فانه سبحانه وتعالى يعلم ما تخفي الصدور وقد تقدم ان النية لا يجهر بها في الصلاة فان جهر بها فقولان هل تكره أم لا (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم أجمعين مع كثرة معرفتهم لا يبالون أين يضعونه فكيف بقارئ القرآن فكيف بمن انقطع لتعليمه

لله سبحانه وتعالى وكثير من أهل هذا الزمان على عكس حال من تقدم
(فاذا) تقرر عند أحد من الناس اليوم فى الغالب ان المعلم يعلم كتاب الله
عز وجل فقل من يعطيه شيئاً فيجىء من ذلك ما كان سيدى أبو محمد رحمه الله
تعالى يقوله اذا وجد الفقير فى هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لأحد
فهو من اكبر الكرامات وكان يعلل ذلك ويقول ان الناس قد انقسموا
فى هذا الزمان على قسمين فى الغالب فمنهم معتقد ومنهم مسىء الظن فالمسىء
الظن ان لم يضرك لا ينفعك والمحسن الظن قد خرج بحسن ظنه عن الحد فيعدّ
من الملائكة والملائكة لا تأكل ولا تشرب فما يصلك منه نفع أصلا فاذا وجد
الفقير القوت فى زمان من هذا حالهم كان ذلك كرامة فى حقه اذ أن الكرامة
انما هى خرق العادة وما جرى لهذا هو خرق عادة والمؤدّب مثله سواء بسواء
فاذا شعروا منه أنه يعلم لله تعالى فالغالب عليهم انهم لا يعطونه شيئاً لعدم
مطالبته اياهم هذا حالهم فى أمور آخرتهم بخلاف أسباب دنياهم عكس
ما تقدم من أحوال السلف رضى الله عنهم (ألا ترى) الى ما حكى عن الشيخ
أبى محمد بن ابى زيد رحمه الله تعالى انه لما ان دخل ولده المكتب وقرأ الحمد
لله رب العالمين جاء الى والده بلوح الاصرافة فأعطاه مائة دينار يعطيها
للفقيه فلما ان حصلت عند الفقيه اجتمع بالشيخ وقال له يا سيدى وأى شئ
عملته حتى تقابلنى بهذا العطاء فقال له والله لا قرأ عليك ابنى شيئاً بعد اليوم
فقال له ولم ذلك فقال لانك استعظمت ما حقر الله تعالى وهو الدنيا
واستصغرت ما عظم الله تعالى وهو القرآن والغالب على الناس اليوم هذا
الحال وهو استعظام الدنيا فى قلوبهم واستصغار ما كان من امر الآخرة فاذا
تقرر ذلك فلا يظهر المؤدّب فى هذا الزمان انه جالس يقرئ لله عز وجل بل
يظهر انه جالس للعلوم ونيته لله تعالى كما تقدم

(فصل فى ذكر اسباب اولياء الصبيان) وينبغى له انه اذا كان عنده
احد من اولاد من يتسبب بسبب حرام على انواعه من مكس او ظالم او
غيرهما فلا يأخذ مما اتى به الصبى من تلك الجهة شيئاً اللهم الا ان يكون
يأتيه من غير تلك الجهات المحذر منها من جانب الشرع فلا باس به مثل ان
يأتيه بشئ من جهة امه او جدّته او غيرهما من وجه مستور بالعلم لكن

يشترط في اقرائه للولد الذي يكون متصفا وابيه بما ذكر ان لا يوالي والد الصبي باقبال عليه ولا بسلام ولا بكلام ولا جواب اذ انه يجب عليه التغيير عليه وعلى أمثاله بشروطه فاذا لم يسمع ولم يرجع لم يبق في حقه من التغيير الا الهجران له واذا سلم عليه فقد خرج بذلك عن هجرانه وذلك حرام (وقد رأيت بعض من له تحرز عنده ولد له والد وكيل على بعض الجهات الممنوعة شرعا اذا جاءه وسلم عليه لا يرد عليه سلاما واذا كلمه لا يرد عليه جوابا وكان لا يأخذ من الصبي شيئا الا من جهة امه او جدته او غيرهما ممن هو سالم مما تقدم ذكره فان تعذرت جهة الحلال فلا يأخذ شيئا ويحذر من هذا جهده فانه من باب أكل أموال الناس بالباطل اذ انهم يأخذونه من أربابه بالظلم والمصادرة والقهر وهو يأخذه على ظاهر انه حلال في زعمه وهذا أعظم في التحريم من الاول وان كان كله حراما وهذا الذي ذكر في نيته على سبيل الاولى والارجح (ويجوز له) أن يقرئ الناس القرآن بعوض لقوله عليه الصلاة والسلام ان أحق ما أخذتم عليه اجرا كتاب الله أخرجه البخاري فهذا نص صريح على انه أحل شئ يكون (ومن كتاب البيان والتحصيل) سئل مالك رحمه الله عن اجارة المعلمين فقال لا بأس بذلك يعلم الناس الخير فيعطي قيل له انه يعلم مشاهرة ويطلب ذلك فقال لا بأس به ما زال المعلمون عندنا بالمدينة يفعلون ذلك انتهى لكن ما قدمناه اولى لمن أمكنه ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن أو كما قال عليه الصلاة والسلام ومن أكبر الزهد في الدنيا اخلاء القلب عنها وترك النظر اليها وترك السبب هذا والذي ينبغي أن يكون عليه حال حامل القرآن اذ انه اكمل الاحوال فينبغي ان يكون حاله اكمل الاحوال وان كانت نفسه تتشوف الى المعلوم فالاقتداء بالكرام في الصورة الظاهرة نعمة شاملة والمرجو من الذي انعم عليه بذلك ان يتم نعمته بالاتباع في الباطن ومن نزل ساحة الكرام فهو محمول نسأل الله تعالى الكريم ان يحملنا بفضله ويحمل عنا بمنه لا رب سواه

(فصل في صفة توفيته بما نواه) وينبغي له أنه اذا نوى ماذكر فليجتهد في التعليم اكثر من تعليم من يأخذ العوض على ذلك لانه اذا كان يقرئ بغير

عوض تمحض لله تعالى فكان أرجى فى صحة اخلاصه وبعض الناس يفعل ضد هذا وهو أنه اذا كانت نيته لله تعالى لا لأخذ عوض يفعل ذلك على سبيل الاستراحة والتوانى ان تفرغ لذلك فعله والا تركه محتجا بأن ذمته برئت لعدم أخذ العوض عليه وما يشعر انه قد أوقع نفسه فى امر خطر لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا أوفوا بالعقود فاذا كان ذلك كذلك فيكون حرصه على العمل الذى نواه لله تعالى ان يوفى به اكثر مما يأخذ العوض عليه كما تقدم وذلك مثل من يصلى بالناس بغير عوض وآخر يصلى بعوض فيكون الذى يصلى بلا عوض أحرص على المواظبة والمبادرة من الذى يصلى بالعوض بل يزيد عليه فى ذلك المعنى حرصا منه على التوفية بما التزمه لله عز وجل فلو قال نويت بتعليمى لله عز وجل ان قدرت على ذلك فان فعله حصل له الثواب وان تعذر فلا حرج عليه ولا يدخل فى الآية الكريمة المتقدم ذكرها وهذا عام فى جميع افعال البر التى يفعلها المسلم فليحافظ على ذلك جهده والله المسئول فى التجاوز عن التقصير عنه (وقد) يضطر بعض المؤدبين الى أخذ العوض واذا كان ذلك كذلك فينبغى ان يكون باجرة معلومة وهو احل ما يأكله المرء لقوله عليه الصلاة والسلام ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله وقد تقدم اه واذا اخذ العوض فليحترز فى نفسه ان يزيد على ذلك شيئا من جهة الصبى من غير اذن وليه فى ذلك فان فعل من غير اذنه فهو حرام عليه وأكله اذ ذاك سحت لان الصبى محجور عليه وليس له تصرف فى ماله ان كان له مال

(فصل فيما يأمر به المؤدب الصبى من الاداب) وينبغى له بل يتعين عليه ان لا يترك احدا من الصبيان يأتى الى الكتاب بغذائه ولا بفضة معه ولا فلوس ليشترى شيئا فى المكتب لان من هذا الباب تتلف احوالهم وينكسر خاطر الصغير الفقير منهم والضعيف لما يرى من جدة غيره فيدخل بذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام من ضار بمسلم اضر الله تعالى به انتهى لان ولد الفقير يرجع الى بيته منكسرا خاطره متشوشا فى نفسه غير راض بنفقة والديه عليه ولا بمن نفقته من له اتساع فى الدنيا ويترتب على ذلك من المفاسد جملة وقل

أن تخصر وفيما أشرنا اليه كفاية (وينبغي له) أن لا يدع أحدا من الباعين يقف على المكتب ليبيع للصبيان اذ فيه من المفاسد ما أشرنا اليه ان اشترى منه (وينبغي) للمؤدب أن لا يكثر الكلام مع من مر عليه من اخوانه اذ ما هو فيه آكد عليه من الحديث معه لانه مشتغل با كبر الطاعات لله تعالى اللهم الا أن يتعين عليه فرض أو أمر هو أهم في الوقت مما هو فيه فنعم وكثير من المؤدبين تجدهم بضد هذا الحال يتحدثون كثيرا مع الناس من غير ضرورة شرعية والصبيان يبطلون ما هم فيه ويلهون عنه ويلعبون فليحذر من هذا أن يقع منه (وينبغي له) ان يكون موضع الكتاب بالسوق ان امكن ذلك فان تعذر ذلك فعلى شوارع المسلمين او في الدكاكين ويكره ان يكون بموضع ليس بمسلوك للناس فان الصبيان يسرع اليهم القيل والقال فاذا كان بالسوق او على الطريق او في الدكاكين ذهب عنهم ذلك وفيه فائدة أخرى عظيمة وهي اظهار الشعائر لأنه أجلها (وكذلك) يحذر أن يتخذ الكتاب في المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم اه (ولا) ينبغي أن يكون المكتب في موضع يخفى عن أعين المارين في الطريق اذ في ذلك من المفاسد ما لا يخفى (وقد تقدم) ان الصبيان يكونون عنده على حد واحد فابن الفقير وابن الغني سواء واذا كان ذلك كذلك فلا يترك دكة تدخل له الكتاب لان في ذلك ترفيعا لابن الغني على غيره وانكسارا لخاطر الفقير واليتيم والموضع موضع جبر لا موضع كسر اذ اللائق بحامل القرآن أن يكون بموضع من العدل والتواضع والخير فتكون بداية أمر الصبيان على المنهج الاقوم والطريق الأرشد (وينبغي) أن يكون الموضع الذي يتصرف فيه الصبيان لضرورة البشرية معلوما اما أن يكون وقفا واما أن يكون ملكا أباحه صاحبه ويؤمن على الصبيان فيه فان عدما معا أو عدم الأمن فكل واحد يمضي الى بيته ليزيل ضرورته ثم يعود واذا خرج أحد من الصبيان لقضاء حاجته فلا يترك غيره يخرج حتى يأتي الاول لانهم اذا خرجوا جميعا يخشى عليهم من اللعب بسبب الاجتماع وقد يبطئون في الرجوع الى المكتب وهو الغالب على حالهم (وينبغي له) اذا احتاج الصبي الى غدائه أن يتركه يمضي الى بيته لغدائه ثم يعود لانه ستر على الفقير وفيه أيضا تعليم الادب

للصبيان

للصبيان فى حال صغرهم لان الاكل ينبغى أن لا يكون الا بين الاخوان والمعارف دون الاجانب فاذا نشأ الصبي على ذلك كان متأدبا بآداب الشريعة فيذهب عنه ما يتعاطاه بعض عامة الناس فى هذا الزمان من الاكل على الطريق وفى الاسواق وبحضرة من يعرفه ومن لا يعرفه لان ذلك ليس من السنة ولا من شيم الكرام وقد قيل لا يأكل على الطريق الا كريم أو لئيم وقد وقع النهي عن الاكل والعينان تنظران (فاذا) مضوا الى ذلك فينبغى أن يقيم السطوة عليهم اذا غابوا أكثر مما يحتاجون اليه لئلا يكون ذلك ذريعة الى اجتماع بعضهم مع بعض ووقوع ما لا ينبغى منهم (وينبغى له) أن يتولى تعليم الجميع بنفسه ان أمكنه ذلك فان لم يمكنه وتعذر عليه فليأمر بعضهم أن يقرئ بعضا وذلك بحضرته وبين يديه ولا يغفل نظره عنهم لانه اذا غفل قد تقع منهم مفاسد جملة لم تكن له فى بال لان عقولهم لم تتم ومن ليس له عقل اذا غفلت عنه وقتا ما فسد أمره وتلف حاله فى الغالب سيما فى هذا الزمان كما هو معلوم (وينبغى) له اذا وكل بعضهم ببعض أن لا يجعل صبيانا معلومين لشخص واحد منهم بل يبدل الصبيان فى كل وقت على العرفاء مرة يعطى صبيان هذا لهذا وصبيان هذا لهذا لانه اذا كان لواحد صبيان معلومون فقد تنشأ بينهم مفاسد بسبب الود لا يشعر بها فاذا فعل ما تقدم ذكره سلم من هذا الامر ويفعل هو فى نفسه مثل ذلك فيأخذ صبيانهم تارة ويدفع لهم آخرين فان كان الصبيان كلهم صغارا فلا بد من مباشرة ذلك كله بنفسه فان عجز عنه فليأخذ من يستنيبه من الحفاظ المأمونين شرعا بأجرة أو بغيرها (وينبغى له) أن يمتثل السنة فى الاقراء ومن جملة ذلك ان السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين انما كانوا يقرئون أولادهم فى سبع سنين لانه زمن يؤمر الولى أن يكلف الصبي بالصلاة والآداب الشرعية فيه فاذا كان الصبي فى ذلك السن فهو غير محتاج الى من يأتى به الى المكتب ان أمن عليه غالبا فان لم يأمن عليه فيرسل معه وليه من يثق به فى ذهابه الى بيته لضرورته وغذائه ومن يأتى به الى المكتب فهو أسلم عاقبة من أن يكون الذى يتولى ذلك من المكتب والغالب فى هذا الزمان انهم يدخلون أولادهم المكتب فى حال الصغر بحيث انهم يحتاجون

الى من يربيهم ويسوقهم الى المكتب ويردهم الى بيوتهم بل بعضهم يكون منه بحيث لا يقدر أن يمسك ضرورة نفسه بل يفعل ذلك فى المكتب ويلوث به ثيابه ومكانه فليحذر من أن يقرئ مثل هؤلاء اذ لا فائدة فى اقرائه لهم الا وجود التعب غالبا وتلويث موضع القرآن وتنزيهه عن ذلك متعين أعنى بالنسبة الى عدم انتفاع الصبيان بالقراءة فى ذلك السن غالبا الا ترى أن الغالب منهم انهم يرسلون أولادهم الى المكتب فى حال صغرهم لكى يستريحوا من تعبهم لا لاجل القراءة وحامل القرآن يجل منصبه الرفيع عن تربية من هذا حالهم وفى اقرائه لغيرهم سعة وفائدة (وينبغى) أن يعلمهم آداب الدين كما يعلمهم القرآن فمن ذلك انه اذا سمع الاذان أمرهم أن يتركوا كل ماهم فيه من قراءة وكتابة وغيرهما اذ ذاك فيعلمهم السنة فى حكاية المؤذن والدعاء بعد الاذان لانفسهم وللمسلمين لان دعاءهم مرجو الاجابة سيما فى هذا الوقت الشريف ثم يعلمهم حكم الاستبراء شيئا فشيئا وكذلك الوضوء والركوع بعده والصلاة وتوابعها ويأخذهم فى ذلك قليلا قليلا ولو مسئلة واحدة فى كل يوم أو يومين (وليحذر) أن يتركهم يشتغلون بعد الاذان بغير أسباب الصلاة بل يتركون كل ماهم فيه ويشتغلون بذلك حتى يصلوا فى جماعة وقد تقدم انهم فى قضاء حاجتهم يمضون الى موضع وقف أو موضع ملك أبيح لهم أو الى بيوتهم فكذلك ههنا سواء بسواء ويصلون جميعا فى المسجد الذى يصلى فيه مؤذنهم فان خاف عليهم من اللعب والعبث فيصلون فى المكتب جميعا ويقدمون أكبرهم فيه فيصلى بهم جماعة (وينبغى له) أن يعودهم الصلاة فى المسجد مع الجماعة ولا يسامحهم فى ترك الصلاة فيه ولا يعودهم الصلاة افذاذا لان المسئلة مختلف فيها أعنى شهود الجماعة هل هى فرض أو سنة فذهب جماعة من العلماء الى أن الصلاة لا تصح الا فى جماعة (فاذا) فرغوا من الصلاة وتوابعها ارجعوا لما بقى عليهم من الوظائف فى المكتب (وينبغى) ان يكون وقت كتبهم الالواح معلوما ووقت تصويبها معلوما ووقت عرضها معلوما وكذلك قراءة الاحزاب حتى ينضبط الحال ولا يختل النظام ومن تخلف عن ذلك الوقت منهم لغير ضرورة شرعية قابله بما يليق به فرب صبى يكفيه عبوسة وجهه عليه وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ

والتهديد

والتهديد وآخر لا ينزجر الا بالضرب والاهانة كل على قدر حاله (وقد جاء) ان الصلاة لا يضرب عليها الا لعشر فما سواها أحرى فينبغي له أن يأخذهم بالرفق مهما أمكنه اذ أنه لا يجب ضربهم في هذا السن المتقدم ذكره فاذا كان الصبي في سن من يضرب على ترك الصلاة واضطر الى ضربه ضربه ضربا غير مبرح ولا يزيد على ثلاثة أسواط شيئا بذلك مضت عادة السلف رضي الله عنهم فان اضطر الى زيادة على ذلك فله فيما بين الثلاثة الى العشرة سعة (لكن) لا بد أن تكون الآلة التي يضرب بها دون الآلة الشرعية التي تقام بها الحدود وهي ما ذكره مالك رحمه الله تعالى في موطائه عن زيد بن أسلم ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فأتى بسوط مكسور فقال فوق هذا فاتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فأتى بسوط قد ركب به ولان فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد اه ولا يكون الادب بأكثر من العشرة وهو ضامن لما طرأ على الصبي ان زاد على ذلك (وليحذر) الحذر الكلي من فعل بعض المؤدبين في هذا الزمان وهو أنهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس والجريد المشرح والاسواط النوبية والفلقة وما أشبه ذلك مما أحدثوه وهو كثير ولا يليق هذا بمن ينسب الى حمل الكتاب العزيز اذ أن حاله كما ورد في الحديث من حفظ القرآن فكأنما ادرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى اليه اه (وينبغي له) ان يعلمهم الخط والاستخراج كما يعلمهم حفظ القرآن لانهم بذلك يتسلطون على الحفظ والفهم فهو اكبر الاسباب المعينة على مطالعة الكتب وفهم مسائلها (وينبغي له) بل يجب عليه ان يكون لمحو الالواح موضع طاهر مصان نظيف لا يمشى فيه بالاقدام ثم مع ذلك يأخذ الماء الذي يجتمع من المحو فيحفر له في مكان طاهر مصان عن ان يطأه قدم ويجعل فيه او يلقي في البحر او البئر او يجعل في اناء طاهر لكي يستشفى به من يختار ذلك وكذلك الماء الذي يغسل به الخرق بعد المحو يجعل في موضع بحيث لا يمتهن ويشترط في الخرق التي يمسح بها الالواح ان تكون طاهرة وان يكون الماء الذي تبل منه حين يمسح به طاهرا والافضل ان يكون الماء غير مستعمل وان

امكنه أن يكون حلوا فهو أولى لان من الناس من يشربه للاستشفاء به فان كان أجاجا امتنع عليه ذلك أو تنغص بشربه كما مر فى الآنية اذا غسلت فيها الايدى بعد الاكل انه لا يبصق فيها ولا يغسل فيها باشنان ولا غيره خيفة أن يشرب به من يتبرك به كما تقدم فى الماء الذى تمسح به الالواح من باب أولى وأحرى (ويتعين عليه) أن يمنع الصبيان مما اعتاده بعضهم من انهم يمحون الالواح أو بعضها ببصاقهم وذلك لا يجوز لان البصاق مستقذر وفيه امتهان والموضع موضع ترفيع وتعظيم وتبجيل فيجل عن ذلك وينزه (وينبغى له) أن لا يسامح الصبيان فى دق المسامير فى المكتب ان كان وقفا وان كان ملكا فلا يجوز الا باذن صاحبه ولا ضرورة تدعو الى ذلك اذ أنهم مأمورون ان يأكلوا فى بيوتهم لا فى المكتب كما تقدم فان كان بعضهم بيته بعيدا بحيث يشق عليه الذهاب والرجوع فيكلفه المؤدب أن يمضى الى بيت أحد أقاربه من والديه أو معارفهما فان لم يكن له ذلك فليجعل وقت غدائه حين ينصرف الصبيان الى غدائهم وقبل أن يرجعوا (وقد تقدم) أن المؤدب يعلمهم على اتباع السنة ويعلمهم أحكام ربهم عليهم كما يعلمهم القرآن (ومن ذلك) أن لا يعودهم القراءة فى جماعة لان ذلك ليس من فعل السلف رضى الله عنهم كما تقدم لانهم اذا تعودوا ذلك فى صغرهم يخاف عليهم أن يفعلوه فى كبرهم وأيضا فان حفظهم لا يتأتى بذلك اذ أن من لم يحفظ منهم لا يعلم حاله اذا كانوا على صوت واحد فى الغالب واتباع السلف رضى الله عنهم أولى بل هو المتعين ولم ينقل عنهم ذلك فيتعين تركه (وينبغى له) أن لا يستقضى احدا من الصبيان فيما يحتاج اليه الا أن يستأذن أباه فى ذلك ويأذن له عن طيب نفس منه ولا يستقضى اليتيم منهم فى حاجة بكل حال (وليحذر) أن يرسل الى بيته أحدا من الصبيان البالغين او المراهقين فان ذلك ذريعة الى وقوع مالا ينبغى او الى سوء الظن بأهله (وبالجملة) فان ذلك لا يجوز لان فيه خلوة الاجنبى بالمرأة الاجنبية وهو محرم فان سلموا منه فلا يخلو من الوقيعة فى أعراضهم فى هذا الزمان غالبا وماذكر من استقضاء حوائجه لبعض الصبيان فهو من باب الجواز والا فالذى ينبغى أن لا يستقضى أحدا منهم فى حاجة اصلا لانه قد دخل على تعليمهم لله تعالى كما تقدم (لكن) قد تقدم أيضا انه اذا فعل ذلك وجاءه شئ أخذه على

سبيل الفتوح فكذلك فيما نحن بسبيله لكن يشترط ان تكون نفسه غير متشوفة لشئ من ذلك لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (وقد تقدم) ذكر المكان الذي يقضي الصبيان فيه ضرورة البشرية فليحذر ان يتركهم يفعلون ذلك في غيره امثل ما يفعل بعضهم في هذا الزمان من انهم يقضون حاجتهم في جدران بيوت الناس وطرقاتهم فيعيبون ذلك عليهم فمن جلس الى تلك الجدران تلوث ثوبه بالنجاسة وكذلك الماشي قد يصيبه منها اذى وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا الملاعن الثلاث فهذا من آكدها فتلحق الصبيان اللعنة وهذا كله في ذمة من سكت لهم ممن له عليهم أمر ونهي فينهاهم عن ذلك جهده (وينبغي له) ان يكون على أكمل الحالات ومن ذلك أنه يكون متزوجا لانه وان كان صالحا في نفسه فالغالب اسراع سوء الظن في هذا الزمان بمن كان غير متأهل اذ لا فرق بين الصبيان والبنات في الظاهر الا عند من يتقي الله تعالى فيسري اليه القيل والقال فاذا كان متأهلا انسد باب الكلام والوقيعة فيه (وينبغي له) أن لا يضحك مع الصبيان ولا يباسطهم لئلا يفضي ذلك الى الوقوع في عرضه وعرضهم والى زوال حرمته عندهم اذ ان من شان المؤدب أن تكون حرمته قائمة على الصبيان بذلك مضت عادة الناس الذين يقتدى بهم فليقتد بهديهم (وقد تقدم) ان الصبيان يمضون الى بيوتهم لقضاء ضرورة البشرية ولغدائهم (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر مما يفعله بعض عوام المؤدبين في هذا الزمان وهو أن الصبيان الذين عنده اذا أتى كل واحد منهم بغدائه أو بعضهم فيتسلم ذلك منهم وبعضهم يخلط جميع ذلك ثم يعطي منه من يخطر له فيقعد بعض الصبيان يطلب منه شيئا من غدائه فيحرمه ويوفر ذلك لنفسه وان يختار وهذا حرام سحت وذلك جرحة في حقه ويتعين اقامته من المكتب الآن يتوب بشرط أن تعلم حقيقة أمره في ذلك (وفيه) من المحذورات عدة (منها) انه يأخذ غداء هذا فيعطيه لغيره فيدخل الخلل في غذاء الناس لانه قد يكون والد بعضهم صالحا متورعا في كسبه وآخر مكاسا ظالما وقد يكون غداء بعضهم أحسن من غداء

الآخر فى الطعام والصبى محجور عليه كما تقدم ووليه لم يرض بذلك سيما ان كان يتيم فلا يجوز ابداله ولا يجوز لوليه أن يأذن فى مثل ذلك (وبعض) المؤدبين يفعل فعلا قبيحا شنيعا محرما وهو أنه يأكل مع الصبيان من أغذيتهم ويطعم من يختاره ومن يجتمع به ويرسل منها الى بيته ما يختار وهذا نوع من الخلسة (ولو) فرضنا ان الصبيان بقى لهم غذاؤهم ولم يمسه غيرهم فأكلوا منه ماشاءوا وبقيت منه بقية وتركوها فى المكتب رغبة عنها لجاز للمؤدب أن يأخذها وينتفع بها وينبغى له أن يعلم أولياء الصبيان بذلك أن كانوا جماعة أو واحدا ان انفرد هذا مالم يكن ليتيم كما تقدم اللهم الا أن يكون الصبى لم يأكل شيئا من غذائه وتركه كله فى المكتب فلا يجوز للمؤدب أن يقدم على أخذه الا باعلام والد الصبى والا فلا بخلاف ماتقدم لانها فضلات عن شبعهم (وأما) ما يحتاجه الصبيان من الماء للشرب فجائز أن يأخذ من كل واحد منهم شيئا بقدر الحاجة ويكون ذلك بينهم بالسوية فيشترى به ماعون الماء والماء ولا يمكن الصبيان من الذهاب الى بيوتهم للشرب وان كان بيت بعضهم قريبا الا ان ذلك مما يتكرر فى الغالب (واذا) كان الامر كذلك فينبغى بل يتعين أن لا يشرب معهم غيرهم الا ان يأذن فى ذلك آباؤهم فان كان فيهم يتيم فلا يأخذ منه شيئا لثمن الماء ولا غيره والحالة هذه ويصير من جملة من أذن له فى الشرب ويستحق ذلك فى حق مؤدبهم (وقد تقدم) ان سكنى دور القرافة تمنع واذا كان ذلك كذلك فلا يتخذ فيها مكتبا للعلة المذكورة ومن فعل ذلك فقد خالف ولا حاجة تدعو الى تفصيله فان الحكم فيه معلوم لمن وفق له

(فصل فى انصراف الصبيان من المكتب) وانصراف الصبيان واستراحتهم يومين فى الجمعة لا بأس به وكذلك انصرافهم قبل العيد بيوم او يومين أو ثلاثة وكذلك بعده بل ذلك مستحب لقوله عليه الصلاة والسلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فاذا استراحوا يومين فى الجمعة نشطوا لباقيها (وينبغى له) أن لا يدع أحدا عنده من الصبيان ممن فيه رائحة مّا من الخصال الذميمة اذ أن ذلك سبيل للوقيعة فى حق بعض من فى المكتب عنده وقد يفضى ذلك الى أن يشتهر مكتبه بما لا ينبغى فقد ينسب الى المؤدّب مالا يليق بمنصبه وفيه مفسدة أخرى وهو أنه قد يكون سببا الى

عدم مجيء الصبيان اليه أو قلتهم فيحصل بذلك تمزيق العرض وقلة الرزق فليحذر من ذلك جهده والله المستعان (وينبغي له) أن يجتنب ما يفعله بعض عوام المؤدبين من أنه اذا قل عنده الصبيان أو فتح مكتبا وليس فيه أحد فانه يكتب أوراقا ويعلقها على باب المكتب ليكثر مجيء الصبيان اليه وهذا لا يفعله الا سفهاء الناس وفيه استشراف النفس لتحصيل الدنيا وقد تقدم ومنصب المؤدب يجل عن هذا وأشباهه (وينبغي) أن لا يقبل من أحد من الصبيان شيئا مما يأتي به اليه من الاطعمة التي يعملها بعض الناس في مواسم أهل الكتاب فان قبوله لذلك من باب التعظيم لمواسمهم وفي التعظيم لمواسمهم تعظيم لهم وتعظيمهم فيه ما فيه (وقد) يكون ذلك سببا الى أنهم يعتقدون ان دينهم هو الحق وان غيره هو الباطل لما يرون من تعظيم المسلمين لهم كما تقدم (وفيه) عدم الانكار والتغيير على من فعل ذلك من المسلمين وأتاه به بل يرده عليه ويزجره له ويبين له ولغيره ان ذلك لا يجوز لما تقدم (وبعض المؤدبين) في هذا الزمان يفعل ما هو أشنع من هذا وهو أنه يطلب ذلك بنفسه (وبعض المؤدبين) يطلب من بعض الصبيان الذين عنده فلوسا يأتون بها اليه حتى يصرفهم في مواسم أهل الكتاب وهذا أشنع مما قبله وبعض المسلمين يطلبون من أهل الكتاب من أطعمتهم التي يعملونها في أعيادهم ومواسمهم وهذا أقبح مما ذكر من فعل بعض المؤدبين (وينبغي له) أن يصرف الصبيان لغدائهم كما تقدم ويترك لهم مع ذلك وقتا يستريحون فيه في بيوتهم واحذر أن يبيح لهم فعل ذلك في المكتب لان الصبيان اذا خرجوا عما بني المكتب له عاد ذلك بالضرر غالبا عليهم وعلى غيرهم وما بني المكتب الا لاجل الدرس والحفظ والعرض والكتابة فان كان غير ذلك فليكن في بيوتهم ولا يتركهم ينامون فيه وقتا ما في الحر وقد تقدم المنع مما هو أخف من هذا وهو أنهم يمضون الى بيوتهم ويأكلون فيها ولا يأكلون في المكتب (وينبغي له) اذا اشتكى أحد من الصبيان وهو في المكتب بوجع عينيه أو شيء من بدنه وعلم صدقه في ذلك أن يصرفه الى بيته ولا يتركه يقعد في المكتب بغير قراءة لان ذلك سبب لبطالة غيره في الغالب (وينبغي له) ان كان له ولد صغير أن لا يترك أحدا من صبيان مكتبه يحمله ذكرا كان أو انثى والمنع في الانثى اشد

ولا يستأذن فى مثل هذا الآباء بخلاف ما تقدم فى استقضائهم حوائجه فانه يستأذن الآباء (وينبغى له) أن لا يغيب عن المكتب اصلا ما دام الصبيان فيه اذ انهم لا عقل لهم يمنعهم عما يضطرهم فعله فلا بد لهم من راع يرعاهم بنظره ويسوسهم بعقله ويؤدبهم بكلامه (ألا ترى) ان الراعى اذا غفل عن الماشية قليلا اختل نظامها وتغير حالها فى الغالب وربما تلف بعضها وما ذاك الا لعدم العقل عندها (ولاجل ذلك) ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الصبيان مع المجانين حيث قال عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم الحديث وقد تقدم (ولا باس) أن يغيب الغيبة اليسيرة لضرورته ولا يفعل ذلك الا أن لا يجد من يقوم بها عنه مثل خبزه اذا اختمر لكنه يشترط فيه أن يستنيب عليهم أكبرهم سنا وأعقلهم بشرط أن يأمره أن لا يضرب أحدا منهم فى غيبته ولا ينهره الا أنه من فعل منهم شيئا كتب اسمه حتى يأتى المؤدب فيعلمه به فيرى فيه رأيه (وينبغى له) أن يجتنب ما يفعله بعض المؤدبين من كتبهم أوراق المستأذنات للافراح فيكتب فيها بخطه وله الى الجناب المنيع والستر الرفيع الى غير ذلك من التزكية وما شاكلها والشعر الذى ينزه غير المؤدب عن الكلام به فكيف بالمؤدب (وله) أن يكتب المحروز لاطفال المسلمين ولكبارهم (وكذلك) الصحيفة فيها آيات من كتاب الله عز وجل والرقى بالكلام الطيب (وليحذر) أن يكتب شيئا بالعبرانية فان ذلك لا يجوز ولو قيل ان فيه من المنافع ما لا يحصى فانه ممنوع وقد سئل مالك رحمه الله تعالى عنه فقال وما يدريك لعله كفر (وينبغى) لآباء الصبيان أن يتخيروا لأولادهم أفضل ما يمكنهم فى وقتهم ذلك من المؤدبين وان كان موضعا بعيدا فيختارون لهم أولا أهل الدين والتقوى فان كان مع ذلك عنده علم من العربية فهو أحسن فان زاد على ذلك بالفقه فهو أولى فان زاد عليه بكبر السن فهو أجل فان زاد عليه بورع وزهد فهو أوجب الى غير ذلك اذ انه كلما زادت الخصال المحمودة فى المؤدب زاد الصبى به تجملا ورفعة واذا كان ذلك كذلك فيتعين النظر فيما ذكروا والله تعالى أعلم (وينبغى للمؤدب) أن يجتنب ما أحدثه بعض المؤدبين وبعض مشايخ القرآن من القراءة عليهم فى الاسواق والطرق لانه لم يكن من فعل من مضى (وفيه) مفاسد جملة

(ومنها) وطء الاعقاب وهو منهي عنه وقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك بالدرة وقال فيه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع اه (ومنها) ان السوق موضع اللغط والكلام والقرآن ينزه عن أن يقرأ في مثل هذه المواضع (ومنها) ان القرآن اذا تلي تعين الانصات أو يندب اليه فيقع من سمعه ممن في الاسواق أو الطرق فيما لا ينبغي والمسلم يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه (ومنها) ان قراءة القرآن والحالة هذه لا يسلم القارى غالبا من أن يقرأ وهو في موضع النجاسة والاماكن التي تنزه قراءة القرآن عنها (ومنها) اذا قرأ القاري ينبغي لقارئه وسامعه ان يتدبره ويتفكر فيه وذلك متعذر في الاسواق والطرق غالبا وله ان يقرأ خارج البلد اذا لم تعاين النجاسة وفي الانتقال من قرية الى قرية مع عدم معاينة النجاسة ايضا ولا فرق فيما ذكر بين ان يكون راكبا أو ماشيا اذ المعنى فيهما واحد (وينبغي له) ان يجتنب ما احدثه بعض العوام من المؤذنين وهو أنه اذا دخل وقت الصلاة يؤذنون على باب المكتب اوفوق سطحه او فيه وذلك كله من البدع الممنوعة لان الاذان انما شرع في الاماكن التي يهرع الناس اليها لاداء فرضهم وهي المساجد والمكتب ليس بمسجد حتى يأتي الناس اليه للصلاة فيه ومثله من يؤذن في بيته او بستانه فانه يدخل تحت قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لانه ينادي الناس بلسانه حي على الصلاة حي على الفلاح ومعنى ذلك هلموا الى الصلاة هلموا الى الفلاح ثم مع هذا النداء يغلق الباب دونهم وذلك ممنوع لانه جمع مفاسد (منها) انه من باب الغش لانه قد يسمعه من يسمعه فيأتي الى موضع الاذان فلا يجد السبيل الى دخول المكان الذي سمع فيه الاذان (ومنها) انه كالمستهزئ بأذانه الى ان اتوا سيما الغريب الذي هو عابر سبيل الى غير ذلك وهذا بخلاف لو أذن خارج البلد فان ذلك جائز لانه في برية فمن اتى اليه صلى معه (وهذا) القسم الاخير من باب المندوب (الوارد) في الحديث عن أبي سعيد الخدري انه قال لبعض من اعتنى به يا بني اني اراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت في غنمك او باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة قال ابو سعيد سمعته من رسول

الله صلى الله عليه وسلم اه (والاول) من باب البدعة والوقوع فى النهى
للآية الكريمة المتقدم ذكرها (ويتعين عليه) أن لا يشتم من استحق
الأدب من الصبيان وكثيرا ما يفعل بعض المؤدبين هذا وهو حرام وذلك
أنه اذا حصل للمؤدب غيظ ما على الصبى شتمه وتعدى بذلك الى والديه وربما
حصل لبعضهم فى ذلك الوقت قذف يجب عليه فيه الحد سيما من كان منهم فى
خلقه حدة أو فيه غلاظة وفظاظة فيتعين عليه اذا أدركه شئ مما ذكر أن
لا يؤدب الصبى فى وقته ذلك بل يتركه حتى يسكن غيظه ويذهب عنه ما يجده
من الحنق عليه وحينئذ يؤدبه الادب الشرعى على ما تقدم ذكره لانه ان
أدبه فى حال غيظه يخاف عليه أن يتعدى الادب المتقدم ذكره (ولاجل)
هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقضى القاضى حين يقضى
وهو غضبان وعداه علماؤنا رحمة الله عليهم الى كل ما يشوش عليه كحقنة
ببول أو غيره ولا فرق بين القاضى والمؤدب الا أن القاضى يحكم بين الكبار
وهذا يحكم بين الصغار وحامل القرآن ينزه عن هذا كله فيقيم الادب على
الصبى من غير أن يتناول عرضه ولا شتم أبويه بل يؤدبه كما يؤدبه والداه
وهما يرحمانه ويشفقان عليه ويذبان عنه فى كل أحواله وقد تقدم أنه ينبغى
للآباء أن ينظروا لاولادهم من المؤدبين من هو أورع وأزهد وأتقى الى غير
ذلك مما تقدم لانه رضاع ثان للصبى بعد رضاع الام (واذا) كان ذلك كذلك
فليحذر أن يفعل ما أحدثه بعض عوام المسلمين بأولادهم من انهم يخرجونهم
من المكتب الذى يقرؤون فيه كتاب ربهم عز وجل ويتعلمون فيه شريعة
نبيهم عليه الصلاة والسلام ويذهبون بهم الى كتاب النصارى لتعليم الحساب
وهذا رضاع ثالث بعد رضاع المؤدب وقد قيل الرضاع يغير الطباع فهذا
أمر شنيع قبيح من الفعل لان الولد لم تحصل له قوة الايمان بعد ولم يقرأ العلم ولم
يعرف أقوال العلماء وقد تسبق اليه الدسائس من النصرانى الذى يقرأ عليه
الحساب أو من الجماعة الذين عنده صغارا كانوا أو كبارا ثم ان النصرانى مع
ذلك يؤدبه على ما يضطر له ويعير ببساله من كفره وطغيانه ويظهر أن ذلك من
قبل تعليمه الحساب وهذا لا يرضى به عاقل ولا من فيه مروءة من المسلمين
والصبى فى هذا السن قابل لكل ما يلقى اليه مثل الشمع أى شئ عملت عليه

طبع فيه فيخاف على الولد وهو الغالب أن يتغير حاله فيرجع مكان الصدق كذبا وبهتانا وموضع النصيحة غشا وخديعة وموضع الالفة بالمسلمين انقطاعا ووحشة ومكان الاستسلام والانقياد خبثا ومداهنة الى غير ذلك من مكرهم وخصالهم الرديئة (واذا) كان ذلك كذلك فيخشى عليه أن يركن الى قول النصرانى اوالى شئ ما من اعتقاده أو استحسان حال من أحواله (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى لا تمكن زائغ القلب من أذنيك لا تدرى ما يعلقك من ذلك (ولقد) سمع رجل من الانصار من أهل المدينة شيئا من بعض أهل القدر فعلق قلبه به فكان يأتى اخوانه الذين استنصحهم فاذا نهوه قال كيف بما علق قلبي لو علمت ان الله راض ان ألقى نفسى من فوق هذه المنارة لفعلت (ومن) قول أهل السنة لا يعذر من أداه اجتهاده الى بدعة لان الخوارج اجتهدوا فى التأويل فلم يعذروا اذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة فسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم مارقين من الدين نقله ابن يونس (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهانى رحمه الله تعالى قال بشر بن الحارث أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ياموسى لا تخاصم أهل الاهواء فيلقوا فى قلبك شيئا فيرديك فيسخط الله عليك (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من جعل دينه غرضا للخصومات فقد أكثر التنقل (وقال) جعفر بن محمد رحمه الله اياكم والخصومات فى الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق اه وقد كان السلف رضى الله عنهم يتحفظون على الرضاع الثالث أكثر من الرضاعين المتقدمين وهما رضاع الام ورضاع المؤدب لان الصبي قد رجع له عقل ومعرفة بالامور وقابلية لقبول ما سمعه أو رآه (واذا) كان ذلك كذلك فيتعين ان يكون بعد رضاع المؤدب رضاع العلماء العاملين بعلمهم المتبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم المبينين لها الكاشفين عن غامضها والمخرجين لخبايا ياها فاذا ارتضع الصبي هذا الرضاع الثالث فالغالب انه ان وقع له غير ما سبق اليه سارع بسبب علمه وما انطبع عليه من معرفة ما تحصل عنده من الكتاب والسنة ومحبتهما وايثارهما الى انكاره وعدم قبوله لذلك (وقد) جاء بعض الناس بولده الى بعض السلف رحمه الله يريد أن يقرئه فقال له اقرأ قبل هذا

علماءنا غير ماض فيه يعنى من علم الكتاب والسنة قال نعم قال وما هو قال
العربية قال له اذهب بولدك فانه لا يجيء منه شيء قال ولم قال لانه قد سبق
اليه تغزلات العرب وأشعارها وجبل على ذلك فكيف يمكن صلاحه فلم
يقرئه ومعلوم بالضرورة ان العربية مطلوبة فى الدين لاجل فهم الكتاب
العزيز وفهم سنة النبى صلى الله عليه وسلم لكن ما وقع لوم هذا السيد له الا
لما سبق له من تغزلات العرب وأشعارها فلو سبق له العلم بالكتاب والسنة
أو بعضه من حيث انه يعلم ما يجب عليه وما يسن وما يندب اليه لما عذله فاذا
كان هذا تحفظهم على سبق العربية مع وجود الاحتياج اليها فى الشرع
كما تقدم فما بالك بغيرها (وما) قدمناه فى حق المؤدب من انه اذا كان عنده
علم من العربية فهو احسن أعنى انه يكون عالما بالعوامل وهو لم رفع هذا
ونصب هذا وخفض هذا وما أشبه ذلك لان علوم العربية على أربعة
أقسام أحدها علم العوامل وهو ما تقدم ذكره والثانى علم اللغة والثالث علم
الأدب والرابع علم البديع فالأول هو الذى يحتاج اليه المؤدب وليس فيه
كبير أمر فى الغالب (ثم نرجع) الى تمام ما بقى من المفاسد التى فى دخول الصبى
لكتاب النصارى (فمن ذلك) ما فى ظاهره من الذلة للمسلمين بسبب ما فعل
هذا بولده وفيه تعظيم النصارى فانهم اذا رأوا أولاد المسلمين يأتون اليهم
ليتعلموا هذه الفضيلة منهم رأوا أن لهم رفعة وسوددا وفضيلة على المسلمين
وهذا كله ممنوع شرعا وعقلا فيالله ويا للعجب كيف يترك التعليم من المسلمين
وهم متوافرون فى هذا العلم وغيره من العلوم الشرعية ويؤتى الى نصرانى
عدو للدين وعدو لله ولرسوله مظهر لذلك معاند للمسلمين فهذا من الخسف
الباطنى الذى لا يرتاب فيه ولا يشك (فان) قال قائل ان النصارى فى علم
الحساب والطب أحذق وأعرف بالتعليم من غيرهم من المسلمين (فالجواب)
ان هذا باطل لانه لو كان الصبى علم كل ما عند المسلمين من العلم الذى يريد أن
يتعلمه من النصرانى حتى فاق المسلمين فى ذلك ثم اتى بعد ذلك الى النصرانى
لزيادة عنده فيه لكان هذا القول فيه شيء ما من الميل الى ذلك فكيف
والصبى بعد لم يلم بشيء من الحساب ولا غيره ولو عرفه لكان والحمد لله فى
المسلمين من يعرف اكثر من النصرانى وامثاله فلا حاجة تدعو الى التعليم من
اهل الكفر والضلال (وقد اقامهم) عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال

قد أغنى الله عنكم بالمسلمين (وقد) نهى رضى الله عنه أن يتخذ أحد من أهل الكتاب كاتبا (وقال) جوابا لمن أثنى على النصرانى بالمعرفة والحذق فى الحساب مات النصرانى والسلام (وقال أيضا) لا تكرموهم وقد أهانهم الله تعالى ولا تؤمنوهم وقد خونهم الله تعالى ولا تستعملوا على أنفسكم وأموالكم الا المسلمين الذين يخشون الله تعالى أو كما قال (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى اشتراط أمير المؤمنين رضى الله عنه الخشية فمن تولى من المسلمين على المسلمين فما بالك فى حق أعداء الدين وانما هى محض شيطانية ونفسانية وركوب للهوى وركون للعوائد الرديئة وترك للنظر الى أمر الشريعة وما يندب اليه من الفوائد الجمة العظيمة والاخلاق الجميلة أسأل الله السلامة بمنه وفيه من المفاسد التى يأباها الاسلام ومن فيه عذوبة طبع وانقياد للشريعة المطهرة (وهى) أن المعلم النصرانى يجلس على موضع مرتفع وأولاد المسلمين دونه ويقبلون يده أو ركبته حين اتيانهم اليه وانصرافهم ويقيم السطوة عليهم وقد تقدم بعض ذلك (وفيه أيضا) ان الولد يتربى على ترك التحفظ من النجاسة لانهم ليس عندهم نجاسة فيما يعتقدونه الا دم الحيض ليس الا وأبوالهم وفضلاتهم كلها طاهرة عندهم وقد يسقون الادوية بالنجاسات ويلتمسون منها فتنجس أجسادهم وأثوابهم من ذلك (ومنها) ان المعلم يشرب الخمر بحضرتهم وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم حاملها وحاضرها فى جملة من لعن بسببها والولد المسلم هو حاضرها والحالة هذه ويكون حاملها فى بعض الاحيان فان كان الولد بالغا أو مراهقا فهو داخل تحت اللعنة وان كان صبيا صغيرا فاللعنة عائدة على والديه أو وليه أو من اشار عليه بذلك وقل أن يسلم الولد من شؤم ذلك وان كان صغيرا غير مكلف وربما أمرهم المعلم بحمل الخمر اليه أو الى بيته لان من عادته أن يستقضيهم فى حوائجه وضروراته (ومنها) ان الولد لا يقدر على الصلاة بحضرته ويمنعهم من الانصراف فى وقت صلاة الظهر والعصر أو هما معا وقد يتوه عليهم فى صلاة الجمعة حتى يخرج وقتها أو يفوته بعضها (ومنها) ان الولد فى صوم رمضان يعيبون عليه فى ذلك ويضحكون منه ويستهزئون (ومنها) انهم اذا كان صومهم يمنعون الماء ان يؤتى به الى ذلك الموضع فيبقى أولاد المسلمين بالعطش غالبا

(ومنها) انه يخاف على الولد وهو الغالب أن يقع فى اعتقادهم الباطل أوفى بحث بعضهم مع بعض فى ألواحهم فان أكثرها مكتوب بالعربية ويتكلمون باللسان العربى بحضرته فقد يسبق الى الولد ويتعلق بذهنه ماهم عليه فان وقع له شئ من ذلك قل أن يتأتى خلاصه منه غالبا (وسبب) وقوع هذه النازلة ماأخبر به عليه الصلاة والسلام فى الحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذا الامر المخوف وهو انه ما كان سبب اتيان الولد الى النصرانى لتعليم الحساب الاحب الدنيا غالبا لاجرم أنهم عوقبوا على ذلك بنقيضه فوقعوا فى الفقر والفاقة والوقوف على أبواب الظلمة من الكتبة وغيرهم (واذا) تربى الولد على مثل هذا الحال يخاف عليه من احد امرين (أولهما) وهو أشدهما أن يدخل عليه شئ فى اعتقاده كما تقدم (والثانى) أن يقل اهتباله بامر دينه فى حق نفسه وفى حق غيره فاى شئ وقع منه من المخالفات أو من غيرها فلا يكترث به ولا يندم فى حق نفسه ولا يغير على غيره وهذه خصلة تنافى اخلاق المسلمين وهديهم وآدابهم (وقد) قال الشيخ ابو محمد بن ابى زيد رحمه الله تعالى فى كتاب الرسالة له واعلم ان خير القلوب اوعاها للخير وارجى القلوب للخير مالم يسبق الشر اليه وأولى ما عنى به الناصحون ورغب فى أجره الراغبون ايصال الخير الى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فانه روى ان تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله وان تعليم الشئ فى الصغر كالنقش فى الحجر اه (واذ) كان ذلك كذلك فيخاف على الولد الذى يدخل كتاب النصارى أن ينتقش فى قلبه ماهم عليه أو بعضه ولا اعدل بالسلامة شيئا نسأل الله السلامة بمنه (ومن) أقبح مافيه وأهجنه وأوحشه أن الولد يتربى على تعظيم النصارى والقيام لهم الذى قد تقدم منعه فى حق أهل الخير والصلاح من المسلمين وعدم الاستيحاش من عوائدهم وسماع اعتقاد أديانهم الباطلة حتى لو خرج الصبى من مكتبهم لبقى على عادتهم فى التعظيم لهم وعدم الاستيحاش منهم ومن أديانهم الباطلة وانه اذا رأى معلمه الذى علمه الحساب أو الطب قام اليه وعظمه كتعظيم ما اصطلح عليه بعض المسلمين مع

قوله اهتباله أى اهتمامه اه

بعض اوا كثر غالبا وكذلك يفعل مع كل من صحبه فى مكتب معلمه النصرانى من جماعة اهل دينه فيألف هذه العادة الذميمة المحظوطة شرعا ولا يرضى بهذه الاحوال من له عقل او غيرة اسلامية او التفات الى الشرع الشريف (الاترى) الى قوله تعالى فى كتابه العزيز يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى غير ذلك من الآيات والاحاديث وهى كثيرة متعددة وفيما ذكر تنبيه على ما عداه

(فصل فى تزويق الالواح) واما تزويق الالواح فى الاصرافات والاعياد فى بعض البلاد فهو من باب المباح الجائز وفيه ادخال السرور على الاولاد وادخال السرور فيه من الاجر ما قد علم وفيه التنشيط للصبيان على الاعتناء بالمواظبة على القراءة (لكن) يتعين عليه ان يتجنب ما احدثوه من المفاسد فى الاصرافات وهى كثيرة متعددة (فمنها) تزيين المكتب فى الاعياد والاصرافات بالحرير وغيره ارضا وحيطانا وسقفا وقد تقدمت شناعة ذلك وقبحه فى زينة الاسواق للحمل او غيره سيما اذا انضاف الى ذلك ان يكون فيه صور مما لها روح فيكون فى ارتكاب ذلك نقيض ما جلس المؤدب اليه فاذا كان السوق يمنع فيه ذلك فمن باب اولى موضع يتلى فيه كلام الله عز وجل فنمنعه فيه اوجب (ثم) بقيت افعال يفعلها بعضهم فى الاصرافات وهى قبيحة مستهجنة (فمنها) انهم يجعلون لوح الاصرافة مكفتا بالفضة فى خرقة من حرير واستعمال الحرير لا يجوز الا للنساء حيث اجيز لهن ذلك (واما) تكفيت اللوح بالفضة فلا يجوز لوجهين (احدهما) لما فيه من السرف (والثانى) لما فيه من الخيلاء وقد ورد ان النبى صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء وبعض هؤلاء يأخذون الصبى الذى له الاصرافة فيزينونه كما يزينون النساء فيحففونه ويخططونه ويلبسونه الحرير

ويحملونه بالقلائد من الذهب وغيره مع قلائد العنبر كأنه عروس تجلى ويركبونه على فرس أو بغلة مزينة باللباس من الحرير والذهب وغيرهما فيجعلون عليها كنبوشا من الحرير المزركش بالذهب ويلبسون وجهها أوجها من ذهب (ثم) يضيفون الى ذلك أشياء رذيلة (منها) انهم يحملون أمامه اطباقا فيها ثياب من حرير وعمائم معممة على صفة (ثم) هم يختلفون فيما يفعلون بين يديه (فمنهم) من يمشي بين يديه صبيان المكتب وينشدون في طريقه الى أن يوصلوه الى بيته (ومنهم) من يضيف الى ذلك القراء يقرءون كتاب الله عز وجل بين يديه فيزيدون فيه وينقصون كما تقدم في الجنائز (ثم) يضيفون اليه المكبرين والمؤذنين على عادتهم الذميمة في جنائزهم (ثم بعد ذلك يمرون في الاسواق ويلقاهم من ينسب الى العلم أو الخير والصلاح أو المجموع وقل ان تجد من يغير عليهم شيئا من ذلك في الغالب فانا لله وانا اليه راجعون (ومنهم) من يعوض عما ذكر ما هو اشنع واقبح وهو ان يضرب بين يديه بالطبل والبوق (وبعضهم) يمشون الفيل والزرافة بين يديه مع رمي النفط (وبعضهم) يمشي بين يديه المغنية وطائفتها مكشوفة على ما يعهد من حالها مع ضرب الطار والشبابة والغناء وترفع عقيرتها على ما يعهد من فتنتها فكان الامر أولا للفرح بكتاب الله تعالى فكانوا في قربة فعكسوه بما هو ضده أسأل الله تعالى السلامة بمنه ولو كلف أحدهم ان يتصدق ببعض ما صرفه فيما لا يجوز مما صنعه في الاصرافة لشق ذلك عليه في الغالب لانه محض طاعة لله تعالى في سر ليس فيه لهو ولا لعب ولا رياء ولا سمعة وذلك شاق على النفوس الا من رحم ربك (ثم) يضيفون الى ذلك فعلا قبيحا وهو ان بعض المؤدبين يدخلون مع صاحب الاصرافة البيت ويجلسون مع النساء وهن متبرجات على ما يعلم من عادتهن في بيوتهن ويعطى اللوح لام صاحب الاصرافة أو لاخته أو لخالته أو لعمته أو لجارته الى غير ذلك من أقارب الولد ومعارفه حتى تنقط كل واحدة منهن من الفضة بما أمكنها وذلك محرم لا يجوز لانه أجنبي عنهن فلا يجوز لهن أن يظهرن عليه ولا ان يسمع كلامهن الا لضرورة شرعية والضرورة هنا معدومة والله تعالى الموفق (وينبغي) لوالد الصبي بل يتعين عليه أن يتجنب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان

وهو أن الصبي إذا ذهب أ كثر التعب به وقرب من أن يختم القرآن نقله والده الى كتاب آخر حتى يفوت الاول ما استحقه من الاصرافة (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى فى الصبى اذا دخل سورة الاعراف عند مؤدب ثم انتقل الى غيره فاصرافة البقرة قد استحقها المؤدب الاول واختلف قوله فيما اذا دخل سورة يونس عليه الصلاة والسلام هل يستحقها الاول او الثانى قولان ولا يختص هذا باصرافة سورة البقرة ليس الا بل هو عام فى كل اصرافة من القرآن قرب اليها الصبى فان المؤدب الاول يستحقها (ومن) كتاب البيان والتحصيل سئل مالك رحمه الله تعالى عن تعليم أولاد اليهود والنصارى الكتابة بغير قراءة قرآن فقال لا والله ما أحب ذلك يصيرون الى أن يقرءوا القرآن قال وسألته عن تعليم المسلم عند النصرانى كتاب المسلمين أو كتاب الاعجمية فقال لا والله لا أحب ذلك وكرهه قال ولا يتعلم المسلم عند النصرانى ولا النصرانى عند المسلم لقول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم (قال) ابن رشد رحمه الله تعالى اما تعليم المسلم أبناء اليهود والنصارى أو تعليمهم عندهم فالكراهة فى ذلك بينة (وقد) قال الامام ابن حبيب رحمه الله تعالى ان ذلك سخطة ممن فعله مسقطة لامامته وشهادته (وقال) ابن رشد فى الحذاقة يعنى الاصرافة انه يقضى بها وذكر عن ابن حبيب أنه فرق بينها وبين الاحضارة قال انه لا يقضى بالاحضار فى الاعياد وان كان ذلك مستحبا فعله فى أعياد المسلمين ومكروها فى أعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان ولا يجوز ان فعله ولا يحل ان قبله لانه من تعظيم الشرك

(فصل فى ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه) قد تقدم رحمنا الله واياك آداب العالم وهديه وما احتوت عليه نيته فالمجاهد وغيره تبع له فى ذلك كله الا شيئا قليلا اختص به العالم وشيئا قليلا اختص به المجاهد يقع ذكره ان شاء الله تعالى (ولتعلم) ان الجهاد ينقسم الى قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر فالجهاد الاكبر هو جهاد النفوس لقوله عليه الصلاة والسلام هبطتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والكلام عليه يأتى ان شاء الله تعالى فى ذكر آداب الفقير المنقطع (والكلام هنا) انما هو على الجهاد الاصغر وهو جهاد أهل الكفر والعناد وهو من أجل الطاعات

وأعظمها وقد تقدم ان أفضل الاعمال طلب العلم لان به يعرف المجاهد فضيلة الجهاد وكيف يجاهد وبماذا يصح له الجهاد وبماذا يفسد وكذلك غيره من أمور الدين فكان أفضل الاعمال لما جاء في تفضيله في الحديث الصحيح والحديث ليس على عمومه لان ذلك راجع الى أحوال الناس فرب شخص ليس فيه أهلية لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من فضل القوة والشجاعة والاقدام فالجهاد في حق هذا يتأكد أمره وآخر يكون فيه ذكاء وفهم وحفظ وتحصيل للمسائل وهو ضعيف في نفسه ليس له قوة على الضرب والطعن فطلب العلم لمثل هذا يتعين وقد يتعين عليه الجهاد بحسب حال الوقت (وبالجملة) فالجهاد فيه فضل كبير جاء به الكتاب العزيز والحديث الصحيح (لكن) ينبغي للمجاهد أن لا يدخل في الجهاد حتى يسأل أهل العلم عما يلزمه في جهاده ان لم يعلمه (لقوله) عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم (قال) العلماء المحققون في معناه ما وجب عليك عمله وجب عليك العلم به اهـ فيعرف أولا الاحكام اللازمة له وحينئذ يدخل فيه فيبدأ بما ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم من الاحكام اللازمة فمن ذلك انهم قالوا شرط وجوب الجهاد سبعة وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا حرا مستطيعا بصحة البدن والمال وفرائضه ستة النية وطاعة الامام وترك الغلول والوفاء بالامان والثبات عند الزحف وأن لا يفر واحد من اثنين

(فصل في الغنيمة) والغنيمة يستحقها من اتصف بعشرة شروط السبعة المتقدم ذكرها وأن يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للاجارة وأن تكون الغنيمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيل والركاب

(فصل في حكم الاسارى) والامام مخير في الاسارى بين خمسة أشياء القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية

(فصل في الاوصاف الموجبة للجزية) الجزية واجبة بعشرة أوصاف الكفر والاقامة عليه بدار الاسلام وأن يكون عاقلا بالغا ذكرا حرا غير معتق لمسلم قادرا على أدائها ولا يكون قرشيا ولا مرتدا

(فصل في حكم المرتدين) دار المرتدين تفارق دار الحرب من أربعة أوجه

احدها أنهم لايهادنون على الاقامة ببلادهم الثانى انهم لايصالحون على مال يقرون به على ردتهم الثالث لاتسترق رجالهم ولاتسبى نساؤهم الرابع لايملك الغانمون أموالهم وهى أيضا تفارق دار الاسلام من أربعة أوجه احدها أنه يجوز قتالهم مقبلين ومدبرين كالمشركين الثانى اباحة دمائهم أسرى وممتنعين الثالث ان أموالهم تصير فيئا للمسلمين الرابع بطلان مناكحتهم

(فصل فى قتال الفئة الباغية) وهى التى تفارق الامام ورأى الجماعة وتنفرد بمذهب مبتدع وتنعزل بدار و يفارق قتالهم قتال المشركين من ثلاثة عشر وجها (أحدها) انهم يقاتلون بنية ردعهم ولا يتعمد به قتلهم (الثانى) يقاتلون مقبلين ويكف عنهم مدبرين (الثالث) لايجهز على جريحهم (الرابع) لاتقتل أسراهم (الخامس) لاتسبى نساؤهم (السادس) لاتسبى ذراريهم (السابع) لاتغنم أموالهم (الثامن) لايهادنون على الاقامة ببلادهم (التاسع) لايصالحون على مال يقرون به على بدعتهم (العاشر) لايستعان على قتالهم بمشرك (الحادى عشر) لاينصب عليهم الرعادات (الثانى عشر) لاتحرق عليهم بيوتهم (الثالث عشر) لاتقطع أشجارهم

(فصل فى حكم المحاربين) قتال المحاربين كقتال الفئة الباغية فى عامة أحوالهم الا فى خمسة أشياء يخالفونهم فيها (أحدها) انهم يقاتلون مقبلين ومدبرين (الثانى) يجوز أن يتعمد فى الحرب قتلهم (الثالث) أنه يجوز حبس أسراهم لاستبراء حالهم (الرابع) انهم ضامنون لما استهلكوه من دم أومال فى الحرب وغيره ولا يجوز ذلك فى الفئة الباغية بعد انجلاء الحرب (الخامس) ان ما أخذوه من خراج وصدقات فهو كالمأخوذ غصبا فعلى من أخذه من يده غرمه (فاذا) تحصل عنده معرفة ماذكرنا يكن عالما باحكام صلاة الخوف فى الحالتين من قتال وغيره وكيفية ما يلزمه من ذلك كله (وكذلك) يتعين عليه معرفة أحكام التيمم وفى أى وقت يلزمه وفى أى وقت يحرم عليه ومسائله وقد تقدم بيان هذا عند ذكر غسل المرأة فى بيتها وكذلك ينبغى له ان يعرف احكام صلاة المسافر وفى اى وقت يقصر وفى اى وقت يتم وذلك كله موجود فى كتب الفقهاء متيسر على ألسنتهم لمن جاء اليهم

مستقبلها الا ان الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فاذا كان المجاهد يخل بها او بركن من اركانها كان تركه للجهاد اولى به بل اوجب عليه اذا لم يتعين فاذا تعين والحالة هذه كان عاصيا وان كان مجاهدا (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى لانا نرى ونباشر من يخرج الى الجهاد وغالب احوالهم عدم الفقه وعدم المعرفة بكل ما ذكر اوبا كثره وقل من تجده منهم يجتمع باحد من اهل العلم ويسأل عما يلزمه من الاحكام فيما ذكر سيما صلاة الخوف التي ما بقيت تعرف عندهم في الغالب ولا تذكر الا في كتب الفقهاء كانها حكاية تحكى سيما صلاة المسايفة فانها كادت لا تعرف ايضا لعدم فاعلها وقلة السؤال عنها فيخرج المجاهد وهو عند نفسه انه في طاعة وهو يقع في مخالفات جملة لعدم التلبس بمعرفة ما ذكر وقد يكون سببا الى وقوع الرعب في قلبه من العدو وانهزامه عند رؤيته فان العدو انما يستعد له باقامة هذا الدين قال الله تعالى في كتابه العزيز يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم قال علماؤنا رحمة الله عليهم نصر العبد لربه هو اتباع امره واجتناب نهيه فاذا فعل ذلك كان سببا لنصرة الله تعالى له وامنه مما يخاف سيما والمجاهد انما جاهد لاجل الدين والصلاة هي عماده وبها قوامه (وقد ورد) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم يخبرونه فيه بانهم قد افتتحوا البلدة التي نزلوا بها وكان الحرب بينهم وبين اهلها من اول النهار الى الزوال فبكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له اتبكى والنصر لنا فقال والله ما الكفر يقف امام الاسلام من غدوة الى الزوال الا من امر احدثتموه انتم او انا (فانظر) الى ما قرره عمر رضي الله عنه مما نظر في النصر وعدمه الا بصلاح الحال وفساده فيما بين العبد وربه فاين هذا الحال الذي ذكر من حال اكثر الناس اليوم في كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها ويقضونها بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين اعني جواز اخراجها عن وقتها عمدا من غير عذر شرعي والعذر الشرعي انما هو زوال العقل او استتاره الا ترى ان المسايف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له ان يتكلم ان اضطر الى ذلك وهو يصلي ويجوز له ان يصلي لاي جهة كانت ويكبر ويقرأ وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه في حال غرقه والمصلوب الى غير ذلك

فصل

فكل هؤلاء صلاتهم اغماهى بالايماء والاسان واغتفر فى حقهم ومن شابههم ترك فرائض الصلاة جملة فى حال صلاتهم اذا خشيفة على الوقت أن يخرج فلو ترك احدهم مالزمه من الاتيان بالصلاة فى الوقت على الصفة المذكورة كان عاصيا وان قضاها بعد خروج وقتها الان علماءنا رحمة الله عليهم قد اختلفوا فيمن أخرج الصلاة عن وقتها متعمدا هل عليه قضاء أم لا فالمشهور ان القضاء واجب عليه وانه آثم فيما فعله من التأخير وذهب بعضهم الى انه لا قضاء عليه بناء منهم على انه مرتد وحكمه معروف (وماذكر) فى حق المجاهد من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها هو موجود بعينه فى كثير من الحجاج كله ومشاهد من أحوالهم وأنهم يحصلون الزاد والراحلة وما يحتاجون اليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فقل من يسأل عن مسائل التيمم وقصر الصلاة واتمامها واحكام الحج ومناسكه وان وجد ذلك من بعضهم فالغالب منهم انهم يعتنون فى المناسك بأدعية معلومة على قانون معروف فيقولون عليها ويتركون ذكر الاحكام فى الغالب (وقد) كره مالك رحمه الله تعيين الدعاء لبعض الاركان وقال هذه بدعة اغما يذكر الله ويدعو بما عبر باله اوكما قال (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله من امر الجهاد فن اهم ما يقدم فيه قبل الخروج اليه وعنده حسن النية واهتمامه بها والتعويل عليها وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم بيانها اتم بيان حين جاءه الاعرابى فقال له يا رسول الله ما القتال فى سبيل الله فان احدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية فرفع اليه رأسه قال وما رفع اليه رأسه الا انه كان قائما فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله اه (فقد) اتضح وبان ما ينوى المجاهد حين خروجه وتلبسه بالقتال واما ما يقع له بعد تصحيح نيته فغير ما نواه لا عبرة به ولا يؤاخذ به لان الاعرابى قال فان احدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية فاجابه عليه الصلاة والسلام بما تقدم ذكره فدل على انه اذا نوى ان يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا لا يضره ما اعتراه بعد ذلك من قتاله غضبا او حمية او ما اشبههما لان هذا كله من وساوس الشيطان ونزغاته وهواجس النفوس التى لا تملك والله عز وجل قد رفع ذلك عنا ومن علينا بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبى الكريم على ربه عز وجل سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم وذلك انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية ضج الصحابة رضى الله عنهم من ذلك وأتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله كلفنا الصلاة والصوم والزكاة والحج فقبلناه وأما مايقع فى نفوسنا فلا نقدر على ذلك أو كما قالوا فعلمهم عليه الصلاة والسلام الادب مع الربوبية فقال أتقولون مثل ماقالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة فرفع الله تعالى الاصر عنهم وعدم المؤاخذة بالوساوس والهواجس (ولاجل) هذا المعنى الذى نحن بسبيله قال عليه الصلاة والسلام لما ان جاءه أصحابه يشكون له مما وقع لهم من هذا المعنى فقالوا انا نجد فى انفسنا مايتعاظم أحدنا أن يتكلم به فقال صلى الله عليه وسلم أوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان الحمد لله الذى ردّ كيده لهذا فقوله عليه الصلاة والسلام ذلك صريح الايمان يعنى فى دفعه وتعاظم الامر عندهم لا فى نفس وقوعه وقوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى ردّ كيده لهذا وذلك ان ابليس اللعين لم يقنع منهم فى الجاهلية حتى جعلهم ينشرون خشبا أو ينحتون حجارة ويجعلونها صورا يسجدون لها ويعبدونها من دون الله عزوجل وهم قد صنعوها بأيديهم فلما ان جاء الاسلام وظهر أمره وانتشر أيس ابليس اللعين أن يردهم الى ما كانوا عليه فلم تبق له حيلة الا الوسواس والهواجس المشوشة على قلوب المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى ردّ كيده لهذا فحمد صلى الله عليه وسلم ربه على كون اللعين عجزت قدرته عن جميع الحيل اذ أن ما بقى له من الحيل الا الوسواس والهواجس وذلك غير مؤاخذ به من وقع له ولو وقف المكلف مع ما يقع له من الهواجس قل أن يتأتى له أداء عبادة بسبب تسليطه (فالحاصل) انه يقاتل أولا بنية أن تكون كلمة الله هى العليا كما تقدم وأن يحتسب نفسه وماله لله عزوجل لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى آخر الآية وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (وقد) نقل الشيخ الامام أبو محمد عبد الحميد الصدفى المشهور بابن أبى الدنيا قال روى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف

رضى

رضي الله عنه قال عبانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ليلا والتعبية هي
تسوية الصفوف وتقدمة العمل الصالح بين يدي القتال من الامام والناس
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليرجى به الظفر والنصر قال الله تعالى
ولينصرن الله من ينصره (ثم) الادارة على العدو والخديعة له من أسباب
الظفر (أخرج) مسلم بن الحجاج في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة (وروى) أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوا ورّى عنه بغيره (ومن) الخدع في
الحرب ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاحزاب روى أن رجلا من
المسلمين كان لا يكتم الحديث وكان مع المشركين عام الاحزاب وكان يأتي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم ان بني قريظة قد
مالوا عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلنا أمرناهم بذلك فأتى الرجل
اباسفيان فقال هل علمت محمدا يقول ما ليس هو قال لا قال فانه يقول في
بني قريظة لعلنا أمرناهم بذلك قال سننظر فارسل الى بني قريظة قال نحب
ان تعطونا رهائن ووافق ذلك أن كان ليلة السبت للقدر المقدور فقالوا
نحن في السبت فان انقضى فعلنا فقال ابوسفيان نحن في مكر بني قريظة
فالقى الله تعالى في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحا وجنودا لم تروها
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكانت
هذه من الخدع التي خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه)
عن ابن أبي اوفى قال سمعته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على
الاحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم
وزلزلهم فهذا الدعاء ينبغي أن يدعى به عند ملاقاة العدو اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ان يأتكم العدو فقولوا حم لا ينصرون (ومنه) عن جابر بن
عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه ابيض (ومنه)
عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ابغوني في ضعفائكم
فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ابغوني في
ضعفائكم اي اطلبوني اي انه يكون معهم ويؤيد ذلك ما روي عن النبي

صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى أنا مع المنكسرة قلوبهم من اجلى فاذا كان الله معهم فهم منصورون ويريد بالضعفاء والله أعلم الذين لم يكن لهم ظهور فى الدنيا ولاهم طالبون لها وهم زاهدون فى دنياهم راغبون فى آخرتهم طائعون لله تعالى ناصرون لدينه فهم منصورون قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال والله مع الصابرين أى بالنصر والمعونة أى مع الصابرين عن المشتهيات من المحرمات والصابرين على الطاعات وجهاد الكفار فالله ناصرهم ومعينهم (روى) عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة (ووجه) أبو مسلم قوما الى الغزو فقال ألزموا قلوبكم الصبر فانه سيف الظفر واذكروا كثرة الضغائن فانها تحض على الاقدام والزموا الطاعة فانها حصن المحارب (ومن الحكمة) قوة النفس فى الحرب علامة الظفر (ومنها) تقحم الحرب يشجع القلب (ومنها) الهزيمة محل العزيمة (ومنها) الحيل أبلغ من العمل (ومنها) الراى السديد اجدى من الأيد الشديد (ومنها) شدة الصبر فاتحة النصر (وينبغى) المشورة فى القتال وفى كل امر يعرض (وفى الترمذى) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال مارايت احدا اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه ينبغى مشورة من له عقل ودين وتجارب (من كلام الحكمة) توق مشورة الجاهل (ومنها) لاتشاور من تميل به رغبته اورهبته (اخرج) مسلم بن الحجاج فى صحيحه بالاسناد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتى امر الله (ومنه) عن جابر بن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (ومنه) عن سعد ابن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال البخارى رضى الله عنه ورحمه هذه الطائفة هم اهل العلم وقال القاضى عياض هم اهل السنة والجماعة اهـ كلامه بلفظه (ثم) نرجع الى ذكر بعض فضيلة الجهاد (فمن ذلك) ماتقدم من قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة

الأيد بوزن السيد معناه القوى الشديد اهـ

يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (قال الشيخ) أبو محمد عبد الحميد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال جعل الله تعالى للمجاهدين فى سبيله الصفقتين جميعا (بيانه) قول الحسن رضى الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومع ذلك أقول ايضا هو خالق فعل المجاهد فى قدرته وعزمه على الجهاد فى سبيله ورغبته فكل ذلك فضله ونعمته ومنته فكل من عند الله تبارك وتعالى يسدى على أيدينا الخير ويمنع عن أياديه الجزاء (وروى) فى معنى الآية ان الانصار رضى الله عنهم حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولا نستقيل (ومر) برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية فقال الاعرابى كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد رحمه الله تعالى (فقوله تعالى) وعدا عليه حقا قال هذا وعد مؤكد أخبر الله تعالى ان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت وقد أثبته فى التوراة والانجيل كما أثبته فى القرآن (وعن) الجوهرى رحمه الله تعالى ناهيك من صفقة البائع فيها رب العالمين والثمن جنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك قيل

أكرم بها صفقة والرب عاقدها * على لسان رسول الله من مضر
اثمانها جنة ناهيك من نزل * دار بها نعم تخفى عن البشر
أنواع مطعمها من كل شهوتنا * شرابها عسل صاف من الكدر
من كل مالذة طابت مواردها * وحورها در رتزهو على القمر
انى لها ثمن دنيا بها محن * لم يصف مشربها يوما لمعتبر

ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الوعد انما يطرأ على البشر لاحد امور أو مجموعها وذلك لبخل أو شح خوف الفقر أو محبة الازدياد

من الشهوات أو العجز أو النسيان وذهول أو غير ذلك من الآفات وكل ذلك محال على خالق الارض والسموات (فهذه الآية) اذا فهمت معانيها وحضرت بخلو القلب وشروط الاستماع لتاليها الا تطالب في الترغيب في الجهاد زيادة عليها * ولا انضمام شيء من المؤكدات اليها (وذكر) بسنده الى مالك بن انس في موطائه عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع (وقال) الله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فهذا وعد من الله سبحانه مؤكدا بالقسم اذ أن القتل في سبيله أو الموت مقترن بهما المغفرة والرحمة وخبره تعالى ووعده حق وتأكيده بالقسم للترغيب في الجهاد وتحقيق افضله في قلوب العباد (أخرج مسلم) في صحيحه باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسولي فهو على ضامن ان أدخله الجنة ان مات أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده مامن كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فأقتل ثم اغزو فأقتل ثم اغزو فأقتل (قوله) صلى الله عليه وسلم لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسولي في هذا حض على النية وتخليصها من الشوائب الدنيوية والمأمور به من النية ان تكون كلمة الله هي العليا وهي الشهادتان وعلو المتمسك بهما من اهل الايمان لان الكفر اذا علا بالضرورة تكون الشهادتان وشريعة الاسلام السفلى فيقصد بالخروج من بيته هذا مخلصا و يبيع نفسه من الله تعالى بالجنة التي وعدها في القرآن او مجموع الامرين ابتغاء الجنة وعلو الكلمتين فاذا صح قصده نال من الله ما وعده (وقوله) فهو على ضامن قيل معناه مضمون (وقوله) أو ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة و

يعني

بمعنى الواو ورواه أبوداود من أجروغنيمة (والكلم) الجرح (وباسناده) الى مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الاجاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فى هذا تنبيه على النية (ومنه) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (وفى حديث) أبى أيوب خير مما طلعت عليه الشمس (الغدوة) بفتح الغين السير الى الزوال مرة واحدة (والروحة) السير من الزوال الى الغروب مرة واحدة (فالمعنى) ان ثواب هذه الغدوة والروحة الواحدة وفضلها ونعيمها على قلتها ويسارتها وخفتها خير من نعيم الدنيا كلها على كثرتها فان نعم الدنيا زائلة فانية ونعم الآخرة دائمة باقية (أو المعنى) ان الدنيا لو ملكها مالك بأسرها وانفقها فى ثواب الآخرة وأجرها لكان جزاء هذه الغدوة أو الروحة أكثر وفضلها أعظم وأكبر (ومن) صحيح مسلم متصلا عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا سعيد من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال أعدها على يا رسول الله ففعل ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله (الدرجات) المنازل فى الجنة بعضها فوق بعض على ما ورد به القرآن والسنة قال تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية (ومنه) عن النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله تعالى أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت لاستفتيه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله الآية (ومن) أبى سعيد الخدرى ان رجلا سأل النبى

قوله يثعب بفتح الياء والعين المهملة بينهما مثلثة ساكنة معناه يسيل اه

صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل فقال رجل مجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه قال ثم من قال مؤمن فى شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره (ومنه) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغى القتل والموت مظانه أو رجل فى غنيمة فى رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس الا فى خير (فظهر) من هذا الحديث فضل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه وان الاكتساب منه خير كسب اذا خمس المغنم ولم يستأثر على الغازين بشئ الا ما الضرورة داعية اليه مثل الطعام والشراب وشبههما مما هو مقرر فى السنن المأثورة والكتاب العزيز (والهيعة) الصوت المفزع (والطيران) هو اغاثة المستغيث بأنهى الممكن فى الفعل المسرع (والشعف) رءوس الجبال (وفيه) حض على الانزواء عن الناس والاعتزال لما فى المخالطة من آفات القيل والقال وهذا الانزواء والاعتزال انما يحمد اذا لم يتوجه فرض الجهاد والقتال أو فرض من الفروض على حسب الاحوال (ومنه) عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال سمعت أبى وهو بحضرة العدو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة فقال يا أباموسى أأنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال نعم قال فرجع الى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه وألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل (قال) القاضى عياض رحمه الله يعنى ان الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب اليها ويظهر والله أعلم ان مكان المعركة وجلاد الكفار منه تنقل روح الشهيد حين الشهادة وتدخل الجنة كما جاء فى القرآن وصحيح الاخبار (ومن) صحيح مسلم ابن الحجاج عن ثابت قال قال أنس عمى الذى سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال فشق عليه قال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبت عنه ولئن أشهدنى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم أحدا قال واستقبله سعد بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو أين قال واها لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية قال وقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه (قوله) واها لريح الجنة كلمة تلهف وحنين وتشوق الى الجنة وتمن لا جرم لما صدق أعطى سؤله وبلغ مما تمنى ما موله وأوجده الله ريح الجنة كما ورد في الخبر الصحيح انها توجد من مسيرة خمسمائة سنة وذلك تشريف من الله تعالى لاهل السعاده وتكرمة لمن كتبت لها الشهاده (ومن) مسند النسائي عن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث يموت (ومن) مسند أبي داود عن أبي امامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة قال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله (ومن الترمذي) عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف (ومنه) عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا (ومنه) عن يزيد بن ابي مريم قال لحقني عباية بن رفاعة بن رافع وأنا ماش الى الجمعة فقال أبشر فان خطاك هذه في سبيل الله سمعت أبا عبس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار اه كلام الصدفي رحمه الله (قال الترمذي) في جامعه ابو عبس هذا اسمه عبد الرحمن بن جبر ويزيد بن ابي مريم هو رجل شامي روى عنه الوليد بن مسلم ويحيى بن حمزة وغير واحد (ثم) قال الصدفي رحمه الله ومنه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم

(فصل في الرمي وفضيلته) اخرج الترمذي وابوداود والنسائي عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاث نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله (وفي الترمذي) كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته أهله (ومن) مسند الترمذي عن أبي نجيح الاسلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محرر (وروى) البخاري عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا وانا مع بني فلان قال فامسك أحد الفريقين بايديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون قالوا كيف نرمي وانت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم (ومن) صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم ارضون ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه (ومنه) عن عبد الرحمن بن شماسة ان فقيما اللخمي قال لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه فقيل لابن شماسة وما ذاك قال انه قال من علم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى وقوله صلى الله عليه وسلم فليس منا اي ليس متبعا لنا ولا مهتديا بهدينا تارك الرمي (وكتب عمر) رضي الله عنه لاهل حمص علموا اولادكم السباحة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الاغراض وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعددوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الاغراض واياكم ولباس العجم البسوا الازر والاردية والقوا السراويلات واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم فانها شامات العرب واطرحوا الخفاف والبسوا النعال

(فصل في الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها) اخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد انه قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها (وروى) الترمذي عن فضالة بن

قوله وتمعددوا قيل انه من التشبه بعيش معد وكانوا أهل تقشف وغلظ في العيش يقول كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزي العجم كما هو في حديث عليكم باللبسة المعدية وقيل انه من قولهم للغلام اذا شب وغلظ قد تمعدد اه مختار

عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى يموت مرابطا فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر (أخرج مالك) فى موطائه وغيره عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذى هى له اجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك له حسنات فهى له أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهى على ذلك وزر (ومنه) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (ومنه) عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤى يمسح وجه فرسه بردائه فسئل عن ذلك فقال انى عوتبت الليلة فى الخيل (وروى) العتبى عن مالك انه سأله بعض أهل ثغر الاسكندرية هل الرجوع لثغرهم والسكون فيه للحرس وسده أفضل ام المقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وازكى التحيات لطالب العلم أفضل فرجح لهم الرجوع الى الاسكندرية والسكون فيها على ذلك (وروى) عن ابن عمر أنه كان يقول الحرس افضل من الغزو ولأن الحرس فيه حفظ دماء المسلمين والغزو فيه اراقة دماء المشركين فحفظ دماء المسلمين أولى (أخرج) الترمذى فى صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله (ومن) الترمذى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة (ومنه) عن ابى صالح مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول انى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم عنى ثم بدا لى ان احدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم فى سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل

قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح (ومنه) عن ابى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أحب الى الله عز وجل من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله تعالى وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى وأما الاثران فاثر فى سبيل الله تعالى واثر فى فريضة من فرائض الله تعالى (قال) ابن حبيب الرباط شعبة من شعب الجهاد (وقيل) من رابط فواق ناقة حرمه الله على النار (قال) ابن حبيب فواق ناقة قدر ما تحلب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين (وعن) ابى هريرة رضى الله عنه انه قال لحرس ليلة أحب الى من صيام الف يوم أصومها واقوم ليلها فى المسجد الحرام وعند قبر النبى صلى الله عليه وسلم (ومن) مالك بن انس رحمه الله تعالى ينبغى لكل قوم أن يرابطوا فى ناحيتهم وأن يمسكوا سواحلهم الا أن يكون مكانا مخوفا يخاف فيه على العامة يريد فليذهب اليه (ومن) الحرس فى الثغور حفر الخنادق والاحتساب فى حفرها مستننين فى ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه الصلاة والسلام للحجر الذى اعيت الصحابة الحيلة فى كسره (اخرج) النسائى عن البراء بن عازب قال لما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا ياخذه المعول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والقى ثوبه واخذ المعول وقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسرت ثلث الصخرة فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر الى قصرها الاحمر الآن من مكانى هذا قال ثم ضرب اخرى وقال بسم الله فقطع ثلثا آخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله لأبصر خضراء المدائن والى القصر الابيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله انى لأبصر باب صنعاء من مكانى الساعة

(فصل فى فضل الشهادة) اخرج مسلم فى صحيحه عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تاوى الى تلك القناديل (ومنه) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال مامن

أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له بها ما على الارض من شئ غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (ومنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا (ومن الموطأ) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال الغزو وغزوان فغزو تنفق فيه الكريمة ويياسر فيه الشريك ويطاع فيه ذو الامر ويجتنب فيه الفساد فذلك الغزو خير كله وغزو لا تنفق فيه الكريمة ولا يياسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الامر ولا يجتنب فيه الفساد فذلك الغزو لا يرجع صاحبه كفافا (ومن) صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وفوقه عرش الرحمن (ومن) صحيح الترمذى عن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر الله له فى أول قطرة تقطر من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب (ومنه) عن أبى هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين من ماء عذب فأعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت عن الناس فأقمت فى هذا الشعب وان أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما الا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (ومنه) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد

احسن عبادة الله تعالى ونصح او اليه (ومنه) عن ابي ادريس الخولاني انه
سمع فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان
لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم
القيامة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال فما ادري اقلنسوة عمر
اراد ام قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم قال ورجل مؤمن جيد الايمان لقي
العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن اتاه سهم غرب فقتله
فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو
فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن اسرف على
نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة (وفضيلة)
الجهاد قد جاء فيها ما هو اكثر من هذا (ولكن) ذلك متعذر على المرء
وحده اذ لا بد فيه من جماعة وامام تنعقد كلمتهم عليه ولا يخالفونه (وقد)
ذكر العلماء رحمة الله عليهم ذلك وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام
وحال الجماعة التي تكون معه وصفة هديهم وطريقتهم وآدابهم وما يتجنبوا
فيه من المفاسد وهذا النوع كثير قل ان يحصر اعني ما احدث فيه من
المفاسد شرقا وغربا فمن اراد الجهاد فليتوقف حتى يسال اهل العلم والنهى
عما يجب عليه فيه وما يندب له وما يحرم عليه او يكره وما يتجنب فيه من
المفاسد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والائمة والجماعة والعصر فلا
يمكن الكلام على معنى من معانيها لكثرتها واختلاف الاحوال والازمان
فبالسؤال يتبين له ما يصلح به فان رأى انه لا بد من خلل يرتكبه بسبب
جهاده فالترك له اولى اللهم الا ان يتعين الجهاد فلا سؤال اذ ذاك لانه
لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة ولا اذن الوالد ولا اذن الوالدة
ولا اذن السيد اذ ان النفير واجب متعين على كل من كانت له قدرة بوجه ما
(ثم) الاصل الذي يعول عليه في جهاده ويعتقد النصر من جهته هو التعلق
بجناب اولياء الله تعالى والرجوع اليهم والصدور عن رأيهم (الا ترى) الى
ما حكى عبد الملك بن مروان لما ان خرج لبعض غزواته قال انظروا الى محمد
ابن الحنفية فذهبوا اليه ثم رجعوا فقالوا وجدناه في المسجد يصلي فقال

اذهبوا فقد نصرنا بسابقته فى القبلة عند ذى خير من كذا وكذا الف فارس فضوا لما كانوا بسبيله فنصروا وغنموا (وقد تقدم) قوله عليه الصلاة والسلام ابغونى فى ضعفائكم (ومع ذلك) فلا ينبغى أن يتمنى المرء لقاء العدو امتثالا للسنة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف خرجه البخارى وغيره فشأن المكلف امتثال الادب بترك الدعاوى وغيرها حتى اذا تعين عليه الامر استعان بربه تعالى وامتثل أمره مبتغيا بذلك مرضاته وما وعد عليه من جزيل الثواب لفاعله (وهذا) عام فى كل الاحوال دقيقها وجليلها فليكن المرء متيقظا لها فانه يحشر يوم القيامة على مامات عليه والجهاد مظنة الموت غالبا (ألاترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه أن روح المؤمن تنقل من ذلك الموضع الى الجنة والتعلق بالله تعالى هو الاصل لهذا الاصل المتقدم ذكره وانما هى أسباب وبقى الامر الى الله تعالى ماشاء فعل فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وبغير سبب (ألاترى) الى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفى الرمى عن نبيه عليه الصلاة والسلام أولا بقوله وما رميت ثم أثبته له بقوله اذ رميت فانه عز وجل جمع لنبيه عليه الصلاة والسلام فى ذلك بين الحقيقة والشريعة أما الشريعة فلكونه عليه الصلاة والسلام أخذ كفا من تراب بيده الكريمة ورمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه وأما الحقيقة فلوصول ذلك التراب لعين كل واحد من العدو حتى انه لم يقدر احد منهم أن يفتح عينه لملئها بالتراب وهذا شئ يعجز البشر عنه (وكذلك) كانت أفعاله عليه الصلاة والسلام لابد فيها من امتثال الحكمة ثم يظهر الله سبحانه قدرته عيانا للخلق على يديه صلى الله عليه وسلم (ألاترى) الى ماجاء فى نبع الماء من بين أصابعه الكريمة فانه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ولم يمد يده دون ماء بل امتثل الحكمة بوضع يده الكريمة فى اناء فيه ماء ثم أمرهم أن يستقوا ويشربوا ويملئوا والماء يتفجر من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام من غير نقص من ذلك الماء (ومن ذلك) أمره عليه الصلاة والسلام بجمع مابقى مع أصحابه من الازواد حين فنيت فجمعت

وبارك فيها فأكل الجميع منها حتى شبعوا (ومن ذلك) فعله عليه الصلاة والسلام فى قصة جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى الداجن الذى ذبحه والعجين الذى خبزه وكونه عليه الصلاة والسلام بصق فيهما وبارك ثم أذن لعشرة فى الاكل ثم عشرة من بعدهم ممن كان يعمل فى الخندق حتى أكل الجميع وشبعوا وكانوا ألفا والبرمة تفور كما هى والعجين يخبز كما هو (ومن ذلك) خروجه عليه الصلاة والسلام الى الجهاد فانه كان يعتد لذلك بجمع أصحابه وباتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاجون اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام تخلى من ذلك ورد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده (فانظر) رحمنا الله واياك الى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الاحزاب وحده فنفى عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خالق لربه عز وجل فهو سبحانه وتعالى الذى خلق ودبر وأعان وأجرى الامور على يد من شاء واختار من خلقه فكل منه وكل اليه راجع ولو شاء الله عز وجل أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل وقد نطق به القرآن العزيز قال سبحانه وتعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثبت سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (فعلى المكلف) الامتثال فى الحالين أعنى فى امتثال الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون اليه والنزول بساحة كرمه أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الى غير ذلك مما جاء فى هذا المعنى وهو كثير فقصده عليه الصلاة والسلام فى كل ذلك يمتثل الحكمة أولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا لامته ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته الغامضة المخبأة التى ادخرها له عليه الصلاة والسلام (وما) جرى له عليه الصلاة والسلام مما تقدم ذكره فهو جار لامته ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما قد وقع مثل هذا كتكثير القليل وقلب الاعيان والمشى على الماء والطيران فى الهواء وما أشبه ذلك مما هو معروف مشهور يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده (وقد)

قال

قال علماؤنا رحمة الله عليهم كل كرامة ظهرت لولى فهى معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام اذ أنه ما حصلت له تلك الكرامة الا ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذى بقيت هذه البركات فى هذه الامة لا تنقطع وكيف لا والله تعالى يقول فى كتابه العزيز كنتم خير امة أخرجت للناس وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من هذه الامة قائمة على أمر الله ما يضرهم من خالفهم حتى يأتى امر الله وهذا عام فيما نحن بسبيله وفى غيره

(فصل) وينبغى للمجاهد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار ليس الا بل يجاهد فى سبيل الله لما تقدم ذكره من نية اعلاء كلمة التوحيد واظهارها واخماد كلمة الكفر وابطالها (وينبغى) للمجاهدين اذا كانوا مع الامام أو فى سرية وأدربوا بلاد العدو وأنهم اذا صلوا الخمس يرفعون أصواتهم بالذكر ليرهبوا العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين وفعل ذلك فى غير هذه الحالة على هذه الصفة بدعة وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية والله الموفق والناصر والهادى لا رب سواه ولا مرجو الا اياه

(فصل فى آداب الفقير المنقطع التارك للاسباب وكيفية نيته وهديه)

قد تقدم أن الجهاد ينقسم على قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر وقد تقدم الكلام على الجهاد الاصغر وبقى الكلام على الجهاد الاكبر وهو عام فى كل الناس الا أن الفقير أحوج الناس اليه اذ أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته اشتغله بربه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغيرة فكل قلب فيه غير الله تعالى كان فى حيز المتروك المطروح وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلى والمخاطبة فى سره بما يليق بحاله وهذا مقام لا يعرفه الا أهله المختصون به (واذا) كان ذلك كذلك فيحتاج المريد الى مجاهدة عظيمة لكى يصفو قلبه ويتهيأ لتحصيل الفوائد الربانية لعله أن يظفر بها أو بشئ منها فيحصل بذلك فى جملة السابقين وقاعدة الفقير أبدا الانزال فى جهاد (فأول) جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد نفسه (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان الجهاد ينقسم على أربعة أقسام جهاد بالقلب وجهاد باللسان وجهاد باليد وجهاد بالسيف اه وقد تقدم الكلام على الجهاد بالسيف وبقى الكلام هنا على باقى أقسام الجهاد

(فالجهاد بالقلب) جهاد الشيطان وجهاد النفس عن الشهوات والمحرمات قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (وجهاد اللسان) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ومن ذلك) ما امر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام به من جهاد المنافقين لانه عز وجل قال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير فجاهد صلى الله عليه وسلم الكفار بالسيف وجاهد المنافقين باللسان لان الله عز وجل نهاه أن يعمل بعلمه فيهم فيقيم الحدود عليهم وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم المشركين قبل ان يؤمر بقتالهم بالقول خاصة (وجهاد اليد) زجر ذوي الامر أهل المناكر عن المنكر والباطل والمعاصي والمحرمات وعن تعطيل الفرائض الواجبات بالادب والضرب على ما يؤدي اليه الاجتهاد في ذلك ومن ذلك اقامتهم الحدود على القذفة والزناة وشربة الخمر (ثم) أول ما يحتاج اليه في مجاهدته الزهد في الدنيا لان محبتها والعمل على تحصيلها مع وجود شغف القلب بها يعمي عن أمور الآخرة ويطمس القلب ويكثر فيه الوساوس والنزغات لان الشيطان وجد السبيل الى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لانها رأس كل خطيئة (وقد) مر عيسى عليه الصلاة والسلام برجل نائم في السحر فوكزه وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال يا روح الله دعني فقد عبدته باحب العبادات اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام وماذاك قال بالزهد في الدنيا قال له عيسى نم نومة العروس في خدرها اه (ثم) ان الزهد لا يقتصر فيه على الزهد في الدنيا ليس الا بل هو عام في كل الحركات والسكنات وضابطه ان كل حركة وسكون ونفس الى غير ذلك ينظر فيه فما كان لله تعالى فامضه وما كان لغيره فليدعه (وقد) قالوا الزهد في فضول الكلام أفضل من الزهد في غيره (يشهد لذلك) قوله عليه الصلاة والسلام جوابا لاصحابه رضي الله عنهم لما أثنوا على رجل قد مات فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى أقل فائدة في السكوت تسبيح الاعضاء اه فاذا كانت هذه أقل فوائده فما بالك بما هو أكبر منه ولو لم يكن فيه الا السلامة من عثرات اللسان لكان غنيمة عظيمة (وقد)

تقدم في أول الكتاب أن الأعضاء تصبح في كل يوم تناشد اللسان أن يسلم منا من آفاته لأنه إذا عطب لم يعطب وحده بل تعطب كل الأعضاء بسببه (وقد ورد) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فوجده ممسكا لسانه فقال له عمر رضي الله عنه ما هذا قال هذا الذي أوردني الموارد فإذا كان الصديق رضي الله عنه يقول مثل هذه المقالة فما بالك بغيره (وإذا) كان ذلك كذلك فليشمر الفقير إلى سلوك هذه المفازة ليقطعها فإنها عقبة كؤود ولا يجاوزها إلا المشمرون أعاد الله علينا من بركاتهم (ثم) إن الزهد في الرياسة أعظم من الزهد في كل ما تقدم ذكره لأن النفس والمال ينفقان في الرياسة والرياسة لا تنفق فيهما فالزهد فيها متعين (ثم) لا يظن ظان أن الرياسة إنما هي في رتب الدنيا ليس إلا بل هي عامة في رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شيء فهو عند الله لا شيء ومن كان عند نفسه لا شيء فهو عند ربه شيء ولأجل هذا المعنى قال بعض الشيوخ نفعنا الله تعالى به من رأى أنه خير من الكلب فالكلب خير منه وما قاله بين ألا ترى أن الكلب مقطوع له بأنه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الآدميين فإنه محتمل لإحدى الدارين فإن كان هذا الآدمي من أهل النار والعياذ بالله فالكلب خير منه وإن كان من أهل الجنة فلا شك أنه خير من الكلب (ولأجل) هذا المعنى حكي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله وأعاد علينا من بركاته أنه كان جائعا ووجد فضلة طعام على مزبلة فجعل يأكل منه وإذا بكلب قد جاء فأكل من الناحية الأخرى ثم نبح الكلب على إبراهيم فقال إبراهيم لا تنبح علي ولا أنبح عليك كل من جهتك وأنا آكل من جهتي إن دخلت أنا الجنة فأنا خير منك وإن دخلت النار فأنت خير مني تصريحا منه رحمه الله تعالى بالمعنى المتقدم ذكره (وقد) قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى إن كانت نفسك في هذه الأرض فسرك في سماء الدنيا فإن نزلت إلى الأرض الثانية فسرك في السماء الثانية فإن نزلت إلى الأرض الثالثة فسرك في السماء الثالثة فإن نزلت إلى الأرض الرابعة فسرك في السماء الرابعة فإن نزلت إلى الأرض الخامسة فسرك في السماء الخامسة فإن نزلت إلى الأرض السادسة فسرك في السماء السادسة فإن نزلت إلى الأرض

السابعة فسرك فى السماء السابعة فان نزلت عن الارض السابعة الى ظهر الثور الذى عليه قرار الارضين فسرك ناظر الى العرش اه (فقرر) رحمه الله انه بسبب التواضع وعلى قدر نزول النفس يسمو أمره ويعلو قدره فمن أراد الفوز فليعمل على اشارته يحظ بالسلامة (وأعنى) بالزهد فى مراتب الآخرة انه يعبد الله تعالى لوجهه الكريم لا لعوض قال الله تعالى يريدون وجهه وصاحب هذا الحال يرى نفسه انها ليست أهلا لشئ لاستحقاره نفسه وترك النظر اليها وصغارتها عنده لعظيم ما هى فيه من الخطر (وقد روى) أنه كان فى بنى اسرائيل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضلونه على أنفسهم أعنى من كان فى وقته من العباد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن قل لفلان يعبد فى ماشاء فهو من أهل النار فأصبح موسى عليه الصلاة والسلام فأخبر بنى اسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا أليس فينا أحد مثله فى العبادة والخير فبينما هم كذلك واذا بالرجل قد أتى فسلم وجلس فأخبره موسى عليه الصلاة والسلام بما قد وقع فقال أهلا بقضاء ربى ومضى لسبيله فلما جن الليل تطهر وصلى ركعتين وقال اللهم انى كنت أعبدك ولست عند نفسى أهلا لشئ والآن قد مننت على وجعلتنى أهلا لنارك فوعزتك لا زال هذا مقامى بين يديك شكرا لك على هذه النعمة حتى ألقاك فلما أصبح من الغد جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام فقال له موسى عليه الصلاة والسلام ان الله قد أوحى الى أن قل لفلان يفعل ما يشاء فهو من أهل الجنة لازدرائه بنفسه (وقد حكى) ان ابراهيم بن أدهم رحمه الله ونفع به عذله بعض الناس فى كونه لم يجلس اليهم ويحدثهم حتى يأخذوا عنه العلم لانه رحمه الله من أفاضل العلماء والمحدثين فقال شغلنى أربع لو فرغت منها لجالستكم وحدثتكم فقالوا له وما هى فقال افتكرت فى نزول الملك لتصويرى فى الرحم وندائه يا رب اشقى أم سعيد فما أعرف كيف خرج جوابى الثانية انى افتكرت فى نزول ملك الموت لقبض روحى وندائه يارب اقبضه على الاسلام أم على الكفر فما أعرف كيف خرج جوابى الثالثة انى افتكرت فى قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فما أعرف فى أى الفريقين أمتاز الرابعة انى افتكرت فى المنادى الذى ينادى حين حصول أهل

الجنة

الجنة فى الجنة واهل النار فى النار يا اهل الجنة خلود لاموت فيها ويا اهل النار خلود لاموت فيها فما اعرف فى اى الدارين اكون اه (فمن) كان يتقلب بين هذه الاحوال كيف يقرله قرارا ويأوى الى عمران واغماهى غفلات والمريد مبرء من الغفلات متيقظ لما بين يديه من الامور القاطعات ناظر للناس نظر قوم يراهم هلكى فيرحمهم ويستغفر لهم قد شمر عن ساعده خوفا منه ان يلحقه ما لحقهم اذ ان الدنيا لولا الحمقى ما عمرت وطول الامل فى الانسان من اكبر الحمق والمريد ناظر الى زمانه وهو ينقسم على ثلاثة أقسام ماض ومستقبل وحال فان نظر الى الماضى فهو كندب الاطلال بطالة لاتغنى ولا فائدة فيها وان نظر الى المستقبل فالقدر ليس بيده والحياة ليست بحكمه فلم يبق الا النظر فى الحال والنظر فى الحال هو ما قال له بعض الشيوخ رحمه الله تعالى الفقير ابن وقته انتهى لان الموت متوقع مع الحركات والسكنات والانفاس فاذا خرج منه نفس فقد لا يرجع اليه واذا رجع اليه فقد لا يخرج منه (واذا) كان ذلك كذلك فقد ارتفعت عنه الكلف والنظر فى الملبس والقوت والمسكن وغير ذلك من الضرورات البشرية اذ ان نفسا واحدا الاغنى له ولا يعتبر امره فى الاقامة فى الدنيا اذ ان من صار حاله الى ما تقدم ذكره وهو ان الموت نصب عينيه فقد انقطعت فكرته وهمومه وحسراته فى كيفية موته على الاسلام وفى قبره ووحشته وجوابه حين السؤال فيه وما بعده من الاهوال العظام فأى راحة تبقى ان هذا حاله وفكرته (كما حكى) ان انسانا جاء لبعض اخوانه يزوره فوجده وحده وهو يلتفت يمينا وشمالا وخلفا واماما فقال له الزائر لم تلتفت فقال انظر الملك الموت من أى ناحية يأتينى (وقد) جاء بعضهم الى شيخ له ليزوره وكان قد لقيه بعض اصحابه فعزم عليه فقال انى صائم فاعطاه سبع تمرات أو لوزات على انه يفطر عليها فربط ذلك فى طرف كسائه فلما دق الباب وخرج له شيخه ليسلم عليه قال له الشيخ ما هذا الذى فى طرف كسائك فاخبره بما جرى فقال له الشيخ وانت تظن انك تعيش الى الغروب والله لا كلمتك بعدها أبدا (ولاجل) هذا المعنى قال سيدى ابو مدين رحمه الله تعالى ونفع به عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك اه وهاهو ظاهر بين فمن كان

حاله على ما تقدم وصفه فلا راحة له دون لقاء ربه (وقد) ورد فى الحديث
عن النبى صلى الله عليه وسلم بالنص الصريح على ما نحن بسبيله حيث قال
عليه الصلاة والسلام لا راحة للؤمن دون لقاء ربه ومعنى ذلك والله تعالى
أعلم ان المؤمن طالما هو فى دار التكليف لا يزال فى مكابدات وأهوال
واخطار حتى يخرج منها فيلاقى ربه عز وجل فيرى ماله عنده من الكرامات
فحينئذ تحصل له الراحة الحقيقية الدائمة التى لا انفصام لها (وقد) ذكر الشيخ
الامام القدوة المحقق يحيى بن رزق رحمه الله تعالى ونفع به فى حال الفقير
وزهده ما هذا لفظه (اعلم) ان الناس فى الزهد على طبقات فنهم آخذ وهو
تارك ومنهم تارك وهو آخذ وانما يحمد ويصح هذا الامر لمن ترك الدنيا
وزهد فيها بعد قدرته عليها (ومن الناس) من يكون مصليا نائما وآخر نائما
مصليا ومفطرا صائما وصائما مفطرا وكاسيا عاريا وعاريا كاسيا وانما ذلك
كله على تصرف ارادة القلب وتصحيح النية وفساد ارادة القلب وفساد النية
والسلامة من الكسب الخبيث والقول الخبيث وفى هذا كلام كثير الا أن
من صدق أبصر وتحقق ذلك وينبغى للعالم بالله وبما أمره الله تعالى به ونهاه
عنه أن يكون قد ملأت قلبه عظمة الله تعالى فاشتغل بالقيام بحقوق الله
تعالى عن كل فضول الدنيا من الاكل والشرب واللباس والبنيان
والمركب والازواج والاولاد والخدم وان كان فيهم من له الزوجة والولد
وأشياء مما ذكرلم يأخذ ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعد القرآن
ووعيده (واعلم) ان القوم لما وصلوا الى ما وصلوا اليه لم يغتروا بدار الغرور
ولم تكن لهم رغبة الا خوف فوات ماشوق اليه وعد القرآن ووعيده من
الخلود فى دار النعيم أو دار الهوان ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين انما دعا الى
دار السلام من خلقها وزينها وجلاها فخض أيها المريد الغمرات شوقا الى
نعيمها وأجب الداعى الصادق الوفى الى ما وعد ودعاك اليه فانه قد حذرك
نفسك وهواك وأنذرك حلول دار سخطه والتخلص من ذلك كله والوصول
الى نعيم دار الخلود رفض المحبوب من اتباع الهوى فارفضه واجعل الموت
ضجيعك والزهد قرينك والجد سلاحك والصدق مركبك والاخلاص
زادك والخوف من الله على مقدمتك والشوق الى الجنة صاحب لوائك

والمعرفة على معونتك واليقين على ميسرتك والثقة على سائقتك والصبر امير جندك والرضى وزيرك والعلم مشيرك والتوكل درعك والشكر خليلك ثم انفر الى عدوك وصافقه بجميع ماذكرت لك وطب نفسا عن دار الهموم والاحزان الى دار البقاء والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان والحمد لله رب العالمين

* (فصل) * ثم قال رحمه الله فلينظر العبد الى الله تعالى فى كل أمره فانه من نظر الى نفسه أو الى أحد من المخلوقين بأمل ورجاء منفعته كان عزوبا لقلبه من الله وكان منقوصا عن منزلة الواثقين المؤيدين وقد قال الله عز وجل لداود عليه السلام ياداود انى قد آليت على نفسى أن لا أثيب عبدا من عبادى الاعبدا قد علمت من طلبته وارادته والقائه كنفه بين يدى انه لاغنى له عنى وانه لا يطمئن الى نفسه بنظرها وفعالها الا وكلته اليها أضف الاشياء الى فانى أنا مننت بها عليك (واعلم) ان العباد انما تفاوتوا وتباينوا فيما اختيارهم نظر الله تعالى على اختيار أنفسهم زادهم ذلك سرعة وقربا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم وبالبهو عنه واختيارهم نظر أنفسهم على نظر الله تعالى زادهم ذلك بطأ وبعدا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم فكن فى نظرك الى ربك ناظرا بأن لا تؤمل غير صنعه ولا ترجو غير معونته واثقا باختياره فان ذلك أقرب وأسرع فى معونته لك فان الذين قلدوا أمورهم ربهم ووثقوا به ولجئوا اليه قد أماتوا من قلوبهم تدبير أنفسهم وجعلوا الامور عندهم أسبابا مع قيامهم بها والمحافظة عليها فاولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكون قلوبهم اليه فوجدوا بذلك الروح والراحة فهم حماة الدين والعلماء بالله قد فاقوا على من سواهم باطمئنانهم به وسكونهم اليه فأوجب لهم صنعه وأقام قلوبهم على منهاجه فما تقلبوا فيه من الامر فعلى الرضى والطمأنينة ومن سواهم من الخلق فى مؤنة وتعب من أنفسهم حيث اختاروها وتوكلوا عليها فأورثتهم الهم والغموم وأما أهل العبودية لله فهم الذين قلدوه أمورهم وخرجوا عن طباع العباد لما تبين لهم من خطامن اختار نفسه فجعلوا اختيارهم الرضى بمصيرهم اليه مولاهم من أمورهم فزالت الغموم عن قلوبهم فأوجب لهم الصنع والتوفيق فى أحوالهم وأورثهم الغنى والعز فى قلوبهم وسد عنهم أبواب الحاجات الى

المخلوقين وأتتهم لطائف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكتفون به ونزهوا أنفسهم عما سوى ذلك اكراما لهم عن فضول الدنيا وطهارة لقلوبهم عن التشاغل بما أغناهم عنه فصانهم من كل دنس وأمشاهم فى طرقات الدنيا طيبين موالين له فهم فى السموات أشهر منهم فى الارض ولأصواتهم هنالك دوى ونور يعرفون به ويحبون عليه وقد رفع أبصار قلوبهم اليه فهى ناظرة اليه بتلك القلوب غير محجوبة عنه بلا ادراك منهم لصفة ولا صورة ولا حد ولا احاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم ذلك فأحبهم وحببهم الى ملائكته وسائر خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى يا داود تفضل على عبادى أكتبك من أوليائى وأحبائى وأباهى بك حملة عرشى وأرفع الحجب بينى وبينك وتنظر الى ببصر قلبك لا أحجبك عن ذلك ما كنت متمسكا بطاعتى (وذكر) عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه انه قال قل لاهل محبتى يشتغلوا بى فاذا علمت أن الغالب على قلوبهم الاشتغال بى والانقطاع الى كان حقا على أن أرفع الحجب بينى وبينهم ينظرون الى بأبصار قلوبهم فهم يتنعمون بذكرى قد أغناهم ذلك عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة (فهؤلاء) قد ملأ الله أسماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حبه فأدبوا أنفسهم بالعبودية له والدخول فى محبته وذلك ان تأديب الرجل نفسه فى مطعمه ومشربه وملبسه يزيد فى صلاح قلبه وتنقاد جوارحه لقلبه ويقوى عزمه ويقهر هواه فيقوم عند ذلك مقام أهل القوة الى أن يرفعه الله الى منزلة فوقها حتى يستوى عنده الاخذ والترك فلا يأسفوا على مافاتهم ولا يفرحوا بما أتاهم للغنى الذى وقر فى قلوبهم يزدادون له محبة ومودة وشكرا له فى العلم به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت أهواؤهم الى ما قل من الدنيا وكفى فهى لا تطلع الى غير ذلك ناظرين الى ربهم فى أمورهم كلها لا الى الاسباب نظرهم من غير تفريط فى اقامة الاسباب الخالصة من أعمال البر فان لبسوا خشنا أو لينا أو حسنا أو قبيحا أو أكلوا طيبا أو كريها أو حلوا أو مرا أو حامضا أو قليلا أو كثيرا لم يغير ذلك من قلوبهم من الحال التى هى عليها من ذكر ربهم وتعظيمه وذلك ان قلوبهم عامرة من ذكر الخالق وليس لشئ سواه فى قلوبهم ثبوت الا بالخاطر من غير أن يرسخ أو يثبت فلم يقم الناس مقاما

أشرف من أن يعلقوا قلوبهم بربهم ولا أولى بهم من ذلك لانهم أشد الناس
محافظة على جمع همومهم فى صلاتهم وجميع ما يتقربون به من ربهم ان قاموا
عرفوا بين يدى من هم قيام له وكذلك ان ركعوا وسجدوا أو تلوا القرآن
أودعوا اربهم لا تعزب قلوبهم عن ذلك فبه زكت أعمالهم وصوبت
عقولهم فهو يتعاهدهم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه فقل عند ذلك خطأهم
وكثر صوابهم فمن كان يريد الدخول فى محبة طاعة الله فلا يكن له ثقة
الا الله ولا غنى الا به ولا أمل غيره يرجوه ويتخذه وكيلا فى أموره كلها
راضيا بقضائه فيما نقله اليه من أموره راضيا باختيار الله له متهما رأيه
ولما تسول له نفسه مسلما راضيا عن الله غير متخير ولا مقالك فيما أحدث
الله من مرض أو صحة أو رخاء أو شدة مما أحب أو كره وليكن قلبه بذلك
راضيا الموضع الثقة بربه وحسن الظن به (فاذا) كان العبد كذلك ورث
الله قلبه المحبة له والشوق اليه وصار الى منزلة الرضى بما كفاه وحماه من
الدنيا وان قل وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله فجعله الله من
أولى الالباب ثم ألهمه مولاه علما من علمه فعرفه ما لم يكن يعرفه وعلمه ما لم
يكن يعلمه فعن الله أخذ علمه وبأمر الله جل ذكره تأدب فطهرت أخلاقه
لما آثر أمر الله ولجأ اليه فتمت عليه نعمة الله فى الدنيا والآخرة فأولئك
المحبوبون فى أهل السموات المعروفون فيها خفى أمرهم على أهل الارض
وظهر أمرهم لأهل السموات لكلامهم هناك دوى ولبكائهم حنين تفتح
له أبواب السماء من سرعة فتحها اجابة لدعائهم فأعظم بهم عند الله جاها
ومنزلة وأعظم بهم خوفا من الله وحسن ظن به فهم مسرورون بربهم قريرة
أعينهم طربة قلوبهم بذكره مشتاقة ساكنة مطمئنة اليه قد تقدموا
الناس وانقطع الناس عنهم وأشرفوا على الناس واشتغل الناس عنهم فحجبوا
من الناس وحجب الناس منهم انقطعوا الى الله بهمومهم وأهوائهم وعلقوا
به قلوبهم ولجؤوا الى الله لجأ المستغيثين به المتوكلين عليه قد تخالصت اليه
عقولهم بالمودة فأنزلوا نسيانه معصية محرمة عليهم فقبلهم واجتباهم
ونعمهم وخصهم وكفاهم وآواهم وعلمهم وعرفهم وأسمعهم وبصرهم وحجبهم
عن الآفات وحجب الآفات عنهم وأقامهم مقام الطهارة وأنزلهم منازل

السلامة وأقام قلوبهم بذكره فلم يريدوا به بدلا ولا عنه حولا صبابة لديه
وطربا واشتياقا اليه قد اذاقهم من حلاوة ذكره وألعقهم من لذاذة مناجاته
وسقاهم بكاسه فهم والموت به ليس لهم مسكن غيره تضطرب قلوبهم عند
فقده حتى ترجع الى موضع حنينها يحتملون الاشياء له ولا يحتملون شيئا من
غير أمره ولهم فى كل يوم وليلة منه هدايا مجددة فتارة يغلب على قلوبهم تعظيم
ربهم وجلاله وتارة يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يغلب على
قلوبهم آلاؤه ونعماؤه وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم عن واجب حقه
وتارة يغلب على قلوبهم رأفته ورحمته وتارة يصيرون الى حنينه ولهم فى كل
تارة دمعة ولذة وفى كل دمعة ولذة فكرة وعبرة وقلوبهم فى كل فكرة وعبرة
مهتاجة طربة هائمة لذكر الله مشتغلة به عما سواه فهم يسقون من كل
تارة مشربا سائغا يذيقهم لذته ولهم فى كل مقام علم زيادة يعرفهم ما يحدث لهم
فى قلوبهم من الزيادة فلو رأيتهم وقد انقطعت آمال الخلق عنهم وأفضوا الى
الله جل ذكره بجميع رغباتهم وانزاحت الاشياء الشاغلة عن قلوبهم
فصمت عنها أسماعهم وانصرفت أبصار قلوبهم اليه فلهت به عما سواه
حتى اذا جنهم الليل وزجرهم القرآن بعجائبه من وعده ووعيده وأخباره
وأمثاله شربوا من كل نوع كأسا من الزجر والتحذير والاخبار والامثال
والوعد والوعيد ووجدوا حلاوة ما شربوا حتى اذا صفا يقينهم ارتفعوا الى
عظمة سيدهم وجلال مولاهم خضع كل عضو منهم لله وخشعت كل جارحة
منهم لسكونها اليه غير منتشرة عليهم هممهم بل كل ذلك لذاذة لاستماعه فقد
كشف لهم القرآن عن أموره وكشف لهم عن عجائبه ودلهم على باطن
علمه فيفهمونه فيسمون به الى جلال سيدهم ووقاره حتى اذا اتقدت الانوار
فى قلوبهم وتمكن اليقين من أجوافهم وحنت القلوب لحنينها وضاقت عن
احتمال ما هجم عليها ماج منهم ما لا يملكون امساكه فلما بلغ الامر منهم
مداه وانتهى كل شئ منهم منتهاه أقبل عليهم ربهم جل جلاله بالطمأنينة
والسكون فلولا حسن سياسته لهم ونظره ولطفه بهم ما رجعت اليهم
عقولهم ولا أثبتوا معارفهم ولا سكنوا منازلهم للذى هجم على أبصار
قلوبهم من عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرا ومودة ومحبة فى كل ما امتحنهم

به

به من أمر الدنيا والآخرة فقد أعرضوا عن كل نعيم عاجل أو آجل واشتغلوا
عن النعيم بذكر مولاهم وكل ذلك منة منه وتفضل عليهم فهم أدلاء لعباده
وأعلام في بلاده وحجة له على خلقه وخلف الأنبياء وودائع علمه فيهم ينزل
الغيث وبهم يصرف العذاب وبهم ينصر على العدو فهم بركة بين ظهرانينا
يحبون الله ويحبون ذكره أقاموا مشيئتهم فيما وافق محبة ربهم يغضبون
لغضبه ويحبون لمحبته فهو يسوسهم بسياسته ويوفقهم بتوفيقه يأتيهم
العون من الله تعالى في كل حال يرجون الخالق برحمة ربهم ويؤملون فضله قد
أزال عن قلوبهم المطامع وأسكنها الغنى فاكتفوا بأجزاهم وبلغوا بما بلغهم
فهم القانتون الراهبون السائحون الراغبون المحبون لله الذين فكروا
في قدرته وعملوا في محبته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة ثم ورثوا الشوق
ثم رفعهم إلى منزلة لم يكن لهم فيها رغبة ولم يكن لهم فيها غير ربهم همة غلبت
المحبة على قلوبهم واستولت على عقولهم وأهوائهم فبنوا على ذلك أعمالهم
وصبروا فيه جميع رغباتهم ثم رفعهم إلى مزيد فوائده فهم أولياء الله حقا منهم
المرسلون والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون فاقوا أهل السماء
وأهل الأرض لشدة حبهم لربهم فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة
ما يصيبه أهل الدنيا من التلذذ والطرب إليه والاشتغال به والتفكه إنما
يصيبونه على موضع التقوية على عبادة ربهم وودوا لو أنهم أكلوا من الدنيا
أكلة واحدة تكون آخر زادهم منها إلا اكتفوا بما قل فلما أعطوا الله ذلك
من قلوبهم ضيق أمعاءهم وأسقط عنهم شهواتهم واكتفوا باليسير من المطعم
فعند ذلك خفت عليهم مؤنة الدنيا فلم ينافسوا فيها أحدا فتلك حالاتهم في
المطعم والملبس ما شبها أكلوه ولبسوه ليس لهم تخيير ولا تلذذ في أخذ ولا ترك
خوف الشهوات والاشتغال عما هم فيه فأسكن الله في قلوبهم من معرفته
وحبه ما أذاب كل مودة لأهل أو ولد أو مال فإن عرض من ذلك في قلوبهم
عارض فخاطر من غير ثبوت فيها وورثوا نور الهدى فأبصروا مواضع حيل
إبليس ومكره فكسروا عليه كيده ولبسوا عليه أمره ودلوا الناس على
مواضع مكره فهم نصحاء الله في عباده وأمناؤه في بلاده ثم أسكن محبتهم في
ملكوت السموات في عليين فأحبهم وحببهم إلى ملائكته (فأحيوا) قلوبكم

أيها المريدون بالذكر وأميتوها بالخشية ونوروها بحب لقاء الله وفرحوها بالشوق اليه واقوموها بالمناصحة (واعلموا) انكم بالمحبة ترتفعون وبالمعرفة ترهبون وبالشوق ترغبون وبحسن النية تقهرون الهوى وبترك الشهوات تصفوا لكم أعمالكم وتؤثرون ربكم وحده حتى يؤثركم ملكوت السماء في عليين فمن كان منكم مريدا للراحة فليعمل في منازل أهل محبة الله جل ذكره بعزم وارادة قوة وهي الدرجات السبع التي تتنقل فيها بنو آدم حتى يصيروا الى المعرفة والعلم وهي الدرجات التي أرسل الله جل ذكره عليها الرسل ثم الانبياء الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل ولا غيره من الملائكة انما يكون ذلك بالالهام من الله عز وجل والعوائد وانما ورث ذلك الانبياء من المرسلين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك بعد الانبياء الصديقون فاقتدوا بهم وجدوا في آثارهم فانه لم يحكم هذه الدرجات السبع الا رسول أو نبي او صديق أو بدل من الابدال الذين جعلهم الله أوتاد الارض فسقي بهم الغيث وأنزل على العباد بدعائهم الرحمة وصرف عنهم بهم السوء فمن كان مريدا للعمل في هذه الدرجات والاقتداء بالمرسلين والنبيين والصديقين في سيرهم فليرفض الدنيا من قلبه حتى لا يكون فيه منها علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه بشيء منها اشغله حتى تغلب عليه فليبدأ برفض الدنيا وطرحها من قلبه حتى لا تعدل عنده قدر جناح بعوضة فانها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة وأصغر

(فصل) قال رحمه الله فاول ما يبدأ به ويتناول من الدرجات السبع درجة المعرفة وهو أن يعرف ربه كما ينبغي له من حيث تعرف اليه ربه فقد تعرف الى خلقه بخلقه اياهم وتدبيره فيهم وبصفته بما وصف به نفسه فانه غفور رحيم لمن أناب اليه وطلب رضاه وانه شديد العقاب لمن كذب به وكذب عليه وكذب رسله وعصاه (واعلم) ان من لم يحكم امر المعرفة لم يدرك ماسواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التي ذكرنا ولا تكون المعرفة حتى تثبت في القلب باليقين الراسخ فاذا كان ذلك كذلك كانت الاعمال الصالحة على قدر المعرفة فان قصر في المعرفة كان في العمل أشد تقصيرا وضعفا النية ولم يجد السبيل الى بلوغ تلك الدرجات ومن عرف الله علم أنه قائم على قلبه بما

كسب وانه معه يراه وينظره فى جميع أحواله فاذا علم ان ذلك كذلك لم يكن
شئ أحب اليه من رضاه ولقائه ولا أبغض اليه من معصيته وبقائه وان
أحب البقاء فى الدنيا لم يحبه الا للعمل بطاعته (ولينظر) المريد للمعرفة فى
أسماء الله ويتدبرها حتى يعرفه بها ويدخل ذلك قلبه فانه يورث قلبه بذلك
العلم وهى الدرجة الثانية (فاذا) كان عالما به علم أنه لا يقبل منه الا ما أمره به
ونهاه عنه وعلم ان ذلك عنده ينشطه للعمل الصالح (ثم) يورث قلبه بعد ذلك
الخشية وهى الدرجة الثالثة درجة التقوى لقول الله عز وجل انما يخشى
الله من عباده العلماء وهى مراقبته فى السر والعلانية (فاذا) دخل فى هذه
الدرجة استقل كل ما يعمله لله جل ذكره فعند ذلك لا يألو جهدا ولا اجتهادا
ولا عمل (فاذا) وصل العبد الى ذلك ودأب على عمله فيما يرضى ربه نظر الله
اليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه الحب له وهى الدرجة الرابعة (فاذا) صار
الى هذه الدرجة آثر حب الله على جميع حب خلقه وأحبه الله وحببه الى
ملائكته الذين حول عرشه والى ملائكة السموات كلها وأهل الارض
ومن فيها وبسط حبه على الماء فلا يشعر به أحد من جميع خلقه الا أحبه ولا
يزداد فى عمله الا جدا واجتهادا فورث قلبه بعد هذا الشوق اليه والحب
للقائه وهى الدرجة الخامسة (فيكون) بمنزلة العاشق قد غلب على قلبه
الذكر لله وشغل عن كثير من العمل ما خلا الفرائض واجتناب المحارم
ويكون فى ذلك الحال أقوى من كل عامل فى الدنيا وأرفع منزلة لانه لم
يتفرغ قلبه من ذكر ربه طرفة عين لا نائما ولا قائما ولا آكلا ولا شاربا والله
لا ينسى من ذكره فلو تركه الله عز وجل على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح فى
الماء ولما انتفع بشئ من أمور الدنيا حتى يموت تشوقا الى الله الا انه اذا رآه الله
على تلك الحال من عليه بالطمأنينة وهى الدرجة السادسة (فيطمئن) قلبه
حتى يكون كأنه معاين له وكأنه بين يديه فيكون هو مستودعه وانيسه
وسائسه ودليله فعند ذلك يورث قلبه الغنى ولا يحتاج الى غيره فيكون معظم
دعائه للخلق بالصلاح وصرف السوء عنهم حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويستغفرون لمن فى الارض فعند ذلك
لا تسقط له دعوة وهى الدرجة السابعة (فاذا) صار الى تلك الحال لم يتفوه

بشئ من حوائجه اذا خطرت بباله تصير بين يديه وما أراد منها يأتيه من غير أن يدعو بشئ خطر على باله لطفا من الله وتعاهدا منه حتى يعجب من لطفه ونظره وصنعه فيكون قوله عدلا وفعله رضى فالحمد لله الذى من والاه نعمه وأغناه والحمد لله رب العالمين اه

(فصل فى الرياء) اعلم وفقنا الله واياك ان آكد ما على المريد فى ابتداء أمره التحفظ على نفسه والتحرز من الآفات التى تعتوره فيما هو بصدده اذ أن العوائق كثيرة ظاهرا وباطنا فقد يكون ذلك سببا لمنع الوصول الى ماتقدم ذكره فيأخذ نفسه أولا بالجد والاجتهاد فى التحرز مما ذكر ليسلم له ماتقدم وصفه (فأول ذلك) أن يتقى الرياء والعجب والشهرة والكبر لانه سم قاتل أدنى الاشياء منه يحبط الاعمال كلها وقد يخفى فى بعض الاحوال لانه اخفى من دبيب النمل كما ورد (لكن) يتبين أمره وتظهر آفاته بما ذكره الشيخ الامام يحيى بن رزق رحمه الله (وهو) أن قال أصل العبد لم يزل مذ نشأ مرائيا فى جميع أحواله وذلك لميله الى الدنيا وايثاره لها على الآخرة واهماله نفسه وارساله نيته فلما أهمل نفسه وقلت محاسبته لها لم يتخلص من الرياء فعمل للدنيا على غير أصل نية ثابتة وقد نهى الله عن اهمال النفس وتضييع الاعمال فقال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فنهاهم عز وجل عن اضاعة الاعمال فلا يكون عمل من الاعمال الا عن ارادة ولا تكون الارادة الا عن نية وقد نهى الله تبارك وتعالى عن اضاعة شئ من ذلك وأى عمل أكبر من الارادة والنية وقد وجدنا الانسان لا يخلو من حركة أو سكون والحركة والسكون جميعها عمل وقد نهى الله عن تضييع العمل فلما ترك ما أمره الله به من اخلاص العمل لم يميز بين الرياء وغيره وأمرج نفسه فعمل على ما يخطر بباله وجميع ما يتقلب فيه رياء محض ظاهر لا يعرفه هو من نفسه ويعرفه منه من نور الله الحكمة فى قلبه فهم يرون فعلهم فعل أهل الرياء فمنهم من يمسك عن صاحبه لمعرفته به ولو انه أبدى اليه شيئا من عيوبه لنفر منه وذب عن نفسه وأبطل ما نسبه اليه فصار عدوا مشاحنا وأقل ما يقول للعارف بعيوبه حسدتنى فلما علم الحكيم أهل زمانه وان زمانه زمان غلبة الهوى واعجاب كل ذى رأى برأيه

أمرج نفسه تركها ترعى على هواها اه

اعتزل بنفسه ونفر عن العامة وعلم انه زمان قد صار المعروف فيه عند
اهله منكرا وان الشر قد احاط بالخير واعتزل اهل زمانه بصدق الارادة فلما
تبين له الصدق ومافيه وان العمل لا يصفو الا بالصدق اتقى الكذب وفنونه
كلها وتشوفت عند ذلك نفسه الى الكذب والرياء لحلاوة فنونه عندها
فاخذها بالجد والاجتهاد فى ترك ذلك فلما رأت ذلك منه رجعت منقادة
فلما صارت الى تلك الحالة ورأى العبد ذلك منها ازداد الى الصدق تشوقا
وازداد للكذب مقتا وانما كان ينفر الصدق وفنونه من قلبه لغلبة
الكذب وفنونه عليه وهو الرياء والعجب وحب الرياسة واتخاذ المنزلة
عند المخلوقين والمحمدة والعزة والتعظيم والتخيير فى الاعمال الكاذبة فمن عمل
بالصدق وانفى الكذب برئ من الرياء والعجب ودواعى الشر كله فاذا خلا
من ذلك ثبت الصدق وفنونه فى قلبه (قال) بعض الحكماء ان الشيطان يأتى
ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه
فلا يزال به حتى يلقيه فى بدعة فان امتنع عليه أتاه من جهة الحرج والشدة
ليحرم حلالا او يحل حراما فان امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه
فى وضوئه وصلاته وصيامه حتى يعتقد بهواه امرا يضل به عن السبيل ويدع
العلم فاذا اقدر منه على شئ من ذلك خلى بينه وبين العبادة والزهد وقيام
الليل والصدقة وكل اعمال البر ويخفف ذلك عليه وربما كايده الشيطان
من المردة فيقول له ابليس دعه لا تصده عما يريد فانما بأمرى يعمل فاذا نظر
اليه الناس فى عبادته وزهده وصبره ورضاه بالذل قالت العامة ومن لا علم
له هذا عالم مصيب صابر فيتبعونه على ضلالته ويجعل له ابليس الصوت
فيعجب بعمله فيكون فتنة لكل مفتون ومن علامته الاعجاب برأيه والازراء
على من لا يعمل مثل عمله ويكون نظره للناس بالاحتقار لهم ويتغضب عليهم
فى التقصير به (وقد) روى فى العلم احذر وافتنة العابد الجاهل والعالم
الفاسق فان فتنتهما فتنة لكل مفتون (واعلم) يا اخى ان العبد اذا اراد ان
يعمل العمل بالرفق قال له العدو ان العمل بالخير لا ينفعك حتى تدع الشر كله
وتزهد فى الدنيا وتعتزل عن الناس فاعرف نفسك واصلح عيوبك والذى
عندك اكثر واعظم من ان يصلح هكذا سريعا ويعظم عليه الامر

الصوت والصات والصيتة والصيت واحد ومعناها الذكر بخير اه

حتى يكاد يقنط وينقطع عن العمل وان كان فى يديه دنيا عرض له بحسن
الظن والرجاء والتسويف وطول الامل فان أجابه الى هذا الباب قطعه عن
البر وشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال التوبة قال صدقت
لعمرى لقد فرطت واخاف أن يدركك الموت فعليك بالجد والاجتهاد ولا
تريد أن تقصر فيلزمه أشد العبادة فيثبت أو ينقطع أو يذهب عقله فان
اشتهر بذلك عند الناس ألقى اليه طول الامل وخوفه قلة الصبر ويقول له
لك بالناس أسوة فيبغض اليه العبادة ويثقلها عليه ثم يقول له ان الناس قد
عرفوك بالعمل فلا تبد لهم التقصير ودع نفسك فى السر ويعرض له بغذائه
الاول من الشهوات التى كان يصيبها قبل الهاو يرجع الى حالته الاولى
وصار عمله علانية رياء لا ينفعه شئ وعلامة ذلك أن يستحلى الكلام فى الزهد
وما يزينه عند الناس ويحبب اليه مجالسة الناس فتصير عبادته و زهده
كله بالكلام (فالعالم) عرف ضعف نفسه وعرف زمانه وقلة الاعوان فيه
على الخير وكثرة الاعداء فاخذ الامر بالرفق والاستعانة بالله وطلب صفاء
الاعمال والاخلاص فيها وان قلت الاعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل
الطباع بالرفق وموافقة السنة واخرج الناس من قلبه وقصد جهاد نفسه
ومحاربة الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف لما يلقون اليه فان الله جل
ثناؤه قد جعل لكل مكيدة من مكائد الشيطان سلاحا يدفع به تلك المكيدات
(وينبغى) للعابد أن يعرف نزغات الشيطان من أين تأتيه وماتهواه النفس
فان الشيطان لا يصل الى العبد ولا يقدر عليه الا من قبل موافقة الهوى فاذا
بدأ العبد بنفسه ومحاربتها وبهواه فأماته هان عليه الشيطان (واعلم) يا أخى
ان هذا الدين متين فان أنت وغلت فيه بالرفق أمكنك وشر السير الحقحقة
وقليل تدوم عليه خير من اجتهاد يقطعك فانك لم ترشيئا أشد تواليا من
القارى اذا تولى (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ من
الحور بعد الكور (وكانوا) يحبون الزيادة ويكرهون النقصان (وينبغى)
للعابد أن يكون حذرا من مخالفة السنة فان من خالف السنة خالف الحق
ومن خالف الحق هلك (فات) العلماء والزم أدبهم فان رأيتهم يقصرون فى
بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقتد بذى البصيرة منهم والبصر ومن يوافق

الحقحقة السير بعنف والحور كالنقص ومعناه والكور بوزن المزيد ومعناه اه

قوله فعله (وذلك) انه يروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال عقول الرجال على قدر أزمنتهم فاذا نقص العقل نقص البركة فاعرف نفسك في زمانك (واعلم) ان الزهد والعبادة والعلم المعمول به في هذا الزمان قليل واذا كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن فكيف يصبر الجاهل على نزولها واذا كان من يتشبه بالزهاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب في الدنيا والعالم من أهل هذا الزمان من شدة الصبر خرج والجاهل من شدة الصبر حرج وأما العالم الصادق الذي استوجب اسم العلم على الحقيقة فانه يكره من علمه بالله ان يظهر بلسانه أو بيده أو بجوارحه أكثر مما في قلبه فيمقته الله على ذلك ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم والتقصير والتقلل وكره المدح والتوسع من الدنيا والجاهل الذي يعمل بجهل جزع من الذم وفرح بالمدح والتوسع من الدنيا حتى صبر على الدنيا من الجزع فاحذر ان تصبر صبر الجاهل ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله وخف على أهل الجهل ونوم العالم أفضل من اجتهاد الجاهل وضحك العالم بالله أفضل من بكاء الجاهل فاحذر ابليس على أفعالك كلها واحذر نفسك وهواك واحذر أهل زمانك ولا تأمن أحدا منهم على دينك (واعلم) ان ابليس قد نصب لك حبائله وأقعد لك الرصد على كل منهل وقد سلطان يجري منك مجرى الدم في العروق ويراك هو وأعوانه من حيث لا تراهم (واعلم) انه يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك والاياس والأمن من المكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعته في شيء من ذلك وأنت على سبيل هالكة فحينئذ يخلي بينك وبين ما شئت من العمل فان خالفته أتاك من قبل الدنيا ليستولي الهوى على قلبك فيتمكن هو من الذي يريد منك فان خالفته أتاك من قبل المعاصي فان خالفته أتاك من قبل النصيحة (وهذه) الخصال التي وصفت لك كلها أشد من المعاصي وصاحبها لا يكاد يتوب من شيء منها وربما انتبه العبد فتاب منها فان ظفر من العبد بالعجب قال له ان الناس يقتدون بك فاعمل واعلن عملك فيتأسى الناس بك ويعملون مثل عملك ويكون لك مثل أجر من عمل مثل عملك لانه من دل على خير فله مثل أجر فاعله فاذا اظهر عمله فرح به فصار معجبا وجد نفسه فنسي النعمة

عليه فإذا أنظر إلى عمله حبب إليه حمدهم واتخاذ المنزلة عندهم فإذا فعل ذلك صار مرائيا مفاخرا (فاتهم) فرح القلب بالعمل فإن الفرح إلى القلب الفرح أقرب وأسرع منه إلى القلب الحزين وأقل من معرفة الناس فإنه ليس يأتيك ما تكره الأمن تعرف فإن كان لا يأتيك ما تكره الأمن قبلهم فكأنما قلوا كان خيرا (واعلم) أن العبد يعمل العمل في السر فلا يزال به إبليس يقول أظهره ليقتدي بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى يظهره فإذا أظهره كتب في ديوان العلانية فلا يزال به حتى يفتخر به فإذا افتخر به كتب في ديوان الرياء فعليك بعمل السر وكتمانه وخمول النفس وإسقاط المنزلة واكتم الحسنات كما تكتم السيئات وخف من فضيحة الحسنات كما تخاف من فضيحة السيئات فإن المفتضح بالسيئات ليس يفتضح عند الخلق كلهم إنما يفتضح عند قوم دون قوم والمفتضح بالحسنات إذا دخلها الرياء افتضح عند الخلق كلهم فاحذر واستح من الله أن يراك تعمل لغيره وتطلب الثواب منه وأخلص العمل لله واصدق فيه (واعلم) أن تخليص العمل في العمل أشد من العمل حتى يتخلص والاتقاء من العمل بعد العمل أشد من العمل في العمل (واعلم) أنه لا يقبل الله عملا من مراء ولا من مسمع ولا من داع إلا بثبوت من قلبه واحذر الرياء كله فإن أوله وآخره باطل وكن في العمل متأنيا وقافا فإذا هممت بعمل فقف عنده فإن كان لله خالصا فاحمد الله وامض فيه واستعن بالله على إخلاصه واكلف من العمل ما تطيق وتحب أن تزداد منه ودم عليه فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل فاعمل بما يتبين لك أنه حق واضح فإذا أشكل عليك فقف ولا تقتحم وناظر العلماء الذين يعملون بعلمهم فهم الذين قصدوا إلى الله وهم الدعاة إلى سبيل النجاة الأدلاء على الله لأن المؤمن وقاف عند ما اشتبه عليه وليس كحاطب الليل فناظر العلماء فيما التبس عليك فما اجتمعوا عليه فخذ به وما اختلفوا فيه فخذ أنت فيه بالثقة والاحتياط فإن الإثم حواز القلوب (واعلم) أن إبليس ربما قال للعبد قد سبقك الناس إلى الله متى تلحق بهم فليقل له عند ذلك قد عرفتك أنا في الطلب إن رفقت لحقت وإن لم أرفق لم ألحق إن صبرت على القليل نلت الكثير وإن عجزت عن القليل فأنا عن

قوله حواز القلوب بالمهملة وتشديد الواو من الحيازة ويروى حواز بتشديد الزاي جمع حاز ويروى حزاز بزاءين الأولى مشددة من الحز فيهما اه

الكثير يحزن وقد قال الله عز وجل واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فالآفة من الشيطان والنور من الله عز وجل فاذا عمل العبد عملا مرأى الشيطان معه نورا كانت همة الخبيث أن يطفئ ذلك النور فان كان الغالب على العبد عمل السر أخرجه الى عمل العلانية بحيلته ومكيدته فان عمل في العلانية بصدق واخلاص فرأى في عمله العلانية نورا وصبرا أمره بمخالطة الناس ليؤذى فلا يحتمل فان خالطهم فآذوه واحتمل الأذى أمره بالعزلة والراحة من الناس ليعجب بما يعمل ويضجر من العمل فان اعتزل وصبر واخلص قال له ارفق بنفسك فيصده عن العبادة وانما يلتمس من الأشياء غفلته فينبغي للعبد أن يكون غير غافل عنه وليستعن بالله عليه (واعلم) ان صاحب الاخلاص خائف وجل حزين متواضع منتظر للفرج من عند الله يود أنه نجا كفافا لا له ولا عليه والجاهل فرح فخور متكبر مدل بعمله (ويروى) عن بعض الحكماء أنه قال اني لأعرف مائة باب من الخير وليس عندي منها شئ (واعلم) ان العالم العامل الصادق المخلص العارف الخائف المشتاق الراضي المسلم الموفق الواثق المتوكل المحب لربه يحب أن لا يرى شخصه ولا يحكى قوله ويود أنه أفلت كفافا فمعرفته بنفسه بلغت به هذه الدرجات وتمسكه بهذه العزائم أوصله الى محض الايمان والجاهل المسكين يحب أن يعرف بالخير وينتشر عنه وينشر ذكره ولا يحب أن يزرى عليه في قول ولا فعل بل يحب أن يحمد على ذلك كله ويوطأ عقبه وان لم يزر اهم شيئا وانما شدة حبه لذلك لحلاوة الثناء والحب لاقامة المنزلة والفتنة في هذا عظيمة والمؤنة عليه شديدة وهو عبد من عبيد الهوى يتلاعب به الشيطان كل التلاعب تنقضى أيامه ويفنى عمره على هذا الحال أسيرا للشيطان وعبدا للهوى (واعلم) ان الشيطان اذا نظر الى العبد مريدا صادقا مخلصا مداوما عارفا بنفسه عارفا بهواه معاندا لهما حذرا مستعدا عارفا بفقره الى الله تعالى قال له ان هذا الامر لا يصلح الا بالاعوان عليه والشيطان على الواحد أقوى وهو من الاثنين أبعد فجالس اخوانك وذاكرهم واخبرهم بما يدونك في عملك من نفسك وهواك ومن عدوك فانهم يدلونك ويعينونك يريد بذلك ذهاب حزن الخلوات واطفاء نور العزلة وقطع سبيل الضياء وفتح طريق

الفضول والشغل بغير الله واخراجه من عمل السر الى عمل العلانية وانما يريد بذلك كله اطفاءه . لقد أحدث الله عز وجل في قلب العبد من نور فكر الخلوات فان قلت هذا انما هو من الشيطان قال لك أجل انما هو من الشيطان تعلمك الناس أفضل من عملك فلو أخبرت الناس بذلك لكان خيرا لك ليعلموا من آفات الاعمال ما تعلم فتؤجر فيهم فان قلت أيضا هذا من الشيطان قال لك لولا علمك لم تعلم بهذه الآفات اتعجب بنفسك وتنسى النعمة عليك في العمل فتحمد النفس فلا يجاوز عملك رأسك فاحذر هذا الباب فان فيه شهوات خفية ومن الشهوات الخفية أن يخفي العبد عمله ويحب أن يعلم الناس به ويحب أن يرى أثر ذلك عليه والعمل خفي في السر الا أنه يحب أن يرى أثر ذلك العمل عليه اما من علامة عطش ان كان صائما أو علامة سهر في الوجه ان كان قام من الليل (واعلم) ان العبد ان قال انا أعمل لله لا للناس قال له صدقت أخلص عملك لله فان الخالص يحببه الله الى الناس ويعرفهم فضله فان قال العبد وما حاجتي الى الناس قال فانت الآن الخالص الذي قد أخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة ابليس وقد نجوت وانت معصوم فان عقل العبد وقال له ومن أنا وانما الاعمال من منن الله على العباد وانما شكر وانما الاعمال بخواتيمها وانما الثواب على الله يوم الجزاء ان أخلص ولم يعجب بعمله ولم ينسب الى نفسه نعمة هي من الله قد وجب له بها عليه الشكر فانه يقول للعبد عند ذلك الآن نجوت حين اعترفت لله بذلك وقمت بشكر النعمة وتواضعت لربك وبرأت نفسك من العمل ونسبته الى الذي هو منه فان قبلت ذلك منه هلكت ولكن قل انا أرجو وأخاف وليس الى من النجاة شيء واست أدري بما يختم لي عملي (واياك) ثم اياك والتزين بترك التزين وذلك انه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وانما يريد بذلك كله التزين فان فعلت ذلك نزلت بمنزلة خشوع النفاق وان عرفت نفسك بشيء من ذلك ولم تسارع الى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان والمقت فاتق الله في جميع أمورك واعمل له كأنك تراه فان قال لك الخبيث الآن نجوت حين عرفت نفسك وأنزلتها هذه المنزلة وحذرته والله وعدوك فقل الآن هلكت حين أمنت العقاب فان قال لك الآن نجوت حين خفت

ان تكون قد امنت العقاب فقل الآن هلكت لو كنت صادقا لصدق قولى فعلى ولازددت خوفا وحياء من الله جل ذكره ولو كنت كذلك لحال بينى وبينك وجعلنى فى حرزه وحصنه ومن عباده الذين قال فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولم تكن انت تدخل علىّ فى عملى فان قال لك جاهد نفسك فانه افضل العمل فان الناس قد شغلهم امر غيرهم واتبعوا اهواءهم وانت بينهم غريب وانت كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى للغرباء وانت المعروف فى اهل السماء والمجهول فى اهل الارض فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا من الشيطان قال لك صدقت هذا من الشيطان وقد كثرت عليك مكائده ومجاهدة نفسك وهواك فكم تعذب نفسك ان كنت شقيا لم تسعد ابدا وان كنت سعيدا لم تشق ابدا ولا يضرك ترك العمل ان كنت سعيدا ولا ينفعك العمل الكثير ان كنت شقيا فان قبلت القنوط الذى القاه اليك هلكت وان تركت العمل ونلت من الشهوات على الغرور وحسن الظن بزعمك والاتكال على الرجاء الكاذب والطمع الكاذب والامانى الكاذبة ورجوت الجنة بالغرور وطلبت طلب المتعبدين بالراحة عطبت وان امتنعت قال لك احسن ظنك بالله فانه يقول انا عند ظن عبدى بى والله يحب اليسر والدين واسع والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك واعتصم بالله وكفى بالله حسيبا (واعلم) انك ان كنت فى بلد وانت فيه سالم وامرك فيه مستقيم والنور معك فى فعلك وقولك قال لك عليك بالثغور وعليك بمكة وعليك بكذا فان قبلت ذلك رايت فترة فى عاجل عملك وقساوة فى قلبك ووقعت فى المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر واشغل به عن الداب فى العبادة والنشاط الذى كان معك فان صرت الى بلد انت فيه مسرور وقلبك ربح قال لك موضعك كان اصلح لقلبك واجمع لهمتك فارجع الى موضعك فان احب الاعمال الى الله ادومها مع معرفة النفس والفقر الى الله تعالى فان للادب ثوابا وللصبر ثوابا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (واعلم) ان من يعجب بالاعمال اكثر من يهلك بها وكل عبد ميسر لما خلق له (واعلم) انّ من يهلك بالتفريط والتضييع اكثر وينبغى للمؤمن

قوله ربح بالتشديد كطب وزنا ومعنى اه

أن يكون راغباً راهباً لا يأمن ولا ييأس (واعلم) انه يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خبالاً ان كنت مقلاً عندك من الدنيا شيء يسير تريد أن تقوته نفسك أمرك بالصدقة ورغبك فيها لتخرج ما في يديك وتحتاج رجاء أن يظفر بك في حال الغفلة وان كنت غنياً أمرك بالامساك ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة وقال لك ابداً من تعول والملك تكبر وتضعف ويطول عمرك يريد بذلك أن تصير الى حال الجهل فيظفر بك وان كنت تصوم وقد عرفت بالصوم واحببت أن تريح نفسك قال لك قد عرفت بالصوم لا تفطر فيضع الناس أمرك على انك قد كبرت وتغيرت وفترت وعجزت فان فات مالي وللناس قال لك صدقت أفطر فان المحسن ممن سيضعون أمرك على احسن الوجوه فان قبلت ذلك منه وافطرت على ان الناس سيضعون أمرك على احسن الوجوه والمنزلة لا تسقط عندهم بإفطارك فقد عطبت وان أنت نفيت ذلك تركه ونصب لك باباً آخر فقال لك عليك بالتواضع ايشهرك عند الناس وكلما ازددت تواضعاً على قوله منه للشهوة والشهرة ازداد كلباً عليك (فاتق) ما وصفت لك والجأ الى الله في أمورك كلها واترك كل شيء من الدنيا لعمل الآخرة رغبة منك في الآخرة وحباً لها وايثاراً لها على الدنيا فبحسب ايثارها تصل اليها وبقدر حبك لها تعمل لها واقل الدنيا وابغضها فبقدر بغضك لها تزهد فيها وانظر ان كنت ذا علم تخف أن توقف يوم القيامة فيقال لك بعداً وسحقاً بعد العلم والتبصر ملت الى الدنيا وتركت العلم والعمل واخترت ما أسخط الله ما غرك بربك الكريم أيها المغرور فليعبد الله العالم بطاعة العلم وليترك طاعة الجهل وليترك الاغترار (واعلم) أن الشيطان يوم القيامة يتبرأ من جميع من أطاعه في الدنيا وهو يقول في الدنيا من ظن انه ينجو مني بحيلة ففي حبالي وقع قال الله تبارك وتعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فافهم واحذر وافطن وانظر وحارب واستعد وكابد وجاهد واستعن بالله تعالى (واعلم) ان العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها ثواب الله وحده فثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون وان أراد بها ثواب الله وغيره هلك (واعلم) ان أولى الاشياء

بالعبد أن يخلص عمله كله لله والكلام فيه كثير غير أن الاصل فى اخلاص العمل أن يعمل العبد العمل كأمر يديه الله لا يحب أن يطلع عليه أحد من الناس فان اطلع أحد على عمله كره ذلك بقلبه ولم يسر بذلك ولم يحب أن يحمده أحد على شئ من عمله ولم يتخذ به منزلة عندهم فهذا أصل اخلاص العمل والله المستعان (وأما الرياء) فهو أن تحب أن يحمدك الناس على شئ من عملك أو تقوم لك به منزلة عندهم ومن أراد العمل اقتصر على القليل ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير (واعلم) ان الناس فى العمل على ثلاثة أصناف (صنف) اهملوا انفسهم فى العمل من البر فعلوا ليعرفوا بالخير فهم الهالكون (وصنف) أهل رهبة من الله ورغبة فيما عنده يكابدون الاعمال بالصدق والاخلاص ويتقون فساد الاعمال ولا يحبون المحمدة من المخلوقين ولا المنزلة عندهم ولا يعملون شيئا من العمل للناس ولا يتركون من أجلهم شيئا وأحيانا تعرض لهم العوارض وأحيانا يسلمون منها (وصنف) قوى اخلاصهم واستقامت سريرتهم وعلانيتهم اخلاصا والعمل لله وتركوا الدنيا بعد معرفتهم بها ونظروا اليها بالعين التى ينبغى أن ينظر بها اليها فرأوا عيوبها فمقتوها وصدقوا الله فى مقتهم لها وتركوها زهدا فيها وصدقوا الله فى ذلك فمات ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها فى قلوبهم قرار لقوة التعظيم لله فى قلوبهم فلما استوت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لاهلها فى قلوبهم مستقر ولا قرار فالحمد لله ذى المن والفضل العظيم ومن الرياء أن العبد يرائى أهل الدنيا بالدنيا فى لباسه ومركوبه ومسكنه وفرشه وطعامه وشرابه وخدمه حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يريد بها صيانة نفسه وهو رياء وليس كالرياء بالاعمال التى يبتغى بها وجه الله لان المرائين من المؤمنين يخاف عليهم من النار لقوله فى الحديث ولكنك فعلت ليقال فلان كذا وكذا فقد قيل ذلك (وهذا) الذى راءى بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وهذا مع ما فيه من الفساد أهون من الباب الآخر وكلاهما شديد والله المستعان وذلك ان المفاخر غاية يريد اقامة مرتبته عند الناس فلو كانت له الدنيا كلها لاحتاج اليها لما معه من حب الدنيا وذلك ان قلبه مشغول عن الله تعالى ومن

طلب الآخرة وهو مع هذا خائف وجل من أن تنزل به نازلة تغير حاله فيتغير من كان له مطيعا فما أشد مضرة هذا الباب (وعلامة المريد) النظر الى من هو دونه فى الرزق والى من هو فوقه فى العمل للآخرة ويتواضع ولا ينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتكاثر ولا يأخذ ما أخذ لنفسه ولا يترك ما ترك لنفسه وما أخذه فانما نيته فيه القوة على دينه واقامة فرائضه والاستغناء عن غيره ويدع جميع ما كان للناس من ذلك (وأما العجب) فأصله جحد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد الى نفسه وأفعاله وينسى أن ذلك انما هو منة من الله تعالى عليه فيحسن حال نفسه عنده ويقل شكره وينسب الى نفسه شيأ هو من غيرها وهى مطبوعة على خلافه فان غفل هلك واستدرج وكان معجبا بعبادته مزريا على من لم يعمل عمله قد عمى عن عيوب نفسه فيكون مستكثرا لعمله مسرورا به راضيا عن نفسه فربما يسعى فى هواها غضبه لها ورضاه لها ولا يخلو المعجب بعمله من أن يكون مرائيا لانهما قرينان لا يفترقان ولا يكون المعجب محزونا ولا خائفا أبدا لأن العجب ينفى الخوف (واعلم) يا أخى ان الناظر الى الله فيما يعمل قد نفى العجب عنه لعلمه ان العمل انما هو من الله تعالى وهو قائم بالشكر له مستعين بالله عز وجل على كل حال متهم لنفسه قد نفى الاعمال كلها عنها فليس لها عنده فيها حظ ولا نصيب (واعلم) انهم صنفان (صنف) علماء أقوياء فهم الذين نظروا الى الله فيما يعملون فحمدوا الله على ما وهب لهم من قليله وكثيره (وصنف) نظروا الى السبب الذى أعطاهم الله فاشتغلوا بشكر السبب والصنف الاول أقوى من هؤلاء أولئك لا يعرض لهم العجب لعلمهم به وهؤلاء ربما أعجبوا بالسبب وربما انتفى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا بشكر ذلك فالتهم حسنة وهم دون أولئك وان ركنوا الى ما يدخل عليهم من العجب فقد هلكوا الا أن ينبه الله من شاء منهم فيتوب عليه (والعجب كثير) وهو آفة المتعبدين من الاولين والآخرين وهو من الكبر والكبر آفة ابليس التى أهلكه الله بها (وأما الشهرة) واشارة الناس الى العبد فانها لن تضر الا من أرادها والمرء ملبس زين عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فكم من مستتر بعمله قد شهره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ

المنزلة عند الناس قد شانه الله به وانما يصلح ذلك ويفسده الضمير فان أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعا وان أراد الله وحده وكان مخاصا لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف وربما لحقه حب معرفتهم اياه بالعمل فيخرج به الى الباب الذي يحبط الاعمال ومن ذلك حب معرفتهم اياه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله وفي الله فان قام بذلك ونفي ما يحبه وكانت نصيحته لله وللمؤمنين ونجاة نفسه نجا وان اعتقد شيئا من اتخاذ المنزلة أوحب الثناء أو طلب رياسة أو ليقبل قوله فقد شرب السم الذي لا يبقي ولا يذر ولا عاصم من ذلك الا الله (والرياء) والعجب والكبر والشهرة انما هي من اعمال القلب فتوسل يا أخي الى الله في اصلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله من ارادتك انها له خالصة خاصلك الله من كل آفة دخلت عليك والله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ومن خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ ومن أحب الله احبه كل شئ والله مسبب العبادة وانما تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل وسياسة العلم وسابقة الخوف فاذا أردت عملا فابتغ بذلك ثواب الله واكثر ما تؤمل من الله النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يهون عليك العمل ويخاصه الله من الآفات ويقويك عليه فاذا عملت فاشكر وانظر هل ينقص من بدنك شئ في ايلاك ونهارك اتعقد النية فيما يستقبل وانظر اذا صبحت كيف مضت عليك ليالتك بتعبها ونصبها وبقي لك ثوابها وسرورها يكن ذلك قوة لك على ما تستقبل فالحسنة لها نور في القلب وسرور ويجد العبد حلاوة ذلك السرور وضياء ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقرة العين وحلاوة القرب اليه ولم يدعهم حتى حببهم الى الناس وحتى نظروا اليهم بالهيبة لهم والاجلال مع ما في قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفهم الناس وكانوا من اهل الجهالة بهم كانوا أرفع خلق الله في الدنيا ومن كان بالطاعة عاملا كان من أعز الناس عند الناس واغناهم بالله ومن هاب الله في السريرة هابه الناس في العلانية وبقدر ما يستحي العبد من الله في الخلوة يستحي الناس منه في العلانية وينبغي للعالم أن تكون محبته في العمل بالحسنات سترها ونسيانها فانه سيعرفها

له من لا ينساها ويحصي له مثاقيل الذر من عمله وان ظهرت الحسنات فليعرف نفسه ولا يغرنه ثناء من جهله ففكر أيها العامل في العواقب فان أحببت أن يحمدك الناس أو يفطنوا بحسناتك اذا عملتها ليكرموك ويجلوك فقد تعرضت لمقت الله عز وجل لك ويحك انك ان أسقطك الله سقطت فلا تعثر من الوجهين جميعا وان سلمت لك آخرتك سلمت لك دنياك وان خسران الآخرة خسران الدنيا والآخرة جميعا ومن ربح الآخرة ربحهما جميعا (واعلم) انك ان غضبت على الناس في شئ هو لنفسك فأبديته لهم أو لم تبده لهم علم ذلك من قلبك فقد تعرضت لغضبه اذا أظهرت انك انما غضبت لنفسك (واعلم) ان الله جل ذكره لا يخفى عليه من أمرك خافية وليس الفرق بين غضبك عليهم وبين سرورك بهم وفرحك بثنائك بحسناتك وأنت تريد ثوابها من ربك لقد ابتليت أيها العبد بحسناتك وعظم فيها بلاؤك ولعلها أضر عليك من بعض سيئاتك فان بلغ بك البلاء أن تفرح اذا مدحوك بغير عملك أو بأكثر من عملك فقبله فان أحبط الله عملك ثم تصير الى حال تحب مجيء الاخوان اليك في أوقات الاعمال فتفرح وان أتوك في وقت فراغك غمك ذلك والله سائلك عن ذلك كله وتظهر منك الحزن وتوهم الناس ان ذلك من شدة الاهتمام بالآخرة وانما ذلك منك تصنع تحب أن يحمدوك على ذلك فأنت اذن قد هلكت من الوجهين جميعا فخف الله في سرائر نفسك وعلانيتها واحتقر حسناتك جهدك واستكثر منها ما استطعت حتى يعظم قدرك عند الله وتعظم حسناتك واستكبر صغير ذنبك حتى يصغر عند الله وخف من صغير ذنوبك أن يحبط الله به عملك كله وارج بحسناتك أن يمحو الله بها عنك كل سيئة عملتها فارج حسناتك وخف سيئاتك ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (وينبغي) للعبد أن يعرف عجزه وضعفه فيقطع سببه من نفسه ويرجع الى العز والمنعة ويتوجه الى الملك القادر على ما يريد بالاعتصام والتوكل والاستصغار والانتصار به على الاعداء فيجد عند ذلك العز والروح والفرج والمنعة ويفوض أمره الى الملك الجبار فما اختار له من شئ رضي به وسلم فان عرض له بعد ذلك غم أوروع علم ان ذلك بلوى من الله فيرجع اليه حينئذ بالانكسار والافتقار اليه لما فرط منه

ويطلب الروح والفرج بالتقوى وهو استماع العبد الى قول ربه ما أمره به فعله وما نهاه عنه تركه حتى تكون كلها مجموعة له فى روضة واحدة (فانظر) يا أخى ولا تدع ما فيه المخرج الا اخرجت منه وما كان مما فرط منك مما لا حيلة فيه الا الندم والاستغفار فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك والاضطراب فى حضرة الله والاجتهاد قبل فوات الايام وهجوم الموت عليك وأكثر مع الندم الصحيح ذكر ما ندمت عليه ولا تفرغ عما أمكنك من الاستغفار ثم عليك بعد بالتخلص من العائق الذى يشغل عن الله جل ذكره حتى تكون مؤثر الله على ما سواه وهذا هو الطريق الى سبيل النجاة والله المستعان (واعلم) ان من دلالات العقول والعلوم تأسيس التقوى فاذا كان ذلك كذلك صار العبد حى القلب قابلا للموعظة معظما لما عظم الله مصغرا لما صغر الله فاذا كان ذلك كذلك فقد أحيا قلبه بالعلم والعمل ولو أن رجلا أحيا قلبه فى كل يوم ألف مرة ويكون بين الحياة والحياة موتة لخفت عليه حتى تكون حياته دائمة تموت به خواطر نفس ليس لها قرار والخاطر اذا صرم اصله وقطع دخل عليه الحزن والبكاء فلا يكون مسرورا بالعارض ولا مشغولا بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة ان شاء الله والله المستعان واذا لم يكن مع العبد ورع وغم عند الخاطر فهو ميت فاذا كان كذلك فليرجع الى التقوى والاخلاص والصدق والتخلص مما يكره الرب والحياة يتولد من العلم المفهوم فاذا علم وفهم العلم بما أمره الله به قبل الموعظة لنصحه بتعظيمه ما عظم الله والقلب الحى تكفيه غمزة فينتبه والقلب الميت لو قرض بالمقاريض لم ينتبه ولم يحى وذلك ان الله عز وجل يقول أومن كان ميتا فأحييناه وذلك لمن قبل وأجاب الداعى ومن لم يقبل الموعظة ولم يجب الداعى فانه كما قال عز وجل أموات غير أحياء وما يشعرون ومن علم أنه ميت فقد حيى بعلمه انه ميت ولا ينفعه العلم الا بالقبول وايثار الرب على هواه فمن كان مقرا بأنه عاص وليس يتحول وليس معه الروع والغم الشديد وهو على حالته التى ليس يرضاها ولا يبادر بالتوبة والتطهير فهو ميت ولا ينفعه علمه الا أن يتوب الله عليه قبل موته فيحيا بالتوبة ويرجع الى الرغبة والرهبة والطاعة ومن أراده الله وفقه ونبهه من الزلة وايقظه من الغفلة

وانما هذه كلها مواريث حب الدنيا واتباع الهوى وطول الامل (وينبغى) لمن كان يبتغى لنفسه طاعة ربه أن يرجو ماثقل عليه من البر ويتهم ماخف عليه من ذلك لان قليل الصدق يثقل خفيف العمل والكذب من النية فى العمل يخفف ثقيل العمل وقليل الصدق أوزن وأرجح من كثير الكذب (واعلم) ان ارادتك العمل عمل فانظر فى ارادتك حتى يصح لك عملك ويراك الله لنيتك طالبا ولها مصححا كما يراك فى عملك مخلصا فان الاعمال بالنيات (واعلم) انك ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل ربحت عملك وظفرت بأكثر من عملك (واعلم) ان عدوك ينظر الى ابتداء نيتك وابتداء عملك وقد يخفى عليك سقم نيتك كما يخفى عليك سقم غيرك فاحذر أن تكون نيتك سقيمة فقم على تصحيحها فان العمل تابع للنية ان صحت صح وان فسدت فسد (واعلم) ان العدو اذا رأى فى نيتك سقما رغبك فى ذلك العمل ولم يثقله عليك بل يخففه عليك مخافة أن يقنطك بالسقم ويود حينئذ أن الناس كلهم أحبوك فى ذلك العمل ومدحوك اذا ظفر منك بسقم النية ويزيدك قوة ونشاطا فى عملك ويحسنه عندك وفى أعين الناس ويحببهم اليك فكلما أثنوا عليك استحليت عملك وخف عليك وقد سترعنك داء الحسنات وداء السيئات ومن داء الحسنات انه لايمنعك من تركها الا مخافة أن تسقط من أعين الناس (واعلم) ان ربحه منك اذا سقمت نيتك أكثر من ربحه منك اذا أحببت الدنيا واتسعت منها ومن داء السيئات سقم نيتك (واعلم) ان العدو ربما أفسد الحسنات أولا بسقم النية وربما أفسدها آخرا بتعظيم الناس لك فاذا علم أنك لاتحب ذلك ولم تجبه الى معصية خذلك وذلك فاحذره على عملك كله من حيلة الخبيث واذا رأيت العمل قد خف فكن أشد ماتكون له حذرا اذا خف على نفسك العمل فهو أفسد مايكون اذا صح عندك (واعلم) ان الشيطان أعرف بك وبما تهواه نفسك منك ولا تدع العمل من أجل آفته ولكن اعمل بنية وصحة واستعن بالله وكن حذرا طالبا للخلاص كارها معاندا لفساد العمل لاتريد الثواب الا من الله وحده وطالب الدار الآخرة ولا تعمل ليعطيك فى الدنيا ثوابا فان الذى قدر الله عز وجل أن يصل اليك من رزق أو أجر أو ثناء فانه صائر اليك فعليك بالصدق واتخذه

ذخرا ليوم ينفع الصادقين صدقهم وانظر اذا صح عملك عندك فكن أخوف ما يكون من فساده ولا تأمن عليه من الفساد فتفسده فان آفة العمل الآمن عليه (واعلم) ان الآمن على الحسنات أضر عليه من السيئات والآمن على السيئات أضر عليك من السيئات (واعلم) ان أمنك على الحسنة أحب الى ابليس من السيئة وقنوطك بعد السيئة أحب الى ابليس من السيئة واستصغارك السيئة كبيرة أحب اليه من سيئة بعد سيئة واستصغارك السيئة أردتها ثم تركتها أحب اليه من كبيرة ثم أتيتها ثم استغفرت منها لعظمها عندك فافهم ما ألقي اليك من هذا الباب واحذره (واعلم) ان ابليس الخبيث يجري على ألسنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه ويزيد الكاذب في عمله قوة حتى يستوي بين الصادق والكاذب فاحذر تجديد القوة في العمل عند تجديد المدح فان له سطوة وسلطانا يزيد الكاذب كذبا ويفسد على الصادق صدقه فلا تظهر الخوف من قلبك ولا تظهر قلة الخوف فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا باب فيه فساد للعمل كبير وهو رياء فيه لطف وله حلاوة واياك أن تقول واحزناه على الحزن وأخاف أن لا أكون أخاف واحزناه على الأحزان فان هذه أشياء من دقائق مداخل ابليس والله سائلك عن بكائك واظهارك الخوف والحزن واظهارك انك لست بحزين واظهارك انك لا تخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع واظهارك الهم بامر الآخرة وذمك نفسك وماذا أردت بذلك كله ولابليس في هذه الخصال مذاهب تلتبس على كثير من الناس وهي تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها وفي وقتها حذرا شديدا والله المستعان (وانظر) كيف يكون احتمالك اذا قال لك غيرك ما تقوله أنت لنفسك من الذم والوقيعة فيها حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت في فعلك أم كاذب فاذا كان باطنك كظاهرك لم تبال كيف كان أمرك وقم على باطنك أشد من قيامك على ظاهرك فانه الموضع الذي فيه الله مطلع فنظفه وزينه لينظر الله اليه أشد ما تزين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما أقول لك بعناية منك وقبول (واعلم) ان فرائض جوارحك انما تقوم بفرائض قلبك (واعلم) ان النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرائض

وقد بنى علم الاعمال وترك الذنوب فريضة فكل أمر فيه معصية فهو مردود ومحال أن يتقرب الى الله بمعاصيه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم (واعلم) أن الله فرض الارادة له بالايمان والاعمال يراد بهما وجهه فاصاب المؤمن الصادق بنيته الفريضتين جميعا الظاهرة والباطنة (واعلم) انك ان عملت بما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا بما فيها على أن تظهر حسناتك أو تراءى بها ما فعلت (واعلم) ان المريد فى ترك الميتة يخاف من الله أن يشبع منها ويخاف منه أن ينال منها وهو مستغن عنها ويخاف منه أن يدنو منها وهو محتاج اليها فهو يخاف من الله أن يعصيه فيما أحله له ويخاف أن يشبع مما اباحه له فمن قام فى هذا المقام من أهل الدنيا فقد بلغ الغاية من الزهد فيها واقام الاشياء كلها التى فى الدنيا مقام الميتة فانما ينال منها البلغة عندما اضطر اليها ويخاف من الله ان ترك أخذ تلك البلغة فى وقت الضرورة أن يعذب على تركها كما يخاف أن يعذب على أخذ الحرام البين (واعلم) ان تمام الاشياء كلها انما هو بالقيام بما أمرك الله به والانتهاء عما نهاك الله عنه (واعلم) انه ليس من عقلك أن تأخذ ميتة فتخزنها ولا ان فاتت حزنت عليها ولا ان وجدتها فرحت بها لانك منها على مقت لها وتقذر منك لها فاذا اخذت منها أن تنالها نفيت المخافة التى حلت بقلبك حلاوتها وهى الدنيا فتجتزئ منها بما اقام صلبك واديت به فرضك ودع ما سوى ذلك يكابده غيرك والذى تحتاج اليه من الدنيا يسيرها وهو ما تستر به عورتك وتقيم به صلبك لاداء فرائضك وما كان وراء ذلك فهو من الدنيا ومنتهى طالب الآخرة ترك الدنيا ومنتهى طالب الدنيا جمع ما أحببت من الدنيا فاذا رأيت نفسك تأنس بقرب الدينار والدرهم وتستوحش لفقدهما فاعلم انك محب للدنيا ومن كان محبا للدنيا فهو قال للآخرة اه

(فصل فى الصدق والعقل) واعلم ان الاصل الذى يحترز به مما تقدم ذكره انما هو الصدق والعقل والصدق محله القلب واذا كان كذلك فينبغى الاعتناء بشأنهما (وما) قاله الشيخ الامام عمر بن رزق رحمه الله فى ذلك فيه غنية عن غيره وبيان تام (قال) رحمه الله اعلم يا اخى علما يقينا لا شك

فيه ان الصادق لا يكذب أهله ولا يألوهم نصحا في ارتياده لهم فان أخاك من صدقك ونصحك وان خالف صدقه ونصحه هواك وان عدوك من كذبك وغشك وان وافق ذلك هواك (واعلم) يا أخي اني لما أطلت الفكرة وصححت في ذلك النظر علمت ان الله جل ثناؤه بارئ النسم وولي النعم ومالك الأمم لم يخلقني واياك عبثا ولا هو تاركي واياك سدى وان لي ولك معادا نقف فيه بين يدي الملك الجبار للحكم بيننا وللفصل فينا وانه لم يخلقني واياك حين خلقنا للهزل ولا للعب ولا للفناء دائم وانما خلقنا لبقاء الابد ودوام النعم في جواره وجوار ملائكته وانبيائه او في الشقاء الدائم للابد فالعاقل متيقظ لما خلق له مستعد لما هو صائر اليه فانتبه من رقدته وافاق من سكرته فعمل وجد وابصر فزجر النفس عن دار الغرور الخاذلة الخادعة الزائلة التي قد دلت بخدعتها وفتنت بغرورها وشوقت بحطامها فلما عرفها العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب في دار البقاء والسرور وتقرب الى مالك الدار بجميع ما يحب مما يطيق التقرب به اليه ورتب بر أبه واما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو معتنقها أيها الميت عن قريب والمبعوث بعد موته الى دار الاقامة المسؤول عن اقباله وادباره في دار الدنيا الموقوف عن قليل بين يدي الملك الجبار الذي لا يجور هل أعددت لذلك الموقف حجة تدافع عنك أو أعددت للسؤال جوابا فان الله يقول ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر فاياك يا أخي والنزول بحلة المخدوعين (واعلم) ان السيد الكريم نعمه كثيرة لا تحصى وان عطاياه كثيرة لا تجازى وان مواهبه كثيرة لا تكافأ (واعلم) يا أخي اني لم ار نعمة متقدمة من الله عز وجل لخلقه أفضل من نعمة العقل التي جعلها الله دلالة لخلقه على معرفته والوصول بها الى محض الايمان به والذي أطلعهم الله به على مكنون علمه حتى ورثوا البصائر ونفوا به خاطر الشك وكابدوا وساوس الشيطان ومعاريض فتنته واستضاءوا بنور العقول في طريق حيرتهم فتجنبوها وخرجوا من ظلم الشك واعتقدوا بها معرفة الله والايمان به والاخلاص والتوحيد وأفردوا الله جل جلاله وتقدست أسماؤه بالربوبية والعظمة والكبرياء (واعلم) ان اهل اللب استدلوا به على خالق

رتب كوقف وزنا ومعنى اهـ

انفسهم وعلى خالق الخلق كلهم وانهم موسومون بسمة الفطرة وآثار الصنعة والنقص والزيادة مع تغيير الاحوال فاول ابتداء الله لهم أن وهب لهم العقول التي بها وصلوا الى الايمان وبالايمان وصلوا الى نور اليقين وبنور اليقين وصلوا الى خالص التفكر وبخالص التفكر وصلوا الى استقامة القلوب وباستقامة القلوب وصلوا الى الصدق في الاعمال واخلاصها لله تعالى فورثهم ذلك البصائر في قلوبهم فوضعت الحكمة في صدورهم وجرت ينابيعها على ألسنتهم فوسعوا بفطن قلوبهم على غوامض الغيوب والارادة والاخلاص الذي ركب فيهم وادركوا بصفاء يقينهم غائص الفهم وادركوا بغائص فهمهم العلم المحجوب وعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا عليه حق توكله ووصلوا اليه الخلق والامر فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة وينابيع للحكمة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلتذ في حجب الغيوب وتخطر في طرقات الجنات فالحمد لله الذي لا اله الا هو العظيم الذي من والانعمه واغناه (واعلم) يا اخي ان من صدق الله أوصله الى الجولان في ملكوت السموات بقلبه ثم يرجع اليه بطرف ما قد افاده السيد الكريم فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد وعجائب فكر لا تنقضي ومعادن جواهر لا تفنى وبحور حكمة لا تنزح ابدا ومع ذلك ملكوا الجوارح والابدان (واعلم) يا اخي ان في ابن آدم مضغة ان صلحت صلح سائر جسده وان فسدت فسد سائر جسده وهي القلب (واعلم) انه لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه ومن اجل ذلك صار القلب واللسان ملكي البدن والجوارح والقلب هو السلطان على استخدامهم وذلك انه معدن العقل والعلم والعناية لجميع الخير والشر مستودع القلب (واعلم) يا اخي اني وجدت اللسان مترجما عن القلب ارادته وذخائر بصائره ووجدت الذكر جلاء اصدأ القلوب وتيقظا من وسن الافئدة (واعلم) اني وجدت الشكر على من اختصه الله بنور العقل اكثر والحجة عليه آكد فمن ههنا الزم الحجة وانقطعت المعاذير مع الاعذار والانذار فلله الحجة البالغة علينا وعلى اهل العقول من خلقه وما اعرف ان احدا اتى الا من قبل تضييع الشكر لانه ليس من ولد آدم احد الا وهو

قوله بطرف كعقف وزنا ومعنى اهـ

مختص بنعمة العقل الا قليل فنهم من حتى له من الشكر وحتى عليه ومنهم
من أعطى من العقل دون ذلك فشكر الله على قليل ما أعطى فزاده الله حتى
علا فى درجة العقل ومنهم من كفر النعمة فلم يأخذها بشكر فنقص عن درجة
العقل لأن العبد قد أعظم الله عليه النعمة فى العقل فينبغى أن يكون شكره
على قدر عظيم النعمة عليه (واعلم) ان العقل والهوى ضدان مركبان فى
العبد كتركيب الجوارح وهما يعتركان فى قلب ابن آدم فأيهما غلب استعلى
على صاحبه واستولى على العبد فكانت أعماله كلها بما استولى عليه فكان
له تبعا فشكر العبد اذا كان لله على نعمة عقله أن يتبع دلالة علمه وعقله
فيؤثر دلالتهما ومايدعوان اليه على هوى نفسه (واعلم) ان الامر عظيم على
قدر ما نرى من غلبة الهوى علينا واستمكان الدنيا من قلوب علمائنا وجهالنا
فلما كان ذلك منا كذلك عز وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصفه
وقل العمل به والقيام بحقه وقد فشا الكذب وكثر الرياء والتزين للدنيا
وسلوك أودية الهوى ونزول أودية الغفلة ولا يؤمن السبيل أن يركب
على تلك الغفلة فتتلف النفس وان الهوى قد قام مقام الحق يعمل به
ويقضى بقضائه ويحكم بحكمه وقام سوء الادب والمكر والخديعة مقام القبول
وقامت المداهنة مقام المداراة وقام الغش مقام النصح وقام الكذب
مقام الصدق وقام الرياء مقام الاخلاص وقام الشك مقام اليقين
وقامت التهمة مقام الثقة وقام الأمن مقام الخوف وقام الجزع مقام
الصبر وقام السخط مقام الرضى وقام الجهل مقام العلم وقامت الخيانة
مقام الامانة فصار من قلة الاكياس لا تعرف الحق ومن قلة أهل الصدق
لا يعرف أهل الكذب الا عند أهل الفهم والعقل والبصيرة فاعتدل
الناس فى قبح السريرة وقلة الاستقامة فى أمور الآخرة الا من عصم الله
فاصبحنا وقد حيل بيننا وبين النقص الذى نكرهه من أنفسنا وحيل بيننا
وبين أن ندخل فى الزيادة التى نحبها الا نفسنا عة وبه أقبح اسرارنا فجرينا فى
ميدان الجهل وغلب علينا كرحب الدنيا فنحن نستبق فى هذين السبيلين
ونتنافس فى الاستكثار منهما فصح عندى أن من الجهل بامر الله
والاغترار به القيام على هذه الحالة والسلامة منها أيسر وأقرب رشدا وهو

أن يكون المرء في البلد الذي لا يعرف فيه مع التخلص الى خمول الذكر أينما كان وطول الصمت وقلة المخالطة للناس والاعتصام بالله والعض على الكسر اليابسة وما دنوّ من اللباس مالم يكن مشهورا والتمسك بالقرآن والصبر على الشدائد وانتظار الفرج (واعلم) انى قد نظرت بحث النفس والعناية بها فوجدت غفلتنا عظيمة وخطرنا عظيما والغفلة عن الخطر أعظم من الخطر لانه انما يعظم الخطر عند أولى العقول فكلما عظم الخطر وعلمت انه عظيم وكنت من أهل البصيرة حركك عظيم الخطر فانتقلت من عظيم الغفلة الى حال التيقظ ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

•(فصل فى ذكر الطمع وقبحه)• وقال رحمه الله ينبغى لك يا أخى أن لا تأذن لقلبك فى استصحاب ما يعسر عليك طلبه وتخاف اطفاء نور القلب من أجله وكن فى تأليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة واقطع أسباب الطمع فيستريح قلبك ويصير الى عز الاياس واماتة الطمع فيسد عليك سبيل الفقر ويسكن قلبك عن العناء ويسقط عنك بذلك الشغل بالمخلوقين واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الامل وقطعه واطلب راحة البدن باجماع القلب على عدم الشغل برؤية المخلوقين وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر من اهل العقول والمعرفة وحسن الادب التاركين افضل الكلام فان مجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق ويقدح فيه النور وتجرى فيه ينابيع الحكمة وافتح باب دواعى الحزن الى قلبك واستفتح بابه بطول الفكر واستجلب الفكر بالتوحش من الناس فان أبوابها فى مواطن الخلوات وتحرز من ابليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك بمخالفة هواك واياك والرجاء الكاذب فان التوسع فيه ينزلك بمحلة المصرين من أهل المكر والاستدراج وذلك لان للرجاء طرقا تؤدى الى الأمن والغفلة فاياك أن تتخذه مطية لسفرك وتخلص يا أخى الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثير الرضى بذلك واستقلل كثير الطاعة واستجلب النعم بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم واطلب لنفسك العز باماتة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الاياس واستجلب عز الاياس ببعد الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر الامل وبادره بانتهاز النعمة عند إمكان

الفرصة خوف فوات الامكان ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان واحذر التسويف فان دونه ما يقطع بك عن بغيتك واياك يا أخى والتفريط عند امكان الفرصة فانه ميدان يجرى باهله بالخسران واياك والثقة بغير المأمون فان للشر ضراوة كضراوة الذئاب ولا سلامة كسلامة القلب ولا عمل كمخالفة الهوى ولا مصيبة كمصيبة العقل ولا عدم كقلة اليقين ولا جهاد كجهاد النفس ولا غلبة كغلبة الهوى ولا قوة كرد الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب النفاق ولا طاعة كقصر الامل ولا ذل كالطمع وفقنا الله واياك لما اليه دعانا واعاننا واياك على اجتناب ما عنه نهانا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

•(فصل فى التزين)• وقال رحمه الله وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال العقول معادن الدين والعلم دلالة على أعمال الطاعات والمعرفة دلالة على آفات الاعمال والبصائر دلالة على اختبار عواقب الامور واختبار مواردها وتصريف مصادرها (والتزين) اسم لثلاث معان فتزين بعلم ومتزين بجهل ومتزين بترك التزين وهو أعظمها فتنة وأحبها الى ابليس (واعلم) ان الاساس الذى ينبغى للمريد أن يبنى عليه دينه معرفته نفسه وزمانه وأهل زمانه فاذا عرف عيوب نفسه وأراد ما خذ السلم به من شر نفسه ان شاء الله تعالى فليبدأ بالخلوة وخمول نفسه فلعله حينئذ أن يدرك بذلك الحزن فى القلب والخوف الذى يحجزه عما نهى الله عنه والشوق الذى يدرك به أمله من محبة الله والا لم يزل متحيرا متلذذا متزينا بالكلام يأنس بمجالس الوحشة ويثق بغير المأمون ويطمئن لاهل الريب ويحتمل اهل الميل الى الدنيا ويغتر بأهل الحرص والرغبة ويتأسى بأهل الضعف ويستريح الى أهل الجهل ميلا منه الى هواه الى أن يفجأه الموت وحلول الندم (واذا) وجدت المريد المدعى للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف ولا يهرب ممن لا يعرف وينبسط ويمكن نفسه من الكلام بين ظهرانى من يعرف فاتهم حاله اما أن لا يكون صادقا فى ارادته أو يكون جاهلا بطريق سلامته أو مغلوبا على عقله وعلمه مقهورا عليه هواه وما التوفيق الا بالله

العلى العظيم (واعلم) يا أخى علمنا يقينا لاشك فيه انا لم نبن أساس الدين على طلب السلامة فيه من الخطاء ولا على حسن السيرة منا فى الاخلاق والآداب ولكنا ابتنيناه على أساس الهوى وعلى ما خف محمله على قلوبنا واستخفته أنفسنا واستحلته ألسنتنا فأمضينا فيه أعمالنا طمعا فى الزيادة من التقوى بزعمنا ودركا حسن السيرة منا فى الاخلاق والآداب فنظرنا بعد ذلك فاذا قد رجعت علينا اعمال ايثار الهوى بالنقص من الزيادة فى الدين وبقبح السيرة منا فى الاخلاق والآداب بتظرنا الامور الدنيا والآخرة فورثنا ذلك الخب والغش والمداهنة فصيرنا الغش والمداهنة مداراة وصيرنا الخب عقولا وآدابا ومروءات يحتمل بعضنا بعضا على ذلك فأعقبنا ذلك تباغضا فى القلوب وتحاسدا وتقاطعا وتدابرا فتحابينا بالالسن مع الرؤية وتباغضنا بالقلوب مع فقد الرؤية نذم الدنيا بالألسن ونميل اليها بالقلوب ونذافعها عنا فى الظاهر بالقول ونجرها بالايدى والأرجل فى الباطن فأصبحنا مع قبح هذا الوصف وسماجته لا نستاهل به خروجا عن النقص ولا دخولا فى الزيادة فانا لله وانا اليه راجعون والله المستعان وأصبحنا لا نجد رجلا صادقا فنتأسى به ولا خائفا فنلزمه للزومه له ولا محزونا يعقل الحزن فنبا كيه فقد صرنا نتلاهى بفضول الكلام ونأنس بمجالس الوحشة ونقتدى بغير القدوة مصرين على ذلك غير مقلعين ولا تائبين منه ولا هاربين من مكر الاستدراج فنعوذ بالله من التولى عن الله والسقوط من عين الله والشغل بغير الله ان الله جل ذكره أوجب على نفسه للطاعة ثوابا أى ما وعد به سبحانه من التفضل والاحسان وعلى المعصية عقابا فالثواب لا يجب للعبد على الله الا من بعد تصحيح العمل وتخليصه من الآفات وتصحيح ذلك وتخليصه لا يتم الا بالمعرفة والاعتزام واحتمال مؤنته وتصحيح العمل والاعتزام والاحتمال والصبر على العمل لا يكون الا من بعد ثبات الخوف فى القلب والخوف لا يوجد الا من بعد ثبات اليقين فى القلب وثبات اليقين لا يكون الا من بعد صحة تركيب العقل فى العبد فاذا صح تركيب العقل فى العبد وثبت وقع الخوف مما قد أيقن به فجاءت عزيمة الصبر من غير تكلف فاحتملت النفس حينئذ مؤنة العمل طمعا فى ثواب ما قد أيقنت به على فعل الطاعة ورهبة عقاب ما قد أيقنت

به على فعل المعصية فتركت المعصية والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت الطاعة بالاخلاص رجاء ثوابها فكلف الاحمق الكيس ولم يعذر على لزوم الحمق وكلف الجاهل التعليم ولم يعذر على غلبة الهوى وكلف العامل الصدق والاخلاص والتيقظ فى عمله ولم يعذر على الشهوات والغفلة وترك الاخلاص فيه وكلف العاقل الصدق فى قوله ولم يعذر بالميل الى الكذب وكلف الصادق المخلص الصبر عن ابتغاء تعجيل ثواب عمله فى الدنيا من المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة والتعظيم وعندها انقطع العمال خاصة وحل بهم الجزع وتركوا عزيمة الصبر فى طلبهم تعجيل ثواب عملهم ولم يؤخر وا ثواب الاعمال ليوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وخدعتهم الانفس الامارة بالسوء عند دستر سرائر اعمالهم حتى أبدوها للمخلوقين بالمعانى والمعاريض وأظهروا الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا عند الناس فضيلة ورفعة فتعجلت أنفسهم ذخائر اعمالهم وحلاوة سرائرهم بحسن الثناء والتكرمة والتعظيم ووطء الاعقاب والرياسة والتوسعة لهم فى المجالس واغفلوا سؤال الله لهم فى عقدهم ان عملوا وماذا طلبوا وانخسروا أنفسهم واعمالهم وخسارة ماهنالك باقية وندامة ماهنالك طويلة لما وردوا على الله فوجدوا اعظيم ما كانوا يؤملون من ثواب سرائر أعمالهم التى عاجلوا فيها أنفسهم فى الدنيا فمنعوها هنالك لانهم قد كانوا تعجلوا ثوابها من المخلوقين وخرجوا من خير اعمالهم صفر اليدين فانا لله وانا اليه راجعون ما أقبح الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد العارف غب قلة الصبر وابتغاء تعجيل الثواب والميل الى الدنيا وايثار شهواتها ولذاتها فينبغى للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا ينبغى تعجيل الثواب ههنا وما التوفيق الا بالله العلى العظيم

(فصل فى الغيبة والنميمة) وقال رحمه الله اعلم ان مخرج الغيبة انما هو من تزكية النفس والرضى عنها لانك انما تنقصت غيرك بفضيلة وجدتها عندك وانما اغتبته بما ترى انك منه برىء ولم تغتبه بشئ الا وما احتملت فى نفسك من العيب أكثر وانما يقبله منك مثلك فلو عقلت ان فيك من النقص أكثر لحجزك ذلك عن غيبته ولاستحييت أن تغتابه بما فيك أكثر

الكيس كالعقل وزنا ومعنى اه

منه ولو علمت ان جرمك عظيم بغيبتك غيرك وظنك انك مبرء من العيوب لحجزك ذلك واشغلك عن ذلك وكيف وانما يأتى الاموات الاموات ولو كانوا احياء اذن ما احتملوا ذلك منك ولتناهوا (واعلم) ان ميت الاموات أحمد فى العاقبة من ميت الاحياء وتفسير ميت الاحياء اموات القلوب وهم أحياء فى الدنيا فمن كانت هذه صفته كثرت أوزاره وعظمت بليته فاحذر يا اخى الغيبة كحذرك عظيم البلاء أن ينزل بك فان الغيبة اذا نزلت وثبتت فى القلب واذن صاحبها لنفسه فى احتمالها لم ترض بسكناها حتى توسع لاخواتها وهى النميمة والبغى وسوء الظن والبهتان والكبر وما احتملها لبيب ولا رضى بها حكيم ولا استصحبها ولى لله قط فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل فى الاستدراج) وقال رحمه الله الاستدراج اسم لمعنيين فأحد المعنيين استدراج عقوبة للسيئة تنبيها على الانابة والمعنى الثانى استدراج لا انابة فيه ولا رجوع فنعوذ بالله من الاستدراج وانما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك والسلطان وطاعة الناس له ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك والسلاطين والحظوة عندهم ومنهم من يستدرج بالتوسعة فى تجارته بالتوسعة فى المال ومنهم من يستدرج بالاهل والولد والغاشية والتبع ووطء الاعقاب ومنهم من يستدرج بعلمه بأن يكرم بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله فيه ويستدرج بقليل حظه من علمه ومنهم العابد يستدرج من طريق العجب فى عمله والقوة على ذلك فى بدنه ومنهم ذو البصيرة يستدرج بالزيادة فى بصيرته فجميع من ذكرنا من المستدرجين كلهم لا يخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى الا انه على الطريق مقبول منه احسانه وقد عمى عن فتنة ما هو فيه من الاستدراج ومنهم من ينبه فينتبه فيرجع الى الانابة ويفزع الى الاستكانة ومنهم من يهمل فيهمل نفسه الى حضور أجله وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فهذه فتنة الاستدراج فنعوذ بالله من ذلك والمستدرج مفتون فلا يعلم بفتنته مزين له عمله مستحسن ما هو فيه طالب للزيادة على ما هو عليه مقيم فاحذر فتنة الاستدراج واعلم

أن

ان الاستدراج عقوبة للمضيعين شكر النعم

(فصل فى اليقين) وقال رحمه الله اعلم ان للموقن علامة واضحة تعرفها من نفسك ومن غيرك وهى ان الموقن يعظم عنده الخطأ والزلل وان كان غير مؤاخذ به لغفلته عنها وركونه اليها بالشهوات وهجوم ابليس على قلبه وطمع نفسه فيها واعظم منها اذا عمل منها شيأ ظن انه قد استوجب النار وانه مسلوب بها ما انعم عليه به فاذا كان العبد كذلك كان موقنا وهو يعلم (ان قلت) ما بال أقوام عارفين يذنبون (قلت) ليعرفهم الله فضله عليهم واحسانه اليهم عند اساءتهم الى أنفسهم فتتجدد عندهم النعم ويستقبلون الشكر فيصيرون بذلك الى أعلى درجاتهم انتهى

(فصل فى العجب) وهذا راجع الى ما تقدم ذكره من الاستدراج أعنى استدراج الملوك وغيرهم (لكن) بقى من الكلام على ذلك بقية يحتاج الى ذكرها فى هذا الفصل (قال) رحمه الله فالعامة معجبون بما أوتوا من الاهل والولد والاموال والارباح والمساكن والعلماء معجبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من الذكر والقراء معجبون بما نالوا من الثناء والتزمت بقراءتهم والعباد معجبون بما نالوا من القوة على اظهار الزهد والصلاة والصوم فليس من هذه الاصناف صنف الا وهو يحب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه واصل ذلك كله من التجبر وهذه فنونه فاذا ثبت التجبر فى قلب عبد ثبتت فنونه جميعا والتجبر أصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والرياء وحب التعظيم والرياسة والمنزلة والسمعة والتزين والطيش والعجلة وسوء الخلق والحرص والشره والمكر والخديعة والجربزة والغش والخلابة والكذب والغيبة والنميمة والحسد والقساوة والجفاء والشح وقلة الحياء مع فنون جميع الشر فنعوذ بالله من الشر كله

(فصل فى التواضع) وقال رحمه الله اذا ثبت التواضع فى القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرقة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضى والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق ونفى الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر والتشاغل عن النفس والمبادرة

التزمت كالتلون وزنا ومعنى اهـ

الجربزة كسفينة الذنب والخلابة بوزن الخيانة الخديعة اهـ

فى العمل بالخير والبطاء عن الشر كل امرئ على قدر ما فيه من البر يكون فعله على قدر ذلك ويكون حذره على قدر ذلك (فان) كنت تسأل عن العجب الذى دخل أصحاب الاعمال من العباد فسأخبرك بفتنتهم وشدة بليتهم فتوقها واحذرها واستعن بالله فانه ليس شئ أعجب الى ابليس الخبيث من فتنة العابد لان فتنة أهل الدنيا مكشوفة بطلبهم الدنيا والناس قد عرفوهم بطلبها وفتنتها فهم من يحتملها وهو يعلم أنه مفتون فيها وأما فتنة العابد فهى أعظمها فتنة وأعظمها بلية وأعظمها اصرعا لانهم قد تركوا عبادة الدنيا وجدوا فى طلب الآخرة وكابدوا المفاوز والقفار وجاهدوا صعود العقاب وجاهدوا أنفسهم على ترك الدنيا لمعرفتهم بالنفس وما تدعو اليه ولمعرفتهم بالدنيا وما تدعوهم اليه وأقبلوا على طلب الآخرة وايثارها بالصدق منهم وحسن الارادة غير ان الله جل ذكره امتحن هذا الخلق فى كل أحوالهم فى تمسكهم بالدنيا وفى تركهم لها وفى طلبهم الآخرة وايثارهم لها بالجد والاجتهاد وجعل فى كل نوع من ذلك مؤنة لا تدفع الا بالصبر وعدا ابليس وعداوه ومنحه له الى يوم القيامة بأن أسكنه هو وذريته صدور بنى آدم يجرى منهم مجرى الدم وذلك ان أطاع منهم ولمن عصى ولا وليائه وأعدائه فليس للعابد فى عبادته أن ينفى الشيطان عن قراره أو يزعجه عن المسكن الذى أسكنه الله فيه ومكنه منه وهذه من المحن التى امتحن الله بها خلقه لينظر كيف يعملون غير ان العبد اذا تيقظ بقلبه خنس الخبيث عنه فلم يكن له شئ الا مع غفلته وطبع الله الخلق كلهم على الغفلة والتيقظ وأيد الله العابد بمكايدته ابليس فليس أحد أحوج الى صحة تركيب العقل فيه من هذا العابد الذى قد قصد خلافه وقوى على احتمال ترك الاسباب التى يصل بها ابليس الى ابن آدم من فنون الشهوات فقذف ذلك أجمع وخلفه خلفه ثم قرب من العقبة التى ان جاوزها كان منحدرا الى الجنة باذن الله فتجرد له ابليس وعلم أنه لم يبق عليه الا هذه الدرجة التى ان سلم منها نجا فلا يسلم فى مثل زمانك مع كثرة هذه الفتن والمحن الا من كان على مثل ما وصفت لك

العقاب بالكسر جمع عقبة اه

(فصل فى النية والعبادة) وقال رحمه الله ينبغى للعبد أن يصحح نيته

التى

التي هي قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذهنه وعنايته ويقرر عمله فيما يأتي ويتبصر في عبادة ربه ويقصد معرفة ربه ومكايدة عدوه ومجاهدة نفسه وإياسه اياها من عملها الطالب الثواب لأنها ان انقطعت عن عبادتها لم تبلغ درجة العفو وأعظم ما جنت من الاساءة ولو أن تلك العبادة والاحسان بإزاء ذنب من ذنوبها الاستاهلت بذلك الذنب العقاب الا أن يغفر فكيف بجميع اساءتها مع قلة ما يستقبل من صماد التوبة والمراجعة ثم يحملها على طاعة الله ما استطاعت فان عارضها ابليس بشئ أو رفعت نفسه رأسها اتذكره شيئاً من احسانها منعها بما قد عرفه الله من قديم اساءتها ويذكرها عيوبها فتقمع عند ذلك ويكون ذلك زاجراً لعدوه ان شاء الله تعالى عندما يريد من خديعته ليوقعه في العجب بالباطل فلو كان يجب عجب حقيقة من احتمال نفسه طاعة ربها بشاشة منها وسرور وزهد فيما يكره الله لكان أولى الاشياء باليقين مع صدقها في الطاعات الرجوع الى الشكر لان العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسر له من العمل ومن غفل عن الشكر في العمل كان جاهلا بربه جاهلا بالعمل جاهلا بالنعم ومن عقل الشكر وذكر نفسه احسان الله رجع الشيطان بعون الله صاغرا ناكصا على عقبه فالزم نفسك الندم وارجع الى ما عرفك ربك من معرفة نفسك وعدوك وارغب الى الله في العصمة من شر نفسك وشر عدوك واسأله الكفاية فانه لم يلجأ اليه أحد في شئ من ذلك الا وجده قريبا مجيبا فاذا صار العبد الى هذه الدرجة أعطى هذه المعرفة فلا يكون له همة ولا بغية ولا مسئلة الا النقلة من ضيق الدنيا وغمها مخافة أن تعارضه فتنة من فتنها تحول بينه وبين معرفته ويرتجي أن يصير الى الآخرة وروحها اليأمن فيها على نفسه من روعات ابليس وجنوده وأنا أوصيك أن تطيل النظر في مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك النظر الى تركها

(فصل في العلم) وقال رحمه الله اعلم أن لدواعي الخير علامات يستجاب بها دواعي الحزن والتفكر فهو بين ذلك مسرور لانه جعل ذلك في الدنيا بغيته وأمله وإذا أدرك أمله ووجد بغيته طاب عيشه كما ان طالبي الدنيا اذا

صماد بالكسر بوزن سداد ما يسد به القارورة

ادركوا آمالهم من نعيمها وزهرتها أحاط بهم السرور فكذلك طالب الآخرة وهو بعد ذلك من نفسه وعدوه وزوجته وولده وأهل زمانه خائف وجل لا يأمن من الشيطان الامع استذكاره قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فحينئذ يقوى قلبه ويستصغر كيد من كايده وهو مع ذلك معتصم بربه واثق به فمن طلب الآخرة فلا يغفل وليبن أمره على طلب السلامة من الخطأ وعلى أساس الصدق فيما بينه وبين ربه ولا يخاف على قليل عمله اذا خلصه لله من الآفات كلها أن لا ينميه الله له ويكثره ولا سيما اذا كنت في زمان قد كثرت فيه الشبهة والاختلاف فان تخلص قليل عملك من بين ظهراني أهل الشبهة والاختلاف حتى تكون عاملا على حكم الكتاب والسنة عند الله كثير فكن في زمانك أشد تيقظا للتخلص الى معرفة ما كان عليه السلف الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة (واعلم) ان المعرفة اذا استحكمت فيك لم تدعك مع التقصير في العمل بل تنقلك من درجة الى درجة حتى تبلغك غايات ما عملت من الخير أو يأتيك الموت وأنت طالب الغايات وكما ان الارض لا تنبت بغير ماء فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة فكلما ازداد العبد بالله معرفة ازداد يقينا وكلما ازداد يقينا ازداد لله خوفا وكلما ازداد لله خوفا ازداد لربه طاعة وكلما ازداد لربه طاعة ازداد له حبا وكلما ازداد له حبا ازداد اليه شوقا وكلما ازداد اليه شوقا ازداد للموت حبا (فاذا) كان كذلك كان مغموما في حالة مسرور وذلك ان المغموم على الحقيقة لا يتأسى بأهل السرور في الدنيا ولا يجري معهم فيما هم فيه وذلك ان المغموم جمع همومه كلها فنصبها بين عينيه ثم جعلها هما واحدا فقصر به أجله وهجم به على معاينة أحوال آخرته وأهوالها والمغموم بالحقيقة نبهه الغم على التسويف فعمل للنقلة من دار الغموم الى دار السرور (وسأصف لك) حال المغمومين ان شاء الله تعالى (اعلم) ان لله عبادا تدبروا فعرفوا فلما عرفوا أيقنوا فلما أيقنوا خافوا فلما خافوا علموا فلما علموا صمتوا فلما صمتوا عملوا فلما عملوا أشفقوا فلما أشفقوا جاهدوا فلما جاهدوا رغبوا فلما رغبوا صبروا فلما صبروا أبصروا مساوي أنفسهم فلما أبصروا مساوي أنفسهم قصدوا بمجاهدتها بالقلوب فارتفعوا عن اعمال الجوارح الى تصحيح القلوب

فنقلوا بلطائفهم عن الريب والدناءة وجانبوا في احوالهم كلها ومعاملاتهم احوال أهل المكر والخديعة والخب والزموا أنفسهم محجة الطريق في أفعالهم كلها ومنطقهم كله فاستخلصوا بواطن الاعمال التي لا تظهر للمخلوقين واراحوا أبدانهم من ظاهر الاعمال الا مالزمهم من اداء الفرائض المحتومة فصارت اعمالهم سرا بين قلوبهم التي هي أرجح وزنا واجدذ كرا عند الله وعاقوا قلوبهم بحب لقاء الله فصغرت الدنيا في أعينهم فاذا اقبلت عليهم خافوا وحزنوا خوفا من الاستدراج والمكر وان أدبرت عنهم سروا وفرحوا ودافعوا الايام مدافعة جيلة مستترين عن الاهل والولد والاخوان والجيران فهمتهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وفي الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم مغمومون يكاشرون الناس بوجوههم وقلوبهم باكية وصفاتهم أكثر من ان يحيط الواصف بها في الكتب والكلام في ذلك يكثر فهذه صفات المغمومين على الحقيقة المسرورين بالله جل ذكره الفرحين به المنقطعين اليه والحمد لله رب العالمين

قوله يكاشرون اي يضاحكون اه

(فصل في عيوب النفس) وقال رحمه الله اخواني انه من لم يعرف نفسه وعيوبها فهو من استقامة دينه على اعوجاج (واعلم) ان من حسن سيرة العارف بعيوب نفسه أن لا يبني دينه على قبح ولا فساد واصل العلم الغريب يدرك بفطن العقول المرضيه وبنور الحكمة الثاقبه وبمخالفة الاهواء وبفوائد المعرفة الشافيه وباصابة الحق في القول والعمل بالبصيرة ولا يبلغ هذه المراتب العالية الامن تقلد حب الاخرة موقنا بها وراغبا فيها ومؤثرا لها على ماسواها وخلع عن قلبه حب الدنيا وزهد فيها بالحقيقة واستشعر التواضع وهجر الهوى فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغي تعجيل الثواب ويحرك لعزيمة الصبر وبالله التوفيق

(فصل في الاشياء التي يستعان بها على معرفة عيوب النفس) وقال رحمه الله اعلم اني وجدت الذي يعين على معرفة عيوب النفس والعمل في مجاهدتها مخالفة الهوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (يا أخي) انه ان يعدمك من عدوك خاطر الشر في القلب للمعصية فادفعه عنك بمحاكم العلم

من القلب للطاعة وانه ان يعدمك من نفسك سرعة القبول لموافقة الهوى فادرأه عنك بقلة المساعدة لخلاف الهوى وانه ان يعدمك من عدوك التثبط عن العمل فادفعه عنك بتعجيل المبادرة الى العمل وانه ان يعدمك من نفسك التشبث بالكسل فادفعه عنك باغتنام الصحة (واعلم) يا اخى ان القلب اذا تراكمت عليه اقذار الذنوب واطفاس الشهوات عمى واسود ونكس وطفئ نوره فلم يبصر عيوب نفسه وابصر بعينه عيوب غيره فشغل به عن عيوب نفسه فليس شئ أولى بالمدعين للارادة من أن يتوسلوا الى الله عز وجل بطاعتهم منه صلاح قلوبهم ليسلموا من شرور انفسهم وغلبة اهوائهم واعلم ان القلب اذا لم يثبت فيه الحزن خرب كما ان البيت اذا لم يسكن خرب *(فصل فى الحزن والخوف)* وقال رحمه الله اعلم ان العلم والعمل بالعلم لا ينفع العبد الا باستقامة قلبه والا عاد العلم عليه فصار جهلا وعاد العمل فصار ضررا مع ان فساد قلوبنا هو الذى فرق بيننا و بين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين يصلحون عند فساد الناس وهم الذين لم يتركوا من الفرائض شيئا الا ادوه لم يتركوا الصلاة والزكاة والحج والجهاد والصيام والغسل من الجنابة والطهور للصلاة كل ذلك واجب عليهم وهو شئ معروف لم يزد فيه ولم ينقص منه فما بال الفساد واقع علينا ونحن لم ننكر هذه الفرائض كما لم ينكروها وانا لنعمل فى الظاهر با كثرها غير ان القلوب منا مائلة الى حب ما زهد القوم فيه والانفس منا قابلة لحب هواها مستثقلة لما فى الحق من الصبر والمكروه (وسأعطيك) دواء لفساد قلبك ينفعك الله به اذا كانت لك حياة ان شاء الله تعالى اعلم يا اخى ان القوم صبروا على مكروه ما دلهم عليه الحق فصبروا فى الغضب والرضى والشدة والرخاء والعسر واليسر والعافية والبلاء فكانت اهواؤهم تابعة للحق على ما احبت الانفس وكرهت فكان الحق لهم قائدا والهوى لعقولهم تابعا فاستقامت منهم السيرة بلزومهم محجة الحق فى مواطن غضبهم ورضاهم وطمعهم وتقواهم وكانوا اذا امتحنوا فى هذه المواطن ظهر منهم قول الحق فى مواطن غضبهم وهم له فى ذلك الوقت ألزم وأشد تمسكا منهم فى مواطن الرضى فان عارضهم طمع دنيا ظهر منهم التنزه والورع والتقوى والتأنى وفقد

التثبط التقاعد وقوله واطفاس الذنوب عطف تفسير على ما قبله اه

منهم الحرص والرغبة خوفاً منهم وكان منهم كالطباع لم يتصنعوا فيه وطباعنا اليوم بخلاف ذلك كله وكانوا أخوف لله وله أحذر مخافة أن لا يقبل منهم عملا فلا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الخوف واغتنم قليل العمل مع الخوف فان قليل حزن الآخرة الدائم في القلب ينفي كل سرور سررت به وألفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا في القلب ينفي عنك جميع حزن الآخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب موته والحزن يوقظه ويستنبط له اليقظة من خالص عين اليقين وبخطرات غامض الفهم تكون خطرات اليقين وعلامة ثبات اليقين في قلب العبد استدامة الحزن فيه

(فصل في الزهد والخلوة) وقال رحمه الله تعالى اعلم اني لم أجد شيئاً أبلغ في الزهد في الدنيا من ثبات حزن الآخرة في القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة في القلب أنس العبد بالوحدة وموضع هيجان الحزن السهر وروح بدنه ومفتاحه العقل ومحال أن يكون محزوناً مسروراً في حالة واحدة وجميع الطاعات توجد بالتكلف والحزن لا يوجد بالتكلف الا أن يصل الى القلب الذي يكون منه الحزن وذلك ان أهل الطاعة قدموا بين يدي الاعمال لطيف معرفة الاسباب التي بها يستديمون صالح الاعمال ويسهل عليهم مأخذها توطيناً منهم لانفسهم استصحاب نيتهم الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم في الدنيا يوماً واحداً وليلة واحدة وكلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم اوليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنيمة وذكروا اليوم الماضي فسروا به نصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لخوف انقضاء الاجل فيه أو في ليلته وطرحوا شغل القلب بذكر غد واستعملوا أبدانهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت عنهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا وعظم شغل الآخرة في قلوبهم فنظروا اليها بعين صحيحة النظر نافذة البصر وتقربوا الى الله بالاعمال الزاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة وطاوعتهم الزيادة في التقوى فقرت بالخوف أعينهم

وتشعموا بالحزن فى عبادتهم حتى نحلت أجسامهم وبليت أجسادهم وقل مع المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات متعلقه وفكرهم باهوال القيامة مقبلة مدبره وأبدانهم بين المخلوقين عاريه فعموا عن الدنيا وصموا عنها وعموا فيها ووضع لهم أمر الآخرة حتى كانهم اليها ينظرون والحمد لله رب العالمين (ثم) نظرت فى ذلك فلم أر شيئا أقرب ولا أجمع لذلك كله من حمية الانفس عن الهوى وقطع مجاورة المخلوقين بمنع القلوب عن الاخبار التى بها تهيج القلوب من الاشغال القواطع عن التفرغ للحزن أو البحث عن أمر الآخرة والترك للدنيا وما فيها فورثه ذلك حب الخلوات فأحبها ولزمها وأنس بها واستوحش من المخلوقين وذلك حين جرت عذوبة الخلوة فى أعضائه كما يجرى الماء فى أصل الشجرة فأورقت أغصانها وأثمرت عيدانها ولزم خوف ما يجىء به يوم القيامة سويداء قلبه فهاج له من الخلوة فنون من أصول الزهد فى الدنيا حتى انه لو اجتهد فى فن منها على أن يستحكم له لعظمت عليه المؤنة واشتد عليه فيه الصلاح فاذا بلغ الله العبد هذه الدرجة حببت اليه الخلوة (فأول) ما يستفيد من حب الخلوة الاخلاص فى العمل والصدق فى القول فيما بينه وبين الله تعالى وفى حب الخلوة راحة للقلب من غموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين فى الاخذ والعطاء ومخرج ذلك كله من صحة العقل فأسقط عن نفسه بالخلوة وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومداهنة المخلوقين ويحبب اليه بالخلوة خمول النفس واخماد الذكر فى الناس وهو طريق الصدق ومنه يكون الاخلاص ويحبب اليه بالخلوة الزهد فى معرفة الناس والانس بالله ويوهب له استثقال المخلوقين حتى يفر منهم فراره من الاسد وهو غير مفارق لجماعتهم (ويعطى) من حب الخلوة طول الصمت من غير تكلف وغلبة الهوى بالصبر ومن الصمت والصبر غلبة الهوى (ويعطى) من حب الخلوة الاشتغال بأمر نفسه وقلة اشتغاله بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس (ويعطى) بالخلوة كثرة الهموم والاحزان والفكر وهذه الخصال من أفضل العبادة ومخرجها من خالص الذكر (ويعطى) بالخلوة الاعمال التى تغيب عن أعين العباد وتظهر لرب العباد والبلاد وقليل ذلك كثير ومخرج ذلك من الصدق

ويعطى بالخلوة التيقظ من غفلة أهل الدنيا وما يذكره منها الخاص والعام (ويعطى) بالخلوة ترك الرياء والتزين وكل ذلك من دواعى الاخلاص وهو محض الصدق (ويعطى) بالخلوة ترك المراء وترك الخصومات والجدال وذلك ينفى الرياسة من القلب (ويعطى) بالخلوة قلة الخلاف فى الوعد والتوقى من الكذب والايمان والحنث فيها ويخرج ذلك من الصدق (ويعطى) بالخلوة قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحناء ومعاملة الخلق بسلامة الصدور (ويعطى) بالخلوة رقة القلب والرحمة وهما ينفيان الغلظة والقساوة وهما من دواعى الخوف وبالخوف الثابت فى القلب يخشع العبد ويبكى من خشية الله تعالى فى الليل والنهار وهى من غايات العبادة (ويعطى) بالخلوة تذكر نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة (ويعطى) بالخلوة وجود حلاوة العمل والنشاط فى الدعاء ويجرى ذلك من القلب مع تضرع واستكانة (ويعطى) بالخلوة القناعة والتوكل والرضى بالكفاف للعفاف والاستغناء عن المخلوقين (ويعطى) بالخلوة عزوب النفس عن الدنيا وشهواتها وفتنتها والشوق الى لقاء الله ويخرج ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير فى العمل (ويعطى) بالخلوة حياة القلب وضياء نوره ونفاذ بصره فى عيوب الدنيا ومعرفته بالنقص والزيادة فى دينه (ويعطى) بالخلوة الانصاف للناس من نفسه (ويعطى) بالخلوة خوف ورود الفتن التى فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والانس بكلام رب العالمين وهو القرآن لما قد وجد من حلاوة المناجاة فى القرآن الذى جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين فاذا التبس عليك هذا الطريق واشتبهت عليك الامور فقف نفسك على الارادة من الترغيب والترهيب والتشويق الى ما ندب الله اليه المؤمنين فانك ترجع بصيرا من حيرتك وعالما من جهالتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وانظر الى كل موطن يضطرك الى الصبر فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به (واعلم) انه لا يثبت لك قدم على محجة دين الله وفيك خوفان خوف الفقر وخوف الغنى والثروة فان ذلك مفتاح فقر الابد وخوفك من السقوط من أعين الناس هو الذى يسقطك من عين الله وينسيك حظك منها فادرأ ذلك عنك واطلب الخلاص

وهي لذلك خوفين خوف أن مثلك لا يستأهل أن يبلغ ما يؤمل من
الآخرة فان تفضل عليك ربك ببلوغ املك فاتيه الشكر واحذره خوفا
شديدا لانك لا تقوم بالشكر لما انعم به عليك كما ينبغي فان لم تفعل ذلك خفت
عليك أن تسلب النعمة فترجع الى اسوأ حالاتك فاذا الزم العبد نفسه هذين
الحالتين وتمسك بهما رجوت أن يؤمنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم (وقد روى) عن بعض العلماء بالله أنه قال لست آمن على نفسي
الفتنة وأن يحال بيني وبين الاسلام فهؤلاء يخافون هذا وهم الصفوة
الذين اختارهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خافوا مع سابقتهم وطاعتهم
وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجم عليهم اقل مما انت فيه
من الفتنة فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون من حلاوة الايمان فكيف
بك يا مسكين ولا سابقة لك الا في الشر ولا حلاوة عرفتها قديما من الاسلام
الا حلاوة المعاصي وانت بارك في دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعا
في الزيادة وانت مع ذلك لا تنقم عليها حبها انخدع عقلك وانت لا تعلم انك مخدوع
(واعلم) ان المطيع اذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة في عبادة ربه
ولا عارف بمكايدة عدوه هانت على ابليس صرعته لانه ليس نوع من
العبادة الا واما ضد من الفتنة فمن لم يعرف الخير وضده من الشر ولا سيما في
العبادة خاصة ثم اجتهد خلاه ابليس واياها لما يعلم من قلة علمه بعبادته وما
يجب عليه فيها ولم يتعرض له في نفس عبادته بشيء ويقصد له جهة آفاتها
التي تبطل عبادته من شهوة النفوس التي تسارع في قبول ذلك فيتزين عنده
ان ذلك خير من عندها وانه سيجزى ويثاب فيصدقها بما تلقى اليه من ذلك
فتزهو النفس لرضى صاحبها عنها ويحقق ابليس ظنه به وبالخدع له فاذن
قد صرع وخذل وألجأ الى نفسه عيله عن طريق الشكر ويظهر له من فتنة
عدوه ما يستصغر به المخلوقين وتكون نفسه عنده أنه لا عدل لها زكاه
وطيبا وهي اخبث الانفس وانتنها واسقطها من عين الله تعالى فكلما
سولت له نفسه من عمل احتمل فيه الاذى مع مساعدته اياها وشدة رضاه
عنها من تحمل لبس الخشن واكل الطعام الجشيم وطول السهر والصبر على
ظاهر العبادة بما يفتتن به ويستميل به ابليس قلوب الجهال (ولقد)

الزكاه كالصلاح وزنا ومعنى والجشيم الغليظ في الوزن والمعنى اه

قال

قال بعض الحكماء انى لاعد كلامى فيما لا بد لى منه مصيبة واقعة أستعين بالله على السلامة منها وانى لاعد صمتى عما يعنينى غنيمة واحداث نعمة النفس الشكر عليها اذ علمت ان من وراء كل كلمة رقيبا عتيدا وانزل ما اضطررت اليه من القول مصيبة نازلة وما كفيت من الكلام غنيمة باردة (ويروى) عن بعض الحكماء أنه قال ان من شر كسب الدين والدنيا تنقيص العبد غيره والوقيعة فيه وهى الغيبة ويقال انها تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتحبط الاعمال ويستوجب بها صاحبها المقت من الله تعالى والغيبة والنميمة مخرجهما من طريق البغى والنمام قاتل والمغتاب آكل ميتة والمباهى متكبر وهؤلاء الثلاثة أمرهم واحد بعضها مفتاح لبعض وذلك كله مجانب لاحوال المتقين

(فصل فى معرفة أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير) وقال رحمه الله سأل سائل حكيما فقال اخبرنى بأصل الاشياء التى منها تتفرع فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الاعمال ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له الحكيم اعلم ان أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الاعمال بعد اليقين بمعرفة النعم والقيام بأداء الشكر والعمل به وان يصح عندك أن جميع الخير مواهب من الله تعالى وتعلم أن جميع المعاصى كلها عقوبة من الله تعالى وهى من طريق الخذلان وذلك من علامات السخط فاذا اعترفت بذلك كثرت حسناتك وقلت سيئاتك لانك اذا علمت أن الاحسان نعم ومواهب من الله تعالى ازددت فى الشكر واستقللت كثير شكرك عند صغير نعمه عليك لان الجبار العظيم من بها عليك وساقها اليك فقل عندك كثير الشكر وكبر عندك صغير النعم فجريت حينئذ فى ميدان الزيادة من عمل الخير وعلمت معرفة الرضى وطمعت فى العفو واذا علمت أن الاساءة التى اكتسبتها انما هى خذلان من الله وانها من طريق السخط فزعت الى التضرع فنزلت بساحته والى الاستكانة فصحبتها والى التواضع فاتخذته خدنا فاذا كان ذلك كذلك لجأت الى التوبة فاستجرت بها ولبست جلباب الحياء مما سلف منك وشهد الله عليك به وشاهده منك من الاساءة مع ما تعرف من كثرة احسانه فلم تتعرض

بعد ذلك اشئ مما يكره وعدت الى المعاصى فعاديتها منك ومن غيرك نتكره ان يعصيه أحد من خلقه كلهم بصغيرة أو كبيرة فراجعت الاحسان مجتهدا وأنت مع ذلك عارف بالنعمة عليك فى التنبيه والرجوع وان ذلك تفضل منه عليك فالتمست أعظم الشكر بعدما اقلاعك عن الاساءة بشدة المضادة لها وعظم شكرك عند التحويل الى الاحسان بعد الاساءة فاذذاك قد صرت فى جميع أمرك شاكرا ذاكرا ولم يحزنك معرفة الاحسان فشكرت حينئذ الشاكر المشكور والذى وعد على الشكر لزيادة ووعده لاخلاف فيه وعرفت الاساءة من اين كان مخرجها فراجعت الاحسان بالعتاب منك لنفسك ولمن زين الاساءة لك ودعاك اليها فهذا الاصل الذى تتفرع منه فنون الخير وبه تغلق أبواب الشر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(فصل فى كيفية تهوين سلوك الطريق والوصول اليه بعون الله تعالى)

وقال رحمه الله سئل رجل من أهل العلم فقيل له أوضح لنا المنزلة التى ينال العباد بها القرب من ربهم ويقوون بها على معرفته ويبلغون بها رضوانه والامر الذى يقربهم اليه ويقصر بهم عنه ايضاحا شافيا حتى يكون ذلك عندنا بينا (فقال) سأوضح لك ذلك ان شاء الله تعالى فافهم قولى بفهم لا يخالطه سهو وتذكر فيه بتذكر لا يخالطه غفلة واصبر عليه صبرا لا يخالطه جزع فانك ان تفعل ذلك ينهج لك منهاج الطريق وتسلم من تقصير طريق الملكة والتوفيق بالله تعالى (اعلم) ان مبتدا الامور والذى لا ينتفع بشئ الا به العقل الذى جعله الله جل ذكره زينة لخلقه ونورا لهم فبالعقل يعرف العباد خالقهم وانهم مخلوقون وانه المدبر وهم المدبرون وهو الباقى وهم الفانون فاستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه فى أرضه وسمائه وشمسه وقمره وليله ونهاره وعلموا ان لهم ولهذا الخلق خالقا وان لذلك كله مدبرا وانه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلموا ان الظلمة فى الجهل والنور فى العلم هذا ما دلهم عليه العقل (فقيل له) كيف يكتفى العباد بالعقل دون غيره (فقال) ان العاقل دله عقله الذى جعله الله قوامه وزينته على ان له ربا وعلم ان ربه لم يخلقه عبثا وانه لم يخلق خلقه عبثا وعلم ان

الخالقه محبة وكراهية وأن له طاعة ومعصية فلم يجد عقله يدله الا على ذلك وعلم أنه لا يوصل اليه الا بالعلم وطلبه وانه لا ينتفع بعقله ان لم يطلب ذلك ويعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب وهو الذي لا قوام له الا به (فقيل له) صف لنا ما هذا العلم الذي لا ينبغي للعاقل الا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه (فقال) طلب العلم الذي جاءت به رسله وأنبياؤه عنه من أمره ونهيه ووعده ووعيده وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وبعثه وحسابه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبته وكراهيته (فقيل له) هل يكتفي العالم بما علم من ذلك أو يحتاج الى غيره (فقال) لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الايمان به وان يقر ذلك في قلبه حتى يعلم ان الله هو الحق وان ما سواه باطل وان أحدا لا يملك له نفعا لم يقدره الله له ولا ضرا لم يكتبه عليه (فقيل له) فهل يجب عليه بعد الايمان غير ذلك أو يكتفي به (فقال) نعم ان الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطاعة والعبادة له والعمل بها ونهاهم عن معصيته وركوبها فمن آمن ولم يعمل كان متهاونا وتصديق الايمان العمل به (فقيل له) فكيف العلم وكيف العمل (فقال) أن تعمل بمحبة الله عز وجل وان تخالف هواك وان تعمل بطاعة الله وان أسخطك وان تجتنب سخط الله وان سرك وان تدع كراهيته وان أعجبتك وان تؤثر ما هو له وان ساءك وان ترغب فيما رغبك وتزهد فيما زهدك وان تجعل القرآن امامك ودليلك (فقال له) السائل قد دللتني على العمل فعرفت وعرفت فآمنت فلم يكن علي في ذلك كبير مؤنة ولا عظيم مشقة بل خفة وراحة مع ما استزدت به هداية وبصيرة ومعرفة فلما صرت الى العمل به لزمني في ذلك مؤنة شديدة وثقل كبير حتى حال بيني وبين كثير من لذيذ عيشتي ونعيم دنياي وحملني على المكروه وصرفني عن كثير من السرور فصف لي أمرا أقوى به على العمل فيما آمنت به فقد اشتدت علي مؤنته وثقل علي احتماله (فقال) الامور التي تقوى بها على العمل والادب الصبر الذي هو تمامه وقوامه فانك ان صبرت انتفعت بعملك وبلغت منه رضوان الله وقويت فيه على العمل وليس منزلة من منازل الخير الا والصبر فيه عمل وبه تمامه فبالصبر قوي العباد على أداء الفرائض

والحلال والحرام وبالصبر قووا على اجتناب المحارم وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه فاذا صبرت على العمل انتفعت بالعلم والادب وانك ان لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع بالايمان واعلمت ومن لم ينتفع بالايمان لم ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل لم يغن عنه العقل فرأس امر العباد العقل ودليلهم العلم ونورهم الايمان وسائقهم العمل ومقربهم الصبر فمن لم تكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل ومن لم يعمل لم يتم له امره ونوره وبقى فى ظلمة ومن ذهب عنه النور عمى وحاد عن الطريق ومن لم يبصر فليتبع الدليل وهو القرآن ومن اتبع العلم الذى هو النجاة من الهول العظيم وعمل به وصبر عليه صار الى غاية العلم والادب (فقال له) قد بصرتنى من فضل الصبر وقوته وعلمتنى مارغبنى فيه وقوانى على العمل به مع ثقله على فصف لى امرا ازداد بالصبر تبصرا وفيه رغبة وعليه حرصا (فقال) صبرك على الطاعة وطلبك لها وهربك من المعصية وبليتها هو الذى يرغبك فى الطاعة ويبين لك فضلها (قال) قد شرحت لى امر الصبر وفضله فزدنى به تبصرا (فقال له) هذا الدليل والامام كتاب الله هو الذى يبين لك فضل الصبر ويرغبك فى لزومه فان الله تبارك وتعالى وصف اعمال العباد وذكر ثوابهم فلم يذكر ثوابا يعدل ثواب الصبر فانه ذكر انهم يوفون اجرهم بغير حساب فهو الدليل على فضل الصبر مع ماذكر من ثوابه فى مواضع من كتابه (فقال له) صاحبه قد دلنى العلم وكتاب ربى على ماذكرت من فضل الصبر وثوابه فزادنى بفضله تبصرا وازددت عليه حرصا وفيه رغبة وبه تمسكا وعليه اعتمادا مع شدة منه على وثقل وصبر على خلاف ما اشتهى وحمل نفسى على ما اكرهها لما فيه الاجر والفضل وابتغاء العمل والادب فصف لى امرا يخف به على مؤنة الصبر ويسهل على لزومه ويخف على احتماله وتذل صعوبته (فقال له) اراك للخير مريدا وللفضل طالبا وعليه حريصا وتحب ان تكون قد قويت على ما دلك عليه العلم بنفاذ من الصبر وقوة من العمل وذلك من علامات السعادة فان العبد كلما ازداد علما وفيه تفهما ازداد للخير طلبا وعليه حرصا فخف عليه الثقيل وقرب عليه البعيد وانما فى الدنيا مما يريد وانما الثقل والعسر تمثال الدنيا فى قلب العبد وهى مرصد ابليس وسلاحه

فاذا قطع عنه ذلك استنار القلب وخرجت الظلمة منه فلم يكن للشيطان به
احتمال قوة ولا له فيه نصيب ووصل من الامر الى ما يريد (فقال له) زدني ما
يسهل به على ثقل احتمال الصبر ويخففه على (فقال له) الامر الذي يسهل
عليك ثقل احتمال الصبر ويخففه عليك الرضى عن الله تبارك وتعالى بكل
ما صنع بك واختاره لك وساقه اليك (فقال له) صاحبه فاوضح لي كيف
يهون على مؤنة الصبر برضاي عن الله ويخفف على احتماله (فقال) الست
تعلم انك انما نسبت الى الرضى وسميته صبرا لان الامر الذي نزل بك مكروه
عليك وان هواك ونفسك ينازعانك الى غيره فاحتجت الى الصبر فتدبرت
واعتبرت فصرت من ذلك الى موضع رضاه ثم يتجاوز بك الامر حتى تصير الى
موضع السرور حتى ترى لو صرف ذلك الامر عنك لصرت منه الى تقوية
نفسك وعلمت ان ما صرف عنك عقوبة لبعض ما احدثت من ذنوبك او
قصرت فيه من شكر ما نعم الله به عليك فصرت منه الى الدرجة الرفيعة
ومنازل أهل الرضى وانما توصل الى ذلك بالمعرفة بالله وبمعرفته بنظره اليك
فتعلم انك لا نظر لك من نفسك فترضى بما رضي به وترغب فيما رغبه وتزهد فيما
زهده والزهد من الرضى (قال) قد علمت فضل الرضى ووضح لي أمره فصف
لي كيف يهون على أمر الصبر في الزهد وكيف مأخذه فقد أراني مع ما أصير
اليه من الزهد مقيما على الصبر وازداد ايضا مع زهدي في الدنيا أمورا
احتاج فيها الى الصبر مخالفة لهواي ورفض الشهواتي وما تنازعني نفسي من
لذاتي فقد أراني ازددت ثقلا وضعفا (قال) أراك لا تقبل من الامور الا
أصلحها ولا ترضى لنفسك الا بأوضعها ولا تختار منها الا أرشدها وذلك من
الامور التي ارجو لك بها القوة والنجاح لحاجتك والظفر بطلبتك
وبلوغك أقصى الغاية من ارادتك فافهم قولي وتدبر نعتي فان الحجة في ذلك
واضحة والامر فيه بين ألست تعلم ان الدنيا كانت باقية في قلبك وان
حبها غالب عليك وان سرورها فرح لك وان مكروهها شديد عليك
فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها وايثارك لها ونزواهما لك مع طلبك
الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على المكروه من امر دنياك وصبرت
عليها الشدة منه عليك لان مكروهها عندك مكروه ولان سرورها عندك

سرور فثقل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الاكل والشرب وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها لما تسره اليك نفسك من اللهو والحديث فى الباطل وثقلت عليك الزكاة والصدقة لما تحب أن تصرفه فيه من لذاتك وثقل عليك التواضع لما ترى من تصغير شأنك ودناءة منزلتك عند أهل الدنيا وثقل عليك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لئلا يعاديك الناس أو ينقطع رجاؤك منهم أو يسمعونك ما تكره فيدخل عليك التنغيص فى سرورك وثقل عليك القنوع والرضى لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك الاكثار منها وحرصك عليها وكراهيتك للموت ونعيم ما بعده مع أشياء كثيرة يطول وصفها وكل ذلك انما صار شديدا عليك لحب الدنيا وانما ثقل عليك الصبر وملته وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك لان سلاحه الذى به يقوى وكيده الذى يصل به الى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فاذا أنت زهدت فى الدنيا ورفضتها ورغبت فى الآخرة وطلبتها سهل عليك الامر فآثرت الآخرة وطلبتها ورغبت فيها وأدبرت عنك الدنيا وثقلها وتولت عنك هاربة ببلائها واتتك بمنافعها وصرفت عنك شرورها برغم منها وانقطع رجاء الشيطان وصغر كيده وولى وقل سلاحه فلا قوة له بك ونجوت بعصمة الله وتوفيقه من الضيق والتعسير والهلكة وصرت الى النعمة والسرور والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فلزمت الصيام وخف عليك لانه لم تكن نفسك تنشرح الى الاكل والشرب وغيرهما من الشهوات ولزمت الصلاة واشتغلت بها لان نفسك لم تكن تنازعك الى اللهو أو الخلوة الى حديث فى باطل وخفت عليك الزكاة والصدقة لانك أعددت ما قدمته أمامك ولا تريد منه شيئا يبقى خلفك وخف عليك التواضع لان الاياس قد خرج من قلبك وهان عليك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الناس قد استووا عندك فلم ترج أحدا غير ربك ولم تخف شيئا غيره وخف عليك القنوع لانك رضيت من الدنيا باليسير ولم تنازعك نفسك الى غير البلاغ والكفاية وخف عليك الجهاد لان الدنيا قد أخرجتها من قلبك وكرهت البقاء فيها وأحببت الموت لما ترجوه من النعيم والسرور والحياة الدائمة التى أمامك فالزهد فى الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وتمامه وليس

شيء من أعمال البر الا وله ضد من غيره فما قصر بك عنه فارفضه وازهد فيه يسلم لك عملك ويخف عليك ثقله (فقال) له صاحبه أوضحت فبينت وأرشدت فهديت وكشفت فأريت فصف لي كيف الزهد وما حده والذي ينبغي لي العمل به فقد استبان لي فضله ووضح لي رشده (فقال له) صاحبه ان الزهد في الدنيا واجب عليك وهو الورع لا يجوز لك التقصير فيه ولا الرغبة عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك عنه فهذا الامر لازم لك لا عذر لك في التقصير عن الزهد والقرب الى ربك طالبا للفضل وتحفيا لكل أمر قصر بك عنه من المسارعة في طاعته والمسابقة الى رضوانه فهذا ما ينبغي لك العمل به وادارة صلاح نفسك عليه (فقال) أما ما حرم الله علي ونهاني عنه فقد دلني عليه العلم لانه صار لا ينبغي لي المقام عليه ولا العمل به فزهدت فيه ورفضته فصف لي الزهد الذي أرجو أن أنال به كرامة سيدي وان أبلغ من ذلك محبته وأن ادفع به عني كيد الشيطان ومكره (فقال له) ذلك الزهد في فضول الدنيا والرضى منها بيسيرها والاخذ منها بقدر البلاغ الى غيرها ورفض ما سوى ذلك من فضولها وأمورها باخراج الناس من قلبك فلا تخف أحدا في الله ولا ترد حمد أحد من الناس ويستوي الناس عندك فلا ترج أحدا غير الله ولا تطلب الافضله وتنصح في الله في السر والعلانية ولا تخف لوم أحد من الناس ولا عذله وتحب في الله وتبغض في الله ولا تشغل قلبك بشئ غيره وتلزم التواضع والتذلل لربك وتحمل ذكرك وتغييب اسمك ولا ترد بذلك تعظيم أحد من الناس غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت وتكون ممثلا له بين عينيك لرجاء ما بعده وتزهد في الحياة مخافة الفتنة والبلية فهذا أصل الزهد فاذا أنت وصلت الى ذلك نلت شرف الآخرة ونجوت بعون الله من بلية عاجلتك (فقال) له صاحبه لقد ذكرت لي من أمر الزهد شيئا ضاق به ذرعي واشتد له غمي واعتصر له قلبي واستصعب به علي أمري وتفرق له رأيي واشتدت علي المؤنة فيه وقد كان الصبر والاحتمال له أيسر علي مؤنة منه وأخف علي حملا من الزهد وخشيت أن لا أقوى على احتماله ولا تطيق نفسي العمل بكماله ولا تقدر على القيام بتمامه وان غلبه نفسي وترفضه وترجع منه الى غيره مما فيه هلاكها وعطبها وقد

عرفت فضل الزهد وعظيم قدره فصف لى أمرا أتقوى به على الزهد ويخففه على (فقال) له صاحبه قد فهمت قولك ولقد صعب عليك الذلول واشتد عليك اليسير وثقل عليك الخفيف وعميت عليك المداخل وما الومك حيث اشتد عليك من أمرك ماذكرت حين لم تعلم الامر الذى عليه فى الدنيا ازهدت والذى به عليه قويت ولو علمته لهان عليك من أمرك الشديد وخف عليك الثقيل وسهلت عليك موارده وسهلت عليك فيه المذاهب وخفت عليك فيه المؤنة (فافهم) قولى بعقل وتدبره بحكم وخذ فيه بقوة وجد (واعلم) أن العباد زهدوا فى الدنيا ودعاهم الى الزهد فيها ورفضها خصال شتى بعضها ارفع وأعلى درجة من بعض وكلها داعية الى الزهد فيها (فأول) درجات الزهد أن الله تبارك وتعالى خلق العباد فى الدنيا وجعل مافيها زينة لها وزهدهم فيها وخلق الآخرة ونعيمها وندبهم اليها ورغبهم فيها وأعلمهم انهم من الدنيا مرتحلون وانهم الى الآخرة صائرون فرغب العباد فى الباقى وزهدهم فى الفانى فآثر الآخرة واطلبها وازهد فى الدنيا وارفضها لكيلا ينتقص من حظك فى الآخرة بما نلت من نعيم دنياك (وأما) المنزلة الثانية من الزهد فى الدنيا فان الله عز وجل خلق العباد فى الدنيا فأوجب الموت عليهم وأعلمهم انهم ميتون وضرب لهم فيها أجلا فلم يعلموا فى أى الاوقات والساعات تأتيهم منيتهم فتحول بينهم و بين دنياهم ونعيم عيشهم ومفارقة أحبابهم فلما استقر الموت فى قلوبهم أسهروا فى الليل أعينهم واشتغلوا بهمومهم عن أهاليهم وأولادهم ودام حزنهم وبكاؤهم وزهدوا فى الدنيا وأهلها ونعيمها فصار الليل والنهار عندهم بمنزلة الضيفان وكان المقوى لهم على الزهد فى الدنيا ذكر الموت وقصر الامل فهذه الخصلة شريفة من خصال الزهد فى الدنيا (وأما) الخصلة الثالثة فى الزهد فتصديق العبد ربه فيما أخبره به من نعيم الآخرة وما خوفه به من عقاب النار وعذابها وما حذره منه من الدنيا والاغترار بها فزهد فيها وأحب الموت مفارقتها والتباعد عنها والخروج منها الى داره وقراره تبصرا منه بالدنيا وحالها فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها (فقال) له صاحبه ما تركت لى الى الدنيا والركون اليها سبيلا ولقد استبان لى من قولك البر والحق ووضح لى من وصفك الصدق وقويت بحمد الله وتوفيقه على الزهد

فيها ورفضها وأصف لي بصفتك الشافية ونعتك النافع دواء لداء قلبي تخبرني فيه من الامر الذي يدلني على هذه الخصال ويقويني عليها (فقال) الامر الذي يدلك على هذه الخصال ويقويك عليها وينورها في قلبك هو اليقين الذي لا يخالطه شك والتصديق بربك الذي لا يخالطه لبس فانه من صدق ربه أيقن ومن أيقن أبصر ومن أبصر زهد والزهد في الدنيا شعبة من شعب اليقين وأفضل اليقين التوكل (قال) صف لي اليقين لا أعرفه (فقال) ان تعلم ان الله وحده لا شريك له وانه الحق المبين وانه كما وصف نفسه في قدرته وسلطانه وخلقه وان وعده حق وقوله صدق وكذا وعيده وكتبه ورسله حتى تقر بذلك في قلبك وتتبع كتاب ربك فهذا اليقين الذي لا يشك فيه (قال) صف لي التوكل لا أعرفه (فقال) التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالته فمن أيقن وعلم ان الله خالق الاشياء والمقتدر عليها والمالك لها والمنفرد بها توكل عليه في جميع أموره وقطع رجاءه عمن سواه من خلقه ولم يثق بأحد ولم يأنس الا به فانقطع الى الله وتوكل عليه في جميع حالاته فهذه صفة العمل والتوكل ومأخذه (قال) ما الذي يدلني على الفكرة ويقويني عليها فاني كما أردت الفكرة لم أصل اليها ولم أقدر عليها (فقال) أجل لا تصل الى ما تريد من الفكرة مع الاشتغال بغيرها فسبيل الوصول الى الفكرة الصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا من ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

«(فصل في السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز)» فانظر رحمنا الله واياك الى ما قرره هذا السيد رحمه الله في كيفية السلوك والاخذ اولا بالصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا من ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول فلم يكتف رحمه الله بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال مع الخلوة فلو كانت خلوة دون اعتزال القلب لم ينتفع له ولاجل ذلك احترز بقوله والاعتزال (واين) هذا الحال من حالنا اليوم اذ ان الغالب على من ينسب

الى الخرقة فى هذا الزمان اغاشانه كثرة الاجتماع وحضور السماع والرقص فيه حتى كأن ذلك مشروط فى السلوك نسأل الله السلامة منه (فن) اراد الخير فليعتزل عن هذه صفته والا فالفتح عليه بعيد اعنى الفتح الحقيقى الذى يقرب به من ربه عزوجل دون ادعاه والا فبعض هؤلاء يدعون الاحوال ويزعمون انه يفتح عليهم فى حال رقصهم وتأخذهم الاحوال اذذاك ويخبرون بأشياء من امر الغيب ولو وقع ذلك فى بعض الاحيان لكان مصادفة ثم انهم يولون و يعزلون فى تلك الاحوال ويخبرون بمنازل اصحابهم فيقولون مثلا فلان احد السبعة وفلان احد العشرة وفلان احد السبعين وفلان احد الثلاثمائة الى غير ذلك ولا شك انها احوال نفسانية أو شيطانية لان الفتح من الله تعالى لا يكون مع ارتكاب المكروهات أو المحرمات (وهذا السماع) على ما يعملونه محرم (قال) الامام ابو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره لما ان تكلم على سورة الكهف فى قوله تعالى اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته شكرا لما اولاهم من نعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين الى ربهم وخائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والانبياء والفضلاء الاولياء اين هذا من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام خصوصا فى هذا الزمان عند سماع الاصوات الحسان من المرد والنسوان هيهات بينهما والله مثل ما بين السماء والارض (ثم) ان هذا حرام عند جماعة العلماء اه (وقد) تقرر فيما مر أول الكتاب ان الفقير المنقطع لا يتصرف الا فى واجب أو مندوب وان المكروه عند هذه الطائفة كالمحرم لا سبيل الى ذكره فضلا عن فعله (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى ضرب الطار على حدته هل يجوز أم لا (وكذلك) اختلفوا فى الشبابة على حدتها (وقاعدة) أهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف يقدمون على شئ قد اتفق الناس على منعه ذلك محال فى حقهم (ثم) مع ارتكاب بعضهم ما ذكر يدعون الاحوال الرفيعة و يشيرون الى مقامات ومنازلات تستعظم فى الغالب على من هو متصف بالاقتداء والاتباع فكيف يحصل لاهل التخليط وارتكاب ما لا ينبغى ذلك محال (ومن) أشد ما فيه من القبح ما أحدثوه فى

السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص وبعده (وقد) نقل الشيخ الامام ابو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه ماهذا لفظه (روى) ابن ماجه في سننه والنسائي في صحيحه عن ابي واقد قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا فقال يارسول الله قدمت الشام فرايتهم يسجدون لبطارقتهم واساقفتهم فرايت انك اولى بذلك فقال لا تفعل فاني لو امرت أحدا يسجد لأحد لأمرت المراة ان تسجد لزوجها لا تؤدي المراة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه هذا لفظ النسائي وفي بعض طرق حديث معاذ ونهى عن السجود للبشر وأمرنا بالمصافحة (قلت) وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال المتصوفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا اخذه الحال بزعمه يسجد للاقدام سواء كان للقبلة اوغيرها جهالة منه ضل سعيهم وخاب عملهم

(فصل) فانظر رحمنا الله واياك الى قصة معاذ المتقدمة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم انك اولى بذلك يؤخذ منها من الفوائد النفيسة التحرز عن مخالطة اهل الكتاب والبعد منهم اذ ان النفوس تميل غالبا الى ما يكثر ترداده عليها (ومن) ههنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فانست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو انهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى انك اذا قلت لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشايخ كذا فان طالبته بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك الا انه يقول نشأت على هذا وكان والدي وجدي وشيخي وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم ان يرتكبوا الباطل او يخالفوا السنة فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له ما انت أعرف بالسنة ممن ادركتهم من هذا الجم الغفير (وقد) تقدم انكار بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام فكيف يحتج هذا

المسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والاعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال (ع) ان السماع المعروف عند العرب هو رفع الصوت بالشعر ليس الا فاذا فعل أحد ذلك قالوا اسمعنا السماع وهو اليوم على مايعهد ويعلم (ولاجل) هذا المعنى قال الامام الشيخ رزين رحمه الله ما اتى على بعض العلماء المتأخرين الا وضعهم الاسماء على غير مسميات وها هو ذا بين الاترى ان السماع كان عندهم على ماتقدم ذكره وهو اليوم على ماتعاينه وهما ضدان لا يجتمعان (ثم) انهم لم يكتفوا بما ارتكبوه حتى وقعوا في حق السلف الماضين رضى الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب واللهو في كونهم يعتقدون ان السماع الذى يفعلونه اليوم هو الذى كان السلف رضوان الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله أن يظن بهم هذا ومن وقع له ذلك فيتعين عليه أن يتوب ويرجع الى الله تعالى والا فهو هالك (الاترى) ان الشيخ الامام السهروردى رحمه الله لما ان تكلم على السماع قال في أثناء كلامه ولاشك انك اذا خليت بين عينيك جلوس هؤلاء للسماع ومايفعلونه فيه فان نفسك تنزه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره اه ولقد أنصف فيما وصف وهذا هو الحق الذى يجب اعتقاده في حق السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (وقد) قيل عن الجنيد رضى الله عنه أنه قال ان السماع لايرجع مباحا الا بعشرة شروط وهو أن يكون في مكان لا يطلع عليهم غيرهم لانهم لا يطلع عليهم الا ذو محرم أعنى أن يكون منهم وان كان واخوان قال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله وأن يكون القوّال هو الذى عندهم قال الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وأن يكون بغير اجرة وان لا يكون بين أحد ممن يحضره شنآن وأن لايحضره أحد من ابناء الدنيا وان لايحضره شاب الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة وحيث كان مباحا بهذه الشروط فان اتفق اجتماعها كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت كما تقدم (ولاجل) هذا المعنى ذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله في كتابه عن بعض السلف رضى الله عنهم انهم كانوا يدخلون الى خلواتهم فمن عجزهم عن تمام المدة التى دخل عليها اخرج فحضر

السماع ثم يرجع الى خلوته نشيطا لان القوال كان يذهب فى بواطنهم ثم مع ذلك ينشد لهم من درر الشعر ما يناسب حالهم وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والنهوض اليها وترك التراخى والتسويف الشاغل عنها (ومثل ذلك) كانوا يفعلون اذا عجز احدهم عن تمام المدة التى دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجلس عالم فحضره ثم يرجع الى خلوته قويا لان حضور مجالس العلماء العاملين بعلمهم يحيى القلوب الميتة كما يحيى المطر الوابل النبات بل النظر اليهم تقتات به النفوس الابية وينشرح صدرها ويحدث لها عند تلك الرؤية انزعاج وقوة باعثة على ما تؤمله من الخير كيف لا وهم امناء الله فى أرضه وخلفاؤه فى خلقه وقد جعلهم الله عز وجل رحمة وكهفا لمن يأوى اليهم ويستظل بظلهم نصبهم هداة للمتحيرين ونورا للسالكين اللهم لا تحرمنا بركتهم ولا تخالف بنا عن سنتهم فانت ولى ذلك والقادر عليه (فاذا) تقرر هذا من حالهم وعلم فلا شك ان ما يفعل اليوم من هذا السماع الموجود بين الناس مخالف لجماعتهم اذ انه احتوى على أشياء محرمات او مكروهات أو هما معا وقد تقدمت الحكاية عن العلماء فى ذلك اذ انهم جمعوا فيه بين الدف والشبابة والتصفيق (وقد) تقرر فى الشرع أن التصفيق انما هو للنساء دون الرجال فهو ممنوع كما منعت الآلات المتقدم ذكرها (وبعضهم) ينسب جواز ذلك للشافعى رحمه الله (وقد) سئل الشيخ الامام أبو ابراهيم المزنى رحمه الله وكان من كبار أصحاب الامام الشافعى رحمه الله فقيل له ما تقول فى الرقص على الطار والشبابة فقال هذا لا يجوز فى الدين فقالوا أما جوزه الامام الشافعى رضى الله عنه فانشد رحمه الله تعالى

حاشا الامام الشافعى النبيه * أن يرتقى غير معانى نبيه
أو يترك السنة فى نسكه * أو يبتدع فى الدين ما ليس فيه
أو يبتدع طارا وشبابة * لناسك فى دينه يقتديه
الضرب بالطارات فى ليله * والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال فى الورى * وليس فى التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبى الهدى * ولا صحابى ولا تابعيه
بل جاهل يلعب فى دينه * قد ضيع العمر بلهو وتيه

وراح في اللهو على رسله * وليس يخشى الموت اذ يعتريه
ان ولى الله لا يرتضى * الا بما الله له يرتضيه
وليس يرضى الله اهو الورى * بل يمقت الله به فاعليه
بل بصيام وقيام في الدجى * وآخر الليل استغفر به
اياك تغتر بأفعال من * لا يعرف العلم ولا يبتغيه
قد أكلوا الدنيا بدينهم * والبسوا الامر على جاهليه
جهل وطيش فعلهم كله * وكل من دان به نزدريه
شبه نساء جمعوا مأتما * فقمن في الندب على ميتيه
والضرب في الصدر كما قد ترى * ليس لهم غير النسا من شبيه
انكر عليهم ان تكن قادرا * فهم رجال ابليس لا شك فيه
ولا تخف في الله من لائم * وفقك الله لما يرتضيه اه

(وقد تقدم) ان من ثبتت عدالته لا ينسب اليه الا ما يليق بحاله وبطريقته من الخصال الحميدة فمن ذكر عنه غير ما يناسبه كذب فيما ادعاه وأنكر عليه ألا ترى ان المزني رحمه الله لما ان باشر الشافعي رحمه الله أنكر على من نسب اليه جواز السماع بما تقدم ذكره

(فصل) وأشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه في المساجد وقد تقدم توقير السلف رضي الله عنهم للمساجد كيف لا يكون ذلك وقد كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ذكرا كان أو غيره (وقد) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رفع الصوت بالقراءة فيه (ومن ذلك) ما ورد من انشاد الضالة في المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام من نشد ضالة في المسجد فقولوا له لا ردها الله عليك (ومن ذلك) ما ورد من سأل في المسجد فاحرموه (وروى) أبوداود والترمذي والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع في المسجد وان تنشد فيه ضالة وأن ينشد فيه شعر ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة اه (وبعض) هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم في المساجد ويرقصون فيها وعلى حصر الوقف التي فيها وكذلك يفعلون في الربط والمدارس (وقد) ذكر أن بعض الناس عمل فتوى وكان ذلك في سنة

احدى وستين وستمائة ومشى بها على الاربع مذاهب (ولفظها) ما تقول السادة الفقهاء ائمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته واعانهم على مرضاته فى جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا الى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك فى المساجد شرعا افتونا ماجورين يرحمكم الله تعالى (فقالت الشافعية) السماع لهو مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم (وقالت المالكية) يجب على ولاة الامور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم (وقالت الحنابلة) فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم (وقالت الحنفية) الحصر التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والارض التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمى والله أعلم (وقد) قال الشيخ الامام ابو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره حين تكلم على قصة السامرى فى سورة طه سئل الامام ابو بكر الطرطوشى رحمه الله ما يقول سيدنا الفقيه فى مذهب الصوفية حرس الله مدته انه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون اشعارا مع الطقطقة بالقضيب على شئ من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يخر مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه هل الحضور معهم جائز ام لا افتونا يرحمكم الله وهذا القول الذى يذكرونه

يا شيخ كف عن الذنوب * قبل التفرق والزلل

واعمل لنفسك صالحا * ما دام ينفعك العمل

أما الشباب فقد مضى * ومشيب رأسك قد نزل

(فاجاب) بقوله يرحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (واما) الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامرى لما اتخذوا عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل (واما القضيب) فاول من احدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان مجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار

(فينبغى) للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق انتهى (وقال) الشيخ الامام أبو بكر الطرطوشى أيضا رحمه الله فى كتابه المسمى بكتاب النهى عن الاغانى وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية اذا واقعها ثم يستغفر الله و يتوب اليه منها ثم كثر الجهل وقل العلم وتناقص الامر حتى صار أحدهم يأتى المعصية جهارا ثم ازداد الامر ادبارا حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم استزلهم الشيطان واستهوى عقولهم فى حب الاغانى واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذى يقربهم الى الله تعالى وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقد) سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغناء (فقال) انما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه (وأما) أبو حنيفة رحمه الله فانه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبى لا اختلاف بينهم فى ذلك ولا نعلم أيضا بين أهل البصرة خلافا فى كراهية ذلك والمنع منه (وأما) الشافعى رضى الله عنه فقال فى كتاب أدب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال (وأما) سماعه من المرأة التى ليست بمحرم له فان أصحاب الشافعى مجمعون على انه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعى وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلظ القول فيه وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثا وكان الشافعى يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن (وأما) العود والطنبور وسائر الملاهى فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة الجاهلية (وهذه) الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لانهم جعلوا الغناء دينا وطاعة ورأت اعلانه فى المساجد والجوامع وقد كان أولى الناس بالاحتياط

لدينهم

لدينهم هذه الطائفة فانهم متلبسون بالدين ومدعون الورع والزهد حتى توافق بواطنهم ظواهرهم (وقد) قال الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الآية قال الحسن ومجاهد والنخعى هو الغناء (وقال) ابن مسعود لهو الحديث الغناء والاستماع اليه (وقوله) تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك (قال) مجاهد بالغناء والمزامير واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال أكثر المفسرين كل راكب وماش فى معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قوم كل مال أصيب من حرام وأنفق فى حرام (قال) الطرطوشى رحمه الله ويجوز أن يقال مشاركته اياهم فى الاموال والاولاد ما يزينه لنا من الأيمان ثم يزين لنا الحنث فيها فنطأ الفروج بعد الحنث ونكتسب الاموال بالأيمان الكاذبة (وقال تعالى) أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون (قال) ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير (وقال) مجاهد هو الغناء لقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى (وروى) أبو اسحاق بن شعبان فى كتابه الزاهى باسناده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن زاد الترمذى ولا تعلموهن وأكل اثمانهن حرام وفيهن نزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث زاد غيره والذى بعثنى بالحق ما رفع رجل عقيرته أى صوته بالغناء الا بعث الله عز وجل عند ذلك شيطانين يرتدفان على منكبيه لا يزالان يضربان بأرجلهما على صدره واشار النبى صلى الله عليه وسلم الى صدره حتى يكون هو الذى يسكت (وروى) جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كان ابليس أول من ناح وأول من غنى (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا رسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون ان لا اله الا الله وانى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يا رسول الله فما بالهم قال اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الاشربة فباتوا على شرابهم فأصبحوا وقد مسخوا (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت أمتى خمس

عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وجفا اباه وبر صديقه وارتفعت الاصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا اهـ (وروى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أشراط الساعة أو القيامة اضاعة الصلوات واتباع الشهوات وتكون امراء خونة ووزراء فسقة (فقال) سلمان رضى الله عنه بأبى وأمى يارسول الله ان هذا كائن قال نعم ياسلمان عندها يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويؤتمن الخائن ويخون المؤتمن ياسلمان عند ذلك يكون الكذب ظرفا والزكاة مغرما ان أذل الناس يومئذ المؤمن يمشى بين أظهرهم بالمخافة يذوب قلبه فى جوفه كما يذوب الملح فى الماء هما ولا يستطيع أن يغير عندها ياسلمان يكون المطر قيظا والولد غيظا والفئ مغرما والمال دولا ياسلمان عند ذلك يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من أمتى لعنة الله ياسلمان عند ذلك يجفو الرجل والديه ويبر صديقه ويحتقر السيئة قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والالسن مختلفة دين أحدهم لعقة على لسانه ان أعطى شكر وان منع كفر قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تحلى ذكور أمتى بالذهب والفضة عند ذلك يأتى من المشرق والمغرب قوم يلون أمتى فويل لضعيفهم من قويهم وويل لهم من الله تعالى ياسلمان عند ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذون القرآن مزامير باصواتهم وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم ياسلمان عند ذلك يكثر الربا ويظهر الزنا ويتهاون الناس بالدماء ولا يقام يومئذ بنصر الله ياسلمان تكثر القينات وتشارك المرأة زوجها فى التجارة عند ذلك يرفع الحج فلا تحج أمراء

الناس تنزهاوالهوا وأواسطهم للتجارة وفراؤهم للرياء والسمعة وقراؤهم للمسئلة (وروى) عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كسب المغنى والمغنية حرام وكسب الزانية سحت وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحمانبت من سحت (قال) عطاء بن أبى رباح رحمه الله رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنه وجابر بن عمير يرتميان فمل أحدهما فجلس فقال الآخر أجلست سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول كل شئ ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو وسهو الا أربع خصال مشى الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة (قال) قتادة رحمه الله لما أهبط ابليس لعنه الله قال يارب لعنتنى فما عملى قال السحر قال فما قرآنى قال الشعر قال فما كتابى قال الوشم قال فما طعامى قال كل ميتة ومالم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابى قال كل مسكر قال فأين مسكنى قال الاسواق قال فما صوتى قال المزامير قال فما مصائدى قال النساء (وروى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب الدف ولعب الطبل وصوت المزمار (وروى) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كبر مقتا عند الله الاكل من غير جوع والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب والرنة عند المصيبة والمزمار (وروى) أبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما ولعن الله بيتا فيه دف أوطنبور واوعدوا أخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة (وروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لست من ددولا الددمنى (قال) مالك رحمه الله الدد اللعب واللهو (وقال) الخليل بن أحمد فى كتاب العين الدد النقر بالانامل فى الارض فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم تبرأ مما ينقر فى الارض بالانامل فما بالك بطقطقة القضيب (قال) الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين (وروى) عبد الله بن عمر قال سأل انسان القاسم بن محمد عن الغناء قال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخى اذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يحصل الغناء (وقال) الشعبى رحمه الله لعن الله المغنى والمغنى له وقال الحكم بن عتيبة رحمه

الله حب السماع ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع (وقال) الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا (وقال) الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب (وكتب) عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن صوت المعازف واستماع الاغانى واللهو بهما ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب على الماء (وقال) يزيد بن الوليد يا بنى أمية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) ابن الكاتب اياك والغناء (وقال) المحاسبى فى رسالة الارشاد الغناء حرام كالميتة (وقال) أبو حصين رحمه الله اختصم الى شريح فى رجل كسر طنبورا فلم يقض فيه بشئ

(فصل) وأما من جهة الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروءة والعقول يتغلغل فى مكامن القلوب ويطلع على سرائر الافئدة ويدب الى بيت التخييل فيثير كل ما غرس فيها من الهوى والشهوة والسخافة والرعونة بينما ترى الرجل وعليه سمت الوقار وبهاء العقل وبهجة الايمان ووقار العلم كلامه حكمة وسكوته عبرة فاذا سمع اللهو نقص عقله وحياؤه وذهبت مروءته وبهاؤه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدى من أسراره ما كان يكتمه وينتقل من بهاء السكوت الى كثرة الكلام والكذب والازدهاء والفرقعة بالاصابع ويميل رأسه ويهز منكبيه ويدق الارض برجليه وهكذا تفعل الخمرة اذا مالت بشاربها (وقد روى) ان اعرابية دخلت الحاضرة فسقيت نبيذا فلما خامرها وهجت قالت أو يشرب هذا نساؤكم قالوا نعم قالت لئن صدقتم فما يعرف احدكم من ابوه (وقال) محمد بن المنكدر رحمه الله اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة اسمعوهم حمدى وثناءى وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (وقال) بعض الزهاد الغناء يورث العناد فى قوم ويورث التكذيب فى قوم ويورث الفساد فى قوم (واحتج) بعضهم على اباحة الغناء بما روى عن عائشة

رضى الله عنها انها قالت دخل على ابو بكر رضى الله عنه وعندى جاريتان من جوارى الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال ابو بكر رضى الله عنه أمزمار الشيطان فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا (والجواب) عنه ان تعرف أولا حقيقة الغناء وذلك ان للفظ الغناء معنيين لغوى وعرفى فيحمل الحديث على اللغوى فقولها تغنيان أى ترفعان اصواتهما بانشاد الشعر ونحن لا نذم انشاد الشعر ولا نحرمه وانما يصير الشعر غناء مذموما اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهى الشهوة الطبيعية وليس كل من رفع صوته بالغناء لحن والذ واطرب فالممنوع والمكروه انما هو اللذيذ المطرب ولم ينقل من هذا الحديث أن صوتهما كان لذيذا مطربا وهذا هو سر المسئلة فافهمه وقد روى البخارى هذا الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت فى آخره وليستا بمغنيتين فنفت الغناء عنهما والدليل على هذا انه ما نقل عنها بعد بلوغها الا ذم الغناء والمعازف على ما بينا وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد وهو واحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء وقد أخذ العلم عنها وتأدب بها (فان قيل) اليس قد أنشد الشعر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم (فالجواب) انا لا ننكر انشاد الشعر وانما ننكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهذا لا يمكن نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم (فان قيل) اليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا (فالجواب) ان صعصعة بن صوحان وهو من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله ان من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو الحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأما قوله وان من الشعر حكما فهى هذه المواعظ والامثال التى يتعظ بها الناس وأما قوله وان من العلم جهلا فيتكلف العالم علم ما لا يعلم فيجهل ذلك وأما قوله وان من القول عيالا فعرضك حديثك على من ليس من شأنه ولا يريده

(فصل) وقد قال بعضهم نحن لا نسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه

قوله عيالا بفتح العين المهملة وتخفيف التحتية ويروى علا بفتح فسكون اهـ

الخاص والعام واغنائهم يحق فتمتع بالله وفي الله ولا تتصف بهذه الاحوال التي هي ممزوجة بحظوظ البشرية (قلنا) ان زعمت انك فارقت طبع البشرية وصرت مطبوعا على العقل والبصيرة بمنزلة الملائكة فقد كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك وما وصفك به من حب الشهوات وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فارق الفه وادعى العصمة فجادوه فانه مفتر كذاب وكان يجب ان لا تكون مجاهدا النفسك ولا مخالفا لهواك ولا يكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات وكان يجب أن تكون أنت واصحابك تسجدون الليل والنهار لا تفترون وتستغفرون لمن في الارض وكان يجب أن تبيح سماع العود والطنبور وسائر الملاهي بهذا الطبع الذي لا يشاركك فيه أحد من الناس

(فصل) فان قيل أليس قد روي عن جماعة من الصالحين انهم سمعوه (قلنا) ما بلغنا ان احدا من السلف الصالح سمعه ولا فعله وهذه مصنفات أئمة الدين وعلماء المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وكتاب النسائي رضي الله عنهم الى غيرها خالية من دعواكم وهذه تصانيف فقهاء المسلمين الذين تدور عليهم الفتوى قديما وحديثا في شرق البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك بن أنس تصانيف لا تحصى وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين وكلها مشحونة بالذب عن الغناء وتفسيق أهله فان كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا يلزمنا الاقتداء بقوله وترك الاقتداء بالائمة الراشدين (ومن ههنا) زل من لا بصيرة له فتحتج عليهم بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين ويحتجون علينا بالمتأخرين سيما وكل من يرى هذا الرأي الفاسد خلي من الفقه عاطل من العلم لا يعرف ماخذ الاحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم ولا يصحب اهله ولا يقرأ مصنفاته ودواوينه (وقد) قال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ما استرذل الله عبدا الا حظر عليه العلم (فمن) هجر اهل الفقه والحكمة وانقضى عمره في مخالطة أهل اللهو والبطالة كيف يؤمن على هذه المسئلة

وغيرها

وقبرهما وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (فيامن) رضي لدينه ودنياه وتوثق لآخرته ومثواه باختيار مالك بن أنس وفتواه ان كنت على مذهبه وباختيار أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ان كنت ترى رأيهم كيف هجرت اختيارهم في هذه المسئلة وجعلت امامك فيها شهواتك وبلوغ أوطارك ولذاتك وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

(فصل) وقد روى عن بعض شيوخ الصوفية قال رأيت في المنام ان الحق أوقفني بين يديه وقال يا أحمد جئت وصفي على ليلى وسعدى لولا اني نظرت اليك في مقام واحد أردتني خالصا لعذبتك قال فأقامني من وراء حجاب الخوف فأرعدت وفزعت ما شاء الله ثم أقامني من وراء حجاب الرضى فقلت يا سيدي لم أجد من يحملني غيرك فطرحت نفسي عليك فقال صدقت من أين تجد من يحملك غيري وأمر بي الى الجنة (وقال الجنيد) رحمه الله رأيت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تنال منهم نصيبا فقال انه ليعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا الا في وقتين وقت السماع وعند النظر فاني أنال منهم فتنة وأدخل عليهم به (وسئل) أبو علي الروذباري عن السماع وكان من شيوخ الصوفية فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس (وقال الجنيد) اذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة (وقال) أبو الحارث الاولاسي وكان من الصوفية رأيت ابليس في المنام وكان على بعض سطوح أولاس وعن يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثياب نظيفة فقال لطائفة منهم قوموا وغنوا فقاموا وغنوا فاستفزعني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون ثم قال يا أبا الحارث ما أصيب شيئا أدخل به عليكم الا هذا (وقال) الجريري رأيت الجنيد رحمه الله في النوم فقلت كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا الا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات (فأين) هذا رحمك الله مما وصف الله به العلماء فقال ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا

(فصل) وقد استدل عظيم من شيوخهم على اباحة الغناء فقال ان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمول اذا سمع الحداء (قال) وقد روى ان بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا فارادوا أن يبايعوه فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فاتفقوا على أن يأتوا بقوال فان أحسن الاصغاء علموا كياسته فلما أسمعوه القوال ضحك الرضيع فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه (فالجواب) انظروا ياذوى الالباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة الى هذه السخافة وحسبك من مذهب امامهم فيه الأنعام والصبيان فى المهد وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدى بأحبار المسلمين وعلمائهم وتقتدى بالابل فائن كان كل ما طربت به البهائم مندوبا أو مباحا فانا نرى البهيمة تدور على أمها أو أختها وتركب بنتها فيلزم الاقتداء بالبهيمة فى مثل هذا

(فصل) فان سألوا عن معنى قراءة القرآن بالألحان (فالجواب) ان مالكا قال ولا تعجبنى القراءة بالالحان ولا أحبه فى رمضان ولا غيره لانه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان أقرأ من فلان (قال) وبلغنى أن الجوارى يعلمن ذلك كما يعلمن الغناء أين هذا من القراءة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بها (قال) ولا يعجبنى النبر والهمز يقول لا يرجع فى القرآن ولا يقطع بالالحان لان ذلك لا يتم الا بزيادة همزات فى القرآن والزيادة فى القرآن لا تجوز (وقيل) لمالك هل يقرأ الرجل فى الطرقات قال لا الا الشئ اليسير وأما الذى يديم ذلك فلا يجوز قيل له فالرجل يخرج الى السوق أيقرأ فى نفسه ماشيا فقال أكره أن يقرأ فى السوق (وسئل) عن القراءة فى الحمام قال ليس موضع قراءة وان قرأ الانسان الآية فلا بأس بذلك (قيل له) فالرجل يخرج الى قريته فيقرأ ماشيا قال نعم (قال) سحنون لا بأس أن يقرأ الراكب والمضطجع (وسئل) عن الرجل يختم القرآن فى ليلة قال ما أجود ذلك لمن أطاقه (قال مالك) ولم تكن القراءة فى المصحف فى المسجد من أمر الناس القديم وأول من احدثه الحجاج (قال) وأكره ان يقرأ فى المصحف فى المسجد (فان) سألوا عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم

ما اذن الله لشئ كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به (فالمعنى) ما استمع الله لشئ كاستماعه لنبي يجهر بالقرآن لان أصل الغناء رفع الصوت على ما بينا وبهذا فسره فى آخر الخبر فقال يجهر به (قال مجاهد) فى قوله تعالى واذنت لربها وحقت أى سمعت (قال) أبو عبيد وجماعة من العلماء لايجوز لحن القرآن وانما معنى الحديث التحبير والتحزين (قال) عيسى الغفارى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشراط الساعة فقال بيع الحكم وقطيعة الرحم والاستخفاف بالذم وكثرة الشرط وان يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا بأفضلهم الا ليغنيهم غناء (فان) سألوا عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم (فان) معناه التحزين (قال) شعبة نهانى أيوب ان احدث بهذا الحديث مخافة ان يتأول على غير وجهه (وهذا الجواب) عما رواه عبد الله بن مغفل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح فقال لولا ان يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراءة وقد رجع (وان) سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن (قال) سفيان بن عيينة معناه ليس منا من لم يستغن به يعنى بالقرآن وهكذا فسره أبو عبيد فقال معنى الحديث لا ينبغى لحامل القرآن أن يرى أحدا من أهل الارض اغنى منه ولو ملك الدنيا كلها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فرأى ان أحدا اعطى افضل مما أعطى فقد عظم صغيرا وصغر عظيما (وقال) ابن مسعود نعم كنز الصعلوك آل عمران يقوم بها من آخر الليل (والدليل) على ان التغنى بمعنى الاستغناء دون الصوت قول الاعشى

وكنت أمرأ زمنا بالعراق * عفيف المناخ طويل التغنى

قال أبو عبيد يريد الاستغناء (والعرب) تقول تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا بمعنى استغنيت قال بعض العرب يعاتب أخاه

كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

(وقال) الكسائى مررت على عجوز من العرب قد اعتقلت شاة فى بيتها فقلت لها ما تريدين بهذه الشاة قالت نتغنى بها يا هذا تريد نستغنى (وقال) بعض الصالحين من تلذذ بألحان القرآن حرم فهم القرآن (وقال) ابو

هريرة انتم اقرأ السنة ونحن اقرأ قلوبا (وقال) ابن مسعود نحن قوم ثقلت علينا قراءة القرآن وخف علينا العمل به وسيجيء قوم يخف عليهم قراءة القرآن ويثقل عليهم العمل به (وقال) كعب الاحبار ليقرأن رجال القرآن هم احسن أصواتا من المعازف ومن حداة الابل لا ينظر الله اليهم يوم القيامة (وقد) أمعن واجاد الشيخ الامام الحافظ الجليل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في هذا الموضع وبينه أتم بيان واحسنه في كتاب التفسير له فمن أراده فليقف عليه هنالك اذ ان هذا الكتاب يضيق عما اتى به وما ذكرناه هو اشارة لاولي الالباب والله الموفق للصواب

•(فصل)• ثم قال الطرطوشي رحمه الله ومما اشتهرت به هذه الطائفة اتباع الشهوات والتنافس في الوان الاطعمة (وقد) قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس (قال) أبو جحيفة اكلت ثريدا بلحم سمين فتجشيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اكفف عنا جشاءك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا في الدنيا (وروى) أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما انه اول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام (وقال) يحيي بن معاذ لو أن الجوع يباع في الاسواق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة أن يشتروا غيره (وقال) الشافعي رحمه الله ماشبعت منذ خمسة عشر عاما الا شبعة فطرحتها الان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة (وقال) سهل بن عبد الله التستري رحمه الله لما خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا جعل في الشبع القسوة والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة (وقال) بشر بن الحارث رحمه الله الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق (وقال) يحيي بن معاذ الرازي رحمه الله الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة (وسئل) الجنيد رحمه الله عن صفة الصوفية فقال طعامهم طعام المرضى ونومهم نوم الغرقى (وقال) يحيي بن معاذ الرازي رحمه الله نعوذ

ما الله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الاغنياء (وقال رجل) لبعض
المشايخ رحمهم الله انى جائع فقال كذبت قال ومن اين علمت قال لان الجوع
فى خزانته الوثيقة لا يطلع عليها من يفشى سره ولا يعطاه من لا يشكره
(وروى) أن بعض الفقراء اشتكى الى شيخه الجوع ثم ذهب فرأى درهما
مطروحا مكتوبا عليه أما كان الله عالما بجوعك حتى قلت انى جائع (وقال)
فتح الموصلى رحمه الله أوصانى ثلاثون شيخا عند فراقى لهم بترك عشرة
الاحداث وقلة الاكل (ويروى) عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل
على ابن عون فى الحبس واذا عمال بنى أمية مقيدون فى الحديد فحضر
غداؤهم فجعل الخدم ينقلون الالوان فقالوا هلم يا أبا يحيى فقال ما أحب أن
آكل مثل هذا الطعام وان يوضع فى رجلى مثل هذا الحديد (وقال) أبو
هريرة رضى الله عنه خرج النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر وعمر رضى
الله عنهما فقال ما أخرجكما فقالا الجوع فقال وأنا والذى بعثنى بالحق
ما أخرجنى الا الذى أخرجكما قوموا فأتوا بيتا من الانصار واذا الرجل غائب
فقالت امرأته مرحبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت خرج
يستعذب لنا من الماء واذا بالرجل وعليه قربة ماء فلما نظر الى النبى صلى الله
عليه وسلم قال ما أجد من الناس اليوم أكرم أضيافا منى فأتاهم بعذق من
رطب وبسر وتمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اجتنيته فقال
يا رسول الله تخيروا على أعينكم ثم أخذ المدية فقال النبى صلى الله عليه وسلم
اياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا وشربوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم
والذى نفس محمد بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم وفى لفظ عن هذا النعيم
(فصل) ويقال ان هذه الطائفة تضيف الى ماهى فيه من الباطل
استحضار المرد فى مجالسهم والنظر فى وجوههم وربما زينوهم بالحلى
والمصبغات من الثياب وتزعم انها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على
الصانع (قال) الاستاذ القشيرى رحمه الله وهو من رؤساء طائفتهم قولا
عظيما فى الرد عليهم وكشف فضائحهم من ابتلاه الله بشئ من ذلك فهو
عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته وابدى سوأته فى العاجل وله عند
الله سوء المنقلب فى الآجل (وروى) أبو داود فى السنن ان النبى صلى

الله عليه وسلم قال من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا خبب
اى أفسد وخدع وأصله من الخب وهو الخدع ويقال فلان خب ضب
اذا كان فاسدا مفسدا (قال) الواسطى رحمه الله وهو من كبار الصوفية
اذا أراد الله هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الأنتان الجيف أولم تسمعوا الى قول
الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى
لهم (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه لا تتبع النظرة
النظرة فانما لك الأولى وليست لك الآخرة (وقال) بقية بن الوليد رحمه الله
قال بعض التابعين رضى الله عنه كانوا يكرهون أن يحدق الرجل النظر الى
الغلام الامرد الجميل الوجه (قال) ابن عباس رضى الله عنهما الشيطان من
الرجل ثلاثة منازل فى نظره وقلبه وذكره (وقال) عطاء رحمه الله كل نظرة
يهواها القلب لا خير فيها (وقال) سفيان الثورى رحمه الله لو أن رجلا
عبث بغلام بين أصابع رجليه يريد الشهوة لكان لواطا (وقال) الحسن بن
ذكوان رحمه الله لا تجالسوا أبناء الاغنياء فان لهم صورا كصور النساء
وهم أشد فتنة من العذارى (وقال) بعض التابعين ما أخاف على الشاب
الناسك فى عبادته من سبع ضارئ كخوفى عليه من الغلام الامرد يقعد اليه
(وقال) بعض التابعين رضى الله عنهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل (وروى) ان أحمد
ابن حنبل رحمه الله جاء اليه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تجئنى به
مرة أخرى فقيل له انه ابنه وهما مستوران فقال علمت ولكن على رأى
أشياخنا (وكان) محمد بن الحسن صاحب يحيى بن معين لم يرفع رأسه الى
السماء أربعين سنة فجاءه غلام حدث ليجلس اليه فاجلسه من خلفه (فاما)
اتيان الذكور فهى الفاحشة العظمى وهو محرم مغلظ التحريم (قال) الله
تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم
(قال مالك) ويرجم الفاعل والمفعول به أحصنا أو لم يحصنا وبه قال ربيعة
وأحمد بن حنبل واسحاق (وقال) الحسن البصرى وعطاء والنخعى وقتادة
والاوزاعى وأبو يوسف ومحمد هو كالزنا ان كان بكرا يحد وان كان ثيبا يرجم
ولا فرق بين ان يفعله مع غلام أو امرأة أجنبية (والحجة) لمالك ان النبى صلى

الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول
به (وايضا) فان الله تعالى رجمهم بالحجارة قال تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها
سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل الآية (وروى) ان ابا بكر استشار
الصحابة رضوان الله عليهم فى رجل كان ينكح كما تنكح المراة فقال على بن
ابى طالب رضى الله عنه ارى ان يحرق فكتب ابو بكر رضى الله عنه الى
خالد بن الوليد رضى الله عنه فاحرقه بالنار (وروى) عنه ايضا انه قال يرجم
اللوطى (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما يرمى من شاهق جبل اعلى ما فى
البلد منكسا ثم يتبع بالحجارة (ويروى) عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه
انه قال يهدم عليه البيت (وقال) عثمان رضى الله عنه يقتل (وروى) ان
قوم لوط كانت فيهم عشر خصال اهلكهم الله تعالى بها كانوا يتغوطون فى
الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفى الانهار الجارية وفى شطوط الانهار
وكانوا يحذفون الناس بالحصباء فيعورونهم واذا اجتمعوا فى المجالس
اظهروا المنكر واخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم
قبل ان يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهى اللواط (قال) الله تعالى
أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر والنادى
المجالس والمحافل (ومن) ارتقى فى هذا الباب عن حالة الفسوق واشار الى
ان ذلك من باب بلاء الزواج وانه لا يضر فهذه وساوس الشيطان وادعاء
العصمة وهو الكفر ونظير الشرك فاحذر مجالستهم فان اليسير منه فتح باب
الخذلان وادخال الهجران بينك وبين الحق ثم يقال وهبك ايها المغرور قد
بلغت رتبة الشهداء أليس قد شغلت ذلك القلب بمخلوق (وفى الحديث)
يقول الله تعالى حرام على قلب سكنه حب غيرى ان اسكنه حبى (واما)
قولهم انهم يستدلون بالصنعة على الصانع فنهاية فى سعاية الهوى ومخادعة
العقل ومخالفة العلم (قال) الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه (قال) ابن
عباس رضى الله عنهما الهوى شر اله يعبد من دون الله (قال) الله تعالى فى
باب الاعتبار افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت (وقال تعالى) اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن (وقال) جل وعلا

ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس الآية (وقال) تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية (وقال) تعالى وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمدلول امرهم الله به من الاعتبار الى ما نهاهم عنه بقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الآية

(فصل) واما الدف والرقص بالرجل وكشف الراس وتخريق الثياب فلا يخفى على ذى لب انه لعب وسخف ونبذ للمروءة والوقار وما كان عليه الانبياء والصالحون (روى) اهل التفسير عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب (قال) وكان النبى صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهى قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم انصتوا له حتى يفرغ يعنى يسكتون ويغضون ابصارهم والطير لا يسقط الا على ساكن انتهى كلامه ولو لم يكن فى السماع والرقص شئ يذم الا انه اول من احدثه بنو اسرائيل حين اتخذوا العجل الها من دون الله تعالى فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون فبقى حالهم كذلك الى ان جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام ووقع من قصتهم ما قد ذكره الله تعالى فى كتابه فهم اصل لما ذكروما كان هذا اصله فينبغى بل يتعين على كل عاقل ان يهرب منه ويولى الظهر عنه ان كان عاجزا عن تغييره واما ان كان له قدرة على ذلك فيتعين عليه والله الموفق (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة قال الامام الطرطوشى رحمه الله هؤلاء زعموا ان قرة اعينهم فى الغناء واللهو

قوله لا تؤبن بضم اوله وفتح ثانيه مخففا اى لا تذكر بالاينبغى اه

والنظر فى وجوه المرد
(فصل) وقال رحمه الله واما تمزيق الثياب فهو يجمع الى ما فيه من السخافة افساد المال (روى) ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال (وقال) عمرو بن العاص رضى الله عنه مر النبى صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة اعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة فقال هلا انتفعتم باهابها فقالوا انها ميتة قال انما حرم اكلها (قال) العلماء ويحجر على السفهاء وهم المبذرون لاموالهم وما فى السفه اعظم من تمزيق الثياب (وقال) انس رايت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة واحدة منها من أديم احمر (وروى) ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه انقطع شسع نعله فقال انا لله وانا اليه راجعون (ومن امثالهم) من اصلح ماله فقد صان الاكرمين دينه وعرضه وتمزيق الثياب داخل فى قوله تعالى لابليس وشاركهم فى الاموال والاولاد واذا كان الكسب خبيثا كان مآله الى مثله انتهى كلام الطرطوشى رحمه الله
(فصل) وقال الشيخ ابو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره فى قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث فقال الغناء والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات (وعن) ابن عمر هو الغناء (وكذلك) قال عكرمة وميمون بن مهران ومكحول (وروى) شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق فى القلب (وقال) مجاهد وزاذان لهو الحديث المعازف والغناء (وقال) القاسم ابن محمد الغناء باطل والباطل فى النار (وقال) ابن القاسم سالت عنه مالكا فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أفحق هو (وروى) الترمذى وغيره من حديث انس وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان فاجران أنهى عنهما صوت مزمار ورنة شيطان عند نغمة وفرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب (وروى) جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن على رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغيلانى (وخرج) ابن بشران عن

عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل (روى) ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة يسمع منها صب فى اذنيه الآنك يوم القيامة (وقد) روى مرفوعا من حديث ابى موسى الاشعرى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين فقيل وما الروحانيون يارسول الله قال قراء أهل الجنة خرجه الترمذى الحكيم أبوعبد الله فى نوادر الاصول (ومن) رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه (والهذه) الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذى يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذى يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان فى شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لايختلف فى تحريمه لانه اللهو والغناء المذموم باتفاق فأما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه فى اوقات الفرح كالعرس والعيد وعند النشاط على الاعمال الشاقة كما كان فى حفر الخندق (فأما) ما ابتدعه الصوفية اليوم من الادمان على سماع الاغانى بالآلات المطربة من الشبابة والطار والمعازف والاوتار فحرام (قال) ابن العربى فأما طبل الحرب فلاحرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو (وذكر) أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى قال أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة (قال النحاس) وهو ممنوع بالكتاب والسنة (قال الطبرى) وقد اجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه (قال) أبو الفرج بن الجوزى وقد قال القفال من اصحابنا لاتقبل شهادة المغنى والرقاص (قال) ابو عبد الله القرطبى رحمه الله واذ قد ثبت أن هذا الامر لايجوز فأخذ الاجرة عليه لايجوز (وقد) ادعى أبو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك (وذكر) القرطبى ايضا فى سورة سبحان فى قوله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا قال استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه (قال) الامام أبو الوفاء بن عقيل قد نص القرآن على

الآنك بالمد وضم النون خالص الرصاص اه

النهى عن الرقص فقال ولا تمش فى الارض مرحا وذم المختال والراقص أشد والمرح الفرح أو استاقه ثنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما فى الطرب والسكر فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والطبل لاجتماعهما فما اقبح ذا لحية سيما اذا كان ذا شيبة يرقص و يصفق على توقيع الالحان والقضبان خصوصا اذا كانت أصوات نسوان و ولدان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم مآله الى احدى الدارين يشمس بالرقص شموس البهائم و يصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عمرى ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع ادمان مخالطتى لهم (وقال) ابو الفرج بن الجوزى ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى انه قال حماقة لا تزول الا باللعب (وذكر) القرطبى أيضا فى قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال فى الآية ما يدل على تحريم المزامير والغناء واللهو لقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه اه

(فصل) وقد حكى عن امام هذه الطريقة وهو الشيخ الجنيد رحمه الله انه سئل لحضور السماع فابى ثم سئل فابى فقيل له الست كنت تحضره قال مع من وممن وقد حكى عن غيره من الاكابر انه سئل لحضور السماع فابى فقيل له أتنكر السماع قال ومثلى ينكره وقد فعله من هو خير منى ومنكم عبد الله بن جعفر الطيار وانما أنكر ما احدث فيه اه (وهذا) كما قد سبق من أن الغناء هو رفع الصوت بالشعر فحضره هذا السيد لما أن كان كذلك فلما ان حدث فيه ما حدث تركه (وهذا أيضا) موافق لكلام الجنيد فى قوله مع من وممن لما تقدم عنه رحمه الله ان القوال هو شيخ الجماعة الذى منه يستمدون وبه يقتدون ولا شك ان هذه الصفة بعيدة من سماع هذا الزمان لما احتوى عليه مما لا ينبغى كما هو مشاهد مرئى وقد وقعت الاشارة لبعضه (وهذا) مع ما فيه مما تقدم ذكره قل أن يسلم من حضور النساء فى المواضع المشرفة عليه من سطح أو غيره وسماعهن الاشعار المهيجة للفتنة والشهوات والملذوذات فان ذلك محرك لهن سيما كما تقدم من أن الغناء رقية الزنا وهن ناقصات عقل ودين سيما اذا انضاف الى ذلك ان يكون لهن طريق الى التوصل الى الرجال

أو الرجال الهين واعظم فتنة و بلية سيما اذا انضاف اليه أن يكون المغنى شابا حسن الصورة والصوت ويسلك مسالك المغنيات فى تكسيرهم وسوء تمايلاتهم فى تلك الحركات المذمومة مع ما هو عليه من الزينة بلباس الحرير والرفيع من غيره وبعضهم يبالغ فى أسباب الفتنة فيتقلد بالعنبر بين ثيابه الشم رائحته منه ويجعل على رأسه فوطة من حرير لها حواش عريضة ملونة يصففها على جبهته ولهم فى استجلاب الفتن بمثل هذا أمور يطول ذكرها (ثم) العجب من هذا المسكين الذى عمل السماع لهم وجمعهم له كيف يطيب خاطره أو يسكن باطنه برؤية أهله لما ذكر اذ أن ذلك كله فتنة عظيمة قل من يسلم عند سماعها أو رؤيتها فانا لله وانا اليه راجعون أين غيرة الاسلام أين نجدة الرجال السادة الكرام أين الهمم العالية العفيفة عن الحرام أين اتباع السلف الاعلام (فتحصل) مما تقدم ذكره أن كل من حضر السماع من الرجال والشبان ومن اطلع عليه من النساء او سمعهم افتتن وقل أن يرضى بما عنده من الحلال غالبا فتتشوف نفوسهم الى ارتكاب المحرمات فمنهم من يصل الى غرضه الخسيس وهى البلية العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك لقلة ذات يده أوغيره من العوائق المانعة له فيكون آثما فى قصده ولو وقف الامر على ما ذكر لرجيت لهم التوبة والاقلاع والاقالة عما وقعوا فيه لكن البلية العظمى ان كثيرا منهم يتدينون بذلك ويعتقدون به القربة الى الله عز وجل سيما ان عملوه بسبب المولد فهو أعظم فى الفتنة لانهم يعتقدون انهم فى أكبر الطاعات واظهار شعائر الدين (وتعطى) هذه القاعدة التى انتحلوها انهم أعرف بالشعائر من سلفهم نعوذ بالله من المحن والفتن ومن الابتداع وترك الاتباع (وبالجملة) ففتنته أكثر من أن تحصر وهذا مع ما فيه من اضاعة المال والرياء والسمعة لو قيل لاحدهم تصدق ببعض ما تنفقه فيه على المضطرين المحتاجين سرا لشح بذلك وبخل وما ذلك الا لوجوه (الوجه الاول) خبث المكسب غالبا لان المال الذى يحصل من وجه خبيث لا يخرج الا فى وجه خبيث مثله بذلك جرت الحكمة (الثانى) ايثار الشهوات والملذوذات (الثالث) الرياء والسمعة (الرابع) محبة الثناء والمحمدة والقيل والقال كما تقدم (الخامس) محبة النفوس فى الظهور

على الاقران. (السادس) ان صدقة السر خالصة للرب عز وجل فلا يقدر عليها الا ذو حزم ومروءة واخلاص فالسعيد السعيد من تمسك بنور الشريعة وسلك منهاجها وشد يده عليها وترك كل ما احدثه المحدثون وعمل على خلاص مهجته واهله وولده ولا خلاص الا بالاتباع وترك الابتداع سلك الله بنا الطريق الارشد انه ولى ذلك والقادر عليه بمحمد وآله

(فصل) وقد تقدم فى أول الكتاب أن تصرف المكلف لم يبق الا فى قسمين وهما الوجوب والندب فاذا كان هذا فى حق غير الفقير المنقطع فما بالك بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذى ترك الدنيا وشهواتها وملاذها واخاف ظهره فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره (واذا) كان ذلك كذلك فالسماع اذا سلم مما تقدم ذكره لم يدخل فى باب الواجب والمندوب بدليل ما تقدم عن الجنيد رحمه الله حيث قال لا يصير السماع مباحا الا بعشرة شروط وقد تقدم أكثرها والفقير أولى بل أوجب أن يحتاط لنفسه ويتقى مواضع الريب ويسد عن نفسه أبواب المفاسد كلها فانه شبيه بالعالم فى الاقتداء به فصلاحه يتعدى لغيره وفساده كذلك فيتعين عليه أن يحفظ مهجته ومهجة غيره من المسلمين بالنهوض الى ما يجب عليه أو يندب اليه ويترك ما عدا ذلك ويعرض عنه والله المستعان

(فصل) وينبغى له أن يصون حرمة الخرقة التى ينتسب اليها بترك الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وقد تقدم قبح ذلك فى حق العالم ففى حق الفقير أولى وأحرى اذ انه أقبل على طريق الآخرة وترك الدنيا واهلها فوقوفه على ابواب من تقدم ذكرهم نقيض طريقه ومقصده بل ينقطع عنهم ظاهرا وباطنا اعنى انه لا ينقطع فى خلوته وقلبه متعلق بغير مولاه وفيه فان تعلق خاطره بشئ من ذلك فهو منهم وان كان لم يدخل معهم فى الظاهر ولم يكثرهم (ألا ترى) انهم قد قالوا اذا رايت الامير على باب الفقير فانعم الفقير لانه ما جاء الا لذنبة حصلت فى الفقير من اجل ما يتعاطونه من امور الدنيا ولاجل ذلك جاء الامير لحصول الجنسية او كما قالوا (وقد) يكون الفقير لا يشعر فاوجب ذلك فى حقه (حتى) لقد حكى عن

بعضهم انه كان لا يمر له خاطر فى الدنيا ثم حصل له فى بعض الايام التفات اليها
واذا بجندى يدق الباب فدخل اليه وجلس يتحدث معه فى الدنيا فرجع
الشيخ الى نفسه وقال هذه عقوبة من الله من أين أتيت واذا هو قد ذكر
الخاطر الذى مر به فتاب الى الله تعالى واقلع عنه واذا بالجندى قد قام
وخرج من حينه (فهذه) كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة وهم قدوة لمن
بعدهم ممن يتمسك بطريقهم أسأل الله أن لا يخالف بنا عن حالهم (ومع هذا)
فلا ننكر الاجتماع بهم أعنى اذا جاءوا الى الفقير راغبين فقد وردت السنة
بحسن البشاشة عند اللقاء والاخذ مع المضطرين والمساكين فيما نزل بهم
ولا شك ان احتياج أبناء الدنيا للمريد وخطره أعظم من احتياج غيرهم من
الفقراء والمساكين الى المريد المنقطع الى ربه عز وجل لان الفقير المسكين
أقرب الى ربه سبحانه وتعالى اذ هو فى حالة الاضطرار والمسكنة عليه ظاهرة
بخلاف أبناء الدنيا لان الغالب عليهم الشرود عن باب ربهم لاجل تعلقهم
بمن هو فوقهم أو من هو مثلهم من أبناء الدنيا فيحتاج المريد اذا أتوا اليه أن
يباسطهم لكى يتوصل بذلك الى موعظتهم وسياسة أخلاقهم ليسرق
طباعهم بالرفق والتيسير وعدم التنفير قاصدا بذلك وقوفهم بباب ربهم
وارشادهم اليه لا لغرض دنيوى لان نجاة هؤلاء من باب خرق العادة بخلاف
الفقير والمسكين فاذا خلص واحد من هذه صفته فلا شك أنه من الجهاد
وفى الجهاد من الفضيلة ما فيه فيحتاج ان يغتنم ما سيق اليه من هذا الخير
العظيم ويشد يده عليه بشرط أن يحفظ على مقامه الذى هو فيه من
تدنيسه بالتشوف الى ما فى أيديهم أو التعزز بعزهم الفانى أو الركون
الى شئ من أحوالهم الزائلة فاذا سلم من ذلك فلا ينافى قضاء حوائج
المضطرين من المسلمين على أيديهم لان له بذلك المنة عليهم لانه ساق اليهم
خيرا عظيما ومعروفا جسيما لكن بشرط يشترط فيه وهو أن يريهم
ان الحظ والمنفعة والحاجة الكبرى لهم فى استقضاء حوائج المسلمين
منهم بعد أن يحقق عندهم انهم مضطرون الى ذلك أكثر من أرباب الحاجات
اليهم وان ذلك متعين عليهم من غير امرائهم بذلك فكيف مع اطلاعه
واطلاعهم وهذا باب كبير متسع فيكفى التنبيه عليه (وبالجملة) فالفقراء

السالكون ممن مضى منهم نفعنا الله بهم قد انقسموا في هذا الباب على ثلاثة أقسام (فمنهم) من كان لا يخالط أحدا من غير جنسه فان وقع لأحدهم شئ من ذلك استعمل الحيل في التخلص منه (كما حكي) عن سفيان الثوري انه لما ان تولى الخلافة من يعتقده ويرجع اليه هرب منه الى البلاد وسافر الى مواضع لا يعرف فيها فبقي الخليفة يسأل عنه ويبحث عن أمره الى ان اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه في ان اجتماعه بالخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه أن قال يصلح ما يعلم فساده فاذا فرغ من ذلك اتيته وجلست معه وعلمته ما لم يعلمه أو كما قال (وقد حكي) عن بعضهم أنه اظهر التوله حين اتيان السلطان اليه بأن جعل على بابه احمالا من الخبز فوضعها وجلس هنالك فلما ان رأى السلطان مقبلا أخذ رغيفا وجعل بعض فيه ويأكل بنهمة فجاء السلطان فسأل عنه فقيل له هو ذا فسلم عليه فرد عليه السلام فكلمه فابى عن جوابه فسأله لم لا ترد على الجواب فقال أخاف أن تشغلني من أكلي أو ان تأكل معي فيذهب هذا الخبز وأنا لا أشبع أو كما قال فرجع السلطان عنه وهذا باب السلامة ولا يعدل بالسلامة شئ (القسم الثاني) انهم يجتمعون بهم اذا أتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها (القسم الثالث) الاتيان اليهم وفيه خطر من أجل مخالطتهم والوقوف على أبوابهم لقضاء حوائج المسلمين اذ أن ذلك جمع بين أمرين متضادين أحدهما حسن وهو قضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم والثاني ضده وهو اهانة خرقة الفقير بالوقوف على أبواب من لا ينبغي (وقد) قال بعضهم ما أقبح ان يسئل عن العالم فيقال هو بباب الامير فاذا كان هذا القبح في حق العالم فما بالك به في المريد الذي خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بطلبها وتوجه الى الله عز وجل بالانقطاع اليه ولو لم يكن فيه من القبح الا انا مأمورون بالتغيير عليهم في بعض أحوالهم والوقوف بأبوابهم ينافي ذلك (وقد كان) سيدي أبو محمد رحمه الله يختار الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية لا يقف بأبوابهم ولا ينفر منهم بل يستقضي حوائج الضعفاء والمساكين منهم اذا أتوا اليه وأما من لم يأت منهم اليه فانه كان لا يرسل اليه أصلا ومن نزلت به ضرورة وأتى اليه يحيله على الصدقة والتوبة مما جنى

وأما الارسال اليهم فكان لا يرسل ان يعرف ولا ان لم يعرفه فمن كان يعرفه
منهم اذا جاء ذكره ما اطلع عليه من ضرورات المسلمين فأزالها وهذا الذي
درج عليه هو حال أكثر السلف أعني الطريقة الوسطى المتقدم ذكرها
والله الموفق هذا حاله مع زيارة من ينسب الى الدنيا (وبالجملة) فمن يأتي
الى زيارة المريد ينقسمون على ثلاثة أقسام (الاول) اتيان أبناء الدنيا اليه
(والثاني) زيارة المريدين والصلحاء (والثالث) زيارة من شاركه في الخرقة
من جهة شيخه او من جهة العالم الذي اهتدى بهديه (فالقسم الاول) قد
تقدم ذكره (وأما) القسم الثاني فيتعين عليه أن يلقى من أتاه برحب وسعة
صدر وان يكثر التواضع لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه
انها مقصرة في حقهم اذ انه قعد عن زيارتهم حتى احتاجوا الى زيارته
فيعوض لهم عن ذلك كثرة الانس واظهار الود بشرط أن يكون ذلك منه
باطنا كما فعله ظاهرا والمقصود أن يبالغ في الأدب معهم بتوقير كبيرهم
واحترامه والتلطف بصغيرهم في ارشاده وتهذيب اخلاقه وتهيئ أمره
للسلوك والترقي وان استطاع أن لا يخرج عنه أحد من هذه الطائفة الا
عن أكل فليفعل لانه قد ورد عن السلف رضي الله عنهم انهم كانوا لا ينصرفون
الا عن ذواق فان لم يمكنه ذلك الا بتكلف مثل أخذ دين أو ما يقاربه فالترك
أولى به (وقد حكي) عن بعضهم انه جاءه أضياف فقدم لهم خبزا وملحا وقال
لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم لكن يعوضهم عن ذلك امدادهم في
بواطنهم أن كان من أهل ذلك فان لم يكن من أهل الامداد فيدعو لهم بظاهر
الغيب ولعل أن يكون فيهم من هو والغالب من هو ارفع منه قدرا وأعظم شانا
فيكون دعاؤه اذ ذاك يعود عليه بركته (لما ورد) ان المرء اذا دعا لاخيه في
ظاهر الغيب فان الملك يقول له ولك مثل ذلك أو كما ورد (وقد) قال بعض
السلف كل حاجة احتاجها وأريد أن أدعو بها لنفسي ادعو بها للاخ في ظهر
الغيب لاني اذا دعوت لنفسي كان الامر محتملا للقبول أو ضده واذا دعوت
لاخي في ظاهر الغيب فالملك يقول ولك مثل ذلك ودعاء الملك مستجاب (وقد
حكي) عن بعضهم انه جاء الى زيارة أخيه فقال له المزور يا أخي اما كان لك
شغل بالله عن زيارتي فقال له الزائر شغلي بالله اخرجني الى زيارتك (وقد

حكى) عن بعضهم أيضا انه كان اذا سأله أحد من اخوانه فى حاجة يبكى ثم بعد ذلك يقضى حاجته فسئل عن موجب بكائه فقال أبكى لغفلتى عن حاجة أخى حتى احتاج ان يبديها الى وهذا الذى ذكره وجار على عادة غالب حال الناس (وبعض الاكابر) يعوض عن ذلك ماهو فى الايثار أكثر وأعم وله فى ذلك اقتداء حسن صحيح (كما) حكى لى من أثق به ان الفقيه الامام المعروف بابن الجيزى جاء الى زيارة الفقيه الامام المحدث المعروف بالظهير الترمنى وكان اذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجىء الفقيه ابن الجيزى الى زيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيئا ولم يكن كلامه له الا جوابا فلما ان خرج رجع الى ما كان عليه من البسط مع من حضره فسئل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزور مثلى فاردت أن أكافئه ببعض ما يستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافاته فآثرته بالاجر كله حتى يكون فى صحيفته دونى اما وردا ذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه فآثرته بذلك أو كلاما هذا معناه (وهذا) له أصل فى الاتباع للسنة المطهرة وهو ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كنت اذا لقيت عليا ابتدأنى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام فقال له اجلس فجلس واذا بعلى بن أبى طالب قد جاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم تبتدى أبا بكر اليوم بالسلام فقال يا رسول الله رايت فيما يرى النائم قصرا فى الجنة لم أر مثله فقلت لمن هذا القصر فقيل ان يبتدى أخاه بالسلام فاردت أن أوثر اليوم أبا بكر على نفسى أو كما قال (وهذا) أعظم فى الاكرام وأبر فى الاحترام فمن كانت له استطاعة على مثل هذا الايثار فهو أولى به لكن يخاف على فاعل ذلك فى هذا الزمان أن ينفر الناس غالبا عن باب ربهم ويوقعهم فيما لا ينبغى فارتكاب الطريقة المتقدمة والحالة هذه أولى بل أوجب اللهم الا أن يقع ذلك مع من له رسوخ فى السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله الموفق

(فصل) اعلم رحمنا الله واياك أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغى الاعتناء بها ليعرف المكلف أماكنها فيتعرض لها لقوله عليه الصلاة

والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله (فمن) جملة النفحات ما تقدم ذكره من دعاء المؤمن لاخيه فى ظهر الغيب (والثانى) المضطر وهو الاصل لعمومه قال الله تعالى أمّن يجيب المضطر اذا دعاه وهذا لفظ عام دون الاتصاف بصفة دون أخرى وكثير من يقع له الغلط والوهم فى هذا القسم فيرى انه مضطر فيدعو فلا يستجاب له فيقول أنى هذا فيقع له الجواب بلسان الحال قل هو من عند أنفسكم اذ انه لو حصلت له حالة الاضطرار ما ردّ وما خيب لان الله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد (ومثال) ذلك فى الحس ما كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول مثله مثل من ركب فى السفينة فهو مضطر الى ريح يمشى بها والى بحر هاد قليل الآفات لكنهم مطمئنون بسفينتهم راكنون اليها وفى هذا السكون من عدم الاضطرار ما فيه فلو جاء الريح العاصف وتحرك عليهم هول البحر لكان اضطرارهم أكثر من الاول لكنهم عندهم قوة فى أنفسهم بالسفينة التى هى سبب السلامة غالبا فلو انكسرت السفينة مثلا وبقى كل واحد منهم أو جماعة على لوح لاشتد اضطرارهم أكثر من الثانى لكنهم يرجون السلامة لما تحتهم من الالواح وذلك قدح فى حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الالواح وبقوا بعد ذلك فى لجج البحار لا بر يرى ولا جهة تقصد ولا لوح يرام أن يصعد عليه فهذه الصفة هى حقيقة الاضطرار أو كما قال (فمن) اتصف بهذه الصفة وهو فى حالة الاتساع من أمره كان مضطرا حقيقة فلا يشك ولا يرتاب فى اجابته وما وقع الغلط الا فى صفة التفصيل لهذه الصفة الجملية التى أخبرنا الله تعالى بها فى كتابه العزيز (الثالث) من مواطن الاجابة عند نزول الغيث (الرابع) عند الاذان (الخامس) عند اصطفاف الناس للصلاة (السادس) عند اصطفافهم للجهاد (السابع) الثلث الاخير من الليل فى كل ليلة الى طلوع الفجر (الثامن) الدعاء عند المحتضر فان الملائكة حضور يؤمنون على دعاء الداعى (التاسع) الدعاء من الصائم عند افطاره (العاشر) الدعاء من المسافر عند سفره (الحادى عشر) وهو آكدها الساعة التى وردت فى يوم الجمعة وقد تقدم بيانها (الثانى عشر) يوم الاثنين وليلته وقد تقدم بيانه (الثالث عشر) ليلة القدر وهى أم الباب وخلاف العلماء فيها مشهور معروف (الرابع

عشر) الدعاء من الوالدين لولدهما (الخامس عشر) الدعاء عند حدوث الخشوع واقشعرار الجلد والخوف والقلق وغلبة الرجاء فان هذه المواطن كلها محل للاجابة (السادس عشر) وهو اعظمها واولاها الدعاء باسم الله الاعظم وقد اختلف الناس في تعيينه اختلافا كثيرا حتى قال بعضهم ان ذلك راجع الى الاتصاف بحالة الاضطرار كما تقدم ومنهم من قال انه قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ومنهم من قال الله لا اله الا هو الحى القيوم والم الله لا اله الا هو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم ومنهم من قال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ومنهم من قال آخر سورة الحشر الى غير ذلك وهو كثير (السابع عشر) يوم عرفة (الثامن عشر) شهر رمضان (التاسع عشر) فى السجود (وبالجملة) فالدعاء له اركان واجنحة واسباب واوقات فان صادف اركانه قوى وان صادف اجنحته طار فى السماء وان صادف اسبابه نجح وان صادف اوقاته فاز (فمن) اركانه الاضطرار وقد تقدّم (واجنحته) قوّة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه (واسبابه) الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (واوقاته) الاسحار (وما) تقدّم ذكره انما هو فيمن هو على جادّة التكليف (واما) من هو فى مقام الرضى او ما يقاربه فقد يكون السؤال فى حقه ذنبا يتعين عليه التوبة والاستغفار منه (كما) قد حكى عن بعض السلف انه قال تجاسرت البارحة وسالت ربى المعافاة من النار كما حكى الشيخ الامام ابو طالب المكى رحمه الله عن بعضهم انه قال كل المقامات نلت منها شيئا الا هذا الرضى فانى ما نلت منه الا مقدار سم الخياط (ومع ذلك) لو اخرج اهل جهنم اجمعين وادخله جهنم وملأها بجسده وعذبه بعذابهم اجمعين لكان راضيا بذلك وقد تقدّم ما جرى للكليم عليه الصلاة والسلام مع العابد (وبالجملة) فالامر راجع الى حال من وقع له ذلك وفى اى وقت يقع له ذلك وقد يكون فى بعض الاحيان الرضى فى حقه اولى وافضل بالنسبة الى حاله وما اختص به فى وقته ذلك وقد يكون فى وقت آخر الدعاء والتملق واظهار الفاقة والاضطرار والحاجة اولى وافضل وكل ذلك مأخوذ من السنة المطهرة وعن السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين (ثم نرجع) الى ما

كما سبيله من أقسام الزائر والمزور (القسم الثالث) الاشتراك فى الرضاعة فى مجالس العلم ومجالس الشيوخ فمن جاءه من هذا القسم فهو من الخاصة به فان استطاع أن يكون لهم أرضا فليفعل اذ أن احترامهم احترام لشيخه الذى أخذ عنه (وآداب) المريد مع شيخه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون ولا يقدر المريد أن يقوم بحقه فى الغالب اذ أن حقيقة أمر الشيخ انه وجده فى بحار الذنوب والغفلات فأخرجه من كل ذلك وأدخله الجنة وهو أمر لا يقدر أحد أن يجازى عليه الا الله تعالى

(فصل) وينبغى له أن يكون أهم الامور عنده وآكدها الخلوة عن الناس والانفراد بنفسه دونهم كما تقدم لان الخلوة سبب للفتح غالبا (وليحذر) أن يقبل ما تلقيه اليه نفسه أو الشيطان من محبة الاجتماع بالاخوان أو الميل اليهم أو الميل الى رؤيتهم فان النفس مجبولة غالبا على حب الراحة والبطالة وهى لا تجد لذلك سبيلا مع دؤب الخلوة ولا تجد السبيل الى أن تسرقه أو تميل به عما هو بسبيله الا بسبب الاجتماع بالاخوان غالبا اذ بالاجتماع بهم تجد السبيل الى الزيادة والنقصان فيما يريده ويختاره وفيه من الخطر ما فيه أو عكسه وهو الداء الذى ليس له دواء فى الغالب الا التوبة والاقلاع والتحلل وكان فى غنية عن ذلك كله وهذه دسيسة قل من يشعر بها الا من نور الله بصيرته (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله فى كتاب الدلالات له عن بعض شيوخه انه قال كنت أخلو لاسلم من ضررى للناس فصرت أخلو لاغنم فصرت أخلو لافهم فصرت أخلو لاعلم فصرت أخلو لانعم اهـ (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه المقامات الجليلة التى انتقل منها واليها واحدة بعد واحدة (فأولها) طلب سلامة الناس منه كما تقدم اذ أن طلب السلامة من الناس فيه تزكية للنفس ووقوع فى حق اخوانه المسلمين فاذا خلا بنفسه لكى يسلم الناس من لسانه وبصره وسمعه وبطشه وسعيه وحسده الى غير ذلك مما يعتوره فى خلطته لهم فيحصل بسبب ذلك فى القسم الذى شهد له صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه بالاسلام حيث يقول عليه الصلاة والسلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقد تقدمت الاشارة الى ذلك كله (فلما) ان حصل هذا المقام السنى ترقى بعده

الى ما هو واسنى منه وهو حصول الغنيمة فهو فى أعمال الآخرة ينتهى اذان الخلوة التى هو فيها اعانته على افتراس ذلك والنهوض اليه لعدم العائق (ثم) بعد حصول هذا المقام السنى ترقى الى ما هو أسنى منه وهو الفهم عن الله تعالى فى آياته وفى أحكامه وفى تدبيره فى خلقه واحسانه الى أوليائه وقربه منهم وعلمه بما لهم اذ هو سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك وسهل الامر عليه فيه والفهم عن الله أعم من هذا كله وانما هو اشارة تما لما عداه اذكر (ثم) انتقل بعد هذا المقام السنى الى ما هو أسنى منه وهو العلم لانه نتيجة الفهم اذ انه اذا فهم علم وهذا العلم عام فى العلم بالله تعالى والعلم بأحكام الله اذ انه لا يوجد جاهل بأحكام الله عليه عالما بالله والعلم بالله ليس له حد ينتهى اليه بخلاف العلوم الشرعية فان لها نهاية على ما قد علم (فلما) ان حصل هذه الدرجة السنية انتقل منها الى ما هو أسنى منها وهو التنعم فى خلوته والتلذذ بالطاعات التى يحاولها اذ انه عبد قد خلعت عليه خلع القرب فاتصف بالمقامات السنية التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل المولى سبحانه وتعالى وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين اخوانه من المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا افضل عميم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (فاذا) حصل فى هذه الدرجة انتفع بنفسه وانتفع به من عرفه ومن لم يعرفه (فاذا) حصل فى هذا المقام السنى جاءته الالطاف تترى اذ انه تشبه فيه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون وبذكر ربهم يتنعمون اذ ان الذكر لهم كالنفس لنا ومن هذا حاله تكون العبادة له كالغذاء لان الغذاء جمع أشياء منها شهوة النفس للاكل والشرب وقوام البدن والاعانة على فعل الطاعات (ومن) حصل فى هذا المقام الذى تقدم ذكره فقد تم له النعيم (الاترى) ان بعضهم كان يأكل اكلة فى الشهر وبعضهم فى ثلاثة أشهر وبعضهم فى ستة أشهر وبعضهم لا هذا ولا هذا كل ذلك راجع الى حال التنعم فى الخلوة كما تقدم (ومن) هذا الباب انقطع كثير من المريدين لانهم لم يحكموا الآداب فى الوصول الى هذا المقام فيريدون أن يتشبهوا بمن هو فيه فينقطعون وما ذاك الا ان هذا غذاؤه بالتنعم الذى هو فيه وقد مضت حكمة الحكيم

سبحانه وتعالى ان هذا البدن لا قوام له الا بقوت فالقوت المعنوى الذى حصل له هذا الذى تقدم ذكره أغناه عن القوت الحسى وهم لم يحكموه وتركوا القوت الحسى (وقد) قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله اعلم ان الله عز وجل قد تكفل لهذا الهيكل برزق لا قوام له الا به قال وهذا الرزق الذى تكفل به ليس من شرطه ان يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا وتارة يكون معنويا او كما قال ولاجل الجهل بتحصيل هذا القوت المعنوى حصل لبعض من يتعانى كثرة المجاهدة أشياء رديئة مثل العربدة أو الجنون أو النشاف الى غير ذلك فمن تأدب بهذه الآداب المذكورة فى الخلوة يغلب الرجاء انه من الناجين والحمد لله رب العالمين (وقد) سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول انه قد كان دخل فى مجاهدة بنية أمد معلوم فلم تقدر نفسه على اتمام المدة وضاق ذرعه بذلك قال فأردت ان أفطر ثم حصلت لى عزيمة على ترك ذلك فلما ان شعرت نفسى بهذه العزيمة غشى عليها فرأيت فى تلك الغشوة كأن انسانا يطعمنى فأكلت حتى شبعت ثم سقانى فشربت حتى رويت ثم استفقت وأنا شبعان ريان فقمت أغتنم الطاعة مبتدرا بقوة ونشاط ففرغت المدة وأنا على ذلك الحال ثم بقيت بعد ذلك مدة أخرى كذلك ولو بقيت على ذلك بقية العمر لرأيت انى لا أحتاج الى غذاء بعدها لكن رجعت الى الغذاء خوفا منى على ترك السنة اذ ان السنة وردت بالغذاء (هذا الوجه) الذى ذكره رحمه الله (وفيه) وجه آخر وهو انه لو تمادى على ذلك الحال لاشتهر أمره وعرفه الناس بذلك وهذا فيه ما فيه (وبالجملة) فبركة الخلوة لا تنحصر ولا تقف على حد ينتهى اليه كل على قدر حاله ومرتبته وأقل فوائدها بل أعظمها وزبدتها ما يحدثه الله عز وجل عند ذلك من الخشوع وتصاغر النفس والاحتقار بها وذلتها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وفقرها واضطرارها الى سيدها ومدبرها (وقد) سأل سفيان الثورى الاعمش رحمهما الله تعالى عن الخشوع فقال يا ثورى أنت تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع سألت ابراهيم النخعى عن الخشوع فقال يا أعيمش تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع بأكل الجشيم ولا بلبس الخشن وتطاطئ الرأس لكن الخشوع ان ترى

قوله أو النشاف بالتشديد كشداد من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه فى رأس القدر ويأكله دون أصحابه اه قاموس

الشريف والدنى سواء وان تخشع لله فى كل فرض افترضه عليك اه
(والغالب) ان هذا قل ان يحصل الامع كثرة الخلوات فالخلوة نور ذلك كله
وبهاؤه وعليها تقرر الاحوال السنيه والمراتب العليه فليشد عليها المريد
يده ليحصل ما يترتب عليها من البركات والله الموفق للصواب
(فصل) وآكد ما عليه فى خلوته النظر فى الجهة التى يقتات منها
فليحفظ على نفسه من الشبهات التى تطرأ عليه فيها اذ ان ذلك لا يخلو من
وجوه (اما) ان يكون يعرف أصلها مثل ان يكون من كسب يده أو ميراث
او غيرهما من وجوه الحل فهذا قد لطف الله به اذ يسر له ذلك من وجه حل
وانقطع بسببه الى الخلوات وبركاتها (واما) ان يكون ذلك من جهة ما يفتح
الله تعالى به من الغيب فذلك على وجهين احدهما ان يكون بغير واسطة
والآخر بواسطة (فان كان) الاول فهو مثل القسم الذى قبله ملطوف به
الا انه قد يخشى على بعض من يقع له ذلك من الدسائس الواردة على النفوس
وهى كثيرة لا تنحصر (واما) القسم الثانى وهو ان يكون تيسير ذلك على يد
مخلوق فهذا يحتاج الى تفصيل سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول ان ذلك
ينقسم على أربعة أقسام (القسم الاول) يسر ويضر (القسم الثانى) عكسه
لا يسر ولا يضر (القسم الثالث) يسر ولا يضر (القسم الرابع) عكسه يضر
ولا يسر (فالقسم الاول) وهو الذى يسر ويضر هو الفتوح الذى يأتى من
جهة فقير محتاج معتقد فان أنت قبلته منه سر بذلك ويتضرر فى نفسه لاجل
فقره فهذا ينبغى للمريد أن لا يرزأه فى شئ ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر
خاطره أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليحذر ان يشوش عليه بدفع
العوض له بل يعوضه دون اشعار له بذلك (واما القسم الثانى) وهو عكس
الاول وهو الذى لا يسر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى من عند من له جدة
واتساع وهو مستور بلسان العلم وصاحبه ليس بمعتقد فان هو اخذه منه
لم يسر بذلك ولم يضره أخذه منه فالمريد فى هذا القسم مخير ان شاء أخذ وان
شاء ترك وذلك راجع الى حسب حاله فى الوقت ولو قدر على ان لا يأخذ منه
شيئا لكان أولى به وارفع لمقامه لان هذه الطائفة ينبغى أن تكون يدهم هى
العليا (كما جاء) فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا

خير من اليد السفلى وقد فسره فى الحديث فقال اليد العليا هى المنفقة واليد السفلى هى السائلة (وقد) اختلف الناس فى هذا (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ان المراد بالعليا والسفلى السائلة والمسؤلة فان كنت سائلا فى قبول معروفك فيدك سفلى وان كنت مسؤلا فيدك هى العليا (وكان) رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد ان المكاف لا يخرج صدقة حتى يفك فيها لحى سبعين شيطانا فاذاهم المكاف باعطاء صدقة واعتورته هذه الشياطين وغلبهم وأتاك بمعروفه فان أنت رددته عليه فقد أعنت الشياطين عليه وقد لا تسمح نفسه بعد ذلك ان يعطيه لغيرك فيحرم من هذا الخير العظيم وتجد الشياطين السبيل الى تقصير يده عن الصدقة وان أنت قبلت منه ذلك فقد أعنته عليهم ويئسوا منه فقد حصل لك بذلك الثواب الجزيل (واذا كان) كذلك فيد الآخذ هى العليا والحالة هذه (ثم) مع ما تقدم يحصل لآخذك المؤمن من الثواب فى الدار الآخرة ما يعجز عن وصفه (يشهد) لذلك ما حكى ان شابا جاء الى شيخ هذه الطائفة وامامها الجنيد رحمه الله تعالى فقال له أنا جائع فهل من يطعمنى فقام انسان ممن له اتساع فقال عندى فأخذ الشاب ومضى معه الى بيته وقدم له طعاما ما كان الشاب يشتهيه فمد يده فرفع لقمة وبقى بها فى يده لحظة فقال له صاحب المنزل كل فاللقمة اذا أكلتها عندى خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقمة من يده وخرج ولم يأكل عنده شيئا وأتى الى الجنيد فقال مثل مقالته الاولى فقام فقير فقال عندى فذهب معه فقدم له خبزا وبصلا فأكل حتى شبع ثم رجع فجاء الاول الى الجنيد فاخبره بما جرى فقال له اجلس فلما ان جاء الشاب سأله الجنيد هل أكلت قال نعم قال له وما أكلت قال خبزا وبصلا فقال له وما قدم لك هذا قال له قدم لى طعاما مفتقرا فقال له ما منعك من أكله فقال له كنت جائعا فرفعت اللقمة وأنا اتخير أى قصر آخذه فى الجنة فبينما أنا كذلك واذا هو قد قال اللقمة اذا أكلتها عندى خير من الدنيا وما فيها فاستحييت من الله تعالى ان آكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة الا فى الدنيا فتركته ومضيت وأما هذا فنيته ان لو كانت له الدنيا بحذافيرها فهو يستقلها تقديما أو كما قال (فهذه) الحكاية تشعرك بأن الآخذ من هذه الطائفة يده

هي العليا اذانه في حقيقة الامر يعطي ما يبقى ويأخذ ما يفنى فتأمل ذلك تجده صوابا وذلك محمول على انه مستور بلسان العلم وأما لسان الورع فهو أمر آخر وهو متعذر في هذا الزمان غالبا فمن وقع له الحال على ذلك فالاولى له أنه لا يخالط الناس ويقيم في البراري والقفار أو يكون من خرق الله تعالى له العادة لا يتكلم عليها (وأما القسم الثالث) وهو الذي يسر ولا يضر فهو المفتوح الذي يأتي على يد بعض الاخوان المعتقدين الذي يعرف سببهم وهم من أهل اليسار فان أخذت منهم دخل عليهم السرور بذلك ولا يتضررون به (فهذا) أحسن الاقسام كلها وأسلمها من الآفات المتوقعة (وأما القسم الرابع) وهو الذي يضر ولا يسر فهو ما كان من بعض الناس وهو متصف بوصفين أحدهما ان يكون محتاجا لما يعطيه والثاني عدم اعتقاد الدافع للمدفوع له فان أنت قبلت منه ما أتاك به تضرر بذلك لحاجته اليه ولا تدخل عليه سرور لعدم اعتقاده لك (وقد كان) سيدي أبو محمد رحمه الله التزم في نفسه طريقة غريبة قل من يقدر عليها من أصحابه وغيرهم الا من وفقه الله تعالى وقليل ماهم (وذلك) انه كان لا يقبل صدقة واجبة كانت أو تطوعا ولا يقبل شيئا من أرباب الخدم وان كان معتقدا وان قلت خدمته وان تحرز ما أمكنه ومن أهدى له من الاخوان المعتقدين فيختلف حاله في ذلك فبعضهم يرد عليه ما أتى به وبعضهم يقبل منه ثم يعوض له عن ذلك بلطف وسياسة وما أتاه من جهة الاخوان المتسببين المعتقدين نظر الى اكتسابهم فان كان مستورا بلسان العلم نظر في حال صاحبه هل يدخل عليه سرور بالاخذ منه أم لا فان ظهر له منه انه سواء عنده أخذ منه أو رد عليه لم يأخذ منه شيئا وان ظهر له انه ينكسر خاطره عند الرد عليه وينجبر خاطره ويدخل عليه السرور حين الاخذ منه أخذ منه فمن اتصف بهذه الصفة فهو الذي يقبل منه (وهذه) طريقة غريبة عزيزة لا يقدر عليها الا من كان مثله أو يقاربه لا جرم انه كان هو وأهله ومن يلوذ به من شظف العيش بحيث المنتهى فلقد كان يأخذ بفلس ليمونا فيأتدم به غدوة وعشية هو وأهله وقد بقي أهله في بعض الايام لا شيء عندهم يتقوتون به فأخذ ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع أحد فيه شيئا الا انه كان من زي المغاربة فرده وجاء الى المسجد ولم يدخل

البيت خشية من الاولاد أن ينقطع رجاؤهم من القوت اذ ذاك فيز يدقلقهم فجلس فى المسجد حتى صلى العشاء الآخرة رجاء ان يكون الاولاد قد ناموا فلما ان دخل عليهم وجدهم وهم مسرورون يكثرون من شرب الماء فسألهم عن ذلك فقالوا كأن كل واحد منا أكل خروفا وهم فى الشبع بحيث لا يحتاجون الى زيادة على ماهم فيه وبقى أمرهم كذلك مدة حتى فرج الله عنهم (وأنواع) هذا كثيرة وهو باب لا يقدر عليه الا الافراد من الاولياء لانه وان صبر فى نفسه فالاهل والاولاد لا يصبرون فى الغالب فان وجد ذلك فهو من باب الكرامات (ولاجل) هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله العارف من أخذ نفسه بالورع وأطلق غيره فى ميدان العلم وما تقدم وصفه فهو من هذا القسم نفعنا الله بهم ورزقنا التصديق بأحوالهم اذ لم نكن أهلا للاقتداء بهم اللهم لا تحرمنا من بركاتهم بمنك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل) فى ذكر ما ابتلى به بعض من ينسب الى طريق القوم وغيرهم ممن تعلقت خواطرهم بفعل الكيمياء واستخراج ما فى الارض من الاموال المدفونة فيها وهى التى اصطلحوا على تسميتها بالمطالب وليحذر مما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان من تعانيهم استخراج ما فى الارض مما تقدم ذكره وهذا قبيح لو فعله بعض العوام فهو فى حق المريد أقبح وأشنع اذ انه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بكليته لا مطلب له سواها وتعلق خاطره بما تقدم ذكره يشهد بتكذيبه فى طريقه من دعواه الانقطاع الى الله تعالى والتوجه اليه مع ان من تعلق خاطره بهذا فالغالب عليه فيما يظهر الفقر المدقع والديون الكثيرة ومخالطة من لا يرضى حاله فى دينه ودنياه وذلك سبب كبير الى وقوع الناس فى عرض من اتصف بذلك بسبب تعاطيه ما يوقع الناس فيه فيكون شريكا لهم فى اثم وقيعتهم فيه وقد يؤول أمر فاعل ذلك الى الحبس والاهانة وغير ذلك مما هو معلوم من العوائد الجارية فى ذلك كله ولو لم يكن فيه من الذم الا ان من تعلق خاطره بذلك فهو متصف بحب الدنيا ومن أحب الدنيا فهو قال للآخرة اذ انهما ضرتان متنافرتان فهما أقبل الانسان على احداهما أضر بالاخرى ولو لم يكن فيه من الذم

قوله المدقع بضم أوله وكسر ثالثه أى المهلك اهـ

الاما وردمن أحب الدنيا ينادى عليه يوم القيامة هذا أحب ما أبغض الله (وقد) تقدم فعل السلف رضى الله عنهم فى هربهم من الدنيا خيفة منهم على أنفسهم منها ومن طلب شيئا مما تقدم ذكره فهو مستشرف اطماعا وذلك مذموم يذهب بجمع خاطره واشتغاله عن أمر دينه ودنياه بل كانوا يعدون الدنيا اذا أقبلت عليهم عقوبة نزلت بهم وقد مضت حكاية أبى الدرداء رضى الله عنه فيما جرى له فى العطاء الذى أتاه وعلى هذا درج فعل السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد) حكى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر فى سياحته ومعه الحواريون بموضع فيه ذهب كثير فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وقال لمن معه من الحواريين انظروا الى هذا القاتول ومر فى سياحته فتخلف ثلاثة منهم وقالوا الى ان هذا المقصود اوكما قالوا فقصدوا ذلك الثلاثة فجلس اثنان يحرسان ذلك وأرسلا ثالثهما الى البلد ليأتى بالدواب والاعدال وما يأكلونه فاما ان مضى لذلك تحدث الاثنان فيما بينهما فقالا لو كان هذا المال بيننا لكان اولى ثم قالا وكيف الحيلة فاتفقا على انه اذا جاء يقومان اليه ويقتلانه ويبقى المال بينهما نصفين وقال الثالث الذى ذهب الى قضاء الحاجة مثل قولهما فقال لو كان ذلك المال كله لى لكان اولى ثم قال وكيف الحيلة فخطر له ان يجعل سما فى الغذاء الذى يأتى به فيأكلانه فيموتا فيأخذ المال كله لنفسه ففعل فلما ان اقبل على صاحبيه وثبا اليه فقتلاه ثم اكلا ما اتى به من الغذاء فماتا فبقى الثلاثة هناك مطروحين فلما ان رجع عيسى عليه الصلاة والسلام من سياحته ومر بهم فوجدهم هناك طرحى فقال للحواريين الم اقل لكم هذا القاتول (وقد) تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولاشك) ان من اتصف بما تقدم ذكره يربو على المستشرف فترتفع البركة منه فطالب المريد وغيره لهذه الاشياء على تقدير حصولها يذهب البركة منها والمقصود حصول البركة وانها اذا عدمت من الشئ لو كان ملء الارض ما اغنى صاحبه لعدمها منه (وقد) حكى الامام الجليل الحافظ ابو نعيم الاصفهانى رحمه الله فى كتاب الحلية له فى ترجمة طاوس بن

كيسان رحمه الله باسناده الى ابن طاوس عن ابيه قال كان رجل له اربع بنين فمرض فقال احدهم اما ان تمرضوه وليس لكم في ميراثه شيء واما ان امرضه وليس لي في ميراثه شيء قالوا امرضه وليس لك في ميراثه شيء قال فمرضه حتى مات ولم ياخذ من ميراثه شيئا قال فاتي في النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار فقال في نومه افيها بركة قالوا لا فلما اصبح ذكر ذلك لامراته فقالت امراته خذها فان من بركتها ان نكتسي بها ونعيش منها فابى فلما امسى اتي في النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال افيها بركة قالوا لا فلما ان اصبح ذكر ذلك لامراته فقالت له مثل مقالتها الاولى فابى ان ياخذها فاتي في الليلة الثالثة فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارا قال افيه بركة قالوا نعم فذهب فاخذ الدينار ثم خرج به الى السوق فاذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار قال فاخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما الى بيته فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد في بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلها قال فبعث الملك يطلب درة ليشتريها فلم توجد الا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهبا فلما رآها الملك قال ماتصلح هذه الا باختها فاطلبوا اختها وان اضعفتم قال فجاؤه فقالوا اعندك اختها ونعطيك ضعف مااعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم قال فاعطاهم اياها بضعف مااخذ وابه الاولى والله سبحانه وتعالى اعلم (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه البركة مااعظمها اين هذا من المائة دينار التي عرضت عليه اولا (فالحاصل) من هذا ان البركة كامنة في امتثال السنة حيث كانت لان من فعل مثل هذا فالاستشراف منه بعيد واذا عدم الاستشراف حلت البركة (ولاجل) هذا المعنى تجد كثيرا من اهل هذا الشان الغالب عليهم شظف العيش وقلة ذات اليد ثم انهم مع ذلك لا يسبقهم غيرهم في امر الآخرة وماذاك الا لوجود البركة الحاصلة معهم فيما يتناولونه من امر الدنيا لعدم استشرافهم لدنياهم واهتمامهم بامر دينهم والوقوف بباب ربهم والتضرع اليه ولزوم الامتثال لاوامره والاجتناب لنواهيه والنزول بساحة كرمه (وقد) سمعت سيدي اباعبدالله الفاسي رحمه الله يقول انه كان بمدينة فاس وكان يصحب بعض الفقراء فرآه مرة وهو يبكي ويتضرع

ويسال

ويسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به فسألته عن موجب ذلك فأبى عن اجابتي فبقي كذلك أياما ثم سرى عنه فرجع الى حاله الاول قال فسألته عن موجب بكائه وسروره فقال انى كنت أجمع بين الماء والاحجار فى الاستنجاء فابتليت بانى اذا أخذت حجرا استجمر به أجده ذهبا فارمى به وآخذ غيره فاجده كذلك ثم كذلك فضاق ذرعى من ذلك الما نزل بى فبقيت أتضرع الى الله تعالى فى دفعه حتى أزاله عنى فصرت آخذ الحجر فاجده حجرا كما هو (وقد حكى لى) رحمه الله أيضا عن نفسه انه كان بمدينة فاس قال فكنت اخرج من البلد فارى عند السور صندوقا مفتوحا مملوءا ذهبا قال فكنت أولى وجهى عنه فلما ان كان فى بعض الايام التفت اليه واذا بيد من الهواء امامت وجهى فردته الى الناحية الاخرى فتبت الى الله تعالى أن لا ألتفت اليه بعد (وقد حكى) عن بعضهم انه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرجه عنه وهو مع ذلك يرى فى المنام كل ليلة قائلا يقول له انك لبخيل ويكرر ذلك عليه مرارا فلما ان كان ليلة وقيل له ما قيل آلى على نفسه انه اذا فتح له من الغد بشئ يعطيه أول من يلقاه كائنا ما كان فلما ان كان من الغد فتح له بخمسمائة دينار فاول من لقيه من الغد شاب وهو عند مزين يحلق له رأسه فاعطاه الصرة فقال له الشاب لا حاجة لى بها عندى قوت يومى فقال له اعطها فى أجرة المزين فقال له المزين قد دخلت على هذا العمل لله تعالى فلا آخذ عنه عوضا فقال له خذها لك دون أجرة فقال له لا حاجة لى بها فقال له هى خمسمائة دينار فقال له المزين اما قد قيل لك انك لبخيل فوجد فى نفسه وجدا شديدا وأخذ الصرة فرمى بها فى الفرات (فاذا قيل) مثل هذا بخيل فما بالك بمن ينسب الى الطريق ويطلب المطالب ثم يزعم انه على الطريق المستقيم هيهات هيهات ليس الامر كما ذكرنا ولا لما اصطلحنا عليه من عوائدنا ولا لما يخطر من الهواجس فى أنفسنا بل المشى على الطريق المستقيم الذى وقع من السلف الماضين وقد مضى ذكر بعض أحوالهم (وليس) لقائل أن يقول ان ما ذكرتموه لا يليق بهذا الزمان لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين (اذ) أن الزمانين سواء بالنسبة الى الانقطاع الى الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع ان ما تقدم ذكره عن الشيخ ابى

عبد الله الفاسي في هذا الزمان وقع مثله كثيرا من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولا شك) أن من اتصف بما تقدم ذكره أعظم من المتشرف فترتفع البركة عنه من باب أولى (ثم) انظر رحمنا الله واياك الى مخالفة السنة ما أكثر قبحها وبشاعتها (ألا ترى) الى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره فقد جر ذلك الى تسليط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب حفرهم على ذلك فمن كانت له شوكة فعله جهارا سواء كان مسجدا أو غيره من أملاك المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الحيل الكثيرة على ذلك حتى تخرب وتهدم وهذا ضرر عظيم حتى صار بعض أهل الاديان الباطلة اذا أراد ان يخرب مسجدا أو دار امسلم بينه وبينه عداوة كتب في ورقة ان موضع كذا فيه كذا وكذا ويكتب تاريخها قديما ويبخرها حتى تبقى كأنها ورقة عتيقة ثم يلقها في موضع من يعلم انه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه اما بيده الباطشة او كثرة التحيل فكان ذلك سببا لتخريب مساجد المسلمين ودورهم (يدلك) على ذلك ان أكثر اليهود والنصارى قل ان تحفر لهم دارا أو كنيسة أو بيعة والكل في بلد واحد وموضع واحد (ثم) ان بعض أهل الاديان اذا عجزوا عن تخريب المساجد والدور تسلطوا على تعب المسلمين في أبدانهم وخسارتهم في أموالهم فيكتبون أوراقا في ذروة الجبل الفلاني من الناحية الفلانية منه كذا وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا وقست كذا وكذا تجد فيه كذا وكذا وفي ورقة أخرى الغار الفلاني في جهة كذا وكذا منه تحفر قدر كذا وكذا فتجد كذا وكذا الى غير ذلك وهو كثير وكل هذا باطل (ثم) على تقدير أن يكون شئ من ذلك صحيحا فعليه المهالك الكثيرة لان من فعل ذلك اغلهم من الامم الماضية فلم يضعوا شيئا الا وقد احاط به مهالك عظيمة فقل ان يصل احد الى ذلك الا بعطبه وعطب غيره (ثم) ان ما يوجد من ذلك في الارض فلا يخلو اما ان يكون في فيافي الارض من ارض العرب فذلك فيه الخمس يصرف في وجوهه وباقيه لواجده سواء كان ذلك ذهبا اوفضة اولؤلؤا اونحاسا اوحديدا اورصاصا كل ذلك سواء فيه الخمس والذي يؤخذ منه

الخمس ثلاثة هذا واحد منها والثاني الندرة توجد في المعدن بغير مؤنة أو بمؤنة يسيرة والثالث الغنيمة (وأما) ما يوجد في غير أرض العرب فلا يخلو ذلك من وجهين أحدهما أن يكون ذلك الموضع أخذ عنوة والثاني أن يكون أخذ صلحا فإن كان عنوة فهو لتلك الجيوش الذين فتحوا ذلك الموضع ثم لأولادهم ثم لأولاد أولادهم وذلك موجود في الغالب إذ أن أولاد الصحابة موجودون بين أظهرنا في هذا الزمان وإن كان صلحا فما يوجد في ذلك الموضع فهو لأهل الصلح فإن عدموا فلأولادهم ثم لأولاد أولادهم وهم أيضا موجودون وهلم جرا وللمسئلة فروع موجودة في كتب الفقهاء (فالحاصل) من هذا أن واجده ليس له فيه شيء إلا التعب واشتغال ذمته بشيء كانت عنه في غنى وقد يكون ذلك سبب هلاكه وإذا كان ذلك كذلك فالعاقل اللبيب يتعين عليه الفرار من هذا وما شاكله إذ أن غنيمة المسلم إنما هي براءة ذمته ومن اشتغلت ذمته قل أن يتخلص فالسعيد من لجأ إلى الله تعالى في إعانته على ذلك فإنه الكريم المنان اللطيف الرحمن

(فصل) وأما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدي ضرره لأهل زمانه ومن بعدهم وذلك أن من فعلها فقد خلط على الناس أموالهم وبخسها عليهم إذ أنهم مختلفون في فعلها (فمنهم) من يعملها ولا علم عنده أنها تتغير بعد زمان وذلك الزمان يختلف بحسب القلة والكثرة (وكثير منهم) من يعلم أنها تتغير ويغش الناس بها فيشغلون ذمتهم بأموالهم وكل ذلك حرام محض (ومنهم) من يزعم أنها لا تتغير وهو بعيد ولو قدرنا عدم تغييرها فذلك لا يجوز أيضا لأن الذهب المعدني والفضة المعدنية ينفعان لأمراض ولهما خاصية في الأدوية وغيرهما يعود بالضرر على المريض فيزيده مرضا أو يموت بسببه لأنه لا بد أن يكون في غير المعدني عقاقير قد يسقم بعضها أو قد يقتل بعضها فعلى هذا فكل من تعاطى شيئا من ذلك فقد شغل ذمته بأموال الناس ودمائهم (وقد) سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول إن صرفها لا يجوز حتى يبين أنها من عمل يده وليست بمعدنية وهذا الذي قاله رحمه الله من إجازة ذلك بعد البيان لا يسوغ في هذا الزمان

بسبب انه ان بين هو فمن صارت اليه فالغالب انه لا يبين والاحتراز من هذا متعذر (هذا وجه) (ووجه ثان) وهو انه ان بين انها من صنعة يده تمزق عرضه والغالب أنه يؤول الى سفك دمه واذا كان كذلك فلا يعدل بالسلامة شئ (فاذا) سلم من الاتصاف بطلب المطالب والكيمياء فليحذر من خلطة من يتعانى ذلك أو يشار اليه بشئ ما فان ذلك سبب لاستشراف نفسه بسبب سماعه منهم ما يخوضون فيه وذلك يذهب بهاء عزة الفقر وعزة الاياس اذ لا بد ان خالطهم ان يشغف بشئ ما من حالهم ولو قل وذلك شغل للقلب عما هو فيه من التوجه والاقبال على المولى الكريم فيتعين على من تعلق بالارادة الهرب الكلى ممن يشار اليه بشئ من ذلك لان حال المريد نظيف جدا والنظيف أقل شئ يقابله من الوسخ يؤثر فيه (الاترى) أن الثوب المصبوغ فى الغالب لا يؤثر فيه ما وقع فيه بخلاف الثوب الرفيع الابيض النظيف فان أقل شئ من ذلك يدنسه (ولهذا المعنى) يقال فى صفتهم قلت ذنوبهم لمعرفتهم من اين أصيبوا وكثرت ذنوب غيرهم فلم يعرفوا من اين أصيبوا (والكيميا) على الحقيقة انما هى الرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والنزول بساحة كرمه وطلب العبد منه ما يحتاج اليه من ضروراته لانه عز وجل كما ورد فى الحديث يستحى أن يرد يدى سائله صفرا (وقد) قال عروة بن الزبير رضى الله عنه انى لادعو الله فى صلاتى لحوائجى كلها حتى الملح لعجينى وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ياموسى سلنى حتى الملح لعجينك فوعزتى وجلالى اتن منعتك فلا أحد يعطيك اياه أو كما قال (وقد) روى الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسعه اذا انقطع (فسبيل) العبد طلب حوائجه من ربه عز وجل فان جاع يقول يارب أنا جائع وكذلك ان عطش أو تعرى الى غير ذلك من حوائجه كلها فى جلب النفع ودفع الضرر (قال) الله تعالى فى محكم كتابه العزيز أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض (وقال تعالى) ومن أصدق من الله حديثا (وقال) ومن أصدق من الله قيلا (فالعاقل) اللبيب من شمر ساعديه وتوكل فى الحقيقة على ربه وأناب اليه (فاذا) حصل للمريد هذا الحال فلو عرضت

عليه الدنيا بحذافيرها ما قبلها ولا أقبل عليها لما حصل عنده من الاستغناء بربه عز وجل وحسن نظره له اذ أن مفاتيح هداياه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون معلوم لانه عز وجل لا يأخذه حصر ولا يقال في حقه أين ولا كيف فكذلك ما ستره سبحانه وتعالى عن عبده من عطاياه الجمة وهداياه التى لا حصر لها (وقد حكى) عن بعضهم انه اصابته ضرورة وجوع شديد فتضرع الى الله سبحانه وتعالى في خلوته وطلب منه العطاء فسمع هاتفا وهو يقول أتريد ذهبا أو فضة فقال بل فضة واذا بصرة بين يديه فيها اربعمائة درهم (وقد حكى) عن بعضهم انه كان اذا طلب منه شئ أدخل يده في جيبه وأخرج ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيبه ويقطعون بأنه لا شئ فيه ثم انه مع ذلك اذا طلب منه شئ في الحال أدخل يده في جيبه فأخرج منه ما طلب منه فسئل عن ذلك فأخبر ان الخضر يأتيه بكل ما يطلب منه (وقد سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى أنه كان يصحبه رجل من أهل الخير والصلاح يعرف بأبي عبد الله بن الطفيل وكان صاحب عائلة وفقر وكان الناس في سنة شديدة وغلاء فجاء ليلة بعد أن صلى العشاء الآخرة في جماعة الى بيته فوجد أولاده يبكون فقال لامهم ما يبكون فقالت من الجوع قال فتركتهم على تلك الحالة وطلعت على سطح البيت ومرغت خدى على الارض وقلت يارب هؤلاء يبكون الى وأنا أبكي اليك اعطنا شيئا نأكله قال فاذا بسحابة قد طلعت فجاءت فعمت الدار فأمطرت فولا على الدار وحدها قال فنزلت الى الاولاد وأخبرتهم فطلعوا فأكلوا حتى شبعوا ثم بقي عندهم يأكلون منه الى ان دخل القمح الجديد (وقد تقدمت) حكاية سيدى الشيخ ابى محمد رحمه الله في انه بقي في وقت لا يحتاج الى أكل ولا شرب قال ولو بقيت كذلك لم احتج الى شئ طول حياتى لكن رجعت الى الاكل من طريق الامتثال للسنة لا غير (فمن) رجع الى الله تعالى فطرق الفتح له متعددة في كل زمان وأوان (ولا حجة) لمن يقول ان هذا زمان وذاك زمان (لانّ) المعطي فيهما واحد لا يتغير ولا يزول (والعجب) ممن يتوكل على الله في نجاته من النار وجوازه على الصراط وشربه من الحوض ودخوله الجنة الى غير ذلك ولا يتوكل عليه في كسيرات يقيم بها صلبه وفي ثوب يستر به عورته (ولاجل)

هذا المعنى كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول لو كان الايمان بسوق يباع فيه لما ساوى ايمان أحدكم كثيرة فيسئل عن ذلك فيقول كل واحد منا يتوكل على الله تعالى أن ينجيه من جميع أهوال يوم القيامة بسبب ايمانه ويقول فضل الله أعظم ورحمته أوسع ثم ان الايمان الذى أعده لنجاته من تلك الاهوال ماخلصه للتوكل على الله تعالى فى كسيرات يقيم بها صلبه ويقول لابد من السبب فلو انقطع عنه السبب أيس وضجر وشكا وبكى فاذا لم يخلص ايمانه فى هذا النزر اليسير فكيف يخلصه مما بين يديه من الاهوال ففضل الله أعظم ورحمته أوسع فى هذا النزر اليسير من باب أولى وأوجب لقوله عليه الصلاة والسلام ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب لكن المولى سبحانه وتعالى يبتلى خلقه لينظر كيف يعملون ليقع الجزاء وفاقا كما قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فالسعيد من كان فرحا مسرورا بربه وبحكمه وبارادته ما قتالا لاحوال نفسه ورأيه وتدبيره اللهم لا تحرمنا ذلك عندك انك على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم

*(فصل فى دخول المريد الخلوة) وينبغى للمريد أن لا يدخل الخلوة بنفسه لان الخطر فى ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديئة مثل ما تقدم ذكره من حصول عربدة أو جنون أو فعل نشاف أو غير ذلك من المهالك لان الخطر فيها كثير متعدد (وقد قال) لقمان عليه السلام فى وصيته لولده يا بنى عليك بذوى التجارب اه لان من جرب قد دخل فى المخاضة وعرفها وعرف موضع السلامة فيها وموضع العطب فعلم ما يتجنب منها وما يحذر وما ينبغى ان يفعل وما يستعان به

(فصل) وآكد ما عليه فى خلوته التعلق بربه والسكون اليه وانقطاع رجائه عمن هو مخلوق مثله (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل ابن محمد بن الفضل الاصبهانى رحمه الله ولقد قال شقيق البلخى رحمه الله من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر الى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق (وقال) اتق الاغنياء فانك متى عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد اتخذتهم ربا من دون الله (وقال) اذا أردت ان تكون فى راحة فكل

ما

ما اصدت والبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك (وقال) من دار حول الشهوات فانه يدور بدرجاته فى الجنة ليأكلها فى الدنيا (وقال) يحيى بن معاذ الرازى العبادة حرفة وحوانيتها الخلوة ورأس مالها الاجتهاد بالسنة وربحها الجنة (وقال) الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص (وقال) اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين (وقال) الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع (وقال) على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يخافك الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق (وقال) أبو حفص عمر النيسابورى لو أن رجلا ارتكب كل خطيئة ما خلا الشرك بالله وخرج من الدنيا سليم القلب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر له قيل يا أبا حفص هل لهذا فى القرآن من دليل قال بلى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فاتباعه محبة أصحابه لاجله وقال ابو القاسم الحكيم السمرقندى كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مغتر بالثناء عليه وكم من مفتون بالستر عليه (وقال) أبو تراب النخشبى رحمه الله الفقير قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل (وقال) حقيقة الغنى أن تستغنى عمن هو مثلك (وقال) الذى منع الصادقين الشكوى الى غير الله الخوف من الله (وكتب) أبو الابيض كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك ورحمة الله وبركاته وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانك لم تكلف من الدنيا الا نفسا واحدة فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان أنت أفسدتها لم ينفعك صلاح غيرها واعلم انك ان تسلم من الدنيا حتى لا تبالى من أكلها من أحمر وأسود (وقال) شقيق بن أدهم البلخى رحمه الله تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء فى أخذه ومنعه وكلامه (وقال) دخل الفساد فى الخلق من ستة أشياء أولها ضعف النية فى عمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلبة طول الامل على قرب اجلهم والرابع اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم والخامس آثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى خالقهم فيما يكرهون والسادس جعلوا أدلات السلف دينا ومناقب

الأدلات بوزن الاحوال ومعناها اه

لانفسهم (وقال) حاتم الاصم الزم خدمة مولاك تأتيك الدنيا راغمة والجنة راغبة اه (وينبغى) أن يكون دخول المريد الخلوة على يد شيخ متمكن فى العلمين علم الحال وعلم السنة ان أمكنه ذلك ولا يدخل بنفسه كما تقدم (واذا) كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من أحد أمرين (اما) أن يكون عنده من المكاشفات وخرق العادات ما يمد به المريد فى خلوته فان كان كذلك فهو الكبريت الاحمر الذى لا يفوقه غيره والسلامة بل الغنيمة موجودة على يده متيسرة لانه يعرف مزاج المريد وقدر ما يحمل من المجاهدات وقدر ما يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه ومن سعادة المريد ان وجد من هذه صفته (واما) ان يكون الشيخ ليس من أهل المكاشفات ولا ظهور خرق العادات فلابد أن يكون عنده العلم حاصلا بالتجربة لانه قد جرب ذلك واطلع على المفاسد والمصالح وما يليق بالمريد فى خلوته وما يقع له من جهة العادات (والحذر) الحذر أن يدخل بنفسه خيفة من مواضع العطب (وأعنى) بدخول الخلوة هنا ما يستعمله المريد من المجاهدات وأما لو خلا بنفسه دون مجاهدة فلا يحتاج هذا الى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه مطلوب به فى الخلاء والملأ لا فرق اذ ذاك فى حقه مع انه اذا اتبع لسان العلم فى هذا الزمان فى خلوته وجلوته فهو ولى وقته لاجل حال الزمان فما أسعده ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هى طريقة السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين أعنى ترك دخول الخلوة على نظام معلوم (ألا ترى) ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يربى أصحابه تحت ظلال السيوف وفى الاسواق يحترفون وفى الحوائط يعملون (وانما) حدثت الخلوات على يد المربين بعد انقراضهم رضى الله عنهم (وكان) سيدى أبو محمد بن أبى جمرة وسيدى أبو محمد المرجانى رحمهما الله يقولان انما جعلت الخلوة للبنات الابكار اه (وانما) جعلت للمريدين لما ان كثرت الفتن والمخالفات فاحتاج المريدون اذ ذاك الى الفرار لاجل صلاح دينهم وقلوبهم وخواطرهم وليس لهم السبيل الى ذلك الا بدخول الخلوات والفلوات (والمقصود) أن لا يدخل الخلوة المعهودة عند السالكين الا بعد المعرفة بمصالحها ومفاسدها والدسائس التى تطرأ عليه فيها (فان) كان على يد شيخ فيشترط فى الشيخ أن

يكون عارفا بحال المريد وما يتقلب فيه من الاطوار وما يليق بحاله كما تقدم لان الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله (والخص من ذلك) ما سمعت سيدى أبا محمد يقوله نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولا تباعه ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه اهـ (أما قوله) نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك (فمثاله) النظر الى الدنيا وزينتها بعين القوى والاشتهاء فذلك يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابر وهو عين الهلاك (قال) الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصى لانك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فبالنظر ان يفعل ما هو أكبر منها يهون عليك ما أنت فيه من المخالفة ويصغر فى عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة فى المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك (وأما قوله) ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة (فمثاله) المبتدى ينظر الى أهل النهايات فيريد أن يتشبه بهم فى تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى فى ذلك الشان لم يكن اخذه لذلك مرة واحدة وانما هم ياخذون الشئ اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أوفر نصيب وتستغرق أوقاتهم فى ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق فى شئ الا زانه وما كان الخرق فى شئ الا شانه (وقال) عليه الصلاة والسلام علموا وارفقوا (اللهم) الا من ندر من الفضلاء فدخل فى ذلك مرة واحدة فذلك محمود وما ندر لا يحكم به نعم اذا وقع لاحد هذا الحال فلا ينبغى له التشبث بما ذكر وانما الكلام فيمن بقى مع نفسه فشأنه ما تقدم من أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولما كتسبوه وان لم يفعل ذلك تحير فى طريقه وحير من لاذ به هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك (وأما) قوله ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة (فمثاله) الرجل العالم ينظر الى من هو أعلم منه فيعمل

على أن يصل الى ما وصل اليه فيجتهد فى طلب العلم والرجل الصالح ينظر لمن هو أصلح منه فيجتهد فى التعبد ويزيد فى عمله على ما تقدّم بالرفق والسياسة حتى يلحق بمن نظر اليه (والى هذا) المعنى الذى أشار الشيخ اليه قال عليه الصلاة والسلام خصلتان من كانتا فيه كتب عند الله شاكرا صابرا أن ينظر فى الدين الى من هو أعلى منه فيقتدى به وأن ينظر فى الدنيا لمن هو أقل منه فيحمد الله الذى فضله عليه هذا هو السمو والرفعة اللهم من علينا بذلك ولا تجعل حظنا منه الكلام بمحمد وآله (وأما قوله) ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه (فمثاله) من كان من أهل الفضل والخير وأقامه الله فى مقام من مقامات أهل النهايات اذا جاءه أحد ممن يريد أن يرجع الى الله ويتوب يريد من حينه أن يحمله على المقام الذى هو فيه من غير سياسة تقع له قبل ذلك ولا تدريج هذا هو التعب مع نفسه لاشك فيه لانه يريد أن يحمل الناس على طريقه وهم لا يساعدونه على ذلك ومن تبعه فى التعب أكثر لانهم يدعون الى مقام لا طاقة لهم به ولا يقدرون عليه (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من أهل السبق والخير اقتصر خيرهم على أنفسهم ولم ينتفع بهم من لاذ بهم وبخدمتهم أعنى فى الاقتداء وأما البركة فلا بدّ من حصولها غالبا للحديث الوارد هم القوم لا يشقى بهم جليسهم نسأل الله أن لا يحرمنا من بركاتهم بمنه (وأمّا) قوله ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه (فمثاله) الرجل الصالح المتمكن فى طريقه اذا جاءه أحد ممن يريد التوبة والرجوع أخذه باللطف والرحمة وأقبل عليه وساس حاله برأيه السديد وتدبيره الرشيد فينظر له من جنسه على لسان العلم ما يصلحه وما هو العون له على ما أراد ثم يرقيه بعد ذلك شيأ فشيئا حتى قد يبلغ فى أقل زمان الى المرتبة العليا بحسن تدبير هذا السيد وسياسته اياه (وصاحب) هذا الحال هو أعظم من تقدّم وأفضلهم وهو الجارى على السنة لان الله عز وجل لم ينزل الفروض أوّلا مرة واحدة ولا أمر بالقتال أوّلا وانما أمر أوّلا بالتوحيد لا غير وأمر نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بسياسة الناس واللطف بهم فقال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ثم لما ان ظهر المشركون على المؤمنين أمر عز

وجل

وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بالخروج من مكة الى المدينة ولم يأمره بالقتال ثم لما ان كثر المؤمنون وظهرت الكلمة نزلت الفروض شيئا فشيئا فلما ان تقرر امر الدين وتقوى أهل الاسلام فعند ذلك أمر عز وجل بالجهاد باللسان قبل الامر بالقتال فقال عز وجل أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فلما ان تقوى الامر أكثر من ذلك أمر عز وجل بقتال الاقربين من الكفار فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فلما ان تقوى الامر وظهر أمر الله عز وجل بالقتال مطلقا فقال عز وجل وقاتلوا المشركين كافة ثم ان الفروض لم تتم الا في حجة الوداع قال تعالى فيها اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (فهو) سبحانه وتعالى العالم بعباده وبما يصلحهم فلو كان أمرهم ومخاطبتهم أولا بالقتال وبجملة الفروض فيه مصلحة ومنفعة لهم لأمر بذلك أولا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (وصاحب) الحال الذي أشار الشيخ رحمه الله اليه أخيرا مضى على هذا الاسلوب فانتفع بنفسه واستراح وانتفع الناس به ووجدوا الراحة في ذلك على يديه وهذا هو الاصل وعليه العمل (وقد) قال عليه الصلاة والسلام خاطبوا الناس على قدر عقولهم فليس من دخل في التعبد وتمرن فيه وكثرت المجاهدة لديه كمن ابتدا الدخول (ولاجل) هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام في السوداء حين سألها أين الله فقالت في السماء فقال لصاحبها أعتقها فانها مؤمنة فقنع عليه الصلاة والسلام منها بالاقرار بأن الله واحد موجود وذلك ينفي ما كانوا يعتقدون من أن الاصنام هي الآلهة في الارض فاله السماء واله الارض هو الله الواحد الأحد الموجود لانه سبحانه وتعالى حل في السماء تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا اذ أن السماء مخلوقة له ولا يحل الصانع في صنعته ومعاذ بن جبل رضي الله عنه الذي كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم ومن فعل الخير حين سأله عليه السلام كيف أصبحت فقال معاذ أصبحت مؤمنا حقا فقال له عليه الصلاة والسلام لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فلم يكتف من معاذ باللفظ الاول حتى سأله عن حقيقة ايمانه وقنع من السوداء بما قد ذكرته لاجل ما بينهما من العلم وأنواع التعبد والله الموفق للصواب

(فصل) وينبغي للمريد اذا اجتمع له في زمانه أو بلده مشايخ يرجو بركتهم وهو بعد لم يسكن الى أحد منهم فينبغي له أن ينظر الى حاله بعد انفصاله عن كل واحد منهم فمن حصل له بالاجتماع به منهم علم أو انابة أو رجوع فليشد يده عليه وان كان غير ذلك فلا حاجة تدعو الى المودة اذ أن خطاه تبقى لغير فائدة (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله يعيب هذا ويقول لا ينبغي للمريد أن يتردد الا لموضع تحصل له فيه فائدة أو فوائد ولا يكون مثل بهيمة السانية لا تزال تمشي طول يومها وهي لم تبرح من موضعها اذ ذاك (ولا ينبغي) أن يسيء الظن بمن لم يحصل له منه شيء اذ أن ذلك يحتمل لوجهين الاول أن يكون المزور من الا كابر والفضلاء لكن أصحابه معلومون معروفون نفعه مقصور عليهم لا يتعداهم فاذا لم يجد المريد زيادة عند زيارته فيعلم انه ليس له عنده نصيب فترك ذلك به أولى وقد يكون آخر خيره مقصور على نفسه لا يتعدى لغيره ووجه ثالث يحصل فيه بين أن يكون المريد من أهل التمييز لما تقدم ذكره فان كان كذلك فحكمه ما سبق وان لم يكن في تلك الدرجة فالمواظبة على رؤيتهم واغتنام بركتهم به أولى ما لم يعارضه أمر شرعي من ارتكاب بدعة أو رؤيتها أو شيء من المكروهات أو يحصل له بسبب ذلك بطالة أوقاته عما هو بصدده ويكفيه من ذلك زيارتهم في وقت دون وقت كما تقدم في زيارة طالب العلم لهم (وبالجملة) فأحوالهم في هذا المعنى لا تنضبط والقليل النادر منهم من يكون خيره عاما لسائر الناس (فالحاصل) من هذا أن المريد له اتساع في حسن الظن بهم وفي ارتباطه على شخص واحد يعول عليه في اموره ويحذر من تقضي أوقاته لغير فائدة (قال) سيدي ابو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك اه لان الفكر فيما مضى هو من باب ندب الاطلال كما تقدم والفكر فيما يأتي ادعاء من النفوس تحصيل الاعمال وهو لا يعرف ما يبرز من العلم المكنون والتقديرات المغيبات عنا وهي كثيرة

(فصل) وينبغي للمريد أن يكون اشد الناس نظرا الى نعم الله تعالى عليه والى لطفه به واحسانه اليه قال الله عز وجل في كتابه العزيز لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (بيان ذلك) ان المريد

السانية كالدائرة هي الدابة التي يسقى عليها اه

يصبح عليه الصباح فينهض الى صلاة الصبح فى وقتها فى جماعة ويذكر ما قدر له ثم يجلس بعد ذلك فى مجلس علم فيفهم بعضه أو كله ثم يأتى الى من يعتقده فيتكلم معه فى مسائل من الخير ثم يصلى الصلوات الخمس فى جماعة وان فتح له فى شئ من أوراد الليل أو أوراد الصوم فتح على خير فان قيد هذه الاشياء بالشكر زادت أو تمادت وان رأى وهو الغالب أنه فى نفسه لاشئ وانه لم يفتح عليه بشئ فهذا يخاف عليه لقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابى لشديد والكفر عام ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام فى أمر النساء انهن أكثر أهل النار قيل بم يارسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان وقد بوب البخارى رحمه الله لهذا المعنى فقال باب كفر دون كفر (وكثير) من الناس من يغفل عن هذه النعم فلا يقيدها بالشكر كما تقدم لاجل انه يستقلها فتذهب عنه فليحذر من هذا كله جهده (ولا) يظن ظان أن قول من قال ان الصديقين لا يكونون فى يومهم على ما كان عليه حالهم بالامس بل يزدادون فى اليوم الثانى ترقيا ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها كل يوم لا أتخذ فيه برا أو قالت لا ازداد فيه علما لابورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم اه (لان) المؤمن اذا جاءه اليوم الثانى فلابد له فيه من أداء الفرائض وتوابعها وما يتلقاه من الامر والنهى والترغيب والترهيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص مهجته فى يومه وذلك ترق لاشك فيه (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى أخرجه مالك رحمه الله فى موطئه ان أخوين مات أحدهما قبل صاحبه بأربعين يوما فأثنى الصحابة على الاول فسأل عليه الصلاة والسلام عن الثانى فقالوا لا بأس به فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى من درنه شيئا قالوا لا فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته انتهى (وقد) قال بعض الشيوخ ان الدوام على الحال زيادة فيه فاذا أصبح المريد وامتثل ما كلفه فهو زيادة فى حقه ثم كذلك الى حين أجله فحينئذ تطوى صحيفة عمله فلا زيادة بعدها فان حصل للمريد زيادة على ما تقدم ذكره فتح على خير والا فالطريق حاصل

قوله غمر بفتح فسكون أى كثير اه

له والحمد لله فليحذر أن يكفر هذه النعم بترك النظر الى من من عليه بها وأحسن اليه فيها

(فصل) وينبغى للمريد أن يكون عارفا بالخواطر حسنها وسيئها فاما أن يميز ذلك بنفسه او يكون على يد شيخ عارف بها اذان الخواطر والهواجس والهواتف لا تنحصر اعدادها ولا يمكن حصرها لكثرتها وتشعبها واشكل عليه اكثر مايقع منها وتلبس الامر عليه فان وقف مع مايقع له من ذلك قل أن يتخلص ويذهب عليه اكثر زمانه بغير عمل لان اللعين اذا لم يقدر على المريد من جهة الترك أتاه من وجوه أخر لا تنحصر فاذا كان مميزا للخواطر وغيرها انسدت هذه الثلمة الكبرى (والخواطر) اربعة ربانى وملكى ونفسانى وشيطانى (سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يقول الربانى أولها وهو مثل لمحة البرق لا يثبت والنفسانى يعقبه مثل المصلى مع السابق فما عبر ذلك الا وقد استقر هذا فى محله وحدث وسوّل وشهى ولاجل هذا المعنى وقع الخلاف عند بعض من ينسب الى شئ من هذا المعنى وما ذاك الا لسرعة ما تقدم ذكره فيخبرون بأشياء قل ان تقع فى الغالب وان وقعت فبالمصادفة لان ذلك من جهة اخبارهم وأمّا المحققون المميزون للخاطر الاول فقل أن يخبروا بشئ الا ويقع كما اخبروا به لان ما كان من عند الله فهو واحد لا يختلف قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (وهذه الخواطر) ليست خاصة بالشيوخ والمريدين بل هى موجودة فيهم وفى غيرهم لكن التمييز يختص به من يختص ومع ذلك فمن تحقق بهذه الخواطر فلا بدّ له أن يزنها على لسان العلم فما وافق أمضاه والا تركه لان التكليف لا يقع الا من جهة الشرع المنقول وغير ذلك لا يعوّل عليه الا على سبيل التبع والتأنيس (وأما) الخاطر الملكى فهو كل خاطر يأمر بطاعة أو خير ما اذا كان سالما من الوصول الى ما لا ينبغى أو يتوقع معه ترك أو بطالة وقت فان كان كذلك فليس من الملكى فى شئ (وأمّا) الخاطر الرابع وهو أرذلها وهو الخاطر الشيطانى فهو لا يأمر بخير أصلا الا ان يكون ذلك الخير يؤدّى الى الشر ويقع الفرق بين الخاطر النفسانى والشيطانى بان الشيطان لا يريد الا الوقوع فى المخالفة كيف كانت ومن حيث كانت فان عجز عن هذه المعصية

تركها ويأتى الى معصية أخرى فهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هو المخالفة من حيث هى كائنة ما كانت (والخاطر النفسانى) هو الذى يلزم أمراً واحداً لا يفارقه فان أنت رددته عليه ألح به عليك وقال لابد من وقوعه ويمنيك بالتوبة والاستغفار بعده ويعدك بالغرور وانك اذا انت ما ألقته اليك تفعل أنت ما تحب أن توقعه من الطاعات فيحتاج المريد الى التشمير الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من الاحكام فيها فان لم يكن عارفا بها ولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند اشتباه الامور عليه فيأخذ معه فيها والا فلسان العلم عليه قائم وهو المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق السلامة التى لا شك فيها والعطب فى غيرها موجود غالبا الا لمن عرف الحكم عليه فى ذلك والله الموفق

(فصل) جامع لبعض آداب السلوك ولبعض الآثار عن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومع) ما تقدم ذكره فلابد له من الخلوات اذ أنه بسببها يدرك المكلف ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه وتعالى ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه سلفه (الا ترى) الى بركة هذه الحكم التى ينطقهم الله بها اذ أن ذلك ليس فى قوتهم ولا من قدرتهم الا ببركة توجههم واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم وأعظم ما يتوصلون به الى هذا المعنى التزام الخلوات كما تقدم (فانظر) رحمنا الله واياك الى ما نقله الامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى رحمه الله فى كتاب سير السلف له عن أبى حازم رحمه الله ونفع به وأعاد علينا من بركاته أنه قال قد رضيت من أحدكم أن يتقى على دينه كما يتقى على دنياه (وقال) شيئان هما خير الدنيا والآخرة اذا عملت بهما أتكفل لك بالجنة ولا أطول عليك قيل وما هما قال تحمل ما تكره اذا أحبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله (وقال) أيضا قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك (وقال) رجل له انك مشدد فقال ما لى لا أشدد وقد رصدنى أربعة عشر عدوا أما أربعة فشيطان يفتننى ومؤمن يحسدنى وكافر يقاتلنى ومنافق يبغضنى وأما العشرة فالجوع والعطش والعرى والحر والبرد والهرم والمرض والفقر والموت والنار ولا أطيقهن الا بسلاح ولا أجد لهن سلاحا أقوى من التقوى (وقيل) له ما مالك فقال ثقتى بالله

واياس مما في أيدي الناس (وقال) ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شيء نحن عليه (وقال) ينبغي للمؤمن ان يكون أشد حفظا للسانه منه لموضع قدميه (وقال) أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفا على نفسه وأرجاه لكل مسلم اه (وقال) بعضهم ان لم يكن في المبتدي خمس خصال والا فلا ترجه عقل حسن واتباع للسنة وصحبة الاكابر ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصيانته أو كما قال (ومن) كتاب سير السلف أيضا وقد قال أبو سفيان اذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أن تأخذ عنه شيئا (وكان) يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تنفتح ووضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت (وقال) رجل للجنيد من أصحب قال من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك (وسئل) مرة أخرى من أصحب قال من يقدر أن ينسى ماله ويقضي ما عليه (وقال) قد مشى رجال باليقين على الماء ومات على العطش افضل منهم يقينا (وقال) من عرف الله لا يسر الا به (وقال) لو اقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان مافاته اكثر مما ناله (وقال) من نظر الى ولي من اولياء الله بقلبه واكرمه أكرمه الله على رؤس الاشهاد (وقال) ذو النون المصري رحمه الله من علامات المحب لله متابعة حبيب الله في اخلاقه وافعاله واوامره وسننه (وقال) من نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها فقيرة عند هيبته (وقال) رويم رحمه الله لا تزال الصوفية بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا (وقال) ابن خفيف رحمه الله قلت لرويم أوصني فقال أقل ما في هذا الامر بذل الروح فان امكنك الدخول فيه مع هذا والا فلا تشتغل بترهات الصوفية اه (وقد) قيل ان لقمان عليه السلام كان عبدا أسود نوبيا وكان لبني فلان فقيل له ما بلغ بك ما نرى فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعنيني (ومن) كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين للقاضي ابي الوليد الباجي رحمه الله قال وروى عن أبي الدرداء انه قال لولا ثلاث ما احببت ان اعيش يوما الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون خيار الكلام كما تنتقى اطايب الثمر (وروى) عن بلال بن سعد انه قال زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر (وقال) بعض الحكماء جاهد

الترهات بضم التاء وتشديد الراء المفتوحة المواضع المتشعبة في الطريق الجادة اه

نفسك بأصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء والصبر عند الاذى (وقال) عيسى عليه السلام طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته (وقال) الفربرى اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر (وقال) كعب الاحبار رحمه الله والذى نفسى بيده لان أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على خدى أحب الى من ان أتصدق بجبل من ذهب (وقال) وهب بن منبه فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا على قبر وهو يبكى فقال له ما هذا يا بنى فقال أخبرتنى ان جبريل أخبرك ان بين الجنة والنار مفازة لا يطفئ حرها الا الدموع فقال ابك يا بنى (وقال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لان أدمع دمعة من خشية الله أحب الى من أن أتصدق بألف دينار (وقال) ابراهيم بن أدهم ان للذنوب ضعفا فى القوة وظلمة فى القلب وان للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب (وقيل) لسفيان الثورى رحمه الله لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء وأنشدوا

خلقت من التراب فصرت حيا * وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت الى التراب فلمت فيه * كأنى ما برحت من التراب
خلقت من التراب بغير ذنب * وأرجع بالذنوب الى التراب

(ولقى) حكيم حكيما فقال له انى لاحبك فى الله فقال لو علمت منى ما أعلم من نفسى لابغضتنى فى الله فقال له الاول لو أعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لى فيما أعلمه من نفسى شغل عن بغضك (وكان) الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا (وقيل)

الفربرى بكسر ففتح فسكون نسبة لبلد ببخارى اهـ

للمغيرة كيف أصبحت يا أبا محمد فقال أصبحنا مغرقين بالنعم موقرين بالذنوب يتحبب الينا بنا وهو غني عنا ونتبغض اليه ونحن اليه فقراء (وقد) قيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من أين عيشك فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع (وقيل) لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت طويلا أملي قصيرا أجلي سيئا عملي اهـ كلام الباجي رحمه الله (ومن كتاب) سير السلف أيضا وقال بشر بن الحارث رحمه الله سمعت منصورا يقول انما خلق الله آدم قال اني جاعل لبصرك طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك ان تنظر اليه فاطبقه واني جاعل لفيك طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنطق به فاطبقه واني جاعل لفرجك سترا فلا تكشفه على ما لا يحل لك اهـ (وقد) قال بعضهم الاصحاب ثلاثة صاحبك وصاحب صاحبك وعدو عدوك والاعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك وصاحب عدوك (ومن) كتاب الباجي أيضا رحمه الله وروى عن بعض العلماء انه قال انما يدخل الله الجنة من يرجوها وانما يجنب الله النار من يخشاها وانما يرحم الله من يرحم (وقال) لقمان لابنه يا بني خف الله خوفا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه فقال يا أبتاه وكيف وانما لي قلب واحد فقال يا بني ان المؤمن لو شق قلبه لوجد فيه نور رجاء ونور خوف لو وزنا لم يمل أحدهما بصاحبه (وقال) عبد الله بن دينار قال لقمان لابنه يا بني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن الى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يا بني لا تشك في الموت فانك كما تنام كذلك تموت ولا تشك في البعث فانك كما تستيقظ كذلك تبعث يا بني ان الانسان اثلاثة ثلث لله وثلث لنفسه وثلث للدود والتراب فاما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خيرا كان أو شرا واما ما كان للدود والتراب فجسده (وقال) سفيان الثوري ما أمن أحد على دينه الا سلبه (وقال) أبو حنيفة أكثر ما يسلب الناس الايمان عند الموت (وقال) ابليس لعنه الله اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه بغيرها اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه (وقال) ابن القاسم قال مالك بلغني ان عيسى ابن مريم قال له رجل من أصحابه انك تمشي على الماء

فقال له عيسى وانت ان كنت لم تخطئ خطيئة مشيت على الماء فقال له الرجل ما اخطأت خطيئة قط فقال له عيسى فامش على الماء فمشى ذاهبا وراجعا حتى اذا كان في بعض البحر واذا هو قد غرق فدعا عيسى ابن مريم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبت ورجعت ثم غرقت أليس زعمت انك لم تخطئ خطيئة قط قال ما اخطأت خطيئة قط الا اني وقع في نفسي اني مثلك (وروى) عن عاصم قال أم ابو عبيدة بن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال مازال بي الشيطان آنفا حتى رأيت ان لي فضلا على من خلفي لا أؤم ابدا (وروى) عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال ما كانت الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه اربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا ينفد لأواه وأمل لا ينقطع منتهاه (وقال) الاصمعي قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه (وقال) بعض الحكماء ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ يعدل الحياة فالغنى وان كان شئ يعدل الموت فالفقر اه كلام الباجي رحمه الله (وروى) عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم وليلة الف سجدة وكان يسمى السجاد وقد انشد بعضهم

وغير تقي يامر الناس بالتقى * طبيب يداوي الناس وهو عليل

(وقال) الشيخ الامام ابو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله من اراد ان يحمده الله عز وجل وان تدعو له الملائكة ويحشر في زمرة النبيين ويعظم قدره عند الاولياء فليطع الله فيما امره به ونهاه عنه وليلزم المنهاج الاول (وروى) ان الله تعالى أوحى الى نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام هب لي من قلبك الخشوع ومن عينيك الدموع ثم ادعني أستجب لك فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني (ومن) كتاب سير السلف ايضا وقال محمد بن اسلم الطوسي لخادمه يا ابا عبد الله ان معي في قميصي من يشهد علي فكيف اكتسب الذنوب انما يعمل الذنوب جاهل ينظر فلا يرى احدا فيقول ليس يراني احد اذهب لا ذنب اما انا فكيف يمكنني ذلك وقد علمت ان داخل قميصي من يشهد علي ثم قال يا ابا عبد الله مالي ولهذا الخلق كنت في صلب ابي وحدي ثم صرت في بطن امي وحدي ثم دخلت الدنيا وحدي ثم تقبض روحي

قوله لأواه اي شدته وقصر للسجع اه

قوله السجاد هو واحد ثلاثة والثاني علي زين العابدين والثالث محمد بن طلحة بن عبد الله التيمي اه

وحدى وأدخل قبرى وحدى ويأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى فان صرت الى خير كنت وحدى وان صرت الى شر كنت وحدى ثم اقف بين يدى الله تعالى وحدى فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى النار بعثت وحدى فمالى وللناس ثم فكر ساعة ووقعت عليه الرعدة حتى خشى ان يسقط ثم رجعت اليه نفسه ثم قال يا أبا عبد الله اصل الاسلام فى هذه الفرائض وهذه الفرائض فى حرفين ماقال الله ورسوله افعل ففعله فريضة ينبغى ان يفعل وماقال الله ورسوله لا تفعل فتركه فريضة ينبغى أن ينتهى عنه اه

(فصل) وينبغى للمريد أن يتفقد حاله فى الاجتماع باخوانه ولا يواظب على الخلوة ويترك التبرك بهم وبسماع فوائدهم مع التحفظ عليهم وعلى نفسه جهده (قال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله فى كتاب آداب الصحبة له الصحبة على وجوه لكل وجه منها آداب ولوازم (فالصحبة) مع الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار أن يختلج فيها ما لا يرضاه والرضى بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على خلقه ومايحو ونحوه من هذه الاخلاق الشريفة (والصحبة) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه واهل بيته وازواجه وذريته ومجانبة مخالفته فيما دق وجل ومايجرى مجراه (والصحبة) مع اصحابه واهل بيته بالترحم عليهم وتقديم من قدموه وحسن القول فيهم وقبول قولهم فى الاحكام والسنن فان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال عليه الصلاة والسلام انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى (والصحبة) مع اولياء الله تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن انفسهم وعن مشايخهم لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من اهان لى وليا فقد آذنى بالمحاربة (والصحبة) مع السلطان بالطاعة الا ان يأمر بمعصية او بمخالفة سنة فاذا امر بمثل هذا فلا سمع له ولا طاعة والدعاء له بظاهر الغيب ليصلحه الله ويصلح على يديه والنصيحة له فى جميع اموره والصلاة والجهاد معه فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال

قوله الثقلين تثنية ثقل بفتحتين فيهما وهو كل ذى خطر نفيس اه

الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم *(والصحبة) مع الوالدين ببرهما بالنفس والمال وخدمتهما في حياتهما وانجاز وعدهما والدعاء لهما في كل الاوقات ما داما في الحياة وحفظ عهدهما بعد الممات وانجاز عداتهما واكرام أصدقائهما فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من أبر البر ان يصل الرجل أهل ود ابيه وعن أبي اسيد مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شئ ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما واثبات عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما (والصحبة) مع الاهل والولد بالمداراة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والادب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية وقال عليه الصلاة والسلام رحم الله والدا أعان ولده على بره بالافضال عليه والصفح عن عثراتهم والغض عن مساويهم ما لم تكن اثما ومعصية (والصحبة) مع الاخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم اليك واستصغار ما منك اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغي والاذى وما يكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه (والصحبة) مع العلماء بملازمة اكرامهم وقبول قولهم والرجوع اليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ما عظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه عليه الصلاة والسلام وورثته فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال العلماء ورثة الانبياء (والصحبة) مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث واظهار السرور والسكون عند أمره ونهيه ورؤية فضله واعتقاد المنة له حيث اكرمه بدخول منزله وتناول طعامه وقال بعضهم

*من دعانا فأبينا * فله الفضل علينا * فاذا نحن أتينا * رجع الفضل الينا

*(فصل في آداب صحبة الاعضاء) *اعلم ان لكل جارحة من الجوارح آدابا تختص بها (فآداب البصر) أن ينظر الى أخيه نظر مودة ومحبة يعرفها

هو منك ومن حضر المجلس ويكون نظره الى محاسنه والى حسن شئ يبدو منه وأن لا يصرف عنه بصره فى وقت اقباله عليه وكلامه معه (وآداب السمع) أن يستمع الى حديثه سماع مشتهٍ لما يسمعه متلذذ به وكذلك اذا كان لا تصرف بصرك عنه ولا تقطع حديثه بسبب من الاسباب فان اضطرك الوقت الى شئ من ذلك استعذرته فيه واظهرت له عذرك (وآداب اللسان ان تكلم اخوانك بما يحبون فتختار وقت نشاطهم لسماع ما تكلمهم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلهم على ما فيه صلاحهم وتسقط من كلامك ما تعلم ان أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيرهما ولا ترفع عليه صوتك ولا تخاطبه بما لا يفهم عنك وتكلمه بقدر فهمه (وآداب اليدين) أن يكونا مبسوطتين لاخوانه بالبر والمعونة لا يقبضهما عنهم وعن الافضال عليهم (وآداب الرجلين) أن يماشي اخوانه فلا يتقدمهم بل يكون تبعا لهم فان قربوه تقرب اليهم بقدر ما يعلم من رغباتهم ثم يرجع الى موضعه ولا يقعد عن حقوق اخوانه معولا على الثقة بهم لان الفضيل بن عياض قال ترك حقوق الاخوان مذلة اه

(فصل) اعلم وفقنا الله واياك أن هذه الآداب المذكورة انما هي آداب الظواهر وهي عنوان على آداب السرائر (ألا ترى) الى ما روى فى الاثر عنه عليه الصلاة والسلام انه رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (واذا) كان ذلك كذلك فمراعاة الباطن أوجب من مراعاة الظاهر لان الظاهر للخلق والباطن للخالق وما كان للخالق فهو أوجب فلو جمع بينهما فهو الكمال والسعادة لمن اتصف بهما (وصفة) اخلاص الباطن التحقق بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن ظنه بربه وحسن ظنه باخوانه المؤمنين والاهتمام بامورهم فاذا فعل ما تقدم ذكره قوى الرجاء أن يكون من الموقنين

(فصل) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله الاخوان أربعة أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كالداء وأخ كالدفلى (فالاول) معدوم (والثاني) مفقود (والثالث) موجود (والرابع) مشهود اه (أما الاول)

الذى

الذى هو كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله تعالى لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء فانهم قدوة للمقتدين ومجالستهم تشفى الاسقام ظاهرا وباطنا (وقد) كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الى خلواتهم فان حصل لهم عجز أو كسل خرجوا الى مجالس واحد من هؤلاء الشيوخ فتنتعش قواهم بسماع كلامه ورؤيتهم له ويمدهم بهمته فيتغذون بذلك ويرجعون الى خلواتهم أنشط ما كانوا فلولاهم دواء للخلق أجمعين وانت ترى تعذر هذا الزمان غالبا من هذه صفته (وأما) الذى هو كالغذاء فهو مثل الاخ فى الله تعالى الشفيق الودود الحنون الذى يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويجوع نفسه لجوعك ويتعرى لعريك ويكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به وأنت ترى فقده فى هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو أن المعدوم لا يوجد البتة والمفقود قد يوجد فى موضع ما (سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يقول مراتب الاخوان ثلاثة لا رابع لها (فالاول) أن يكون أخوك عندك مثل أبيك وهو أعلاهم (والثانى) أن يكون مثل أخيك الشقيق وهو أوسطهم (والثالث) أن يكون عندك مثل عبدك وهو أقل الاخوان مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا أخوة اذذاك اه أعنى الاخوة الخاصة بالفقراء وأما أخوة الاسلام فهى حاصلة (فأما) الاخ الذى يكون عندك مثل أبيك فهو حال المريد مع شيخه اذ أنه ليس للولد مع أبيه حديث فى شئ لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك فحال المريد مع شيخه من باب أولى اذ أن المريد ليس له تصرف ولا اختيار فى كل ما يحاوله الا برضى شيخه واذنه (وأما) الذى عندك كأخيك الشقيق فهو حال المريد مع اخوانه وهو أقل رتبة من الاول لان الاخ الشقيق يقاسم أخاه فى جميع الاشياء فان أخذ الاخ دينارا أو درهما أو ثوبا أو غير ذلك أخذ الاخ مثله فكذلك حال المريد مع اخوانه بهذه الصفة ان لبس ثوبا كسا أخاه مثله وان أكل طعاما أطعم أخاه منه أو مثله الى غير ذلك (المرتبة الثالثة) وهى أقل الدرجات فى الاخوة وهى ان يكون عندك مثل عبدك أعنى ان العبد يجب عليك ان تقوم بضروراته من غذائه وكسوته وما يحتاج اليه من ضروراته فى صلاح دينه ودنياه وكذلك المريد مع أخيه اذ أنه لا يشبع المتكلف وعبده جائع

ولا يلبس وعبده عريان الى غير ذلك (وقد) خرج البخارى من حديث المعرور بن سويد قال رأيت أباذر الغفارى وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال انى ساببت رجلا فشكانى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم اعيرته بأمه ثم قال ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم اه (فان) تعذرت عليه هذه المرتبة الثالثة فينبغى او يتعين عليه ان لا يدعى الاخوة لعجزه عن القيام بحقها اذ انه قد يشبع واخوه جائع وقد يلبس واخوه عريان فيوجب على نفسه حقا لم يكن عليه فتعمر الذمة بالحقوق لغير ضرورة شرعية (وهذا المعنى) قد كثر فى هذا الزمان فاذا احسنوا الظن بأحد من الفقراء طلبوا منه الاخوة فان اجابهم لما طلبوه وجبت عليهم حقوق كثيرة ثم انهم ينصرفون بعد الاخوة معه ولا يرجعون اليه غالبا بعد ذلك ولا يعرفون كيف حاله أبات جائعا ام لا او هو عريان ام لا (وقد) يكون منهم من يتفقده لكن بالرؤية والسؤال ليس الا دون اعانة ومشاركة فشغلوا ذمتهم بشئ كانوا فى غنى عن ترتبه فيها (ألا ترى) ان العبد اذا لم يقدر السيد على نفقته وكسوته امره الشرع ببيعه فالبيع فى حق العبد مقابله فى حق الاخ فانك اذا عجزت عن المرتبة الثالثة نزلت اخاك منزلة بيع العبد عند العجز كما تقدم (يشهد) لذلك ماروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ان آخى بين المهاجرين والانصار كان الانصارى يقول لاخيه من المهاجرين عندى من المال كذا وكذا فلك نصفه ولى نصفه ولى من الزوجات كذا وكذا فاختر منهن ما تريد انزل لك عنه وكان المهاجرى يسأل عن السوق وعن الحيطان يعمل فيها فهذا الاصل مقرر فى الشريعة المطهرة (وقد حكى) ان بعضهم جاء لزيارة أخيه فقيل له انه فى الموضع الفلانى وكان ذلك الموضع لا يدخله احد الا للمخالفة فتأوه وقال اخى يقع وانا بالحياة فرجع الى بيته ودخل خلوته وعزم ان لا يخرج منها الا باخيه فجاء اخوه الى بيته فاخبر بمجيئه اليه وسؤاله عن حاله فجاء مستغفرا تائبا الى بيته فسأل عنه فقيل له انه دخل الخلوة فقال اخبروه بانى قد تبت الى الله تعالى

ورجعت المعونة بالخروج اليه الا بعد ان تحقق قضاء حاجته فيه (فينبغي) أن تكون المؤاخاة على هذا الاسلوب فان رايت أخاك قد غرق فتأخذ بيده وتنجيه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعيها اذ أن من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان (وأما القسم الثالث) من التقسيم الاول للامام الشيخ الصقلي رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلا شك انك اذا خالطت كثيرا من الناس في هذا الزمان أو عاشرتهم بلا بسة تجد من كثير منهم الأذية البالغة اما في دينك أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذي لاشك فيه فان أنت خالطته وجدت ما ذكره رحمه الله (وأما القسم الرابع) الذي قال عنه انه مشهود فلا شك في مباشرة ذلك في هذا الزمان (الا ترى) انك اذا تكلمت مع أحد منهم في صلاح دينه في شئ ما قابلك بالانزعاج وخلق سئ واقل جوابه أن يقول لك ما حقرت في الناس الا أنا حتى تامرني وتنهاني أو يتسلط عليك ببذاءة لسانه ويتطرلك عورات يظهرها أو حسنات يخفيها أو يردها سيآت وهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هي الدفلي اذا تناولت منها شيئا وقد يفضي ذلك الى العدم اذ قيل انها سم فيتعين عليك أن تفر من هذه صفته فالعاقل اللبيب من شمر عن ساعديه وبالغ في الفحص عن القسمين الاولين فيا سعادته ان ظفر باحدهما كما قيل

واذا صفا لك من زمانك واحد ✽ فهو المراد وأين ذاك الواحد

فان عدمهما فيتعين عليه الخلوة والاعتزال ان أراد السلامة اذ ان الاجتماع بالناس انما يحتاجه المريد للزيادة لا للنقص فاذا علم انه ما يحصل له فيه الا النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة صدره لهم وحسن ظنه بهم عموما والله المستعان

✽(فصل)✽ من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى (وينبغي) للمريد أن يكون نظره للخلق بعين الرحمة والشفقة والتودد وذلك يقع منه على وجوه (فاذا) نظر اليهم بالرحمة فسبيله العلم بفقرهم (واذا) أحسن الظن بهم فسبيله طلب السلامة لهم بالميل الى حزب الفائزين (واذا) احتمل الاذى منهم فسبيله الرحمة لهم (واذا) جازى على السيئة بالحسنة فسبيله التخلق بالاخلاق المحمودة (واذا) راعى حق كل ذي حق وان صغر فسبيله التخلق باخلاق

الشاكرين (واذا) تناسى الشر جملة فسبيله تطهير القلب من دنس هواجس النفوس فى حق اخوانه المسلمين (واذا) عاملهم بالسخاء فسبيله البعد من صفة البخل والتشبه باهل الفضل واليقين بالخلف والحذر من أن يطلب الخلف الفانى اذ ان كل ما جاءه من الدنيا فهو ذاهب فان (واذا) عاملهم برفع الاذى عنهم جملة فسبيله عدم الفراغ والاشتغال بوظائف التكاليف (واذا) عاملهم برؤية الحسن منهم فى كل شئ والتعامى عن القبيح فى كل شئ فسبيله الغيرة فى مشاهدة المحاسن والاشتغال عن القبائح بعيوب النفس مع حسن الظن بهم فى بعض المواطن (واذا) تواضع لله فسبيله اجلال الربوبية واظهار العبودية (واذا) تواضع للخلق فيكون ذلك منه دون تفاوت وغايته لاعتقاد الاثرة لهم عليه (واذا) أظهر ذلك لهم فى بعض المواضع فسبيله احتقار النفس ورؤية عيوبها وحسن الظن بالمؤمنين (واذا) ترك العجب وهو أن لا يرى لنفسه شيئا حسنا فسبيله العلم بأنه لا فاعل للاشياء الا الله سبحانه وتعالى فيلزم نفسه الافتقار اليه جل وعلا (واذا) أخلص العمل لله بأن لا يريد بصالح عمله سوى الله تعالى فسبيله الخوف الشديد من حبط الاعمال مخافة توقع الرياء فيقدر الخلق فى حزب العدم فانهم لا يملكون له شيئا (واذا) استشعر اطلاع الحق عليه فسبيله ترك الفراغ وهو أنه لا يمر عليه وقت الا وهو مشغول بالله تعالى فيحصل له بسبب ذلك الربح أو جبر رأس المال (واذا) ترك المباح فسبيله عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات (واذا) أحب المساكين وخدمهم وأماط الاذى عنهم وادخل السرور عليهم بارفادهم والعون لهم واظهار البشر واحتمال الجفاء والاختلاط بهم والتلطف فى نصح من زل منهم فسبيله طلب حط الاوزار والظفر بمحبة الملك الغفار (واذا) ترك المزاح جملة فسبيله الاهتمام بسالف الذنوب (واذا) راعى الفرض بطلب أدائه كما وجب فسبيله طلب التقرب الى الله عز وجل (واذا) أحسن لكل مخلوق يجوز الاحسان اليه فسبيله طلب الاتصاف بالمحامد (واذا) ترك الشهوات فسبيله العلم بعاقبتها ومآلها وطلب الرقى عن الارضيات (واذا) قلل الطعام بحيث لا يدخل عليه به ضرر فسبيله التحقق للعبادة والتهيؤ للفهم عن الله تعالى

الاثرة بالضم المكرمة اه

والاقبال على المعرفة به سبحانه وتعالى (واذا) لبس الدون من الثياب مع مجانبة الشهرة واقتصر على الضرورة فسبيله خوف الحساب (واذا) ترك التنعم بلاذ الطيبات فسبيله التشبه بأولياء الله (واذا) ترك العجز والاحتقار بالخلق فسبيله طلب التبري من صفة الجاهلين (واذا) ترك الفرح بأمور الدنيا والآخرة فسبيله الجهل بالعاقبة وعدم المبالاة بالدنيا (واذا) ترك الحزن على ما فات فسبيله شغل الوقت بالخدمة والايمان بالقدر (واذا) واصل الاحزان خوفا من السابقة والخاتمة فسبيله طلب التقرب من الله تعالى بانكسار القلب وجمع الهم واذا جمع همومه عليه فسبيله الفرار من تفرقة القلب في شعاب الغفلة (واذا) فوض أموره لله تعالى بطرح نفسه بين يديه دون اقتراح عليه فسبيله استعمال الأدب مع جلال الربوبية (واذا) توكل على الله ثقته بالمضمون فسبيله شغل الوقت بالتكاليف (واذا) ترك رؤية الاسباب حتى استوى عنده وجودها وعدمها فسبيله افراد الحق بالخلق والتبري من الشرك الخفي والجلي كالخبز لا يشبع والماء لا يروي والثوب لا يدفئ وكذلك الامور العادية كلها (واذا) ترك التملق لغير العلماء فسبيله العلم بأنه لا يملك الضر والنفع الا الله سبحانه وتعالى وذلك بخلاف التملق للعلماء وهو التواضع والتذلل لهم (واذا) افتقر الى الله تعالى في حركاته وسكناته فسبيله اظهار صفة العبودية (واذا) غاب عن الخلق بباطنه ولم يسمع اليهم بظاهره فسبيله سد باب الانس بالمخلوق (واذا) ترك الاقبال على أحاديث العامة وترك التشوف لها بصون قلبه عنها وعمارته بذكر الحق فسبيله سد باب المحنة واطفاء نار الفتنة وخوف خسران الآخرة (واذا) كانت نفس المريد متطلعة لأحاديث الناس لم يفلح أبدا (واذا) علم ان استفتاح باب الخير كله وسد باب الشر كله في نفس أداء المفروضات اذ هي معيار القلب وبها تتبين الزيادة والنقص ولا يتوصل الى ذلك الا ببذل الجهد وجمع النفس ومحض الصدق وشدة الخوف ومواصلة الحزن حتى اذا استطعت أن تموت حين تفتتح الصلاة فمت فسبيل ذلك كله قربك من الله (واذا) اردت أن تعرف منزلة قربك عنده فلازمة الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع وسبيله مراقبة

الحق واجلال الربوبية (واذا) أردت عزة النفس وصيانتها عن سؤال المخلوقين وقت الحاجة أوجات فسبيله طلب كل حاجة من الله تعالى أدبا مع الربوبية (ومن) آكد ما يحتاج اليه المريد فى ذلك ان لا ينزل نفسه فى صورة مرشد ولا موص ولا متكلم بالحكمة ولا بالمسائل الفقهية ولكن ليشغله من نفسه شاغل بسبب طلبه العلم اهـ (ومن) كتاب سير السلف قال ابراهيم الخواص دواء القلوب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين (وقال ايضا) التاجر برأس مال غيره مفلس اهـ (ومن كلام) يحيى بن رزق رحمه الله ياهذا اهلا اجرك عقلك عن ان تبوح بسرك الى أحد من الخلق اوان تشكو حالك فى دين أودنيا اليهم أو تتكلم بما لا يعنيك أو تجيب الى أمر لا تتحقق رشده ولا تأمن ضرره ياهذا اجعل ربك موضع شكواك وقابلك خزانة سرك والزم مراقبة مولاك فى كل حال يرد عليك فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت شرا فافتقر فيه اليه وانظر الى الخلق هباكل مصرفة واسبابا مسخرة ولا تشكر أحدا منهم على فضل الله الا على قدر ما اباحته الشريعة وحسبك من ذلك ان تقول جزاك الله خيرا وترى الفضل كله من مولاك فاشكره بكليتك فهو اهل لذلك حقيقة وشكر سواه مجاز كما ان فعل غيره مجاز لان الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لاشريك له

(فصل) فان كان المريد له تعلق بالاولاد فينبغى ان لا يهمه شأنهم ولينظر الى ماسبق فيهم من القدر ويعلم ان الملك لا يضيق عن رزقهم وان ما كتب لهم ان يفوتهم وما كتب عليهم ان يفوتوه وان وجوده وعدمه فى حقهم سيان اذ انه لا يملك لهم شيئا ثم انهم ان كانوا لله أولياء فان يفعل الله معهم الا خيرا وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له فى دفع المضار عنهم وليقل قد استودعتهم من لا تخيب لديه الودائع فليطرح الهم فيهم جملة واحدة ان عقل وليظن بمولاه خيرا والسلام

(فصل) فان ابتلى المريد عند الاجتماع بالناس وخلطتهم بالاذية والجفاء منهم فيتعين عليه ان ينظر فى أمرهم ويرجع الى حاله ويفتش خبايا نفسه فى الذى قيل فيه فقد يكون حقا فان وجده فى نفسه علم اذ ذاك

ان من قال فيه ما قال انما هو نذير جاءه من عند ربه ليتوب أو يوقع به النكال فيحتاج الى المبادرة الى التوبة والرجوع ويرى الاحسان والفضل ان قال فيه ما قال (وان لم) يجد ما قيل عنه فيه فيحتاج الى ثلاثة أشياء (أحدها) ان يمتثل السنة بالدعاء الوارد فى ذلك حيث يقول عليه الصلاة والسلام من رأى منكم مبتلى فليقل الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا ولا شك ان الابتلاء فى الدين أعظم من الابتلاء فى البدن سيما اذا انضاف الى ذلك تعلق حق الغير به فهو أعظم فى الابتلاء هذا وجه (الوجه الثانى) انه يتعين عليه الشكر من وجهين (أحدهما) أن يشكر الله تعالى على سلامته مما قيل فيه (الثانى) وهو الوجه الثالث انه يتعين عليه الشكر فى ان الله تعالى سلمه مما وقع أخوه فيه اذ لو كان الامر بالعكس لكان بلاء بينا اذ الغالب فيه عدم السلامة أسأل الله العافية بمنه وقد تقدم ذلك (ومن) كتاب يمن بن رزق رحمه الله من ساءه الذم وأعجبه المدح فذلك ذكر الصورة خنثى العزيمة (وقال) لو قال لى قائل ان من لم يأخذ بحظه من الفقر لم يجد طعم الايمان لخالفته ولو أخبرنى مخبر ان تسعة أعشار العافية فى الخمول والغنى عن الناس لصدقته (وقال) حمل النفس على الصبر فى مواطن الامتحان حيلة حسنة فى الخلاص وان أبطأ (وقال) من وطن نفسه على ان الدنيا دار نصب وتعب لم ينكر ما نزل به منها ما دام فيها وأخذ من الراحة بحظه ومن توهمها منزل راحة لم يقدر الراحة قدرها اذا أتته وكان تعبه فيها مضاعفا (وقال) تقديم صدق اللجا الى الله عز وجل فى مبادى الحاجات عنوان على نجح غاياتها وقال افتكر فى الموت تهن عليك المصائب (وقال) ما رأيت أفقه من النفس يعنى فى شهواتها وملذوذاتها ولا أجرأ من الانسان ولا أشد تقلبا من القلب ولا أعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الامل (وقال) الصمت وغض البصر مفتاحان لابواب القلوب (وقال) من أحب ان لا تكون له منزلة عند الناس تربع فى بحبوحة العافية (وقال) ليس الا دنيا وآخرة فان أردت الجمع بينهما رمتهما الا وذهبتا عنك معا فاختر لنفسك (وقال) الضرورات تدعو الى شر كثير ولى الصبر على المكروه خير كثير (وقال) يحسن بالمؤمن ان يكون

البحبوحة بضم البائين وسط الدار اه

ثوبه مرقعا ونعله باليا ومسكنه خلقا في ذلك أعظم تذكرة وأكبر شاهد على الغنى وأحث باعث على ترك الطمأنينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شئ فاتت عبرته وكان حب العاجلة أغلب على عقله (وقال) اطمع في رحمة الله عز وجل على أي حال كنت من التفريط ولا تأمن مكره على أي حال كنت من الاجتهاد وإياك واليأس من مولاك فانه قطع للسبب بينك وبينه واحذر الاماني فانها اغترار به واعلم ان الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس وان المؤمن لو علم كنه عقاب الله لمات خوفا والسلام (وقال) اذا كان الماضي لا يرجع والمقدر لا يتبدل فاطراح الهم سعادة معجلة (وقال) خمس يؤلك غمها في الدنيا وهي في الآخرة أشد ايلاما الا أن ينالك عفو الله عز وجل فاستقلل منها أو استقل كثرة المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وافشاء سرك اليهم والشكوى بحالك الى الخالق (وقال) لقد رابني ما أراه من كد الخلائق للدنيا وقصر هممهم عليها في ايمانهم ولقد رابني ما أراه من تكالبهم عليها وفرط جنوحهم اليها في عقولهم والعجب منهم وهم على هذا الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقة سخروا منك وان سكت عنهم اتهموك وان مازجتهم في دين أو دنيا اهلكوك وان تركتهم لم يتركوك فلا راحة معهم ولا سلامة دونهم حسبي الله ثم حسبي الله منهم (وقال) رجلان اكره رؤيتهما واحب الفرار منهما اليأس من فلاحهما اغالبهما طالب كيمياء وطالب ملك (وقال) رحمه الله من تسامى الى رتب لا يقتضيها حاله ولا حليته وآثره واه وأمنيته عاش دهره في تعب ونصب ولم يبلغ الغاية التي يسعى اليها ومن تقاعد عن الرتب التي يمكنه بلوغها عاش مهينا ملوما ومن توسط بين الحالين فتناول منها ما كان له صالحا استحق اسم النبل وكان عيشه هنيئا وقلبه لله تعالى خاشعا (وقال) أنا الآن أصدق قول من قال مكالمة الجاهل سجن للعقل (وقال) الراحة في الدنيا لأحد ثلاثة فقير صالح أو غني عاقل أو أحمق مبخوت (وقال) يا هذا ان كان العجب من الناس مرة فالعجب منك ألف مرة فقد بان لك بالتجربة المستبينة والدلائل البينة ان مكالمة الناس غنمها اندامه والصمت عنهم سلامه ثم لا يصرفك ذلك عن الهذر معهم والخوض في أحاديثهم وكلهم مقهورون لطباع أنفسهم سامعون من حالهم

النبل بالضم الفضل وبابه ظرف اهـ

مصرون بعيون رؤسهم الامن رحم ربك وقليل ماهم فما يصفى اليك منهم فعاليا الا متهم او مكذب او غير محصل فاصحبهم بصمت ولا يكون كلامك لهم الا جوابا بما لا درك فيه عليك فى دين او دنيا فان انت صبرت على اذاهم كفيتهم واياك ان تنتصر لنفسك فتوكل اليها وسلم الامر الى مولاك وافتقر اليه تجده والسلام (وقال) الالتفات الى الناس تعب فى العاجل وندامة فى الآجل لان عامتهم ما بين جاف متعسف او بطر متكلف فليس التأثير بالاول باسوأ من الاغترار بالثانى فالرأى ان يعدا جميعا فى حزب العدم حتى لا تأثير للاضطرار اليهم ولا للجفاء مع امتثال الامر والنهى فيهم واعتقاد الرحمة والصلة لكل مسلم والذى يعين على ذلك بتوفيق الله تعالى الاقبال على ما يعنيك والصبر فى طريق الحق فانك اذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة لم تبال بمن خالف رايك من الخليقة (وقال) من تفكر فيمن سلف ونظر فى المعاد هان عليه جفاء الخلق ولم يغتر بلطفهم (وقال) رحمه الله الزم الصمت عند محاضرة من تكرهه وتكلم مع من لك فى كلامه فائدة (وقال) من علم ان له ربا يفعل ما يريد خاف وحزن ولم يفتر ومن علم ان له ربا ضمن العباده أرزاقهم لم يشغله طلب المضمون عما كلف ومن علم ان له ربا من انقطع اليه كفاه توكل بالحقيقة عليه ومن علم ان له ربا لا فاعل للوجودات الا هو اقتصر فى كل ما رام اليه ومن علم ان له ربا رقيبا على كل شئ استحى منه حق الحياء (وقال) من نظر الى الدنيا بعين البصيرة فرأى تقلبها باهلها وانزعاجهم عنها لم يطمئن اليها ومن نظر الى الآخرة بعين البصيرة فتخيل نعيمها وعذابها وايقن انه وافد عليها اعمل لها (وقال) الزم الفضل واترك الفضول واغتنم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة فبملازمة الفضل تنال الشرف وبترك الفضول تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح وفى هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة (وقال) ليس الا عيش الدنيا او عيش الآخرة ولن يجتمعا (فالاول) مادته الارضيات وهو عيش النفس (والثانى) مادته العلويات وهو عيش الروح وقد علمت المبدأ والغاية فاختر ايهما شئت والسلام (وقال) يا هذا الاخذ بالاحتياط نجاة ولا خير فى صحبة غير الله (وقال) ما احقك بالنوح على نفسك ما اولاك بالقاء التراب على

راسك * ما اغفلك عما حل بك * أنسيت عطاياك * أم أمنت عقاب ربك بادر يا مسكين واحذر سدّ الباب وقطع الاسباب * واستنزل بحسن القراءة رحمة مولاك العزيز الوهاب (وقال) اذا سافرت فالتزم فى الطريق مع أهل الرفقة الصمت ولا تتكلم معهم الا جوابا يسيرا من القول لفظة أو نحوها فان سألت من أين فقل من أرض الله فان قيل لك ما شغلك فقل أبتغى فضل الله فان قيل لك ما اسمك فقل عبد الله * فان تصاممت لم تحسن واذا دخلت بلدا فلا تصحب فيه أحدا صحبة توجب عليك حقا واحسم التعارف البتة وافتقر الى الله فى حوائجك فانه لا يضيعك ان شاء الله فانه ليس زمان صحبة ولا مصادقة وانما هو زمان الوحشة والغربة والفرار من الناس مبلغ الوسع (وقال) خلقان لا أرضاهما للفقى بطر الغنى ومذلة الفقير فاذا اغنيت فلا تكن بطرا واذا افتقرت فتته على الدهر (وقال) رحمه الله الدنيا دار بلاء والبلاء لفظ مشترك تحته أنواع من التعب والمشقات كفرقة الاحباب وذهاب المال * وأذى الناس * والاسقام * والجوع * والعطش والقمل والذباب * والعقارب * والحيات * والسباع * وفقد الوطن * والبرد * والحر * والعرى * والشهوات كشهوة البطن والفرج الى غير هذا مما لا يكاد يحصر فاوقع منه فلا تنكر وقوعه فى محله ولا تستغربه وانما المستغرب فيها المسرات لانها ليست بدارها ولا تقابل شيأ من البلاء الا بالصبر وتوطين النفس عليها متى وقع منها شئ والاستعانة بالله تعالى فى زيادة البصيرة والامداد بالمعرفة (وقال) من تفكر فى أمسه وغده غنم ما فى يديه من يومه (وقال) بالله المستعان واللجأ اليه عنوان النجح * والقرآن حبل العصمة * والسنة طريق السلامة والفكرة مفتاح الرشد * والهمم مثيرات العزم * والتبصر ثمرة الصدق والظفر نتيجة الصبر * والاستغفار مدرج الوصول * والتضرع أمارة الخلاص والتحرم مظنة الاجابة * والالحاح مقدمة المحبة * والتواضع سلم الشرف والصفاء خلق الايمان * والزهد شعار التقوى * والتوكل حرفة المعرفة والتفويض علم السعادة * والخوف اثر الجد * والرجاء افادة الجهد * ورحمة الخلق دليل الطهارة * واحتمال الاذى عين الفتوة * والجزاء على الاساءة بالاحسان خلق النبوة * وتلاوة القرآن بالحضور عيش الروح * ومخالفة

المرى قتل النفس * وذكر الله رأس مال العابدين . من ترك الشهوات قرع
الباب * ومن ترك الحظوظ رفع الحجاب * قيام الليل بستان العارفين *
الاحوال ميزان القوم * من رأى لنفسه فضلا على شيء من خلق الله تعالى
حتى الكلاب فهو أبعد الفقراء عنه السلو عن المتروك على قدر المعرفة
بالمطلوب * من هانت عليه نفسه فهي على غيره أهون * ومن صحب
أقسويه أداه الى الفوت ومن فاته مولاه غرق في بحر اليأس * الدنيا
ملاذتها غرر * ولذاتها قذر قال الشاعر

نظير لباسها نفثات دود * ونظير شرابها سائق الذباب
واشهى ما ينال المرء فيها * مبال في مبال مستطاب
وعقبى قرب يعود الكل تربا * بلا شك يكون ولا ارتياب

(وقال) كنت قد رأيت في كتب بعض الحكماء ان اربعة لا ينبغي للعاقل
ان يأمنها فطلبتها في حفظي فلم أجد منها سوى واحدة وهي المرأة وان
ابدت الود واظهرت النصح (ولا) يبعد عندي ان يكون الثاني السلطان
وان ابدى التقريب والاصطفاء (وان) يكون الثالث المال وان كان جما
وافرا (وان) يكون الرابع الزمان وان كان مطاوعا مسالما (فرب) مخدوع
بهذه الاربعة بثقاته اوثق ما كان بها واسلته امثل ما كان اليها (وقال)
الراحة كلها في الرضا باختيار الحق لك . والتعب كله في اختيارك لنفسك
ومدافعة الايام شيمة الكرام . واغتنام الوقت بالمبادرة الى العمل * واطراح
الامر سفاهه . وانتظار الفرج بالصبر عبادة (وقال) يا هذا اذا رأيت
انسانا لم تلزمك الضرورة اليه ففر منه فرارك من الاسد او اشد وان قدر
اجتماعك معه بحاجة فاقتصر في الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه
بسلام . تذكار تعبك في الدنيا قدمه وحديثها جاهلهم من معرفة الناس
(وصل) وينبغي للمريد ان تكون اوقاته مضبوطة لكل وقت منها
عمل يخصه من الاوراد فلا يقتصر في الورد على ما سبق من الصلاة والصوم
بل كل افعال المريد ورود (قد) كان السلف رضوان الله عليهم يقولون
جوابا لمن طلب الاجتماع باحد من اخوانه ويكون نائما هو في ورد النوم
فالنوم ومباشا كله ورد ومن جملة الاوراد التي يتقرب بها الى ربه عز وجل (واذا

كان كذلك فيكون وقت النوم معلوما كما أن وقت ورده بالليل يكون معلوما وكذلك اجتماعه باخوانه يكون معلوما وكذلك الحديث مع أهله وخاصته يكون معلوما كل ذلك ورد من الاوراد اذ أن أوقاته مستغرقة في طاعة ربه عز وجل فلا يأتي الى شيء مما أبيح له فعله أو ندب اليه الا بنية التقرب الى الله تعالى وهذا هو حقيقة الورد أعني التقرب الى الله تعالى وهذا على جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة والسلامة من العوائق والعوارض أو من حال يرد يكون سببا لترك شيء من ذلك ألا ترى أن المندوب في حق المريد المبتدي الذي يتعين عليه أنه اذا حصل له بكاء أو تضرع أو خشية يستمر في ذلك ولا يقطعه اذ أن المقصود انما هو حصول مثل هذه الاشياء فاذا حصلت للمريد فقد حصل على فريسته فليشد يده عليها ويغتنمها فلا تنفلت منه فقل أن يجدها ولاجل هذا المعنى قال الاستاذ أبو سليمان الداراني رحمه الله اذا لذت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد واذا لذ لك الركوع فلا تقرأ ولا تسجد واذا لذ لك السجود فلا تقرأ ولا تركع الامر الذي يفتح عليك فيه فالزمه أرأيت انسانا يطلب شيئا فاذا وجده تركه (وقد) تقدم هذا المعنى قبل ولا يقتصر في هذا على الصلاة ليس الا بل هو عام في كل أمر أراده فلو حصل له شيء من هذا في الاجتماع بالاخوان فلا ينتقل منه أيضا بل هذا آكد لاجتماع بركة الاخوان وهي متعددة بخلاف ما لو كان وحده وان كانت الخلوة فيها الفضيلة العظمى كما تقدم لكن في الاجتماع بالاخوان الخير المتعدي بما لا يستمد بعضهم من بعض والمقصود أن تكون أوقاته وحركاته وسكناته وأنفاسه في الخلاء والملا منضبطة بالاتباع في كل ذلك (وينبغي) أن يقتصر في أوراده على القليل مثل ما تقدم في أوراد المتعلم سواء بسواء فان حصل له شغل أو شيء من العوائق فلا بد من اقامتها اليسارتها لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا عمل عملا أثبته وقد تقدم ذلك في المتعلم (وينبغي) له أن يكون أشد الناس حرصا على عمل السر لما تقدم أن عمل السر يفضل الجهر بسبعين درجة وما هو بهذه المثابة فيتأكد تحصيله على ما ينبغي (واذا) كان كذلك فلا يخلو حاله من أحد أمرين (اما) أن يكون في بيته وحده أو مع غيره (فان) كان وحده فقد حصل له عمل السر من غير كلفة

(وان) كان مع غيره أعنى من الاهل وما شابههم (فلا) يخلو اما ان يكون فيهم ممن يرجى وان يقتدى به أم لا (فان) كان كذلك فاظهاره أولى وقد تقدم انه لا يضر جهه ذلك من عمل السر معهم (ثم) الامر فى ذلك بحسب حال الوقت اذ ان من الاهل أو الاخوان من اذا رأى شيئا من أعمال البر يواظب عليها من يعتقده بادرت نفسه الى فعل ذلك أو شئ منه (وهذا) فيه خير كثير (لما ورد) لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (فان) علم أنه ليس فيهم من يقع ذلك منه فالسر أولى به (وقد) تقدم فى المسئلة انه ان وجد الخلوة عن أهله كان به أولى (فالمريد) بهذا المعنى أولى بل أوجب لأن المريد لا يزال فى عمل السر فى غالب أوقاته فيعود عليه آثار ذلك وبركته حتى يصل الى عمل سر فيما بينه وبين ربه عز وجل لا يطلع عليه الحفظة (وقد) ذكر الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه عن بعضهم انه ظاهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى أن يدخل عليهم سرورا بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها لان الحفظة يفرحون بحسنة العبد حين يعملها أكثر من فرح العبد بها يوم القيامة حين يرى ثوابها وما ذاك الا أن رسل الملك لا يريدون أن يرجعوا اليه الا بما يعلمون أنه يحبه بخلاف العكس فانهم يكرهونه لكراهية الملك له (وهذا) الذى حكاه رحمه الله ظاهره مشكل لأن الفرائض لا بد من اظهارها وهى أكبر الاعمال وازكاها (لما ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عن ربه ان يتقرب الى المتقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم الحديث بكماله والحفظة يشاهدون ذلك ويكتبونه (فيتعين) أن يحمل ما ذكره على الاوراد التى هى من أعمال القلوب وهى الفكر والنظر والاعتبار اذ أن الله عز وجل تجلى لخلقه وظهر بآياته وبطن بذاته فهو الظاهر بما دل عليه من مصنوعاته الباطن بذاته فلا يقال أين ولا كيف ولا متى لانه خالق الزمان والمكان الى غير ذلك من صفاته الجليلة (واذا) كان ذلك كذلك فمن كان فى حال التجلى فهو مستغرق الاوقات حتى لا يرى غير ما هو فيه لكثرة ما هو فيه من النعيم اذ التجلى ليس شئ من النعم أعلى منه فى الدنيا والآخرة (ولا) يعكر على ما تقدم ذكره من قول الحفظة ما ورد فى المكلف اذا نوى الحسنة خرجت على فمه رائحة عطرة واذا نوى

السيئة خرجت على فمه رائحة منتنة لان هذا قد نوى بقلبه انواعه وعمل من أعمال القلب ذات عليه الرائحة الصادرة عنه بخلاف من حصل بسببه اذا التجلي ليس من عمل العبد ولا من حيلته بل هو فيض من المولى سبحانه وتعالى وتفضل منه وامتنان على من خصه واختاره من خلقه في كل زمان واوان فينبغي للمريد ان كانت له همة سنية ان يعمل على تحصيل هذا المقام السني لان المولى سبحانه وتعالى كريم منان وهذه الامة والحمد لله فيها البركة الشاملة لخيرهم ومقامهم الخاص بهم لايزول ولا يحول الى أن يأتي أمر الله تعالى (واذا) كان الامر كذلك فلا ينقطع المريد يائسا من الوصول الى عالم السنى ولا ينظر فى ذلك الى نفسه ولا لحيلته وقوته واجتهاده لانه مهما نظر الى ذلك قطع به بل ينظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى ونعمه المترادفة عليه وليحذر ان يكون بمعنى الطبع لايرى النعم الا في المأكول والمشروب والسعة في الرزق لان هذا ليس من حال المريد في شئ بل هو من حال أبناء الدنيا والله عز وجل من كرمه واحسانه وفضله وامتنانه يعطى لكل قاصد ماقصده وقد تقدم ان المريد غنيمته مافاته من الدنيا (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول المريد لايحتاج لشئ من الاشياء فقالت له اليس يحتاج الى الاكل والشرب واللباس فقال نعم لكن طعام المريد الجوع وكسوته العرى فهو يجد ذلك فى كل موضع يحل فيه واذا كان كذلك فلا يحتاج الى أحد (والمقصود والحاصل) انهم قد طرحوا امور الدنيا خلف ظهورهم واقبلوا بكليتهم على ربهم واسندوا امورهم اليه وتوكلوا بالحقيقة عليه فانعم عليهم وقربهم واجتباهم وحباهم وتجلى لهم بصفاته الجليلة الجميلة اسأل الله تعالى أن لايحرمنا ذلك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم فانه ولى ذلك والقادر عليه (وما) تقدم ذكره من أن المريد يقتصر على الاعمال المتقدم ذكرها انما ذلك فى حال بدايته ثم يأخذ نفسه بالتدريج والترقى فى الزيادة قليلا قليلا حتى يستغرق أوقاته فى أنواع العبادات وهو لم يجد لذلك مشقة ولا تعبا فى الغالب وقد تقدم ذلك لكن المريد فى بداية أمره يمشى على ماسبق من أوراد المتعلم واما نهايته فلا حد لها لانهم قالوا أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم ضرورة فلا ينام

المريد

المريد الاغاية وقد تقدمت حكاية بعضهم في السنة التي أخذته وهو جالس
في مصلاه حين صلى ركعتي الاشراق فعرك عينيه وقال أعوذ بالله من عين
لا تشبع من النوم ومن كان نومه على هذه الصفة فلا يمكنه أن تهيأ الحالة
النوم ولا للاذكار المذكورة عنده اذ حال المريد لا ينضبط بقانون معلوم
لكثرة اجتهاده وتحصيله وأحواله في أعماله وقل أن تنحصر (لكن) يحافظ
على السنة ويشدد عليها وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يعجبه ما حكي
عن بعضهم انه كان اذا جاء الى فراشه دخل على جنبه الايمن ثم يرجع على
الايسر ثم يرجع على الايمن ثم يقوم فيتوضأ و يصلي ركعتين ثم يقول اللهم
انك تعلم ان خوف نارك منعني الكرى فيقوم حتى يصبح فكان يعجبه منه
محافظته على السنة حتى في الفراش وان كان يعلم انه لا يتأتى منه النوم فاذا
كان المريد على هذا الحال أعني محافظته على السنة في كل أحواله فهو
المقصود الاعظم لا يفوقه غيره نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمنه انه
الكريم الوهاب بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل في قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط) اعلم وفقنا الله واياك
ان آكد ما على المريد اتباع السنة واتباع السلف الماضين رضي الله عنهم
أجمعين فيشد على ذلك يده وليحذر ان يميل أو يغتر بما قد احدثه بعض
الناس من أفعال لم تكن فيمن مضى وقد تقدم ان الخير كله في الاتباع
وعكسه في الابتداع وان هذه الطائفة أكثر الناس اتباعا للسنة
المطهرة وما فاقوا على غيرهم الا بذلك لانهم اختصوا بثلاثة اسماء فقراء
ومريدين وصوفية فالفقير من افتقر في كل أحواله الى ربه عز وجل وسكن
بقلبه اليه وان كانت الخواطر تدافعه فهو لا يلتفت اليها و يفتقر الى ربه
و يعول عليه والمريد من أراد ربه دون كل شئ سواه وكان غاية طلبه ومناه
وسلم من لدغات الخواطر ومجاهدتها لارادته ربه وايثاره على ما سواه
والصوفي من صفى باطنه وجمع سره على ربه وشاهد عيانا جميل صنعه فأسند
الامور كلها اليه فهم الذين قربهم الله واجتباهم وخلع عليهم خلع احسانه
ولحضرته السنية ارتضاهم (واذا) كان الامر كذلك فهذا مقام خاص بهم
والثوب النظيف أقل شئ يدنسه (وقد) تقدمت حكاية سيدي الشيخ

الجليل أبي علي بن الصباط رحمه الله في دخوله المسجد حين قدم رجله اليسرى فمشى عليه لان هذه الطائفة شعاروها الاتباع وترك الابتداع فان وقع لهم شيئا من مخالفة السنة رأوه أمرا عظيما فاقلعوا عنه في وقتهم وجددوا التوبة مع الله تعالى ورأوا أن ذلك بسبب ذنب تقدم فجعلته لهم عقوبته فتضرعوا الى الله وابتهلوا اليه مع وجود التوبة النصوح منهم (واذا) كان الامر كذلك فيتعين على المريد أن لا يسامح نفسه في شئ مما يخالف الاتباع ولو قاله من قاله (فليحذر) من البدع التي قررها بعض الناس (وقد) اختلفوا فيها على ثلاثة أقسام (فمنهم) من استحبها وانكر على من تركها وهذه طريقة أكثر أهل المشرق (وذهب) بعضهم الى أن من فعلها ومن لم يفعلها سيان لا عتب على تاركها ولا حرج على فاعلها (وذهبت) الطائفة الثالثة وهم المحققون المتبعون للسنة وللسلف الصالح من الامة رضي الله عنهم أجمعين الى التصريح بأن ذلك بدعة ممن فعله أو استحسنه وقال لا حرج على فاعله لمخالفته للسنة المطهرة (وقد) كان سيدي أبو الحسن الزيات رحمه الله يقول من أعجب الاشياء صوفي سني يعني بذلك والله أعلم ما تحسن بديله من الفوائد المحدثة التي ليس لها أصل في الشرع ترجع اليه (فمن ذلك) ما ذهب اليه بعضهم من أن المريد اذا ورد البلد وقصد دخول الرباط وهو المسمى في عرف العجم الخانقاه فالرباط مأخوذ من الربط لان ساكنه مرابط فيه وهذا الاسم أولى به الا ترى انهم يحبون رؤية القيد في النوم ويكرهون الغل فهذا منه (وأهم) فيما احدثوه اصطلاح لا ينبغي أن يعرج عليه (لكن) الآن كثر وقوعه والقول به والانكار الشديد على من ترك شيئا منه واتبع السنة المطهرة تعين الكلام فيه على من تعين عليه وهو انه اذا قصد دخول الرباط كما تقدم يشمر كمه ويبتدي في ذلك باليمين وهذا اذا أراد دخول الرباط أو يتناول شيئا طاهرا وأما ان أراد أن يدخل الخلاء فانه يبتدي بتشمير كمه الايسر ويبالغون في هذه الاشياء ويسمونها آدابا (حتى) انه قد حكي عن بعض من توغل في هذا الشان انه خدم شيخه سنين متطاولة فلما ان كان في بعض الايام أراد أن يدخل الخلاء فشمر كمه الايمن قبل الايسر فقال له شيخه أين تريد فاستفاق لخطائه على زعمهم فقال

الى بغداد فسافر اليها فانظر رحمنا الله واياك الى تبديل الاختيار الجميل بمخالفة
سنة واحدة كيف وقع بها هذا في امرين عظيمين احدهما تعب السفر
الطويل وترك جمع الخاطر في الحضر وبركته والثاني اخبار شيخه بالعيب
في باطنه وطائفة الصوفية بريئة من ذلك كله (ثم) اذا شمر اكمامه يشد وسطه
بشيء ويأخذ الركاز بيده اليمنى والابريق بيده اليسرى ويجعل السجادة على
كتفه الايسر مطوية وهذا فيه ما فيه لان اتخاذ السجادة من البدع التي
احدثت فكيف يتخذها الفقير (وقد) كان كثير من السلف رضوان الله
عليهم لا يجعل بين وجوههم وبين الارض حائل لا حصير ولا غيره وما ذاك
الا لاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا ترى) ان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا اليه ما يجدونه من الم السجود على الارض لم
يشكهم ومعنى ذلك انه لم يزل شكواهم الا ترى الى ما ورد مسح الحصباء مسحة
واحدة وتركها خير من حمر النعم ولا يرد على هذا حديث الخمرة لان ذلك
محمول على شدة الالم الذي يوجد في ذلك الوقت بخلاف الالم الذي تحمله البشرة
فلا يرخص فيه والخمرة هي شيء مضفور من الخوص قدر ما يضع المصلي عليه
الوجه واليدين اذا سجد وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد ولا يجعل
بين وجهه وبين الارض شيئا لاتباعه السنة وتواضعه (وهذه الطائفة) اولى
الناس بالاتباع والتواضع وهو الآن داخل الى الرباط وهو موضع ظاهر
لا يدخله في الغالب الا من هو محتفظ على دينه فلا حاجة تدعو الى السجادة
وانما هي عوائد اتصلت ووقع الاستئناس بها والعوائد كلها مطروحة
لان السنة هي الحاكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد (ثم) يأمرونه
اذا دخل الرباط ان لا يسلم على احد ولا يسلم عليه احد واعتلوا لذلك بان
المريد لا يذكر الله تعالى الا وهو على وضوء والسلام اسم من اسماء الله تعالى
فاذا سلم على احد او سلم عليه احد فقد يكون على غير وضوء فيحتاج الى ذكر
اسم الله تعالى وهو على تلك الحالة او ترك رد السلام وهو واجب فامروه
بترك السلام لاجل هذا وهذا ايضا مخالف للسنة اذ ان السنة مضت
على ان المكلف يسلم على من عرف ومن لم يعرف فكيف باخوانه وما تقدم
من ذكر تعليلهم له [illegible] لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه

لم يمنع من ذكر الله في حال من الاحوال الا في حال موضع الخلاء فانه يكره ولا بأس بذكر الله تعالى هنالك عند الارتياع وما يشبهه والدين يكرهونه والسنة عند لقاء المؤمن لاخيه السلام لا يعجلونه واستفتاءه (ثم) يأمرونه عند ارادة دخوله الرباط أن يقعد عند الباب ثم يخرج اليه من في الرباط من الشبان أو بعضهم فيؤذونه بالشتم ويقلون الادب عليه ويخرقون حرمته ويكسرون الابريق الذي معه ويفعلون ذلك به مرة بعد أخرى حتى ييأسوا من غضبه ويعللون فعلهم ذلك بأن يقفوا على حسن خلقه وحمله للاذى اذ أن هذه الطائفة لا تنتصر لانفسها وهم أشد الناس كظما للغيظ وعفوا عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لان الوارد اذا علم أنه اذا انزعج لذلك وغضب لا يدخلونه الرباط فانه يصبر اذ ذاك على أذيتهم لاجل ما يرجوه من حاجته وان كان سيئ الخلق لانه يعني أن يحلمون فانه يستعمل ضده في هذا الموطن والحالة هذه (ثم) يخرج اليه الخادم فيأخذ السجادة من كتفه وهو ساكت لا يسلم أحدهما على الآخر ويدخل الخادم والوارد يتبعه حتى اذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينظر أين يفرش الخادم السجادة فيعرف موضعها وهذا فيه ما فيه الا ترى أن السنة في السلام عند اللقاء افشاؤه والتأنيس بالبشاشة وما أشبههما من الاكرام للضيف والتودد ضد من ما يفعلونه وأما كسر الابريق فلا خفاء انه اضاعة مال وهو محرم وكذلك شتمه فوضعوا الشتم وخرق الحرمة واضاعة المال موضع الاكرام والاحترام والضيافة ثم سرى هذا الامر الى عامة المسلمين اذ أن هذه الطائفة قلوب الناس بهم متعلقة لحسن ظنهم بهم ولكونهم منسوبين الى اتباع السنة والزهد في الدنيا وتركها والاقبال على العبادة والدار الآخرة ويرون انهم محفوظون لا يخالفون ولا يعتدون فاذا صدر منهم شيء من هذا اقتدى بهم غيرهم في فعله فيعد كثيرا من الناس في هذا الزمان يقعد الرجل وأولاده كل واحد منهم يشتم صاحبه ويشتمون الآباء والاجداد ويلعنون أنفسهم والوالدان ينظران اليهم (وقد ورد) في الحديث المؤمن لا يكون لعانا (وفي) كتاب السنن لابي داود رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا

على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم (ومنه) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها (ومنه) عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار (ومنه) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء (ومن البخاري) رحمه الله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه (وهم اليوم) قد جاوزوا الحد في ذلك يشتم بعضهم بعضا ويلعنون أجنبي بينهم يكفهم قد كفوا الاجنبي أمرهم ولا يعقون لذلك ولا يرجعون عنه (ولو) قدرنا ان أحدا نهيهم على ما فيه من شدة القبح الجم على منعه فمنهم من يسخر منه ومنهم من يقول ان هذا نبط لا حقيقة وكل ذلك سببه السريان من الخاصة الى العامة فانا لله وانا اليه راجعون على مخالفة السنن وارتكاب البدع (الاترى) ان من السنة اكرام الضيف بتيسير ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس هذا الامر سواء بسواء (ثم) ان الخادم اذا فرش السجادة يجعل فتحها الى الجانب الايسر ويعللون ذلك بأنه اذا جاء أحد يريد أن يجلس معه فيجلسه لناحية اليمين ليكون ذلك أسهل عليه في فرشه لها اذ ذاك ويعللونه بوجه آخر وهو أن القلب في جهة اليسار فينبغي ان يكون فتحها لتلك الجهة تفاؤلا بالفتح وهذا ليس من التفاؤل في شيء لان التفاؤل الشرعي انما هو ما كان عن غير قصد وما ذكروه كله يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والسجادة مكروهة في الشرع ابتداء الا من ضرورة كما تقدم فكيف تفاصيلها فمن باب أولى وأحرى (ثم) انه مع ذلك يطوي طرفيها من جهة القبلة من ناحية المشرق فاذا علم الوارد موضع السجادة ذهب الى موضع قضاء الحاجة كانت

له حاجة أولم تكن كان على وضوء ولم يكن فيأخذ الابريق فيدخل به الى الخلاء ثم يخرج الى موضع الوضوء والابريق بيده فيضعه فى موضعه الذى أخذه منه ويجعل بزبوزه الى جهة القبلة وعاؤه وكذلك فى كل موضع يضعون الابريق فيه انما يكون مستقبل القبلة وهذا أيضا محتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم (وهذه) الآداب الشرعية مثل استقبال القبلة وغيرها انما المخاطب بها المكلفون والابريق لا يتوجه عليه خطاب ولا أمر الشرع فيه بشئ والتزام هذه الاشياء فيه ضيق وحرج (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما تركته لكم فهو عفو (واذا) كان الامر كذلك فلا حرج فى وضع الابريق على أى صفة كانت وكذلك فى بسط السجادة وغيرها فما وافق السنة امتثلناه على الرأس والعين وما لم يرد فيه شئ فقد وسعه الله علينا فلا نضيق على أنفسنا باصطلاح من ليس بمعصوم (ثم) يتوضأ فاذا فرغ منه مشى بتؤدة الى موضع السجادة وهو مع ذلك لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد لا بسلام ولا غيره فاذا جاء الى السجادة قدم رجله اليمنى فوضعها على طية السجادة ثم قدم رجله اليسرى فوضعها الى جانبها على الطرف المطوى كما هو ثم يقدم رجله اليمنى فى وسط السجادة ثم الرجل اليسرى ثم يزيل تلك الطية بيده أو بقدمه ويسمون هذه الطية قفل السجادة حتى لا يفتح ذلك غيره وهذا كله من محدثات الامور التى ليس لها أصل فى الشرع الشريف فتعين اطراحها وترك المبالاة بها (ثم) يصلى ركعتين والصلاة بهذا الوضوء فيها ما فيها الان هذا الوضوء ان كان لاجل دخول الرباط ليس الا فلا شك انه لا يستباح به الصلاة كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن توضأ للاكل والشرب أو دخول السوق فلا يؤدى به عبادة يشترط الوضوء فيها وان توضأ لدخول الرباط وللحدث فيجرى فيه الخلاف الذى بين العلماء اذا أشرك فى النية هل يجزيه أم لا وأقل ما فيه مما لا ينبغى ان هذا الفعل كله انما هو لاجل رؤية الناس له وانهم لا يتركونه يدخل الرباط الا على هذه الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن أن يكون لله وحده بل الشائبة فيه ظاهرة بينة والمريد لا يسامح نفسه فى شئ من هذا كله فينبغى له أن يتوضأ بعد ذلك لاستباحة الصلاة ويتوب من عمل عمله لاجل رؤية

الناس ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمتين الذكر أتى اليه بعض أهل الرباط فسلموا عليه و بسطوا له الانس ويقوم هو اليهم ويعانقهم وهذا الذى فعلوه من سلامهم عليه و بسطهم له هو السنة عند اللقاء فاخرجوه عن موضعه المشروع الى موضع غير مشروع فيه وأما قيامه لهم فليس من السنة فى شئ لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغائب حين قدومه عليه واما المعانقة ففيها اختلاف بين العلماء ومذهب مالك رحمه الله كراهتها (ثم) انهم يتكلمون عند ذلك بالكلام المعتاد بينهم الذى لا يخلو فى الغالب من التنميق والتزكية وترفيع بعضهم لبعض بأشياء الغالب عدم بعضها الامن وفق الله تعالى وقليل ماهم (واحتجوا) على استحباب هذه الاصطلاحات واستحسانها وأمر الفقراء بها بان مشايخهم قد قرروا لهم ذلك ليكون تحفظهم عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواطنهم مما يقع فيها فتكون آداب الظاهر دلالة على حصول آداب الباطن وهذه الطائفة يحسنون الظن بمشايخهم وقد أمروهم بذلك فلا عتب عليهم فى فعله بل هم فى عبادة وخير وهذا الذى قالوه ليس بالبين لانه لو جاز للعلماء مثل هذا لكان ذلك كله ذريعة الى نسخ الشريعة بالآراء وغيرها فكل من ظهر له شئ أو استحسن شيئا جعله أصلا معمولا به ويرجع اليه ولا قائل به من المسلمين وهذا الدين والحمد لله قد حفظه الله تعالى من زين الزيادة فيه والنقص منه (ولا حجة) فى كون الفقراء يحسنون ظنهم بمشايخهم لان تحسين الظن بهم له مجال متسع ماداموا على الاتباع للسنة والسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فحينئذ يرجع اليهم ويسكن الى قولهم وأما غير ذلك فاتباع السنة أولى وأرجى وأنجح بل أوجب مع سلامة الصدر لمن قال ما قال اذ انه لم يقصد الا خيرا ولكن المريد يتعين عليه أن يكون ميزان الشرع فى يده فمن وفى واعتدل فهو غنيمة ومن نقص فلا ضرورة تدعو الى الاقتداء به فيما خالف فيه السنة اذ انه لا يتبع أحد فى الغلط (وانظر) الى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث الورود على الحوض فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا أى فبعدا فبعدا (واذا) كان كذلك فقد وقع البعد بسبب التبديل ولفظ التبديل يقع على القليل والكثير واذا كان

الامر كذلك فلاضرورة تدعو الى الوقوع فى مثل هذا الاحتمال والمقصود ألا تكون السنة واتباع السلف رضى الله عنهم هما الاصل عنده فلا يعرج على غيرهما ولو قال من قال (ولاجل) هذا المعنى قال بعضهم ان المريد يعرف حين دخوله وماذاك الا ان المريد محافظ على السنة فاذا استأذن ووقف بالباب حتى يؤذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى وأخر اليسرى ثم سلم السلام الشرعى علم انه مريد لامتثاله هذه السنن الثلاث الاترى الى ما حكى عن بعضهم انه جاءه مريد لزيارته فقدم اليه شيئاً للاكل فتناول المريد لقمة باليسار فقال له المزور من شيخك يابنى فقال له ياسيدى الناحية اليمنى توجعنى فقال له كل رضى الله عنك وعن ربك وقد تقدمت هذه الحكاية لان السنة فى ابتداء الاكل ان يكون بناحية اليمين فلما ان رآه خالف هذه السنة عرض له بقوله من شيخك لينبهه بذلك على ما وقع فيه من مخالفة السنة فكان فى المريد من اليقظة والحضور ما فهم به مراده فأجابه فهكذا تكون المحافظة على السنة والاتباع وفقنا الله لذلك بمنه (وقد تقدم) فى لباس العالم وتصرفه ما فيه غنية عن اعادته فى حق المريد لكن المريد يكون أشد حرصا على الاتباع لانقطاعه الى الله وتبتله اليه وقد تقدم ما فى تلك الثياب المذكورة من السرف فكذلك ما يشبهها أعنى من الوسع فى الثوب الذى لاضرورة تدعو اليه وان كان ثوب المريد قصيرا فى الغالب لكنه احتوى على شيئين قبيحين مخالفة السنة ووجود السرف فيه أعنى فى الوسع الخارق الذى يفعله بعضهم

)فصل(واعلم ان طريقة الصوفية نظيفة وأقل شئ يدنس النظيف لاجرم انه قد كثر التدليس والتخليط وظهر وسبب ذلك ان كل طريقة ادعاها الانسان فضحته فيها شواهد الامتحان الا هذه الطريقة فانه لا يفتضح فيها غالبا وذلك لوجهين احدهما ان طريقهم مبنى على الفتوة والستر والعفو والصفح والتجاوز والاغضاء عن العيوب وكل من ادعى شيئا يخالف طريقهم ستروا عليه وجروا عليه أذيال الفتوة والثانى ان كثيرا ممن تشير عليه فى هذا الزمان أقل ما يقع منه ان يقول لك حدثنى ويقوم فى حينه كثير من الناس فتتداعى الفتن وتكثر الى غير ذلك من المحظوظ التى تعتورهم وهى كثيرة ولاجل ذلك سكت من سكت من أهل الصدق والاتباع فظن

من لاعلم عنده بحالهم السيئ ان سكوتهم رضا منهم بشئ مما رأوه أو سمعوه ألا ترى انهم اذا وجدوا من يقبل الحق منهم القوا اليه ما يخلصون به مهجته من هذه الغمرات وسرّوا به واقبلوا عليه لا لحظ دنيوي بل يفعلون ذلك فرحا منهم بهداية شارد عن باب ربه عز وجل مضطرا الى من يوصله اليه (وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضي الله عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فاذا وجد أحدهم السبيل الى شئ من هذا بادر اليه وان كان ضده تغافل وتناسى لاجل ما تقدم (وقد تقدم) ان اللعين بمكيدته وشيطنته يتتبع السنن واحدة بعد واحدة يريد بذلك ان يبدل مكان كل سنة ضدها (الا ترى) أنه لما ان وجد المريد أكثر لباسه على ما ينبغي من القصر وغيره أدخل عليه دسيسة قل من يشعر بها وهي وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيئان مما لا ينبغي وهما اضاعة المال وهو محرم ومخالفة السنة وكفى بهما وقنع بذلك من بعضهم ودس زيادة على ذلك وبدل ما هو أكبر من هذا وأكثر لكثير من العرب في طول ثيابهم حتى صارت اذا مشوا تنجر على الارض وهذا محرم في حق الرجال متأكد فعله في حق النساء وبدل للنساء ضد ذلك وقد تقدم بيانه وزاد في ثياب بعض من ينسب الى العلم قريبا مما سبق في ثياب العرب (فالحاصل) انه حرم كل طائفة من الاتباع وأوقعهم في ضده ومع ذلك قل من يستيقظ لما القاه اليه من هذه الدسائس بل تلقوها بالاقبال عليها لما القى اليهم من التعليل لكل واحدة لان من عادته الذميمة تعليل ما يلقيه اليهم وتحسينه لهم ليكون ذلك أدعى الى القبول منه والحرص على فعله فانا لله وانا اليه راجعون على ما حصل من الغفلات عمن لا يغفل عنا ولا ينسانا وفي التلويح ما يغني عن التصريح والله المستعان بمنه وكرمه

(فصل في ذكر بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الارادة) وهذا باب متسع متشعب قل ان تنحصر مفاسده أو يتعين ما وقع منه لكثرته (لكن) نشير الى شئ منه ليستدل به على ما عداه والله المستعان (فمن ذلك) ان كثيرا من الناس يدعي الدين والصلاح وأنه من أهل الوصول ويأتي بحكايات من تقدم من الاكابر ويطرزها بكلامه وهو مع ذلك يشير الى نفسه بلسان حاله

وان عنده من ذلك طرفا (وبعضهم) يزعم انه حصل له من ذلك الامر حاصل ومنهم من له القدرة على تصنيف الحكايات والمرائى التى يختلقها من تلقاء نفسه سيما والعياذ بالله تعالى ما ابتلى به بعضهم من تجريه ودعواه رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وانه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل بعضهم يدعى رؤيته عليه الصلاة والسلام وهو فى اليقظة وهذا باب ضيق وقل من يقع له ذلك الامر الا من كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان بل عدمت غالبا مع انا لا ننكر من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم (وقد) أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة وعلل ذلك بأن قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبى صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء والرائى فى دار الفناء (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يحل هذا الاشكال ويقول ثما قاله هذا القائل صحيح ولكن يرده ما ورد ان الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل أوليائى لم أزوعنكم الدنيا لهوانكم على ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندى اذهبوا فاخترقوا الصفوف فمن سلم عليكم من أجلى أو زاركم من أجلى أو أطعمكم لقمة من أجلى فخذوا بيده وأدخلوه الجنة فيأتون الى المحشر وهم يجرون أذيال الفخر فيقول أهل الحشر يا ربنا ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أنتم متم فى الدنيا مرة واحدة وهؤلاء كان الواحد منهم يموت فى اليوم سبعين مرة أو كما قال (وقال) سيدى أبو مدين رحمه الله من مات رأى الحق ومن لم يمت لم ير الحق فاذا كان المرء اذا مات موتة واحدة رأى الحق فما بالك بسبعين مرة فى كل يوم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فذهب الاشكال والحمد لله وظهر الصواب والله المؤمل فى الثواب (ومنهم) من يشير الى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عرى عنها بالاتصاف بضدها (ومنهم) من يدعى رؤية المشايخ ولقيهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا رآهم ومنهم من يدعى صحبة بعض الشيوخ والاهتداء بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو على طريقهم بل رأى بعض من صحب الشيوخ وحكى عنهم فحكى ذلك عن نفسه (ومنهم) من يدعى رؤية الخضر ثم ان بعضهم يؤكد ذلك باليمين ليكون أدعى للقبول منه حتى لقد قال بعض من

ينسب اليه شيء من هذا ان الخضر يأتيه في كل يوم ويقف على بابه أو دكانه ويتحدث معه وهو يبيع ويشتري وذلك كله تقوّل وافتعال لا أصل له ولا فرع مع ان هذا الاينكر اذا وقع من أهله في محله (ومنهم) من اذا أراد أن يأتي شيئا مما يخطر له قدم قبله الاستشهاد بكتاب الله تعالى فيقول قال الله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم يحلف عند ذلك انه رأى ورأى وانه خوطب في سره والغالب أنك تجد كثيرا من العوام لغلبة الجهل عليهم بأهل الحق والخير والصلاح والاتباع اذا موه عليهم أحد من أهل التمويه انقادوا له وقالوا به واتبعوه ونزلوه المنزلة التي يدعيها أسال الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه (وبالجملة) فأحوالهم الرديئة لا تنحصر وفيما وقع التنبيه به كفاية ومقنع هذا حال المستترين منهم (وأما غيرهم) فقد خرقوا السياج وليس العجب منهم بل العجب ممن يعتقدهم أو يميل اليهم مع ماهم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من انه يظهر للناس الزهد في الدنيا وترك المبالاة بها حتى انه يجلس مكشوف العورة وقد تقدم ذلك (ومنهم) من يدخل النار على زعمه ولا يحترق بمرءى من الناس وذلك انه لو كان صحيحا لكان بدعة ومنكرا اذ أن من شرط المعجزة اظهارها والتحدي بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فاذا اظهرها للناس فقد خرجت عن باب الكرامة (اللهم) الا ان تقع ضرورة شرعية محوجة الى اظهارها (مثل) ما حكي عن بعضهم انه كان في مركب موسوقة قمحا فهاج البحر عليهم وكان القمح لبعض الظلمة السلاطين على الخلق في وقته فسمع النواتي وهم يقولون ان هذا القمح مكيل علينا فان نقص منه شيء أخذنا الظالم به فالرأي ان نرمي الركاب في البحر ويبقى القمح فلما ان سمعهم قال لهم ارموا القمح في البحر وانا الضامن له فأشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق الا القليل فسكن البحر فلما ان وصلوا الى البلد طالبوه بما التزمه فأمرهم ان يأتوا بالكيالين فجاؤا بهم فقال اكتالوا ما بقي من القمح فاكتالوه فوفى ما عليهم أعني ما كان على النواتي مسطورا ثم رد رأسه الى أصحابه وقال لهم والله ما عملتها الا حقنا لدماء هؤلاء المسلمين (فاذا) كان مثل هذا فهو والذي يظهرونه للضرورة الشرعية مع ان لدخول النار أدوية تستعمل حتى لا تعدو على من

السياج كتابة ما يحاط به اهـ

دخلاها من استعمل تلك الادوية (لكن) لو حضر أحد من أهل السنة ودخلا معا لاحترق صاحب البدعة والزعبلة وخرج المحق سالما (وقد) وقع ذلك في حكايات يطول تتبعها منها الحكاية المسندة في مصباح الظلام للشيخ الإمام الجليل أبي عبد الله بن النعمان رحمه الله وما جرى للسني والبدعي في دخولهما النار فخرج السني ولم يحترق وبقي البدعي حممة اهـ (وقد) كان بعض من ينتسب الى المشيخة يدخل أصحابه النار ولا يحترقون فقال لي سيدي أبو عبد الله الفاسي رحمه الله والله لولا اني أخاف من سيدي الشيخ ان يطردني لاخذت الشيخ نفسه ودخلت أنا واياه النار حتى ننظر من يحترق فينا (وقد) كان ببلاد المغرب من زمن قريب رجل يدعي الولاية وخرق العادة وكان اذا ورد عليه الفقراء والاضياف يعمل لهم فطيرا ويفته في قصعة ويؤتى بها اليه فينصب يده عليها فيخرج من بين أصابعه عسل نحل فيلتبه ويطعمه من هناك حتى يكفيهم ثم يرسل يده فينقطع فسمع به بعض الاكابر في وقته فجاء اليه فلما أن جلس عنده قال له نريد أن تطعمنا من هذه البدعة التي تطعم الناس منها فقال نعم فأمر بالفطير على العادة فاحضر فمد يده ليسيل العسل على العادة فلم يخرج شئ فقال له واين ما تدعيه فقال انقطع الآن فقال لو كان حقا ما انقطع لان الباطل اذا حضره الحق زهق ثم عزره وبخه بالكلام وقال له كنت تطعم المسلمين أبوال الشياطين وأخرجه عن ذلك الحال وتوبه عنه (ومنهم) من يظهر الكرامة بامساك الثعابين والانس بها وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الامة بالاحقيقة لها اذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف يعد كرامة (ومن) ذلك أيضا ما يفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة بمرءى من الناس وذلك محرم ان لو كان صحيحا لان أكلها لايجوز الا بعد تذكيتها عند من يرى أكلها وهم يأكلونها من غير تذكية بل يؤدبون على كل أكلة من اكلاتهم تاديبا بليغا رادعا ثم ان كان ذلك من غير حقيقة فهو من صنعة النارنجيات والسيمياء وما شاكلها وليس من باب الكرامة في شئ (وكنت) أعهد مثل هذه الاشياء ببلاد المغرب تفعل على أبوابها ويتضاحك الناس عليها في لهوهم ولعبهم ويستغنون بسببها وهم في هذه البلاد في بعض الاماكن

يعدونها من الكرامات ويعتقدونهم بسببها (ومنهم طائفة استحسنت سنة
سيئة وهم الذين يحلقون لحاهم وذلك مخالفة السنة وارتكاب للبدعة لغير
ضرورة شرعية وأما اذا كان للضرورة مثل التداوي وغيره فجائز (ومنهم)
من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيئا من شعور ابدانهم ويعللون ذلك
بانه من حسن الصحبة وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه المثلة
والاستقذار وقد نهينا عن ذلك كله (ومنهم) من يلبس الليف والاشياء التي
لا تترك عند الركوع والسجود مثل الشعر وغيره وهذا ايضا من المثلة
والشهرة والبدعة وكشف العورة وترك الصلاة اذ انه لا يجوز كشف
العورة في الصلاة ولا غيرها (واشنع) من هذا كله واقبح ما اتخذه بعضهم
من لبس الحديد فيتخذ سوارين في يديه كما تتخذهما المرأة من الفضة
والذهب (وبعضهم) يجعل في عنقه طوقا من حديد كالغل بل هو نفسه
ويعلقون في آذانهم حلقا من حديد (وبعضهم) يجعل على ذكره طوقا من
حديد كالقفل ويزعمون ان شيوخهم حين يأخذون عليهم العهد يفعلونه
بهم ويأمرونهم أن يلبسوه لمن اقتدى بهم ويقولون ان ذلك قفل على محل
المعاصي حتى لا ترتكب ولا خفاء في تحريم هذا وشناعته وقبحه وانه لا مدخل
له في الشرع الشريف (ثم) مع ادعائهم ان ذلك قفل على محل المعاصي يأتون
بنقيض ما زعموا وهو ان فيهم شبانا لهم صور حسان وهم يقعدون معهم عراة
وصبايا ويخلو بعضهم مع بعض دون نكير (وقد) قال بعض السلف رضي
الله عنهم لأن أؤتمن على سبعين عذراء أحب الي من ان أؤتمن على شاب
(وبعضهم) يتخذ حديدا كالعمود يمشي به في يده (وقد ورد) ان الحديد
حلية أهل النار (وقد ورد) من تشبه بقوم فهو منهم فيقعون في هذا الخطر
العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل كل ذلك سببه مخالفة السنة المطهرة
(واشد) من هذا كله ان اكثرهم يدعي أنه على الحق والصواب وان
طريقته هي المثلى (ومنهم) قوم تنزهوا عن هذه الرذائل وعابوا على فاعلها
ثم انهم يقعون في اشياء رذلة نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه
عنها وهي عندهم كأنها من شعار الولاية (فمن ذلك) اتخاذ بعضهم الأعلام
على رأسه وهو لا يخلو اما ان يكون وليا لله تعالى على ما يزعم أم لا فان كان

واما فالولى لله تعالى لو قدر أن يدفن نفسه او يكون أرضا يمشي عليه لفعل
حتى لا يكون مع الناس بالسواء فكيف ينشر الأعلام على راسه وهذا من
باب الشهرة والدعوى وأهل الايمان براء من ذلك كله (الاترى) الى قول
عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه لما أن سأله ان يعظ
الناس ويذكرهم فقال له انت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى
(فكل) من اراد الظهور فليس من أهل الطريق فى شئ بل هو عكس
حالهم ولو لم يكن فيه الا انه بدعة ممن فعله فكيف بانجرار هذه المفاسد التى
وقعت بسبب الاعلام اذا انهم يجتمعون رجالا وشبانا فاذا أشرفوا على بلد
ذكروا الله تعالى جهرا يرفعون بذلك أصواتهم ولا يقصدون به الذكر
ليس الا بل الاعلام لاهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء
الذين معه حتى يخرجوا الى تلقيهم فاذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم رجالا
ونساء واختلطوا بهم فصاروا مجتمعين رجالا ونساء وشبانا وهذا فيه ما فيه
من مخالفة الشرع الشريف وقد تقدم غير مرة ان المرأة لا تخرج من بيتها الا
لضرورة شرعية ومع ذلك فتكون اذا خرجت خرجت على الصفة المتقدم
ذكرها من الستر والمشى مع الجدران ولا تتكلم الا لضرورة شرعية وهن
اذا خرجن لتلقيهم خرجن منكشفات فى الغالب وان تسترت بعضهن فبعض
تسترن يرفعن أصواتهن بالزغاليط ويسمع لهن اذ ذاك ضجيج وذلك كله بمرأى
من الشيخ وعلمه بهم فما اقبح هذا وابعده ممن ينتمى الى طريق أهل الدين
والصلاح فكيف بمن يزعم أنه يدعو الناس الى الله تعالى فانا لله وانا اليه
راجعون على انعكاس الامور (وبعضهم) يزيد على ذلك فعلا قبيحا وفيه
اضاعة المال وهو وقود الشمع نهارا حين يتلقونه ويقصدون بذلك القربة
الى الله تعالى وهيهات هيهات التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بامتثال
أوامره لا بالوقوع فى نواهيه بل هو نفس البعد والقلا اسأل الله العافية من
ذلك كله بمنه (ثم) مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذى معه ومفاسده
قل ان تنحصر فمن ذلك انه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفه لهم اشياء من
الاطعمة تليق بهم ويتفاخرون بذلك وبعضهم يعيب على من اتى بطعام
لا يختارونه وليت هذه الضيافة لو كانت عن طيب نفس لكنهم يقسطون

قوله الزغاليط قال فى شفاء الغليل زغلط اذا صوت بلسانه بغير حروف كما تفعله نساء العرب ولمحمد بن سعيد باور
سماع غناء الطير للدوح مرقص * ومن طرب بالزهر منه ينقط
وللناس فى عرس الربيع مسرة * وللخانق حتى الفرق فيه يزغلط
وفى شرح القاموس ان زغردة النساء فى الافراح من زغردة البعير اه واما الزغاريت أو الزراغيت فهو لحن اه ومعنى زغردة
البعير هديره الذى يردده فى جوفه اه

ما ينفقونه فى ثلاث الضيافة على الرؤس من غنى وفقير ومضطر ومحتاج واكثرهم يتداينون بسببها وبعضهم يعجز عن شئ يعطيه ويعجز عن يداينه فيهرب قبل وصول الشيخ الى البلد فيتسلطون على بيته وهو غائب فيأخذون ماوجدوا من دجاج أوداجن وبعض من يعجز عن الهروب يقعن مع كبراء أهل البلد بما يوجبون عليه عالا قدرة له به وتفاصيل أحوالهم فى هذا المعنى تطول (وقد) قال عليه الصلاة والسلام أنا وامتى برآء من التكلف ولولم يكن من التكلف لهم الا العلف دوابهم لكان فيه من المحرم مافيه (ثم) مع ذلك لم يقتصروا على هذا التكلف العظيم حتى أضافوا اليهما يأخذونه من الهدايا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولاصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذى نزلوا عنده فهذه الوظائف أعنى الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بد له منها حقا ثم انهم لم يقتصروا على ذلك الاخذ للشيخ وحده حتى يأخذ والخادم السجادة وقد تقدم ان السجادة فى نفسها بدعة فكيف يتخذ لها خادم ثم يأخذون لخادم الابريق ثم لخادم السماط ثم لخادم العكاز ثم لخادم الدابة أو الفرس ثم المزمرون الذين معه (ثم) مع هذه الاحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبابا (ثم) انهم لم يقتصروا على هذه المفاسد حتى آخى بعضهم بين الرجال والنساء من غير نكير ولا استخفاء فى ذلك (ثم) انهم لم يقتصروا على هذا الفعل القبيح حتى يقعد بعض النساء بجنب بعض الرجال ويزعمون انها أخته من الشيخ وقد آخته فلا تحتجب عنه اذ أنها صارت من ذوى المحارم على زعمهم وكتب العلماء والحمد لله بين أيدينا وليس فيها شئ مما ذكروه بل افتعال منهم وتقول بالباطل فمن استحله منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد ارتكب أمرا عظيما يجب عليه أن يتوب ويقلع عما هو بسبيله من المخالفة والضلالة (فاذا) علم هذا من أحوال بعضهم فأى فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق بأخذ المال والاذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشا عن مثل هذه الرذائل ويتنزه منصبه عنها فلا يأكل الامن أقطاعه مع ان الوالى مامور بالاقتداء بالفقراء المتبعين فصار الامر بالعكس اذ أنه يتعين على من اتصف بشئ مما تقدم ذكره فى أمر من انتسب الى الفقراء أن يقتدى بالوالى فى هذا الفعل

الحسن (وزاد بعضهم) على هذا شيئا قبيحا وهو استهتار فى الدين وزندقة فيقولون المال مال الله ونحن عبيد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لانا شركاؤه فيه وهذا منهم حل ونقض للشريعة المطهرة وقد أبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال الله تعالى فى كتابه العزيز ويأبى الله الا أن يتم نوره فالشريعة والحمد لله مصونة عن الزيادة فيها والنقص منها فلا تزال على صفة الكمال حتى يأتى امر الله (ثم العجب) ممن يدعى المشيخة منهم والهداية لطريق القوم كيف يعطى الاجازات للفقراء من تحت يده بالمشيخة ولو سألته عن فرائض الوضوء وسننه أو فضائله وكذلك فى الغسل أو فى التيمم أو فى الصلاة لجهل ذلك غالبا (وقد) قال بعض العلماء اذا صلى المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته وكذلك لو سألته عن مفسدات الصلاة لما علمها وكذلك لو سألته عن حكم السهو اذا طرأ عليه فى صلاته لما علمه (فاذا) كان هذا حاله فى أمر وضوئه وصلاته اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك به فى غيرهما (وقد تقدم) ان من لم يأتمنه الله عز وجل على أدب من آداب الشريعة فبعيد أن يؤتمن على سر من أسرار الله تعالى (فاذا) كان هذا حال الشيخ فى جهله بمبادى أمر دينه فكيف بمن يصحبه أم كيف بمن يجيزه اذ الغالب ممن ينتمى الى مثل هذا انه لا يباشر العلماء اذ لو باشرهم لانكروا عليهم ما هم فيه فكيف يصحبهم أو يتبعهم على ان هذه الاجازة والحالة هذه لا أصل لها فى الدين ومع كونها لا اصل لها فالاجازة التى يعطونها اشبه بالظلم الا ترى انهم لا يعطونها فى الغالب لمن سألها حتى يعطى على ذلك عطاء جزيلا بحسب حالهما ويسمون ذلك بشكران الدخول فى طريق القوم فيعطى الشيخ ما يليق به ولخدام الشيخ المتقدم ذكرهم ما يليق بدرجاتهم وكذلك الاكابر أصحاب الشيخ المذكور ولا بد من ليلة يطلبونها منه للسماع كل على قدر حاله ويختلطون كما تقدم (ثم) مع هذا الحال لا يقتصرون على كتب الاجازات لمن طعن فى السن ولمن له ثبوت فى العقل من الكهول بل يعطونها للشبان المردان ولهم صور حسان فيتسلطون بسبب ذلك على الكشف على حريم المسلمين فى بعض الاحيان والاماكن بسبب الاختلاط بهم من أجل الاجازات التى

بايديهم هذا حالهم مع من سأل الاجازة منهم (واما) من لم يسألها فهو على قسمين اما ان يكون له وجاهة او جدة او احدهما و يعلمون من حاله انه يميل الى شئ من احوالهم واما ان يكون عاريا من الوجاهة والجدة وهو مع ذلك متشوف للاجازة كالاول (فاما الاول) فيعملون عليه الحيل فى ربطه عليهم وسكونه الى قولهم والرجوع اليهم فاذا ظفروا منه بذلك كلفوه التكاليف التى تضر بحاله وحال عياله غالبا (واذا) كان كذلك فلا فرق اذن بين من هذا حاله و بين الظلمة الا ان الظلمة يفعلون ذلك بالعنف والقهر وهؤلاء يفعلون مثله بالحيل والخديعة (واما) ان كان فقيرا لا مال له ولا وجاهة فانهم يستخدمونه المدة الطويلة ليحصل لهم من تكلف الناس والتسلط عليهم والالحاح عليهم بالمسئلة على الغنى منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يرضيهم كالاول وهذا امر ليس من اخلاق المسلمين فى شئ اذ ان من اخلاقهم المناصحة بينهم والشفقة و رحمة بعضهم مع بعض نسأل الله السلامة من بلائه بمنه وكرمه

• (فصل) • ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادى امر دينهم كما تقدم فكيف بالانتهاء الى المشيخة (وقد) قال اهل التحقيق من اهل الطريق ان الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كانه فى كفه يعنى من قوة معاينته له ونظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديهة (هذا) حال الفقير المنفرد بنفسه دون ان يصل الى اقتداء الغير به (واما) الشيخ فلا بد له من زيادة على ذلك وهى ان تكون قلوب اصحابه كانها فى كفه وكذلك احوالهم فى تصرفاتهم وخواطرهم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منها فيربيهم على ما يتحقق من حال كل واحد وينبههم على ذلك بحيث لا يشعر احد من جلسائه بل الشخص نفسه قد لا يشعر بذلك فى بعض الاحيان ولهم فى معرفة هذه امور و تصرف لا يعرفه غيرهم فان كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة اعنى انه لا يعرف ما زاد فى حال اصحابه وما نقص فى غيبته فلا يدعى المشيخة ولا العهد ايضا بل اخوان مجتمعون يتذاكرون فى مسائل الدين ومناقب اهل الاحوال السنية فاعل بركة ذلك تعود بركة اجتماعهم تعود عليهم دون ان يدعى احد منهم حالا او مقالا هذا حال القوم مع

وجود الاخلاص منهم والصدق والتصديق والركون الى مولاهم فى دقيق الامور وجليلها والتزام الوقوف ببابه سبحانه وتعالى ومع هذه الاشارات العلية والاحوال السنية لايدعون لانفسهم حالا ولامقالا بل يقول اكثرهم الى الآن ما احسن ان اتوب حتى قال قائلهم

يظنون بى خيرا ومابى من خير * ولكننى عبد ظلوم كما تدرى
سترت عيوبى كلها عن عيونهم * والبستنى ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبونى ولست انا الذى * احبوا ولكن شبهونى بالغير
فلا تفضحنى فى القيامة بينهم * ولا تخزنى يارب فى موقف الحشر

(وقد) قال بعض السلف الصالح رضى الله عنه لولده لما ان رأى منه شيئا لايعجبه يابنى اما تعرف قدرك فقال وماقدرى فقال له امك اشتريتها باربعمائة درهم وابوك لااكثر الله مثله فى الاسلام (هذا) مقالهم مع وجود الاحوال السنية منهم فما بالك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطى الاجازات وتنصب بين يديه الاعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون (وبعضهم) يدعى الولاية ويرتكب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قد صور لها وجها وعينين وانفا وفاو ياخذ بيده شيئا كانه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بيده كانه لجام لها ويضربها ويجرى (وبعضهم) يعلق فيها جرسا فاذا مشى يسمع له صوت قوى فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالبا وقد يدخلونه بيوتهم ولا يختفى منه احد كانه امرأة من جملة نسائهم ويعيبون على من استتر منه ويقولون هذا مولّه (وهذا) اشد قبحا من الاول لانه قد ينفرد وحده فيجد السبيل الى ماتسوّل له نفسه من الرذائل بخلاف من تقدم ذكرهم (فكيف) يدعى الولاية مع ارتكاب نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول من صور صورة عذب حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها ابدا (ولافرق) بين من صورها او استعملها او رضى بها وما العجب من هذا بل العجب ممن تلبس بشئ من العلم وهو مع ذلك يعتقد من هذا حاله ويصوّب فعله بان يقول هذا ولى الله وانما هو يضرب على نفسه وتخريب هذه الطائفة انما يكون بما لم يعارضهم فيه امر ولانهى وهذا قد عارضه النهى الصريح كما تقدم (ولو لم يكن) الجريدة صورة لاحتمل التقريب

وغيره (هذا) ان كانت اوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك في سائر التكاليف الشرعية وهو بطول الوله فيبعد ذلك فهذا محتمل مع أنه لا ضرورة دعت الى الدخول في هذا الاحتمال اذ أن الله عز وجل لم يضيق على المكلف اذ العلماء والاولياء محفوظون في ظواهرهم وبواطنهم موجودون والحمد لله لا تخلو منهم الارض الى أن تقوم الساعة بأخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه

• (فصل) • ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها مفسدة أخرى وهي أخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول في الطريق من رجل أو امرأة أو شاب ليكونوا من خواصه وأتباعه (وبعضهم) يحلقون شعر رأس من يتوب على أيديهم حين يأخذون عليهم العهد وهذا جهل منهم بالعهد وماهيته وكيفيته وحلق شعر الرأس لغير ضرورة شرعية من البدع وقد كان في عهد السلف رضي الله عنهم من شعار أهل البدع وعلامة عليهم هذا اذا كان الحلق لأجل الدخول في الطريق وأما حلقه لكثرة الدواب أو غيرها فهو جائز غير مكروه

• (فصل) • ومن هذا الباب أيضا ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة في عنقه (وقد تقدم) قول عمر رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه أنت تريد أن تقول أنا تميم الداري فاعرفوني وما كان مراده الا أن يذكر الناس بالاحكام الشرعية المأمور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة والتزين بها لا مدخل لهما في ذلك بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية (وقريب) من هذا ما يفعله بعض من ينسب الى العلم فيتخذ السبحة في يده كاتخاذ المرأة السوار في يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس في مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها في ذراعه وبعضهم يمسكها في يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كأنه يعد ما يذكر عليها وهو يتكلم مع الناس في القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ومعلوم أنه ليس له الا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل اذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر واللسان الآخر يتكلم به فيما يختار فلم يبق الا أن يكون اتخاذها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة (ثم) العجب ممن يعد

على السجية حقيقة ويحصر ما يحصل له من الحسنات ولا يعد ما يجترحه من السيئات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فأرشد عليه الصلاة والسلام الى محاسبة المرء لنفسه فيما يتصرف فيه باعتقاده وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة المطهرة فما وافق من ذلك حمد الله عز وجل وأثنى عليه وبقي خائفا وجلا خشية من دسائس وقعت له لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة في ذلك ورجع الى الله تعالى بالتوبة والاقلاع فلعل بركة التوبة تمحو الحوبة ويجبر بذلك ما وقع له من الخلل (وهذه الطائفة) أصل عملها التحفظ من السيئات والهواجس والخواطر ثم بعد ذلك يأخذ في كسب الحسنات (وقد) قالوا ان ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات (لما) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام اتق المحارم تكن أعبد الناس (وقد) حكي عن بعضهم انه بكى أربعين سنة فسئل عن سبب بكائه فقال استضافني اخ لي فقدمت له سمكا فأكل ثم اخذت ترابا من حائط جارلي فغسل به يديه فانا أبكي على ذلك التراب الذي اخذته منذ اربعين سنة (وحكي) عن اخر مثله فسئل عن ذلك فقال طالع لي طلوع فرقيته فاسترحت فانا ابكي عليه لعدم رضائي بما فعله الله بي او كما قال (وأحوالهم) في هذا المعنى قل ان تنحصر فاذا كان هذا حالهم في مثل ما وصفناه عنهم فما بالك بمن يعمل الاثقال واي أثقال ثم يحصر الحسنات ولا يفكر في ضدها فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان بعضهم يحتج بأنها حركة ومذكرة فوا حرباه ان لم يكن الضرب والتذكير من القلب فيما بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى (وقد) تقدم ما ورد في الحديث ان عمل السر يفضل عمل الجهر بسبعين ضعفا (هذا) وهو عمل فما بالك باظهار شئ ليس بعمل وان كانت صورته صورة عمل وما زال الناس يخفون أعمالهم مع وجود الاخلاص العظيم منهم وهم مع ذلك خائفون وجلون من دخول الدسائس عليهم فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون (وبالجملة) ففعل ذلك فيه من الشهرة ما فيه (وقد) تقدم ان التاجر ينبغي له ان يكون عارفا بمحاولة ما يتجرفيه فلا يترك ماله فيه سبعون ضعفا ويأخذ ماله فيه شئ واحد هذا مع السلامة من الاوصاف المتقدم ذكرها فكيف به

مع وجودها (ثم) انه مع ذلك يحرم نفسه فضل الذكر وعود بركته على اعضائه وجوارحه فلو كان يسبح ويعد على أنامله لكان نور ذلك الذكر وبركته فى أنامله (وقد ورد) ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أزواجه فرأى نورا فى طاق فقال ماهذا النور الذى فى الطاق فقالت يارسول الله سبحتى التى كنت أسبح عليها جعلتها هنالك أو كما قالت فقال عليه الصلاة والسلام هلا كان ذلك النور فى أناملك فهذا ارشاد منه عليه الصلاة والسلام الى الافضل والأولى والأرجح وقاعدة المريد أن لا يرجع الى عمل مفضول وهو قادر على ما هو أفضل منه وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله اذا قرأ فى الختمة يجعلها على ركبتيه معا ويمسكها بيده اليسرى ويجمع أصابع يده اليمنى تمر على الحروف التى يتلوها وبعد ذلك ويعلله بأن يقول حتى يحصل لكل عضو حظه من العبادة لكى يكثر الثواب بذلك فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل) ومنهم من بالغ فى أخذ العهد الى حد لاشك فى تحريمه وابطاله فيقول انه اذا أخذ العهد على من يأخذه عليه ان المأخوذ عليه لم يبق له تصرف فى ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف فى ذلك كله للشيخ فان أراد أن يطلق عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك (ثم) انهم مع هذه الشروط التى يشترطونها لو تصرف الشيخ فى شئ من ذلك لكان سببا للقطيعة والترك وليس هذا من صفة القوم ولا مأثور عنهم (ومنهم) من يأخذ العهد على أن ينتمى لفلان من المشايخ دون غيره حتى كأن الطريق الى الله تعالى على عدد المشايخ فينتسبون اليوم كما ينتسب أهل المذاهب الى مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك فالطريق المحمدى أين هو وحصل بسبب ما تقدم بينهم تعصبات وشنآن كثير حتى صاروا أحزابا ووقع بعضهم فى حق غير شيخه الذى ينتمى اليه أعاذنا الله من بلائه بمنه والطريق المحمدى غير هذا كله (ولذلك) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول طريق القوم واحدة (وكان) سيدى أبو محمد بن أبى جمرة رحمه الله يقول سنة الاحباب واحدة يعنى أن مشربهم واحد وهو الاتباع وترك الابتداع (ولا) يظن ظان ان ما تقدم ذكره فيه انكار لاخذ العهد من أهله لاهله بشرطه

المعتبر عندهم اذ انه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا ننكر ايضا الانتماء الى المشايخ بشرطه وهو ان يكون عند المريد شيخه وغير شيخه بالسواء بالنسبة الى الاتباع وترك الابتداع ويكون ايثاره لشيخه بسبب انه كان وصوله الى الله تعالى على يديه فيرى له ذلك فبهذا الاعتبار يقع التفضل لشيخه والاختصاص به دون غيره (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه (وقد كان) سيدي ابو محمد رحمه الله يابى أن ياخذ العهد على أحد فسألته ما الموجب لذلك أهو بدعة قال لا ولكن عبد الله يعني نفسه ليس كغيره فاخاف ان أخذت العهد على أحد فقد لا يوفي بما اخذ عليه من العهد فيقع له التشويش وأكون السبب في ذلك فاتركهم رحمة بهم وشفقة عليهم واعوض عنه الدعاء لهم بظاهر الغيب بالاستقامة أو كما قال (والحاصل) من أخذ العهد وان ياخذ الشيخ العهد على المريد بانه لا يراه الله حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره وهذا هو زبدته واصله وبقيت تفاريعه على هذا الاصل قل أن تتناهى وهي الامانة التي عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال علماؤنا رحمة الله عليهم ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وذلك راجع الى الغالب منهم والا فكثير من وفى والحمد لله وكثير من دخل في جاه من وفى (ولاجل) هذا المعنى بقي كثير من المحققين ينتمون الى المشايخ ليكونوا في حرمتهم (واليه) الاشارة بقوله في الحديث اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم (فكما) لا يشقى بهم جليسهم كذلك لا يشقى بهم معتقدهم ولا محبهم (وقد) خرج الترمذي عن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى قيام الساعة قال فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلما قضى صلاته قال اين السائل عن قيام الساعة فقال الرجل انا يا رسول الله فقال ما أعددت لها فقال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم الا اني أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وانت مع من أحببت فما رأيت فرح المسلمين بعد الاسلام

كفرهم بهذا الحديث (ولا) يظن ظان ان هذا معارض لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل حين سأله مرافقته فى الجنة فقال له عليه الصلاة والسلام أوغير ذلك فقال هو ذاك يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعنى على نفسك بكثرة السجود (لان) هذا طلب منصبا عظيما فارشده عليه الصلاة والسلام الى الاسباب الموصلة اليه لقوله عليه السلام أقرب ما يكون العبد فى الصلاة وأقرب ما يكون فى الصلاة اذا كان ساجدا فارشده عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المحبة تشمله الدار وهى واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد حصلت السعادة لمن نالها (لقوله) عليه الصلاة والسلام لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها (فاذا) حصل له ذلك سلم من أهوال الدنيا والآخرة ومن العناء والتنغيص (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا حين يأخذ العهد على من يريد أن يدخل فى طريقه فيكلفه أن يعترف بين يديه بكل ما فعله من الذنوب وفى هذا من مخالفة الشرع ما فيه (وقد ورد) ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لبعض من فعل الذنوب أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم (وقد ورد) كل الناس معافى الا المجاهرون (فاذا) جاء أحد ان تقدم ذكره ليتوب على يديه أوقعه الشيخ باعترافه فى هذه المهالك فكان عدم التوبة به أولى والحالة هذه (وفى هذا) تشبه بالقسيسين لان من عادتهم الذميمة اذا جاءهم أحد ليتوب على أيديهم يطالبونه بان يسمى لهم ذنوبه ذنبا ذنبا ثم بعد ذلك يقبلون عليه (وقد) قيل ان التشبه بالكرام فلاح وعكسه عكسه فانا لله وانا اليه راجعون على تخليط أمور الدين بما ليس منه ولا فيه (ومنهم) من ارتكب بدعة شنيعة آلت الى ترك الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداد أو ارتكاب كبيرة ممن فعله (وذلك) ان بعضهم يلبدون شعور رؤسهم والغالب ان الجنابة تصيبهم فاذا اغتسلوا لم يمكنهم ان يوصلوا الماء الى البشرة وليس ثم عذر شرعى يبيح المسح على حائل عند من يقول به فصلاتهم على هذا باطلة (ثم ضموا) الى هذه المفسدة مفسدة أخرى أعظم منها وهو أنهم معتقدون انهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهداية نسأل الله السلامة بمنه من بلائه (ومنهم) من يتعانى اتخاذ الحمر وزا كثيرة

ويجعلها في عنقه كالقلادة للمرأة (ومنهم) من يجعلها على صفة أخرى يتوشح بها وهذا شهرة ممن فعله وشوه ظاهر وان كان يدعي انه فعل ذلك للتبرك والتحفظ من العين ومن مردة الجن فله طريق غير هذا بان يعلق ذلك عليه من تحت ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر وأما على هذه الصفة المذكورة فيمنع لمخالفته للسنة وللسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يأخذ سبحة كبيرة ويعلقها في عنقه أو يتوشح بها ومع ذلك هو مشتغل بالقيل والقال والتحدث في أمور الغيب اظهارا منه انه يكاشفها ويخبر بوقوعها (ومنهم) من يعوض عنها خيطا من صوف على صفات وصبغ فيتقلدون به وذلك كله من الشهرة والشوه والبدعة والخروج عن الاتباع للسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا رذلا يأباه الله ورسوله والمؤمنون وهو ان يكون مع الناس في الجامع ينتظرون الصلاة فاذا قامت الصلاة وقام الناس اليها قام هو في جملتهم فاذا ركعوا وسجدوا بقي واقفا ينظر اليهم لا يحرم ولا يركع ولا يسجد ثم يتمادى على ذلك حتى يفرغ الناس من صلاتهم (واقبح) من هذا وأرذل من يعتقد من هذا حاله ويرى انه ممن يتبرك به وانه من الواصلين ويتأول بانه يصلي في مواضع اخر واقفا هذا منه تخريب على نفسه حتى لا يشعر ولا يعتقد وتأويلهم هذا من السخافة والحمق ومخالفة الشريعة المطهرة وعدم الغيرة في الدين واصطلاحهم على الرضا بترك هذه الشعيرة العظمى التي هي عماد الدين ورأسه وأول أركانه بعد كلمتي التوحيد اذ ان من رأى ولم ينكر كمن فعل ولا ضرورة تدعو الى التخريب لان من مشى على لسان العلم واتبع الحق والسنة المحمدية واقتفى آثار السلف الماضين رضي الله عنهم سيما ان انكر عليهم ماهم فيه من عوائدهم الذميمة المخالفة للسنة فالغالب من حال أهل هذا الزمان النفور منه لانهم يزعمون انه قد ضيق عليهم وهو انما ترك العوائد والابتداع واتبع السنة المحمدية وتمسك بها وعادة النفوس في الغالب النفور من الحكم عليها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا حق ما أبقيت لي حبيبا (وقد) كان السلف رضي الله عنهم على عكس هذا الحال من اتبع السنة أحبوه واعتقدوه وعظموه ووقروه واحترموه ومن كان على

غير ذلك تركوه واهملوه ومقتوه وابغضوه حتى كان من يريد الرفعة عندهم والتعظيم ممن لا خير فيه يظهر الاتباع حتى يعتقدوه على ذلك (واما اليوم) فيعتقدون و يحترمون من يفعل العوائد المحدثة ويمشي عليها ولا ينكر على احد ماهو فيه فمن اراد التغريب في هذا الزمان فليتبع السنة المطهرة فانهم ينفرون عنه ولا يعتقدونه غالبا لانكاره ماهم فيه حتى قد ينفر عنه أبواه واهله واقاربه لمخالفته ماهم عليه (ثم) ان المخرب لا يخلو حاله من احد امرين اما ان يعتقد حل ذلك ام لا فان اعتقد حله فهو كافر واما ان فعله مع اعتقاد تحريمه فهو فاسق على ماقاله العلماء واما المكروه فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان المداومة على المكروه يفسق فاعله (ثم) انهم يتغالون في اعتقادهم فيقولون هذا بدل هذا قطب الى غير ذلك وهذا اللفظ لا يحسن ان يطلق على من اتبع السنة و بذل جهده في الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشئ من المحرمات او المكروهات او هما معا (ثم) ان المتبع من الناس في اعتقاده على قسمين (فمنهم) من يحمل جميع افعاله واقواله كلها على سبيل الورع فاي شئ فعله او قاله او اشار اليه من اتباع الامر واجتناب النهي مثل ان يقول هذا موضع لا ادخله لاجل انه مغصوب او استعمل المسلمون فيه الغصب او غير ذلك فيقولون هذا من باب الورع هذا ليس بمتبع وقد دخله فلان وفلان ويحتجون بمن لا يحتج به وان كان في بعضهم اهلية للاحتجاج به فقد تكون له اعذار في ارتكاب ذلك في خاصة نفسه ولا يلزمه ان يبين عذره فيما وقع منه (وقد) قال مالك رحمه الله ما كل الاعذار تبدى (واذا) كان كذلك فلا يجوز ان يقتدى به في هذا وماشاكله اذ ان اتباع لسان العلم هو المتعين على الناس عموما وخصوصا (وقد) كان سيدي ابو محمد رحمه الله يقول اني لا اتكلم بالورع في هذا الزمان والناس يحملون ما اتكلم به على سبيل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهي انهم ينسبون كثيرا من الشريعة الى الورع فيتركون بسبب ذلك الاتباع وباب الورع ضيق لا يدخله الا الافذاذ اذ ليس هذا زمان الورع غالبا وما يتعللون به من ذكر الورع انما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليثبطه عن بركة الاتباع (والقسم الثاني وهو غير المعتقد

فمضيت يوما اليه حتى أراه فدخلت الى المسجد وهو يتكلم فى الدرس والقارئ يقرأ عليه فرأيت عبارته دون عبارة سيدى أبى محمد المرجانى رحمه الله فتعجبت وقلت فى نفسى أمثل هذا يكون أفضل من سيدى أبى محمد المرجانى فاستبعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله رأسه الى ونظر لى ثم رجع يتكلم فيما كان بسبيله فقال فى أثناء كلامه ينبغى للفقير اذا دخل على الشيوخ ان لا يفضل من تلقاء نفسه شيئا على غيره يامسكين هذا الذى تفضله لو سألته عمن فضلته عليه كان جوابه ان يقول هو بركتى وهو كذا وكذا ارجو من الله تعالى ان ينفعنى به الى غير ذلك فربما كنت أفضل من ناطق فيجىء أحدكم يفضل من يخطر له بما يخطر له أجاءك أحد من عند الله تعالى وأخبرك ان فلانا عنده أفضل من فلان فهذا من قلة الأدب والاحترام فتب الى الله تعالى وارجع اليه ما كفى ان أحدكم يحرم العمل حتى يحرم الاعتقاد ما هذا الحال قال فبقيت أتوب واستغفر الله لعله يسكت فما سكت الا بعد حين أو كما قال (واذا كان) ذلك كذلك فلا ينبغى ان يفضل بين شيخين الا بأحد أمرين بأن يكون أحدهما أكثر اتباعا للسنة المطهرة من الآخر أو يكون الذى يفضل أعلى مقاما منهما فيكشف عليهما لان من هو فى مقام يكشف على من هو دونه ولا يكشف على من هو فوقه لان النبى صلى الله عليه وسلم كشف على مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكشف على مقامه الخاص أحد منهم (ولا) يرد على هذا كون المريد يعظم شيخه ويؤثره على غيره ممن هو فى وقته لان تعظيمه له انما هو من جهة ان الله تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبى صلى الله عليه وسلم يقول من رزق فى شئ فليلزمه وقال فى حديث آخر جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ولا شك ان الاحسان بما يبقى هو أفضل وأعلى من الأحسان بما يفنى وحقيقة المريد مع شيخه ان الشيخ وجده غريقا فى بحر التلف فأنقذه وخلصه منه وأوقفه بباب ربه سبحانه وتعالى ولا احسان أعظم من هذا الاحسان ووجه آخر وهو محبة المريد لطاعة ربه عز وجل فلما ان رأى عند شيخه ما يحبه التزمه لمحبوبه الذى وجده عنده (وقد) كان بعض الناس يخدم بعض أبناء الدنيا ويحبه ويؤثره بالخدمة له فعذله بعض

الناس على التزام خدمته له وهو لا يعطيه شيئا فكان جوابه أن قال محبوبي عنده (وقيل) لآخر ايضا وقد رأوه واقفا بباب عدوه فعذلوه في ذلك فأخبر بما تقدم وهو أن محبوبه عنده والمريد بنيته وخاطره وكليته راغب في طاعة ربه عز وجل متسبب في الوصول اليه فاذا رأى من هو مثله أو أرفع منه قد احكم الطريق وعرفها أحبه والتزمه وأنس به لما حصل عنده من المحاسن الجميلة (فالحاصل) من هذا انه يعظمه لما خلع الله عز وجل عليه من الخلع السنية الشاهدة له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى (ومنهم) من يظهر له شئ من الكرامات فيغتر بها فيتلف حاله بسببها (ومنهم) من يسلم بواسطة أحد من الاولياء كما جرى لبعض المريدين بمدينة فاس أنه بات ليلة في زاوية خارج البلد فطلع على سطح الزاوية في ليلة مقمرة فأعجبه ضوء القمر فخطر له ان يجرب نفسه في الطيران هل يقدر عليه ام لا فجرب نفسه فطار في الهواء فدخل البلد من اعلى سورها وهو طائر فقال اى موضع اقصده فوقع له ان يأتي الى زيارة بعض الاكابر من المشايخ في وقته فاتى الى باب داره ونزل فدق الباب فخرج اليه الشيخ فقال له من انت فقال فلان فقال له ما وجدت شيئا تأتيني به الا بهذه الكرامة والله لا كلمتك بعدها ابدا فادبه بذلك وكان سبب اجتماعه على ربه عز وجل وسلامته او كما جرى (ومثل) هذا ما حكى عن بعض المريدين انه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا له هو في عافية فارسل خلفه فحضر فسأله ما الموجب لانقطاعك فقال ياسيدي كنت اجيء لكي أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعوا الى الحضور فسأله عن كيفية وصوله فاخبره انه في كل ليلة يصلي ورده في الجنة فقال له الشيخ يابني والله ما دخلتها ابدا فاسألك ان تتفضل على فتأخذني معك الى ان ادخلها كما دخلتها انت قال نعم فبات الشيخ عند المريد فلما ان كان بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المريد للشيخ هذا الطائر الذي يحملني في كل ليلة على ظهره الى الجنة فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر فطار بهما ساعة ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر فقام المريد ليصلي وقعد الشيخ فقال له المريد ياسيدي اما تقوم الليلة فقال الشيخ يابني الجنة هذه وليس في الجنة صلاة فبقي المريد يصلي والشيخ قاعد فلما ان طلع الفجر

جاء الطائر ونزل فقال المريد للشيخ قم بنا نرجع الى موضعنا فقال له الشيخ
اجلس ثم رأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج منها فجعل الطائر يضرب بأجنحته
ويصيح حتى أراهم ان الارض تتحرك بهم فبقي المريد يقول للشيخ قم بنا لئلا
يجري علينا منه شيء فقال له الشيخ هنا يضحك عليك يريد أن يخرجك من
الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب الطائر وبقيا كذلك الى أن تبين
الضوء واذا هما على مزبلة والعذرة والنجاسات حولهما فصفع الشيخ المريد
وقال له هذه هي الجنة التي أوصلك الشيطان اليها قم فاحضر مع اخوانك
أو كما جرى (وحكاياتهم) في هذا المعنى قل ان تنحصر (والحاصل) منه ان
الشيطان لا يترك أحدا ولا ييأس منه الا بعد خروج روحه وأما قبل ذلك
فيضرب عليه بخيله ورجله ويستعمل حيله كلها وقد تقدم بعض هذا
(واذا كان) ذلك كذلك فيتعين على المريد أن لا يدعي حالا ولا مقاما خيفة
أن يفسد على نفسه ما من به عليه ان كان حقيقة أو يكون من الشيطان
ابتداء (وكثير) من الناس في هذا الزمان ممن ليس له رسوخ في الطريق
بل بعضهم منغموس في الجهل ويدعي أنه من الشيوخ الواصلين الى الله
وليس له ذوق في طريق القوم بالكلية بل عكسه أسأل الله السلامة بمنه
(ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا في مطالبة بعضهم لبعض وقيام المستغفر
مكشوف الرأس زمنا طويلا وربما كان معتل الدماغ فتأخذه نزلة سيما
ان كان في وقت البرد وقد يؤول الامر من ذلك الى الموت أو الى أمراض خطرة
قد تطول عليه المدة بالعلل (ثم ان بعضهم) زاد على ذلك أن يفعله بمشهد من
الناس عامة وذلك مخالف لطريق القوم لانهم اذا كانت مطالبة بعضهم
لبعض فانما يكون ذلك فيما بينهم مستترين لا يطلعهم غيرهم لانهم كما قيل
لا يطلع عليهم الا ذو محرم ومحرمهم من كان منهم أعني من أصحاب الخرقة دون
غيرهم (ويزيد) بعضهم حل الاقدام ويقف طويلا بها ينتظر اقبالهم عليه
(وبعضهم) يبالغ في هذا المعنى فيأمر بكشف رأس الجاني على زعمه وضربه
بالجماجم والجريد وغيرهما وهذا قبيح وشناعة أن ينسب هذا لمن يدعي
الطريق وطريق القوم غير هذه الطريقة اذ انها مبنية على الصفح والتجاوز
والاغضاء ما لم يكن في أمر الدين فان كان في أمر الدين فيكفي فيه الهجران لا غير

الجماجم جمع جمجم وهو المداس معرب اه

وفيه مقنع للجانى والجنى عليه وغيرهذا ليس من السنة فى شئ (وطريقهم) انهم اذا وقع أحدمنهم فى مخالفة يطالبونه بالتوبة والاقلاع عما وقع فيه (ثم زاد) بعضهم على ذلك اعتقادهم انه من طريق القوم الصادقين (وقد) تقدم كيفية مايفعله الصادق منهم مع اخوانه اذا اطلع على شئ من المكروه الذى وقعوا فيه وأنه يتوجه الى الله تعالى فى انقاذ من وقع منه ذلك (وينبغى) ان تكون المطالبة للشيخ آكد من المطالبة للمريد لان بغفلة الشيخ عنه جرى عليه ماجرى فلو كان الشيخ يلحظه لما قدر على ذلك فى الغالب (الا ترى) الى ماجرى لسيدى أبى على بن السماط شيخ سيدى أبى محمد المرجانى رحمهما الله تعالى ان بعض أصحابه جاء اليه وطلب منه اذنا أن يتزوج فأبى عليه ثم جاءه ثانيا فابى عليه ثم ثالثا كذلك فقال أزنى قال اذهب فذهب المريد فأخذ امرأة وجاء بها الى بيته واغلق الباب واذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ فخرج هاربا يسيح فى البرية بحال أخذه لا يعرف أين يذهب ثم رجع اليه عقله بعد ذلك فقال من أين أصابنى المرض من هنالك أتداوى فرجع الى موضع الشيخ فدخل وسلم عليه فقال له الشيخ رحمه الله أقدرت على شئ تفعله أتظن انك لنفسك (بل) كثير منهم لا يتحملون أن يروا من ينتمى اليهم فى ذرة مما لا ينبغى (الاترى) الى ما حكى عن بعضهم انه رأى بعض أصحابه فى الصف الاول يوم الجمعة فقال له مالى اراك ههنا فقال له لاجل فضيلة الصف الاول والقرب من الخطيب فقال له اما تعلم ان البعد من هؤلاء القوم أقرب الى الله تعالى من القرب منهم اه (وما) ذاك الا لمشاهدة ما الشرع يأمر بتغييره عليه (واقل) ما يمكن فى التغيير ان لا يرى شيئا يخالف السنة حتى يتعين عليه التغيير بالقلب اذ ان اصعب ما فى التغيير التغيير بالقلب لان الغالب على القلب تدنيسه بما يشاهد ويرى ويسمع فقل ان يتأثر مع مداومة هذا الحال عليه فالتغيير بالقلب وان كان دون المرتبتين اللتين قبله فهو اصعب منهما بهذا الاعتبار فتأمله (وما) ذاك الا لتأنيس القلوب غالبا بالعوائد المستمرة (الاترى) الى ما حكى عن بعضهم انه قال اول بدعة رأيت بات الدم وقد تقدم ذلك (وقد ورد) ولوا البدع فاهو دكم وكذلك ورد من لم يزل المنكر فليزل عنه (فكيف) يقبل المكلف على شئ

من ذلك أو يصغى اليه وأما ان فاجأه ذلك وعجز عن التغيير فالتخلص منه أقرب وأيسر (الماوردي) فمن لم يقدر على التغيير أن يقول اللهم ان هذا منكر ثلاث مرات اه ثم ليمض لسبيله ويعرض عنه

(فصل في مكاتبة الفقير لأخيه) وينبغي له أن يجتنب ما اعتاده بعض الناس في مكاتبة بعضهم لبعض بالالفاظ التي احتوت على التزكية والتعظيم والكذب والتمويق والقوافي والسجع والعبارات القلقة والتكلف اذ أن ذلك لا يجوز (الا ترى) ان كتب السلف رضي الله عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا (فمن ذلك) كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى من يكاتبه من ولاته من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح الى خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص وكتبهم له من أبي عبيدة الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب فوصفوه بالصفة الملازمة له (فان قيل) قد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم (فالجواب) ما قاله القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في سراج المريدين له ان معنى كتب النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل عظيم الروم أي الذي يعظمه الروم وتعظيم الروم له باطل ولكنه موجود حقيقة فلذلك وصفه النبي صلى الله عليه وسلم به اه (وعلى هذا) درج السلف والخلف رضي الله عنهم (وتعظيم) هذه الطائفة انما هو بالقلوب لا بالاقلقة من الالسن كما هو الحال في هذا الزمان فهذه بعض نبذ يستدل بها على ما عداها (وأما) طريق كثير من الفقراء المسافرين أعني غير المحققين منهم فلهم اصطلاحات وعوائد قل ان تجد للاتباع فيها سبيلا (فمن ذلك) ما كانوا يوجبونه على من يريدون أخذ ثيابه وغيرها من مطالبات كثيرة يسمونها شغل الفقراء وليس هذا الحال خاصا بهم وذلك كله ممنوع في الشرع الشريف (لقوله) عليه الصلاة والسلام لا يحل مال امرئ مسلم الا من طيب نفس منه وهم يأخذون ذلك بغير طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكلفون من كان فقيرا الى المسئلة بالالحاح وتكليف الناس كما تقدم من فعلهم في الضيافات والاجازات وأحوالهم في هذا المعنى قل ان تنحصر وفيما ذكر تنبيه على ما عداه والله الموفق

(فصل في صرف همم المريد كلها الى الآخرة وامورها) . وينبغي له ان يكون أهم الامور عليه وآكدها عنده امور الآخرة اذ انه مصيره اليها فيتعين عليه ايثارها ولا يعتبر ذلك الا من طريق الامتثال لان غير أمر الآخرة منقطع زائل وما هو كذلك فأمره أقرب وأيسر من الدائم الذي لا ينقطع (ألا ترى) الى حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان على ما وصف الواصف متواصل الاحزان (وقد) كان الحسن البصري رضي الله عنه قد غلب عليه هذا المعنى حتى كأنه يقدم للقتل على ما نقل عنه (وكان) يقول أعجب ممن يملأ فاه بالضحك وهو لا يعلم في أي ديوان اسمه هل في الجنة أو في النار (وقد) سأل رجل احمد بن حنبل رحمه الله ان يعظه فقال له الامام احمد ان كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كان سؤال منكر ونكير حقا فالانس لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضائه وقدره فالحزن لماذا (وقد قالت) رابعة العدوية لرجل رأته مهموما ان كان همك من أمر الآخرة فزادك الله هما وان كان من أمر الدنيا ففرج الله همك (وقد) أنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

لا تجزعن اذا ما الامر ضقت به * ذرعا ونم وتوسد خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

(فصل) . هذا ما تيسر من الكلام على آداب المريد وينبغي ان نختمه بذكر شئ من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذكر آثاره وأحواله ولكي يكون سلما للمريد في اتباعه عليه الصلاة والسلام في تصرفاته وحركاته وسكناته واشاراته (فمن ذلك) ما ذكره الباجي رحمه الله في كتابه المسمى بسنن الصالحين وسنن العابدين قال مالك ان رجلين كانا جالسين يتحدثان وكعب الاحبار قريب منهما فقال احدهما لصاحبه اني رأيت في المنام كأن الناس جمعوا ليوم القيامة فرأيت النبيين لهم نوران نوران ولاتباعهم نور نور قال ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم ما من شعرة في جسده

ولا برأسه الا وفيهما نوران ورأيت اتباعه امامهم نوران نوران فقال له كعب
اتق الله وانظر ماذا تحدث به فقال انما هي رؤيا رأيتها فقال كعب والذي
نفسي بيده انه في كتاب الله المنزل لكما ذكرت (ومنه) ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بأبي
أنت وامي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا
اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن
فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وامي يارسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع
الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وامي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بأبي
انت وامي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون
ان يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله
وأطعنا الرسول بأبي انت وامي يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه
الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء
صلى الله عليك بأبي انت وامي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه
الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فماذاك بأعجب من البراق حين سريت
عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك
بأبي أنت وامي يارسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله تعالى احياء
الموتى فماذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مسمومة فقالت
لاتأكلني فاني مسمومة بأبي انت وامي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه
فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا
لهلكنا عن آخرنا لقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت
ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون بأبي انت وامي
يارسول الله لقد اتبعك في أحداث سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كبر
سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بأبي انت وامي
يارسول الله لو لم تجالس الا كفؤا لك ماجالستنا ولو لم تنكح الا كفؤا لك

ما فتحت الدنيا ولو لم تؤثوا كل الاكفوّ لك ما آكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك (ومن كتاب) التفسير للطبري رحمه الله كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنف من لبس يلبس ما وجده مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبة صوف (وكان) يلبس النعال السبتية ويتوضأ فيها وكان لنعليه قبالان وأول من عقد عقدا واحدا عثمان وكان أحب اللباس اليه الحبرة وهي برود اليمن فيها حمرة وبياض (وكان) أحب اللباس اليه القميص وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة كان أو قميصا ورداء ويقول اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (وكان) يعجبه الثياب الخضر (وكان) يلبس الكساء الصوف وحده فيصلي فيه وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه ويصلي فيه (وكان) يلبس القلانس تحت العمائم وبلا عمائم ويلبسها دون العمائم ويلبس العمائم دونها ويلبس القلانس ذات الآذان في الحرب وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة بين يديه ويصلي اليها وربما مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء راجلا يعود المرضى كذلك في أقصى المدينة (وكان) يعتم ويسدل طرف عمامته بين كتفيه (وعن علي) رضي الله عنه انه قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة وسدل طرفيها بين كتفي وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين (وكان) يلبس يوم الجمعة برده الاحمر ويعتم (وكان) يلبس خاتما من فضة فصه منه نقشه محمد رسول الله في خنصره الايمن وربما لبسه في الايسر ويجعل فصه مما يلي بطن كفه (وكان) صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة (وكان) يقول ان الله تعالى جعل لذتي في الدنيا النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة (وكان) يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى وبيصه في مفارقه ويتبخر بالعود ويطرح فيه الكافور (وكان) يعرف في الليلة المظلمة بطيب ريحه (وكان) صلى الله عليه وسلم يكتحل بالاثمد في كل ليلة ثلاثا في كل عين وربما اكتحل ثلاثا في اليمنى واثنتين في اليسرى وربما اكتحل وهو صائم (وكان) يقول عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر (وكان) يكثر دهن

راسه

*الحبرة كعنبة اه

الوبيص البريق وزنا ومعنى اه

راسه ولحيته (وكان) يترجل غبا (وكان) ينظر فى المرآة وربما نظر فى الماء فى ركوة فى حجرة عائشة وسوى جمته (وكان) لاتفارقه قارورة الدهن فى سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط ثيابه ويخصف نعله (وكان) يستاك بالاراك وكان اذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك ويستاك فى الليلة ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام ولورده عند الخروج لصلاة الصبح (وكان) صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو محرم بمكة على ظاهر القدم (وكان) يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين (وكان) صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا دخل يوما على أم سليم وقد مات نغر ابنها من بنى أبى طلحة فقال له يا أبا عمير ما فعل النغير وجاءته امرأة فقالت يارسول الله احملنى على جمل فقال احملك على ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يارسول الله ان زوجى مريض فقال لعل زوجك الذى فى عينيه بياض فرجعت المرأة وفتحت عينى زوجها لتنظر اليهما فقال مالك فقالت أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى عينيك بياضا فقال ويحك وهل أحد الا وفى عينيه بياض وجاءته أخرى فقالت يارسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال ياأم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهى تبكى فقال صلى الله عليه وسلم أخبروها انها لا تدخلها وهى عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا (وقالت) عائشة رضى الله عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى ثم ضرب كتفى وقال هذه بتلك (وجاء) صلى الله عليه وسلم الى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فوضع يده على عينيه وما كان يعرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال من يشترى هذا العبد فجعل يمسح ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اذن والله تجدنى كاسدا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لكنك عند ربك لست كاسدا (ورأى) رسول الله صلى الله عليه وسلم حسينا مع صبية فى الطريق فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم وطفق الحسين يفر هاربا ههنا وههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل احدى

قوله نغر بوزن صرد طائر كالعصفور احمر المنقار اهـ

يديه تحت ذقنه والاخرى فوق رأسه (وكان) صلى الله عليه وسلم يدخل على عائشة والجواري يلعبن عندها فاذا رأينه تفرقن فيسربهن اليها (وقال) لها يوما وهي تلعب بلعبتها ماهذه يا عائشة فقالت خيل سليمان بن داود فجعل وطلب الباب فابتدرته واعتنقته فقال مالك ياحميرا فقالت بأبي أنت وأمي يارسول الله ادع الله ان يغفر لي ماتقدم من ذنبي وماتأخر فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه فقال اللهم اغفر لعائشة بنت ابي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ولا تكسب بعدها خطيئة ولا اثما ثم قال صلى الله عليه وسلم أفرحت ياعائشة فقالت اي والذي بعثك بالحق فقال اما والذي بعثني بالحق ماخصصتك بها من بين امتي وانها لصلاتي لامتي بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقي ومن هو آت الى يوم القيامة وانا ادعو لهم والملائكة يؤمنون على دعائي (وكان) عليه الصلاة والسلام يكرم ضيفه ويبسط رداءه له كرامة وجاءته ظئره التي ارضعته يوما فبسط لها رداءه وقال مرحبا بامي واجلسها عليه (وكان) أكثر الناس تبسما واحسنهم بشرا مع انه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة لايمضي له وقت في غير عمل لله أوفيما لابد له أو لاهله أو لامته منه وماخير بين شيئين الا اختار أيسرهما الا ان يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه (وكان) يخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن ويركب الفرس والبغل والحمار ويردف خلفه عبده أوغيره ويمسح وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف ردائه (وكان) يتوكأ على العصا وقال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء (ورعى الغنم) وقال مامن نبي الا وقد رعاها (وعق) صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعدما جاءته النبوة (وكان) لايدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بحلق رأسه يوم السابع وان يتصدق عنه بزنة شعره فضة (وكان) يحب الفأل ويكره الطيرة ويقول مامنا الا من يجد في نفسه ولكن الله يذهبه بالتوكل (وكان) اذا جاءه مايحب قال الحمد لله رب العالمين واذا جاءه مايكره قال الحمد لله على كل حال (واذا) رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين (وروى فيه) الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا (واذا) عطس خفض صوته واستتر بيده أو بثوبه

وبحمد الله (وكان) صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه مستقبل القبلة (واذا) جلس في المجلس احتبى بيديه (وكان) يكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة (وكان) ينام أول الليل ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يأتي فراشه فاذا سمع الاذان وثب قائما فان كان جنبا أفاض عليه الماء والا توضأ وخرج الى الصلاة (وكان) يصلي في سبحته قائما وربما صلى قاعدا قالت عائشة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صلاته جالسا (وكان) يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وهو في الصلاة (وكان) يصوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء وقلما يفطر يوم الجمعة وأكثر صيامه في شعبان (وكان) صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظارا للوحي (واذا) نام نفخ ولا يغط غطيطا (وكان) اذا رأى في منامه ما يروعه قال هو الله ربي لا شريك له (واذا) أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك (وكان) يقول اللهم باسمك أموت وأحيا (واذا) استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور (وكان) صلى الله عليه وسلم اذا تكلم يبين كلامه حتى يحفظه من جلس اليه ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه (ويخزن) لسانه ولا يتكلم في غير حاجة (ويتكلم) بجوامع الكلم فصلا لا فضول ولا تقصيرا (وكان) يتمثل بشيء من الشعر وكان يتمثل بقول بعضهم ويأتيك بالاخبار من لم تزود (وكان) صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم وربما ضحك من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة (وما عاب) صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان لم يشتهه تركه (وكان) لا يأكل متكئا ولا على خوان ويأكل الهدية ويكافئ عليها ولا يأكل الصدقة ولا يتأنف في مأكل يأكل ما وجد ان وجد تمرا أكله وان وجد خبزا أكله وان وجد لبنا اكتفى به (ولم) يأكل خبزا مرققا حتى مات صلى الله عليه وسلم (قال أبو هريرة) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيوته نار وكان قوتهم التمر والماء (وكان) يعصب على بطنه الحجر من الجوع هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الارض فأبى أن يقبلها واختار الآخرة (وأكل) صلى

السبحة بضم فسكون النافلة

التفل بالفم كالقفل

الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال نعم الادام الخل (واكل) لحم الدجاج (وكان) يحب الدباء ويأكله ويعجبه الذراع من الشاة وقال ان اطيب اللحم لحم الظهر (وقال) كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة (وكان) يعجبه الثفل يعني ما بقي من الطعام (وكان) يأكل باصابعه الثلاث ويلعقهن (واكل) صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر وقال هذا ادم هذا (واكل) صلى الله عليه وسلم البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد (وكان) يحب الحلوا والعسل (وكان) صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدا وربما شرب قائما ويتنفس ثلاثا واذا فضلت منه فضلة واراد ان يسقيها بدأ بمن عن يمينه (وشرب) صلى الله عليه وسلم لبنا وقال من اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه (وقال) صلى الله عليه وسلم ليس شئ يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن اه (زاد) الباجي رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم كما وصفه الله تعالى (كان) احلم الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده قط امرأة الا يملك رقبتها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يعطيه من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من الشعير والتمر ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى لا يسئل شيئا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل انقضاء العام اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن وتستتبعه الامة والمسكين فيتبعهما حيث دعواه لا يغضب لنفسه ويغضب لربه مندبله باطن قدمه يشهد الجنائز اشد الناس تواضعا واسكتهم من غير كبر وابلغهم من غير عي لا يهوله شئ من امر الدنيا يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد يقبل معذرة المعتذر يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله تعالى دعاء مستويا قد جمع الله

تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الاولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا (قال) الباجي رحمه الله وذكر العتبي قال كنت عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يارسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي ثم انشأ الاعرابي يقول

ياخير من دفنت في الارض أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف قال العتبي فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي ياعتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله قد غفر له (ومن) كتاب الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهن قال ابو هريرة انا يارسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب (ومنه) عن عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (ومنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتي قيل يارسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدي من سنتي

قد تم بحمد الله الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث
اوله الكلام على الميت ومايتعلق به وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين